أنور الجندي

صفحات مضيئة
من تراث الإسلام

دار الاعتصام

أنور الجندي

صفحات مضيئة

من تراث الإسلام


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لكل أمة تراث هو عصارة فكرها وعقائدها وحصيلة جهدها العقلى والروحى والتراث الاسلامى هو بمثابة الجهد البشرى فى تفسير الموروث الاسلامى الذى جاء به القرآن والوحى وقام عليه رسـول الله صلى الله عليه وسلم بسنته وسيرته ولابد دائما من أن تكون التفرقة واضحة بين التراث وبين الميراث وأن نكون قادرين على الوضـوح الـكامل ازاء فهم كلمات (القديم والماضى والتراث) وعلاقتهـا بذلك الموروث الاسلامى الأصيل وأن نكون قادرين دائما على التفريق بين الاسلام باعتباره دينا ومنهج حياة له ثباته وربانيته وقدسيته الممثلة فى القرآن الكريم والسنة النبوية وبين التراث الذى هو اجتهاد المسلمين فى تفصيل هذا التراث وتعميقه والاستجابة له خلال العصور والظروف والأحداث والبيئات .

ولقـد كان التراث الاسلامى هدفا للسخرية والانتقاص من خصـوم الاسلام ودعاة التغريب فى اطار الحملة الموجهة الى اللغة العربية وعامود الشعر والشريعة الاسلامية وتاريخ الاسلام ، وذلك رغبة فى اقصاء الشباب المسلم المثقف عن هذا الورد النمير الذى يكشف عظمة الميراث الاسلامى الذى كان على مدى التاريخ نورا وضياء لكل النهضات التى قامت فى بلاد الاسلام بهدف تحقيق المجتمع الربانى والتماس منهج الله تبارك وتعالى .

ولا ريب أن تراثنـا الاسلامى فى مجال الاجتماع والقـانون والتربية والسياسة حافل بذخائر تجد البشرية نفسها اليوم فى حاجة الى أن تتعرف عليها وتنتفع بها وقد اعترفت بها مؤتمرات عالمية وكتب عنهـا علماء منصفون أمثال درابر وجوستاف لوبون وتوماس كارليل وسجريد هونكة وموريس بوكاى .

ان لدينا مفاهيم أصيلة فى بناء المجتمع وتكوين الفرد صاغها الاسلام الذى أعطانا ناموس الحضارات وقانون قيام الأمم والمجتمعات وسقوطها ولقد كان القرآن هو منطلق نهضة العلم التجريبى وهو الذى أعطى المسلمين القدرة على بناء هذا المنهج الذى قامت عليه الحضارة الحديثة .

وما يزال هذا التراث الاسلامى المنثور يهـدى الى الحق ، ويكشف لأهل الاســلام عظمة دينهم ويهـدى البشرية كلها الى الضياء الحق ، بعد ان فسدت الأيدلوجيات والمذاهب الغربية فى ان تقدم للناس مطامح النفوس وهدى القلوب •

ان موروث المسلمين هو القرآن والسنة وعنهما صـدر ذلك النتاج العظيم من التراث الحافل الذى نحاول فى هذه الصفحات ان نكشف عنه وأن نقدم منه لمحات قليلة لا نقصد بها الا أن نرد الى قلوب شبابنا الايمان بعظمة هذا الدين وفضل هذه الأمة على العالمين وبطولتها وكرامتها التى حملت هذا الضياء اربعة عشر عاما والتى هى مطالبة بأن تقدمه الى الناس جميعا ليستضيئوا به بعد ان اظلمت أمامهم الحياة نتيجة أزمة الحضارة والانسان الذى اعتمد على الفكر البشرى فانحرف به الطريق •

وأمانة الموروث الاسلامى تحتاج من المسلمين اليوم العمل على تطبيق الشريعة الاسلامية فى مجتمعاتهم واقامة منهج التربية الاسلامية القـادر على تقديم الاســلام منهجا قرآنيا خالصــا أصيلا ، لا فلسفيا ولا منطقيا ولا جدليا ، وانما صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة •

ولا ريب أن اخطر ما تحاول اليوم حركات الغزو التغريبى والشعوبية هو أن تزيف هذه الأمانة بالاضافة الى الحذف واثارة الشبهات وعرضها على مناهج وافدة ليست منها ولا لها راغبة فى أن تخطط هذا الموروث بالتراث فيصبح شيئا يمكن افساده وتدميره •

نحن نعرف تماما أن الحملات الموجهة الى الفصحى والى عامود الشعر والى التراث والى كسر النص والى العاميــات والى الحروف اللاتينيــة كلها تحاول أن ترمى القرآن الكريم عن قوس ، وأن الشبهات المثارة حول سيرة الرسول والقرآن والوحى والنبوة والسنة المطهرة والتاريخ والشريعة انما تهدف الى هدم هذا التراث وتدمير القيم الأساسية للاسلام نفسه •

ومن اجل هذا كله نقدم هذه الصفحات المضيئة من تراث الاسلام لتكشف أمام النفس المسلمة آفاق الايمان بعظمة هذا الدين وببطولة رجاله والقائمين عليه وايمانهم واصرارهم على نصرته ، فان من شأن هذا أن يملأ قلوب شبابنا بالثقة بأمتهم وعقيدتهم وأن يعلموا أنه لا بديل لهــا من فكر وافد أو منهج غريب •

والله نسأل أن ينفع بهذه الصفحات وأن يهدى الى سواء السبيل •

***

أعـــــــــلام التراث

الصفحة

الصفحة

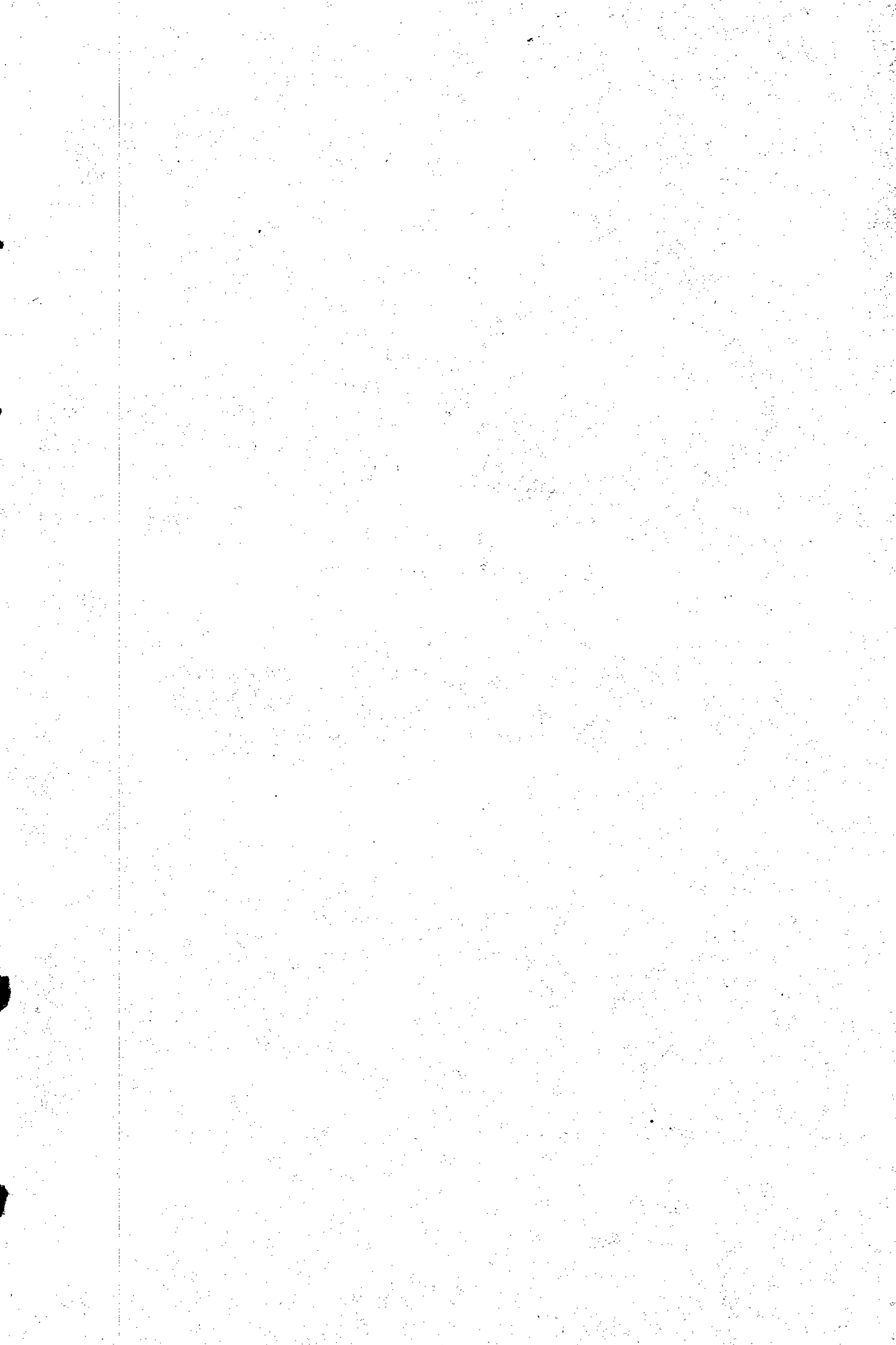
الباب الأول

القرآن الكريم

١ ـ قدم القرآن الكريم ٤ آلاف مسألة .

٢ ـ القرآن الكريم : مراجعة كتاب موريس بوكاى .

٣ ـ المؤامرة على القرآن الكريم .



(١)

قدم القرآن الكريم ٤ آلاف مسألة

قال فارس الخورى : ان القرآن اشتمل على اربعة آلاف مسالة علمية واجتماعية وتشريعية ، ولم يستطع علماء القانون المنصفون الا الاعتراف بفضل الشريعة الاسلامية وبأنها متفقة مع العلم ومطابقة لارقى النظم والحقائق العلمية .

والواقع أن هذا الأمر جدير باهتمام علماء المسلمين وباحثيهم وان عليهم ان يكشفوا هذه المسائل ويقدموها للناس فى اسلوب عصرى فان شهادة غير المسلمين للاسلام والقرآن امر جدير بالاهتمام ، واذا تابعنا شهادات علماء القانون والعلوم وجدنا انه لن يمضى زمن كبير حتى يفرض نفسه على مجالات العلم وذلك بعد أن تحققت معجزاته فى مجالين خطيرين .

مجال الكشوف العلمية ومجال القانون العالمى ..

بل ان عقيدة التوحيد نفسها لم تعدم من اهل الاديان الاخرى من كشف عن عظمتها وتحدث عن عطائها ومن هؤلاء توينبى وجب وكارادى .

وتحت يدى ما يقول كارادى :

ان القرآن عرض لاحد عشر مشكلة هما من اعوص المشكلات الفلسفية واعظمها خطرا هى :

الالوهية ــ الوحدانية ــ القدرة المنزهة من الانسان ــ مخالفة واجب الوجود لكل ما عداه من الموجودات ــ علم الله بجزئيات الكون المجردة وأجزائه المتميزة ــ استحالة ادراكه بحاسة البصر ــ أزلية البارى ــ ثباته ــ بدء الخلق ــ مصير العالم فى الحياة الاخرى .

وقد اشتمل القرآن دون غيره من اى كتاب سماوى أو دينى اخر سابق له منذ آلاف السنين على مشاهد القيامة وكيفية فساد الكون وانتهائه والبعث والحساب ، ووصف الجنة والنار فى تصور مخالف لاى تصور فى الذهن السابق على نزول الوحى المحمدى .

واليوم يطرح الطبيب الدكتور موريس بوكاى بين ايدينا كتابه الرائع « الكتاب المقدس والقرآن والعلم » .

وهو كتاب سيظل الى وقت طويل موضع العبرة والتقدير فان هذا العالم الغربى الاصل المسيحى الديانه يكشف بعد دراسات طويلة قام بها لكل من التوراة والانجيل والقرآن ، بما لا يقبل جدلا ولا نقاشا .. ان القرآن هو الكتاب المنزل من السماء وان آياته الكونية لا تصادم آية نظرية علمية وان صدقه فى هذه النظريات يؤكد انه وحى من الله أنزله على خاتم الرسل سيدنا محمد عليه السلام .

يقول : ان الوحى القرآنى الذى نزل عقب ستة قرون من المسيح قد احتفظ بالعديد من تعاليم من التوراة والانجيل اللذين اكثر من ذكرهما . بل وفرض على كل مسلم الايمان بالكتب السابقة (سورة ٤ آية ١٣٦) كما أبرز المكانة المهمة التى شغلها تاريخ الوحى الى رسل الله كنوح وابراهيم وموسى وعيسى ، الذى كان فيهم ذا مقام مرموق ، وقد اظهر القرآن ولادته كحدث معجز كما كرم والدته مريم تكريما خالصا واطلق اسمها على السورة رقم (١٩) .

ولا مفر من الاعتراف بان هذه التعاليم الاسلامية مجهولة على العموم فى بلادنا الغربية ، وقد يعجب البعض من هذا ، ولكن سرعان ما يزول ذلك اذا ذكرنا الطريقة التى لقن بها العديد من الاجيال قضايا الانسانية الدينية والجهالة التى تركوا فيها تجاه كل ما يخص الاسلام .

اليس هدف اطلاق التسميات « الدين المحمدى » و « المحمديين » حتى أيامنا هذه هو غرس الاعتقاد الخاطىء فى الأذهان بأنها تتعلق بعقائد منتشرة بعقل انسان ، وليس لك فيها « مفهوم المسيحيين» أى مكان وأن كثيرا من مثقفيا المعاصرين يعنون بمقومات الاسلام الفلسفية والاجتماعية ، والسياسية ، ثم لا يتساءلون كما هو واجب عن ماهية الوحى الاسلامى . والى جانب ذلك أى ازدراء لم يجابه به المسلمون فى بعض الأوساط المسيحية ، لقد لمست ذلك عندما حاولت عقد حوار للمقابلة بين نصوص توراتية ونصوص قرآنية . تتناول موضوعا واحدا ولاحظت الرفض المبدئى لمجرد اعتبار ما يتضمنه القرآن فى الموضوع المطروح كما لو كان الاستشهاد بالقرآن بمثابة انتماء الى الشيطان .

ويظهر أن ثمة تغيرا جذريا يتم فى أيامنا على أعلى مستوى فى العالم المسيحى والوثيقة التى صدرت من أمانة سر الفاتيكان ، ووزعت فيما بعد عن المجمع الفاتيكانى الثانى لغير المسيحيين ، وفيها توجيهات للحواريين المسيحيين والمسلمين .. وكانت ثالث طبعاتها بتاريخ ١٩٧٠ تشهد بعمق التغير فى المواقف الرسمية . وبعد أن دعت هذه الوثيقة الى تنحية (الصورة) البالية الموروثة عن الماضى أو المشوهة ببعض الاوهام والافتراءات التى كانت للمسيحيين عن الاسلام واصرت على الاعتراف باخطاء الماضى وانحرافاته التى اقترفها العرب ذوو النشأة المسيحية بحق المسلمين .. انها تنتقد مفاهيم المسيحيين الخاطئة عن قدرة الاسلام وتمسكه بالتشريع .

٢ ــ ويقرر موريس بوكاى بأن الانجيل لا يعادل القرآن ولكنه يعادل

الأحاديث . ان الحديث مجموعة أقوال وروايات وأفعال محمد والأناجيل ليست الا كذلك بالنسبة الى عيسى .

ويقول : ولم تكن الاناجيل سوى شهادات بشرية عن وقائع ماضية (وليس كذلك السنة النبوية) .. ويقول ان مؤلفى الاناجيل الأربعة المعترف بها لم يكونوا شهود عيان للأحداث التى يرونها (نقول ولكن الصحابة فى الاسلام كانوا شهودا لكل ما أوردته السنة) .

ويقول : وثمة فرق اساسى آخر بين المسيحية والاسلام فيما يتعلق بالكتب المقدسة ذلك هو غياب النص الموحى به والمحدد فى الوقت نفسه عند المسيحية بينما يمتلك الاسلام القرآن الذى يحقق هذا التعريف .

ويقول : ان القرآن هو نص الوحى المنزل على محمد من سيد الملائكة جبريل ، وقد كتب فى الحال ثم حفظه المؤمنون عن ظهر قلب ورددوه اثناء صلواتهم ، وقد رتب محمد آياته فى سور تمثل الكتاب الذى بين ايدينا ، وخلافا لما جرى فى الاسلام ، فان الوحى المسيحى انبنى على شهادات انسانية متعددة وغير مباشرة لأننا لا نملك أية شهادة من شاهد عاين حياة المسيح خلافا لما يتصوره كثير من المسيحيين .

٣ ـــ كذلك يشير بوكاى الى امر خطير آخر هو وجود اختلافات بين نص التوراة والعلم بينما لا يوجد مثل هذا فى القرآن .. « يقول : لقد لوحظ مع تطور المعرفة وجود اختلافات بين نص التوراة والعلم وقد نتج عن ذلك وضع خطير : هو تصادم العلماء وشراح التوراة لأنه لا يمكن القبول فى الواقع ، بأن يكون الوحى الالهى متكلما عن شيء غير صحيح . أما القرآن فيختلف عن ذلك ، فانه يذكر حقائق : للعلم فيها كلمته وذلك فى عدد ضخم اذا ما قورن بما ورد منها فى التوراة .. ولا نجد واحدا من هذه كلها تصطدم مع وجهة النظر العلمية .

وأعلن بوكاى خطأ معطيات التوراة فيما يتعلق بظهور الانسان على وجه الارض (حيث تشير التوراة الى ان الانسان ظهر على الارض منذ ٥٧٣٦ سنة التقويم العبرى ١٩٧٥) .. ويقول بوكاى : انه وجد من دراسة القرآن الكريم عدة اسس حاسمة :

أولا : ليس بين نص القرآن الكريم ومعطيات العلم الحديث اى تعارض بل توافق « استبان لى انه ليس فى القرآن (تأكيد) يمكن ان ينتقد من الوجهة العلمية فى العصر الحديث » بينما يجد فى سفر التكوين تأكيدات مناقضة لمعطيات العلم المعترف بها فى هذا العصر .

ثانيا : ان الاسلام ينظر الى العلم والدين كتوامين ، وان تهذيب العلم كان جزءا من التوجيهات الدينية منذ البداية وان تطبيق هذه القاعدة أدى الى التقدم العلمى العجيب فى عصر الحضارة الاسلامية العظمى التى استفاد منها الغرب قبل نهضته .

(٢)

القرآن الكريم

مراجعة كتاب موريس بوكاى

ظهرت ملخصات كثيرة لكتاب « بوكاى » والترجمة الكاملة للكتاب يجرى طبعها الان فى بيروت وقد عرضنا موقف بوكاى من الكتاب المقدس فى الحلقة الماضية وفى هذه الحلقة نقدم خلاصة ما وصل اليه بالنسبة لموقف القرآن من العلم :

اولا — القرآن لا يتصادم مع اى حقيقة كونية وان الاسلام قد انبأ العالم أجمع بنظريات لم تكن معروفة وقت نزوله . وان الاسلام لا يقر الجبرية وقد أعلن قاعدة (لا اكراه فى الدين) .

ثانيا — فى الوقت الذى كانت أوربا فيه غارقة فى القيود والجمود قدم الاسلام المنهج العلمى التجريبى وانجز المسلمون عددا هائلا من الابحاث والمكتشفات . وسافر الاوروبيون الى قرطبة لاتمام رسالتهم على يد المسلمين .

وكان للمسلمين فضلهم العلمى على الجبر ، علم الفلك ، علم الطب علم النبات ، علم الجيولوجيا .

القرآن كتاب مبين :

ثالثا — القرآن كتاب مبين وكله اشارات لكل العلوم ، وهذه الاشارات هى من اعجاز القرآن لأنها جاءت بحقائق لم تكتشف فى عالم الواقع الا بعد اربعة عشر قرنا .

رابعا — ان صحة القرآن لا تقبل الجدل ولا تشرك فى نص القرآن فى هذه الصحة كل الكتب السماوية التى انزلت قبل ذلك .

وقد عرض بوكاى للآيات القرآنية الخاصة بخلق السموات والأرض :

١ — خلق السموات والارض فى ستة أيام :

٢ ـ تعدد السموات (سبع سموات)

٣ ـ رفع السموات بغير عمد .

٤ ـ تسخير الله الشمس والقمر دائبين .

معطيات القرآن الكريم :

٥ ـ وصف القرآن الشمس بأنها ضياء والقمر بأنه نور .

يقول بوكاى : فى دراستى للقرآن عجبت عندما وجدت مثل هذا العدد الكبير من المعطيات المطابقة تماما للعلم الحديث . واهمها ذلك النص الدقيق للخلق وعلم الفلك وما يتصل بالأرض وعلم النبات والتناسل البشرى .

وقال انه يوجد فى التوراة عدة اخطاء علمية بينما لا نجد فى القرآن خطأ واحدا ، ولذلك فاننى اتساءل كيف يمكن أن يوصف القرآن بانه بشرى بينما استطاع أن يصل الى هذا القدر من المعجزات العلمية التى وصلنا اليها بعد اربعة عشر قرنا .

كذلك فقد كانت أخطاء سائدة وقت نزول القرآن فجاء القرآن وصححها وقدم الحقيقة فى اسلوب لا يجد صعوبة على طاقة العقول الموجودة اذ ذاك ثم هو يمكن تفسيره بعد تقدم العلم دون معارضة ، أن هناك اشياء فى القرآن لم يستطع أحد أن يفسرها وقت نزوله ، وفى كتب التفسير وقف العلماء عند هذه الآيات وقالوا : الله أعلم . ومن ذلك أن كلمة الكواكب بمعناها الحديث لم تكن معروفة وقت نزول القرآن ولا بعده بفترة طويلة .

اليوم فى

القرآن والتوراة :

وفرق بوكاى بين كلمة يوم فى القرآن ويوم فى التوراة ، كلمة يوم فى التوراة معناها المسافة الزمنية بين شروق الشمس وعودة شروقها ، بينما فى القرآن نجد كلمة يوم تعنى (مرحلة) وقد أعتمد فى ذلك على آية سورة السجدة :

(الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام) الآية .

ويرى بوكاى ان عمليات الخلق للعالم تمت فى ست مراحل تتضاءل أمامها الايام كما نفهمها .

ويقول بوكاى ان اول وصف أذيع فى العالم لكيفية التنقل فى الفضاء جاء فى القرآن اذ يقول : « وكل فى فلك يسبحون » ومعنى هذا ان كل ما يتحرك فى الفضاء الخارجى لا يتحرك بطريق المشى ولا بأى طريقة أخرى

الا بما يشبه السباحة وقد استخدم العلماء اليوم الكلمة التى ذكرها القرآن منذ أربعة عشر قرنا (عبارة يسبح فى الفضاء) .

معجزة القــرآن الكريم

واشار الى معجزة القرآن فى انه وصف الشمس بانها ضياء والقمر بانه نور .

وقال ان هذا الوصف لم يرد فى التوراة التى وصفت الشمس والقمر بانهما منيران ولم تميز مهمتهما ولكن القرآن اكد أن الشمس والقمر ليسا منيرين بطبيعة واحدة وقد تبين أن القمر يعكس ضـــوء الشمس الذى يستقبله وهذا لم يكن معروفا وقت نزول القرآن بل الذى كان سائدا أن الشمس والقمر منيران والقرآن هو الكتاب الوحيد الذى لا يوجد فيه شىء كان سائدا فى عصر نزوله ثم اصبح وهما بل على العكس .

وهكذا يتجدد الفكر الغربى ويخضع للحقائق القرآنية يوما بعد يوم وذلك مصداق قوله تعـالى : (سنريهم آياتنـــا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) .

لماذا الحمــلة على الصحابة ؟

حاول الدكتور طه حسين فى كتابه (الفتنة الكبرى) الغض من قدر الصحابة والتقليل من شأنهم والجراة بفتح الطريق أمام شخصياتهم الكريمة العالية على نحو يضعهم فى صفوف الساسة ورجال الأحزاب المتصارعين على الحكم والسلطان فى محاولة تعميق ما بينهم من خلافات على نحو يقلل من اقدارهم فى نظر القارىء ، وكان ذلك اول من فتح هـــذا الباب أمام الكتاب الذين جاءوا من بعده واوغلوا فيه من أمثال عبد الرحمن الشرقاوى واحمـــد عباس صالح وغيرهم من الماركسيين . وفى نفس الوقت لم يكن طه حسين نفسه مؤرخا أو حائزا على صفة المؤرخين وقد جرى طه حسين مجرى الاسرائيليات فى محاولته الخطـــيرة عن انكار ابن سبأ والتشكيك فى وجودة وجاءت من بعد ذلك كتابات تنال من الصحابة نيلا شديدا ولقد كان يسيرا على طه حسين وعلى هؤلاء الماركسيين أن يجدوا خيوطا رقيقة يضخمونها وروايات هزيلة يكبرونها ولا سيما أن بعض الذين كتبوا التاريخ قبلا كانت لهم أهواء ومذاهب خاصة أوقفتهم من الشخصيات الاســـلامية موقفا معينا بالتأييد أو الخصومة .

ثم جاءت موجة الكتاب المعاصرين ولها أهواء فطه حسين يريد أن يبرىء عبد الله بن سبأ من مؤامرته الخطيرة لحساب اليهودية العالميـــــة والكتاب الماركسيون يريدون أن يخـــدموا مذهب التفســـير المادى للتـــاريخ واذا كان بعض الذين عرضوا للتاريخ الاسلامى قبلا كانوا شعوبيين يخفون المجوسية فان المحدثين شيوعيون يخفون اليهودية !.

بطولة الصحابة :

ويبقى هؤلاء الصحابة الكرام بعد ذلك النموذج الاعلى من البطولة الاسلامية ، مرتفعين عن اهواء الصراع والتقاتل ، ولن تجدى هذه المحاولات نفعا فى الاقلال من اقدارهم او مكانتهم ذلك ان أحداث المائة سنة الاولى من عصر الاسلام التى كانت بحق من معجزات التاريخ . انها كانت عملا لم يعمله احد فى أمة اليونان او الرومان وانهم كانوا طرازا خاصا من الناس ، أولئك الذين صاغهم محمد صلى الله عليه وسلم على عين القرآن وانهم حين يرددون هذه الخلافات التى عفا عليها الزمن لايستطيعون أن يمسوا ذرة واحدة من شأن هؤلاء الصحابة الذين كانوا أسمى اخلاقا وأصدق اخلاصا لله وترفعا عن أن يختلفوا للدنيا ، وان كان فى عصرهم من الأيدى الخبيثة التى عملت على ايجاد الخلاف وتوسيعه ومن حقنا أن ندرأ عن سيرة الصحابة كل ما الصق بها من احقاد وظلم وعدوان لتكون صورتهم هى الصورة النقية الصادقة فتحسن القدوة بهم ولا ريب أن محاولة التشكيك فى هؤلاء الرعيل الكريم هى محاولة للتشكيك فى الاسلام نفسه . ولقد أعتبر التشريع الاسلامى أن الطعن فيهم هو طعن فى الدين الذى هم رداؤه ، وتشويه سيرتهم تشويه للامانة التى حملوها وتشكيك فى جميع الاسس التى قام بها كيان التشريع فى هذه الفترة . ولا ريب أن اتجاه طه حسين الى الدفاع عن اليهود بانكار ابراهيم واسماعيل أولا وانكار عبد الله بن سبأ اخيرا كان بتوجيه من لويس ماسينيون الذى كشفت السيدة سوزان فى مذكراتها الدور الضخم الذى قام به فى توجيه طه حسين .

ومن اجل هذا نتوجه الى العلامة الدكتور ابراهيم شعوط الذى كشف منذ وقت فرية من تلك المفتريات التى اذاعهــا طه حسين ، آملين أن يتابع كتاب (الشيخان) فيكشف لنا ما فيه من زيوف وهو أهل العلم والفضل حتى يبين ان كتب طه حسين عن الاسلام (الفتنة الكبرى) وهامش السيرة وغيرهما انما هى خداع فى اسمه البراق مازال الكثير من العاملين فى حقل الاسلام مخدوعين به وخاصة بعض رجال الأزهر الشريف .

من امجــاد تاريخنــا

تدم رسول ملك الهند على أمير المؤمنين بهدية وهى أربعة أسياف هندية قواطع ، فآنسه الخليفة ورحب به وتقبل هديته بقبول حسن ثم دعا بأحد أسيافه ووضع هذه الأسياف الهندية مجتمعة ثم ضربها بسيفه فقطعها كما يقطع الكاتب القلم .. فعجب الهندى من هذه الصناعة العجيبة التى تجلت فى هذا السيف المسلم . ودهش وعهده وعهد الناس أن سيوف الهند هى سيوف الهنــد وكفى ، ثم سأله الخليفــة أن يطلب اليه ما يشاء كفاء هديته فقال الرسول : لا شيء الا هذا السيف فأبى الخليفة كل الاباء ، وقال : يا هذا اطلب كل شيء الا السلاح فقد نهانا نبينا صلى الله عليه وسلم أن نقدم سلاحنا لغير المسلمين على اى سبيل كان .

قال ربعي بن عامر :

انما جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام .. ومن ضيق الدنيا الى سعتها ..

(٢)

المؤامرة على القرآن الكريم

يقول ونستون تشرشل فى كتابه ((حرب النهر)) : لقد عرفنا مدى اهتمام المسلمين بكتابهم ((القرآن)) على نحو من الضعف صرفهم عنه ، لذلك عملنا على تغيير ذلك باحتضان أمثال غلام الدين القاديانى ودعوته الى الغاء الجهاد ..

وهكذا تتكشف أمام المسلمين خلفيات التحديات التى تواجه كتابهم الكريم فى عديد من المحاولات المستمرة والمتصلة اعتقادا من الاستعمار والنفوذ الغربى أن القرآن الكريم سيحول بين المسلمين وبين الهزيمة ، مهما بلغت قسوة الغزوة التى ساقها الطامعون فى السيطرة على عالم الاسلام ..

فاذا ذهبنا نبحث وراء الحملة على اللغة العربية الفصحى والدعوة الى العاميات وجدنا أن الهدف من ذلك هو حجب القرآن عن أسلوب البيان والكتابة . واذا بحثنا عن القوانين الوضعية وجدنا انها تهدف الى الحلول محل الشريعة الاسلامية .. واذا رأينا محاولات فرض مناهج فى التربية والتعليم علمنا أن الهدف هو القضاء على برامج التربية والقرآن . ومن هنا أيضا كانت الدعوة العريضة التى ساقها طه حسين وعلى عبد الرازق ودعاة التغريب من حجب الاسلام والقول بأنه ايمان قلبى وأنه لا يدخل فى نطاق التنظيمات الاجتماعية والسياسية وذلك فى محاولة تدمير روح القرآن الجامع بين الدين والدنيا .

ودعوة القاديانية التى حاولت أن تحجب أقوى فرائض الاسلام وهى الجهاد ومنها الدعوة الى العقلانية التى ترمى الى تمزيق منهج القرآن فى المعرفة الجامع بين العقل والقلب ولقد كان من أشد اثار القرآن على الفكر البشرى انه جاء جامعا للقيم .. (التشريع والاقتصاد والاجتماع والدين) الى جانب العقيدة والاخلاق ، بل انه جاء مرتبطا باللغة وقد اعطى العربية الفصحى الخلود . ومنها كانت الدعوة الى تحطيم قداسة اللغة العربية التى اعتقد المسلمون بحق انها جزء من حقيقة الاسلام لانها كانت ترجمانا لوحى الله ولغة لكتابه ومعجزة لرسوله ولسانا لدعوته ولا يوجد دين حملته لغته التى أنزل بها أو كتب فيها الى أقصى المشرق وأقصى المغرب ثم بقيت محافظة على قوتها وجدتها ووحدتها وطبيعتها الا دين الاسلام . أما سائر الأديان فلا تقرأ كتبها الأصلية الا فى لغة البلد الذى ظهرت فيه كذلك فقد جرت دعوات الى تغليب أسلوب المنطق والفلسفة والكلام على اسلوب

القرآن فظهر من أسموا أنفسهم المعتزلة الجدد ولكن منهجهم الذى صفقت له حركة التغريب فاشل غير محقق للهدف الحقيقى ذلك أن أسلوب القرآن كان ولا يزال أقدر فى الدعوة الى الله من أسلوب المناطقة والمتكلمين وحججهم ، تلك المقدمات والتقسيمات والحجج المعقدة التى تحدث اضطرابا فى القلوب الهادية عوضا عن ان تقنعها اما البراهين المأخوذة من القرآن فانها تقنع عقولهم وتسكن ارواحهم وتربى فيهم ايمانا راسخا ذلك لان اسلوب القرآن هو اقرب الأساليب الى الفطرة ومن قديم اشار الامام الغزالى الى ان أدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل انسان . وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به احاد الناس ويستضر به الاكثرون ، بل ان ادلة القرآن كالماء الذى ينتفع به الصبى الرضيع والرجل القوى وسائر الادلة كالاطعمة التى ينتفع بها الاقوياء مرة ويمرضون بها اخرى ولا ينتفع بها اصلا .

بل ان الدعوة المسمومة التى تدعو الى تيسير النحو انما ترمى الى حجب القرآن ومنع فهمه هو والأحاديث النبوية وكلام الاقدمين فالمشروع دسيسة أجنبية لمنـــع المسلمين من تفهم قرآنهم والعـــرب من تفهم آدابهم التقليدية .

ولقد جرت ابحاث كثيرة تحاول الادعاء بان القرآن من تأليف النبى محمد صلى الله عليه وسلم وقد ووجهت هذه الشبهات بردود حاسمة تكشف عن آيات واضحة من القرآن تتضمن عتاب الحق تبارك وتعالى لنبيه وآيات فيها أمر وحسم وما كان لمؤلف القرآن ان يعاتب نفسه .

ولكنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

كذلك فقد حاولت الأبحاث والدراسات التاريخية ، كالقوميات والعناصر والأمم التى كتبها الغربيون أن تعتمد على نصوص معرضة للشك والزيف : العهد القديم تبين أنها من كتابة الأحبار فى ابان النفى البابلى ، وتجرى المحاولة لاعتبارها أساسا لدراسات التاريخ القديم مع ان القرآن الكريم اصدق منها . لقد أثبتت الكشوف الأثرية مطابقة كاملة مع ما أورده القرآن وتختلف مع العهد القديم ولكن الفكر الغربى يحاول بقدر الامكان حجب القرآن وهو النص الربانى الوحيد الباقى على الارض والموثق والذى لايصل اليه التغير أو التزييف .

ولقد جاءت تحقيقات اكثر المستشرقين يهودا ومسيحيين تؤكد اسباب الشك وأن أصول الأسفار القديمة قد أدخلت عليها زيادات من تفاسير المفسرين وتأويلاتهم واعتبرت هذه الزيادات جزءا من الأســـفار . أما القرآن الكريم كمصدر اساسى للتاريخ فلا يرقى اليه شك فقد تعهد الحق تبـــارك وتعالى بحفظه وهذه احدى معجزاته حيث لم يطرأ عليه زيادة أو نقص خلال التاريخ كما اثبتت الدراسات المحايدة سلامة النص القرآنى من التعديل والتبـــديل فقد انفرد القرآن الكريم بذكر بعض أخبار الأمم البائدة مثل عاد وثمود التى كانت الى وقت قريب موضع شك عند غير المسلمين من المؤرخين حتى اصبحت ذات قيمة تاريخية بعد ان اثبتت الاكتشافات الاثرية اثارهم فى شمال الحجاز واليمن .

ولقد جاءت الكشوف الأثرية فى الأردن : كهف قمران وكهف الرقيم مطابقة تماما لما جاء فى القرآن الكريم ، ولكن الخصومة والحقد مازالا يجولان بين الباحثين الغربيين وبين الاعتراف بالقرآن مصدرا واحدا صحيحا للتاريخ القديم كذلك فقد جرت محاولات الكنيسة والمفكرين الغربيين الى تحريف ترجمات القرآن التى نشروها فى الغرب حتى يحولوا بين المتطلعين الى معرفة الحقيقة وبين الاهتداء الى الاسلام دين الفطرة .. فضلا عن قولهم أن القرآن من كلام محمد فهم يقولون أنه مقتبس من التوراة والانجيل وكل الأبحاث الجادة تكذبهم وتكشف عن ذاتية القرآن الخاصة وانه من عند الله فقد جاء خاتما للكتب السماوية ومهيمنا عليها . ولقد قدم القرآن حقائق هامة فى هذا العصر حجبها الكتاب المقدس أبرزها أن ابراهيم واسماعيل هما اللذان رفعا قواعد البيت وان براهيم ماكان يهوديا ولا نصرانيا وان عيسى عليه السلام لم يصلب كما أنه يدحض نظرية السامية فى اللغة والعنصر .. ويرى انها محاولة لحجب الحنيفية الابراهيمية واعلائها الى جد سابق لم يرد اسمه صراحة فى القرآن وذلك حقدا من مؤرخى اليهود الذين ينكرون ترابط دين ابراهيم بدين محمد وينكرون أن وعد ابراهيم هو للصالحين من ذريته سواء اكانوا يهودا أم نصارى أم مسلمين وينكرون أن هذا الوعد لابنى ابراهيم اسحق واسماعيل على السواء .

وأصح ما يقال فى هذا المجال هو ما قاله فريد وجدى ان الزمان عجز عن ابطال شيء من القرآن الكريم او نقص آية او ابطال حكم او تكذيب خبر فضلا عن ان التحدى الرباني بالنسبة لاعجاز القرآن مازال قائما منذ اربعة عشر قرنا .

وما تزال الحملة على القرآن ممتدة على العصور يحمل لواءها الملحدون والفلاسفة والشعوبيون الذين تحركهم قوى الاستعمار والصهيونية والشيوعية بهدف الحيلولة دون تطبيق المسلمين لقرآنهم والايمان بانه هو المصدر الوحيد لمنهج الحياة الصحيح . وقد تبين أن محاولات الاستشراق المتدة كلها ترمى الى هدم مقررات الاسلام والتأثير على علاقة القرآن باللغة العربية .

وتحاول المترجمات الغربية ان تؤثر فى منهج الفكر الاسلامى وتحويله عن مصادره القرآنية وقد حدث هذا من قبل ابان الترجمة فى القرن الثالث الهجرى ، ولقد تنبه الابرار من اعلام الاسلام الى هذه المؤامرة وكشفوا زيفها وحطموا المخططات التى كانت وراءها . ونحن اليوم أشد حاجة الى مثل ذلك .. وعلينا أمانة للفكر الاسلامى الحديث أن تكون باللغة العربية الفصحى أساسا وأن نعتمد منطق القرآن متصلا لترجمة المصطلحات الحديثة الى العربية حتى نقيم اطارا اسلاميا عربيا للتكنولوجيا الاسلامية .

يقول السيد ابو الحسن الندوى :

لابقاء لدين ولا بقاء لشريعة ولا بقاء للغة الا ببقاء الامة التى نزل فى لغتها هذا الكتاب الخالد وشرع فى لغتها هذا الدين العالمى .

لقد اندثرت امم فاندثرت أديان وقد يسبق اندثار الامة اندثار الدين ،

وقد تندثر امة وقد تطوى من سجل التاريخ ومن سجل العالم فياتى دور الدين الذى كانت تدين به . وقد يندثر دين لانه قد ادى رسالته وفق صلاحيته ثم تندثر هذه الأمة التى كانت تدين به .. أما القرآن فانه مضمون البقاء مضمون الخلود ، مكفول القراءة ، مكفول التلاوة ، مكفول الفهم كما قال الله تبارك وتعالى (ان علينا جمعه وقرآنه) .

وقد تحقق ان هذه الامة العربية كانت ولاتزال باذن الله مكفولة البقاء مكفولة الحياة فانه لافائدة من بقاء هذا الكتاب اذا ضاعت اللغة واذا ضاع أهلها فمن يفهمه ومن يفسره ومن يفهم مبادئه ومضمونه ومكنوناته . ان هذه الأمة تبقى مهما توالت النكبات وتتابعت الأزمات لأنهـا صاحبة الرسالة الاسلامية وصاحبة النبوة الاخيرة وصاحبة الكتاب الاخير .

***

من امجـاد تاريخنـا

بينما المسلمون يقتحمون نهاوند فى فتح الفتوح ، كان عمر فى المدينة يتسقط الأنبـاء ، لا يذوق النوم الا قليـلا ، يقضى سائر ليله يستنصر الله لجنـده ، فلما كانت الليلة التى قدر للقائهم جعـل يخرج ويلتمس الخبر وقد ألقى فى روعه أن الله نصر جنده وانجز وعده ، وكان حذيفة قد بعث طريف بن سهم ليسرع بالخبر الى المدينة فلما بلغها وسأله عمر ذكر له ما أنعم الله به على المسلمين وهرعوا الى المسـجد فصلوا ثم خرج عمر فى جماعة من أصحابه وكلهم الشوق أن يعرفوا مزيدا من الخير وأمعنوا فى الطريق الذى يؤدى الى فارس فبصروا عن بعـد براكب فسأله عمر عما وراءه قال : البشرى والفتح ، قال عمر ماذا فعل النعمان قال : زلت فرسه فى دماء القوم فصرع فاستشهد ، قال عمر : انا لله ولم يتمالك أن بكى حتى نشج فلما سكنت سورة الحزن سأل عمن قتل من المسلمين فذكر له أعيان الناس وأشرافهم ثم قال : وآخرون من أفنـاء النـاس لا يعرفهم أمير المؤمنين ، قال عمر : ما ضرهم الا يعرفهم عمر ، لـكن الله يعرفهم .. وقد أكرمهم بالشهادة ..

قالوا ...

قال هاملتون جب : المسلمون اول من الف فى مقارنات الأديان والنحل لأنهم كانوا واسعى الصدر تجاه العقائد الأخرى وحاولوا أن يفهموها ثم انهم اعترفوا بما أتى قبل الاسلام من ديانات توحيدية ويحظى ابن حزم فى هذا المجال بالنصيب الأوفر .

الباب الثانى

التراث الإسلامى

١ — أصالة التراث الاسلامى .

٢ — تراث الاسلام .

٣ — ٥ آلاف مخطوطة عن الفلك الاسلامى .

٤ — رحلة الأرقام العربية الى أوربا .

٥ — لابد للعرب من نظام تصنيف أصيل .

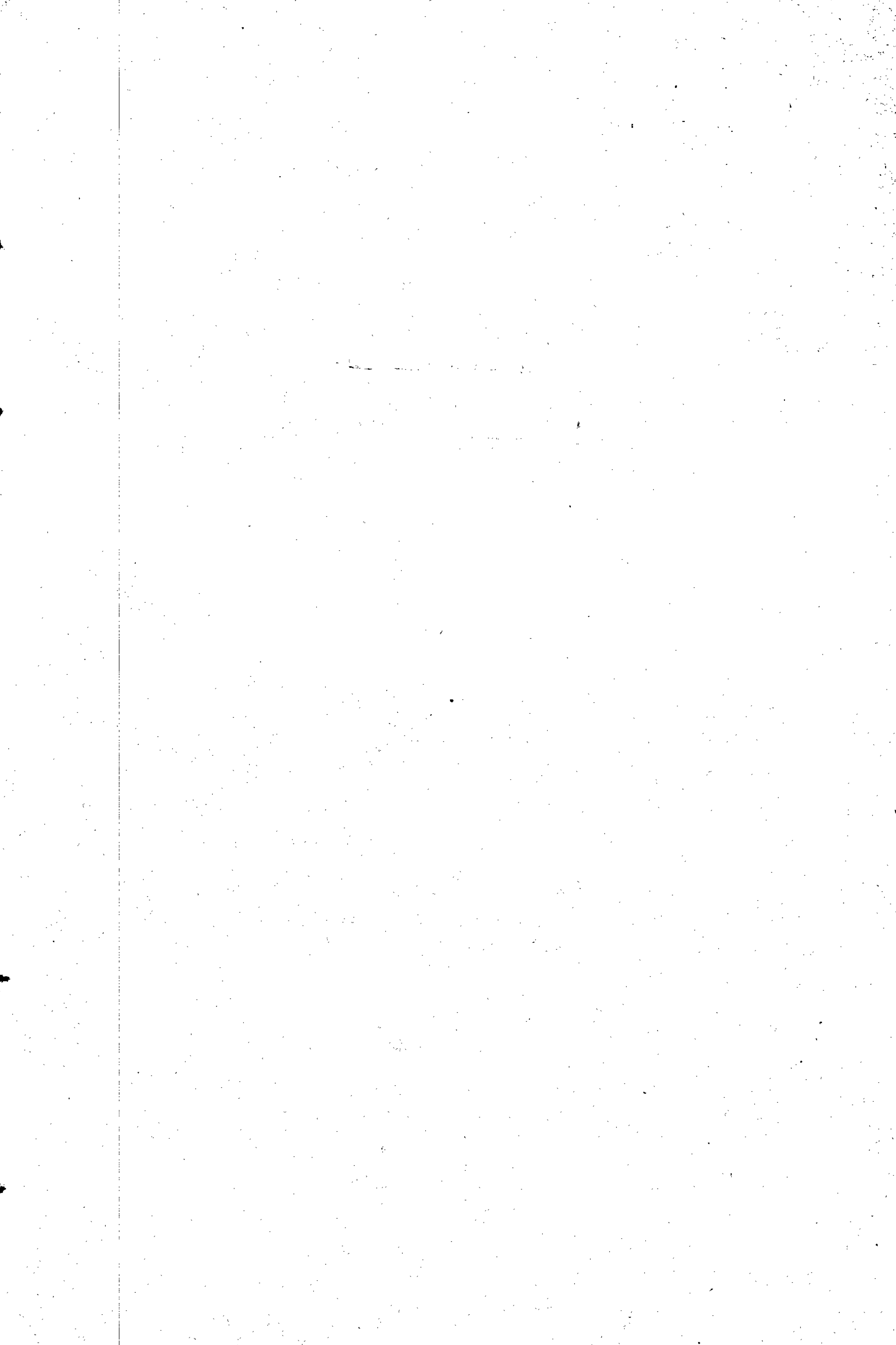
٦ — هذه الحملة المسعورة .

٧ — زوايا خاصة فى التراث العربى .

٨ — احياء الأساطير الجاهلية .

٩ — الاسلام هو الذى جعل المسلمين عظماء .

١٠ — سرقة التراث .



(١)

أصالة التراث الإسلامى

تستطرد فى السنوات الأخيرة دعوات حول التراث الاسلامى تحاول ان تزيف جوانبه الايجابية وتعلى من شأن جوانبه السلبية وتدعو الى الانتقائية وتحاول أن تفسره تفسيرا ماديا أو اقتصاديا او روحيا ، وهى فى هذا كله تخضع التراث الاسلامى لمناهج غير مناهجه وتتحكم فيه تحكما يخرجه عن حقيقته وجوهره .

١ — والواقع أن التراث الاسلامى لا يدرس ولا يحلل الا فى اطار الاسلام نفسه ويقتضى التفرقة فيه بين الاصل السماوى الذى جاء به الوحى وما يتصل به من السيرة والسنة التى صدرت عن الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره المبلغ المعصوم ، وبين اجتهادات العلماء والفقهاء والمفسرين فى جوانب التراث المختلفة التى يمكن ان توصف بانها استجابات للعصور والبيئات المختلفة .

٢ — كذلك فهناك ذلك الحوار الذى جرى بعد ترجمة الفلسفة اليونانية بين مفهوم السنة الجامع وبين الاتجاهات الكلامية والاعتزالية والفلسفية والصوفية التى جرت فى سبل مختلفة وخضعت فى مراحل منها للفكر الهلينى ثم استصفاها المفهوم الجامع وتحرر من تبعية الفلسفات الوافدة .

٣ — وفى مرحلتين من مراحل تاريخ الفكر الاسلامى استعلى شأن الاعتزال ثمة ثم استعلى شأن التصوف الفلسفى ، ولم يكن هذا الاستعلاء بالحق ، بل كان انحرافا عن مفهوم الاسلام الجامع المتكامل بين عقلانية الاعتزال ووجدانية التصوف الفلسفى ، و لقد صفى الفكر الاسلامى هذه المرحلة بكتابات الامام الغزالى وابن تيمية وابن القيم من بعد حتى انه لا يمكن استعراضها الا فى ظل هذا الحوار الجامع وبحيث لا يمكن القول بأن أحد هذه الفروع الثلاثة يمكن أن يمثل وحده مفهوم الاسلام .

٤ — كذلك فان تراث الاجيال المتأخرة وخاصة ما يتصل منه بالحواشى والمتون على الكتب القديمة فانه ينظر اليه فى ضوء تحديات عصره ، وكل ما يتصل بالتجميعات التى قام بها المفكرون المسلمون بعد حملة التتار على بغداد وبعد الحروب الصليبية .

ذلك انه من خلال هذه المراحل والمواقف يجىء طلاب الشبهات فيثيرون

مسألة او قضية او يحاولون ان يصوروا الاسلام من خلال بعض هذه الآثار ولكن النظرة الصحيحة للتراث يجب أن تكون سليمة الاتجاه بأن التراث الاسلامى الصائب هو ماكان متصلا بالمنابع الاسلامية وقريبا من عهد الرسول وكان محررا من تلك المحاورات التى كان للفكر اليونانى أثره فيها .

وانا لنجد اليوم من يدعو الى (تجديد الفكر العربى) باعلاء دور الفلسفة (الفارابى وابن سينا) او اعلاء الفكر الباطنى (ابن الراوندى ورسائل اخوان الصفا) وهى من مفاهيم الحلول والاتحاد ووحدة الوجود وغيرها وكل هذا الفكر فى صوره المختلفة لا يمثل التراث الاسلامى الاصيل ، وانما هو من الفكر الدخيل الوافد الذى نقلته الترجمات الفارسية والوثنية واليونانية والمجوسية والباطنية .

وقد قاوم الفكر الاسلامى فى عديد من رجاله الأعلام هذه الشبهات والسموم وكشف عن زيفها وانحرافها عن مفهوم التوحيد الخالص .

هذه الجوانب البناءة هى التى تمثل اصالة التراث الاسلامى وهى وحدها التى يجب تجديدها واحياؤها لتكون قوة متجددة للفكر الاسلامى الحديث ، أما تلك الجوانب السلبية المنحرفة التى شجبها مفكرو الاسلام من قبل فانها ليست جديرة بالاحياء والانبعاث ، اما هؤلاء الذين يحاولون احياءها فهم دعاة التغريب والغزو الثقافى متابعين فيها هدف الاستشراق الغربى الذى يثير شبهة ترمى الى القول بان هناك اثرا للفكر الهلينى فى الفكر الاسلامى يمكن أن يكون سبيلا الى القول بأن للفكر الغربى المعاصر أثرا فى الفكر الاسلامى الحديث .

ولقد أثار الكثيرون فكرة « التقوقع حول التراث » وينتقدون المسلمين فى هذا الامر ، بينما يكشف هذا عن اصالة جديرة بالاعجاب ذلك ان المسلمين قد اعتصموا حول تراثهم حين وقعوا فى اسر الهزيمة والاحتلال فقد رفضوا أن ينماعوا فى الأتون الغربى الذى حاول احتواءهم ، وحرصوا على الاعتصام بقيمهم وتراثهم باعتبارها المصدر الوحيد لقوتهم وانتصارهم ، ولا ريب ان اية امة لها قدر من الاصالة يجب ان تعتصم بتراثها وتحافظ عليه ابان الغزو العسكرى والسياسى ، وان تجعله جدارا يحميها من الغزو الثقافى .

وما يزال المسلمون والعرب يستلهمون تراثهم وينظرون اليه نظرة أصيلة ليست منحرفة نحو التقديس أو الاحتقار ولكنها نظرة واقعية عاقلة . ترى انه مرآة لما مر بالمسلمين والعرب . فالجوانب الايجابية منه تضىء الحاضر والجوانب السلبية منه تعطى العبرة لمثيلاتها ولذلك فان الدعوة الى انفصال العصر الحديث فى مجال الفكر أو التراث أو الأدب هى زيف الاستشراق واثم التغريب ، فهى محاولة قطع الصلة بين الحلقات المتتابعة للأمة الواحدة . ولا ريب أن المسلمين والعرب كانوا دائما يلتمسون أصالتهم ومنابعهم كلما كرثتهم الكوارث أو ادلهمت فى وجههم الخطوب .

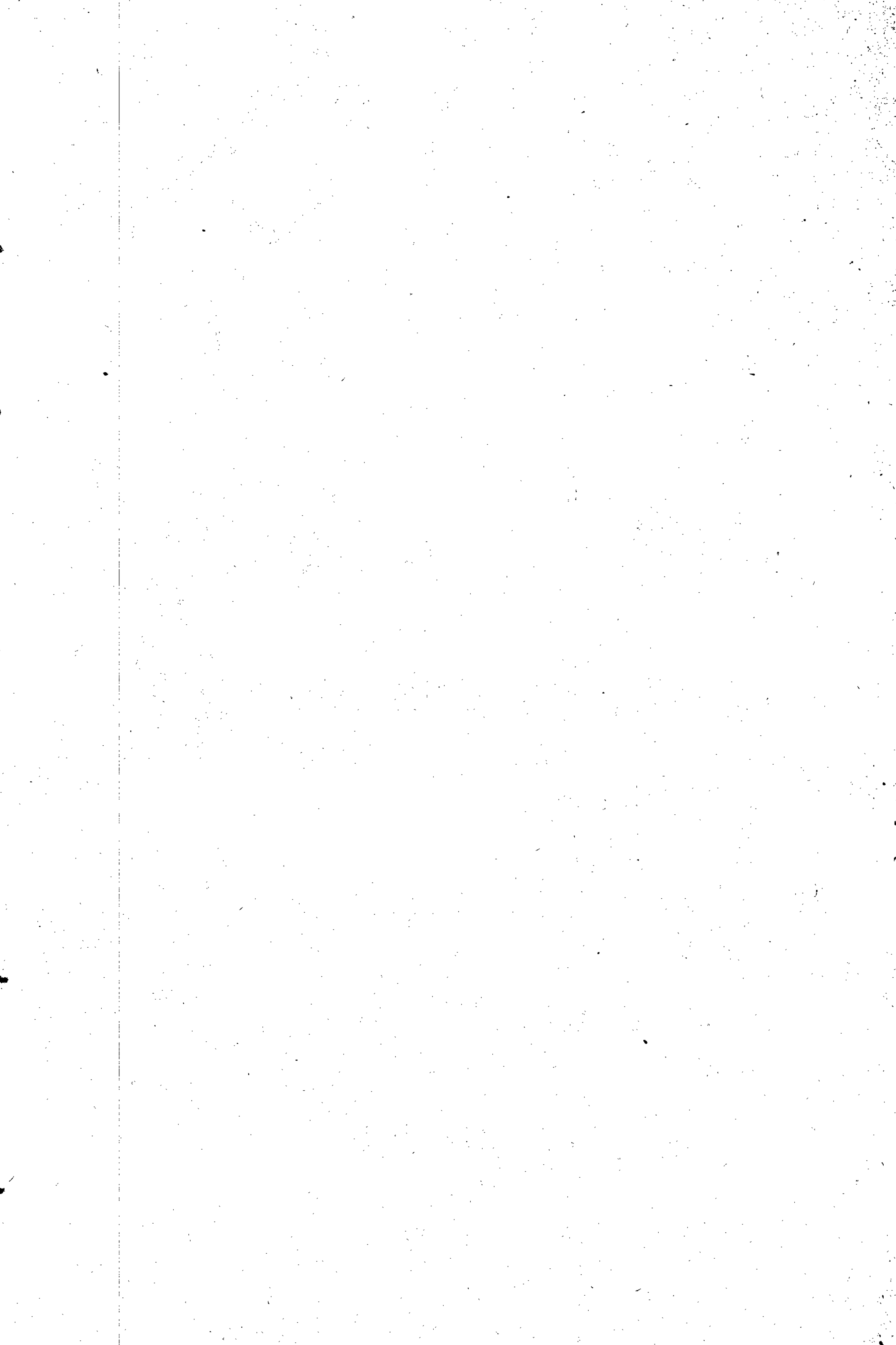
لقد جاء الاسلام بالضوء الكاشف والحق المبين عندما كشف امر الفكر الوثنى القديم : هذا الفكر الذى جرت محاولات تجديده بعد عصر الترجمة وكان علماء الاسلام قادرين على دحض هذه المحاولات ، ويجيء اليوم من يعاود تجديد هذه الشبهات واثارتها واعلاءها ووصفها بأنها الجوانب العقلانية أو الايجابية لأنها مما اتصل بالفكر اليونانى والهلينى والوثنى بينما حجب الجوانب الأصيلة التى يتمثل فيها مفهوم الاسلام الجامع ولم يكترث لها . لقد كان المسلمون والعرب يؤثرون أسلوب التفتح على فكر الامم دون أن يعطوه القدرة على احتوائهم او السيطرة عليهم ويضعون ضوابط لهذا التفتح تحفظ لهم ذاتيتهم وشخصيتهم وطابعهم الربانى الخالص .

ولا ريب ان التعلق بالتراث ليس هروبا من العصر ، لان هذا التراث انما يعطى « روح » الاصالة التى لا تحول مطلقا دون التفتح والتقدم والعصرية ، وانما تحول دون الاحتواء والانمحاء والسقوط فى هوة التبعية وما يزال التراث الاسلامى لم يكتشف بعد ، وما تزال فيه قيم نابضة بالحياة . ولا ريب أن ما كشفه المفكرون الغربيون فى ميدان الشريعة الاسلامية من نظريات وقوانين وحلول للقضايا جدير بأن يؤكد هذا المعنى ويزيف دعوى خصوم العرب والاسلام ، الذين يخشون انبعاث المسلمين والعرب من تراثهم وقيمهم التى ما زالت مدفونة فى الكتب الصفراء لأن أحدا لم يستخرجها بعد ولم يستعملها فى حل معضلات العصر .

ولا ريب ان تراثنا فى مجال الفقة والشريعة الاسلامية ، لايزال يمثل كنزا مخبوءا لم يتم استكشافه تماما ، وهذا هو ما يغضى عنه خصوم التراث بينما يجد فيه رجال القانون فى الغرب منجما ثرا لعشرات الاقضية والحلول والاجابات الجديدة كل الجدة على عصرنا هذا . كذلك فى مجال فهم النفس الانسانية البشرية والأخلاق والمثل فان هناك ثروة لا تقدر . وفى الاقتصاد وعلم النفس والاجتماع والاخلاق ذخائر حية جديرة بان تعرفها البشرية مجددا وتنتفع بها .

أما ما يتصل بالعلوم فان انبعاث هذا التراث هو بمثابة اقامة الحجة على الذين ينكرون الدور الضخم الذى قام به المسلمون فى مجال بناء قاعدة العلم والتكنولوجيا وخاصة فى بناء المنهج العلمى التجريبى الاسلامى . ولا ريب أن أبناءنا وشبابنا فى شديد الحاجة الى أن نضع بين أيديهم من التراث ما يتأكدون به من صدق هذا الأثر الضخم ذلك أن مناهج الدراسة لم تقدم لهم هذه الحقائق وقدمت لهم العلوم الحديثة منفصلة عن أصولها الاسلامية العربية الأولى .

كذلك فنحن فى حاجة شديدة الى التماس اسلوب الاصالة فى تجديد التراث وان يكون القائمون عليه مؤمنين بامتهم وعقيدتهم فيجعلوا منه منطلقا للنهوض والتجديد والبناء والتقدم ولا يكونوا عاملين على ابراز شبهات الشعوبيين والباطنيين والملاحدة ، وأخطاء الزنادقة القدامى ، أو احياء شعر شعراء المجون ، او ما يتصل باهل الباطل والضلال على النحو الذى عرف عن بعض من تصدوا لاحياء التراث من دعاة التغريب ورجال الغزو الثقافى .



(٢)

تراث الإسلام

تراث الاسلام الذى احرق وأغرق ونهب

قال ول ديورانت : ليس ما نعرفه من ثمار الفكر الاسلامي (٧٥٠ ــ ١٠٥٠) الا جزءا صغيرا مما بقي من تراث المسلمين وليس هذا الجزء الباقى الا قسما ضئيلا مما أثمرته قرائحهم ، وليس ما اثبتناه الا نقطة من تراثهم (جـ ٢ م ٤ قصة الحضارة ٢١٢ / ٢١٣) .

والحق ان تراث الاسلام خلال العصور المختلفة والحملات الغادرة قد حرقه التتار والصليبيون والاسبانيون والقى فى مياه دجلة والتهمته النيران ، ومحاكم التفتيش . أما ما سلم منه فقد نهب ووزع على مكتبات أوروبا .

اكريمنيس

فى عام ١٤٩٩ أمر الكردينال أكريمنيس مطران طليطـلة بجمع الكتب والاثار العربية فى غرناطة ونظمها أكداسا فى ساحات المدينـــة ، واحتفل باجراقها ، ولم يستثن منها سوى ثلاثمائة كتاب من كتب الطب وبلغ ما أحرق فى ساحات غرناطه ٨٠ ألف مجلد .

وقد توزعت كتب التراث على عشرات المكتبـــات فى اوروبا حتى ان فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة برلين وحدها كان يملأ حتى عام ١٩٣٠ عشرة مجلدات ضخمة وان أحـد طلاب جامعــة برستون القدامى أهدى الى المكتبة ستة آلاف مخطوط عربى .

تقول الدكتورة بنت الشاطىء : رحم الله أجدادنا ، فقد وضعوها بضاعة رخيصة لا تساوى وزنها ورقا عند خدام دور العبادة الذين كانوا حتى مطلع القرن العشرين هم حراس تلكم الكنوز ، ورحم الله أجدادنا وضعوا ثروتنا الفكرية والروحية فى بيوت الله وهم يحسبون انها هناك بمأمن من الضياع ولم يدروا أنه سوف يأتى حين من الدهر يأتمر فيه خدام دور العبادة على التراث الغالى دون رقيب فيبيعون نفائسه بالكوم لتجـــار الحلوى والبقــول .

وقد أشار الكونت فيليب دى طرازى فى كتابه (خزائن الكتب العربية) ص ١٩٠ ، طبع بيروت : أن خادما يدعى ابن السليمانى فى منتصف القرن

التاسع عشر ، كان حارسا لثلاث مكتبات كبرى فى مساجد القاهرة باع اكداسا من مخطوطات المكتبات الثلاث ...» الخ .

* * *

بالرغم من تحريف التوراة فقد سجلت نزول الرسالات الثلاث فى سيناء وساعير وفاران

تدل المراجع الصحيحة على أن اليهود غيروا (التوراة) ابان السبى البابلى على نحو ما سجل عليهم القرآن الكريم وأكدت ذلك الابحاث التى أجراها الباحثون الغربيون فى السنوات الاخيرة غير ان (التوراة) المكتوبة بأيدى الأحبار قد غفلت عن نص ما زال حتى الآن يسجل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ذلك هو ما ورد فى السفر الخامس تثنيه (٢٣) ــ ٢ وذلك هو :

(أقبل الله من سيناء وتجلى فى ساعير وظهر فى جبال فاران) .

قال ابن القيم فى كتابه هداية الحيارى الى أجوبة اليهود والنصارى : هذه بشارة متضمنه النبوات الثلاث .

مجيئه من سيناء وهو الجبل الذى كلم الله عليه موسى وتجليه فى ساعير هو مظهر المسيح من بيت المقدس .. وفاران هى مكة التى ظهر فيها النبى محمد صلى الله عليه وسلم . وقد اورد القرآن الكريم هذا النص بصورة أشد روعة وقوة (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين) .

كلمات مضيئة

سأل معاوية يوما رجلا من أصحاب على : هو ضرار بن حمزة فقال له : صف لى عليا ، قال ابن حمزة : اعفنى يا أمير المؤمنين ، قال له معاوية : لابد من ذلك .. قال ابن حمزة : أما اذا كان لابد من ذلك فانه كان والله بعيد المدى شديد القوى ، يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يعجبه من الطعام ما خف ومن اللباس ما قصر ، وكان والله مجيبا اذا دعوناه ، ويعطينا اذا سألناه ، وكنا والله على تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له ، ولا نبتدئه لعظمته فى نفوسنا . يبسم عن ثغر كاللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ويرحم المساكين ويطعم فى المسغبة ، يتيما ذا مقربة ، أو مسكينا ذا متربة ، ينصف اللهفان ويستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل وظلمته . وكأنى به وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وهو فى محرابه قابض على لحيته ، يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين يقول : يا دنيا غرى غيرى ، الى تعرضت أم الى تشوقت ، هيهات هيهات ، لا حان حينك وقد باينتك ثلاثا لا رجعة لى فيك .

* * *

(٣)

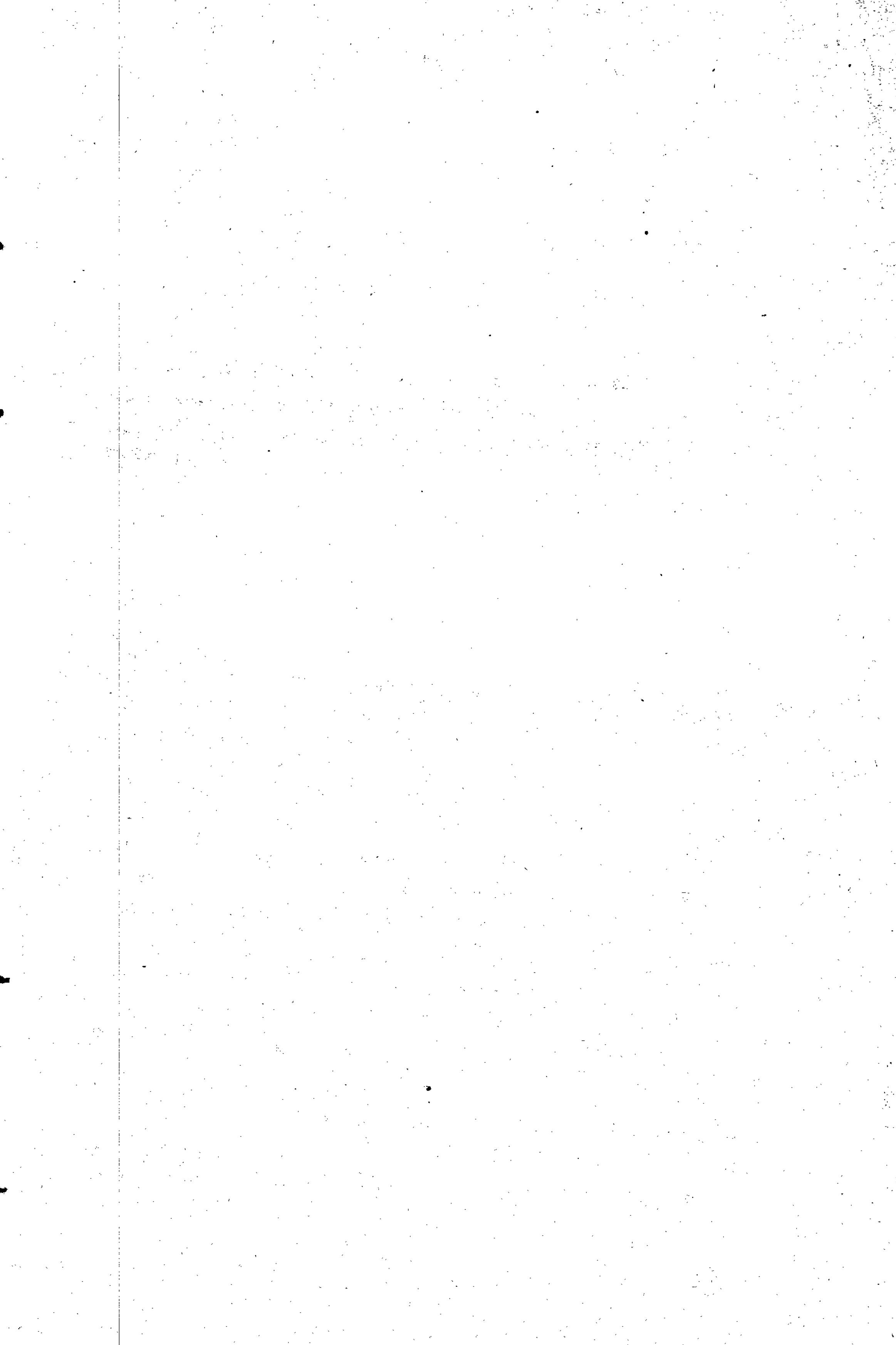
٥ آلاف مخطوطة عن الفلك الإسلامى

خبران هامان شغلت بهما الصحافة العربيــة والعالمية أخيرا يلقيان أضواء جديدة على الدور الرائد الذى قام به المسلمون فى مجـال العلوم التجريبية وكان له أبعد الاثر فى النهضة الحديثة سواء مجال الفلك او مجال الارقام العربية .

أول هذه الأخبار : ما أثاره دكتور (ديفيد كنج) الذى يدرس علم الفلك الاسلامى والذى قدم رسالته فى الدكتوراه عـن الفلكى المصرى ابن يونس الذى يعد من أشهر الفلكيين فى العصور الوسطى . أما الآن فهو يقوم باجراء مسح شامل لآلاف المخطوطات التى تتعلق بتاريخ الفلك والعلوم الرياضية وهو منذ عام ١٣٩٢ هـ الى اليوم عاكف فى دار الكتب المصرية على أكوام من المخطوطات يقرأ خطوطها ويفك طلاسمها والمهمة هى اعداد فهرس نقدى لأكثر من خمسة آلاف مخطوط تتضمن أعمالا فلكية ورياضية يجرى مقارنتها بالمخطوطات الاخرى فى المكتبات الغربية .

— ويقول الدكتور ديفيد كنج لمحدثه كريم حسام الدين : ان هذه المخطوطات تتضمن مادة علميــة خصبة وغنية دونت خـلال الفترة الممتدة من القرن التاسع الميلادى الى القرن الخامس عشر فيما كان العلماء المسلمون هم القادة فى مجال العلوم . وهى مع الأسف لم تمتد اليها حتى الآن يد البحث والدراسة وانى أدعو الشباب المســـلم الذى تخصص فى الرياضيات الى دراسة هذا التراث الفلكى والرياضى : تراث آبائه واجداده . وقال الدكتور ديفيد كنج أن هناك أكثر من ثلاثمائة مخطوطة فى مكتبات العالم تمثل نوعا فريدا من الدراسة هو (تاريخ علم الميقات) ويتضمن جداول شاملة لمواقيت الصلوات الخمس التى استخدمت فى القاهرة والقيروان ودمشق وبغـداد وغيرها من العواصم الاسلامية .

كما قام الباحث بدراسة كتاب (تعديل القمر المحكم) وهو مخطوط لابن يونس يستهدف تحديد موضع القمر ويلحق به جدول ضخم يضم ما يزيد على ثلاثة آلاف قيد وهذا يدل على مبلغ ما وصلت اليه دراسات العلماء المسلمين للفلك وللقمر بالذات .



١ — رحلة الأرقام العربية

أما الموضوع الثانى الذى أثار كثيرا من المناقشات فهو بحث الأستاذ سالم محمد الحميدة عن الارقام العربية الذى تابع فيه هذه الرحلة منذ عصر البابليين الى اليوم وقد استهل بحثه بكلمة منصفه فيها اعتراف العلماء بفضل المسلمين فى مجال العلوم التجريبية .

تقول المستشرقة الألمانية « سجريد هونكه » : فى مقدمة كتابها (شمس الله تشرق على الغرب) :

ان العالم اليوم يستخدم الارقام التى تعلمها الجميع عن العرب . ولولا تلك الارقام لما وجد اليوم دليل الهاتف أو قائمة الاسعار أو تقرير البورصة ولما وجد ذلك الصرح الشامخ من علوم الرياضة بل ولما وجدت الطائرات التى تسبق الصوت أو صواريخ الفضاء . ولقد كرمنا هذا الشعب الذى من علينا بذلك الذى لا يقدر حين أطلقنا على أرقام الاعداد عندنا الارقام العربية .

وقد تابع الباحثون رحلة الأرقام عبر التاريخ فى محاولة لاستقصاء دور العرب فقال الاستاذ سالم محمد الحميده فى كتابه الارقام العربية بأن المؤرخين يحددون ما يقرب من ٣٧٠٠ ق.م عند الصينيين والسومريين و ٣١٠٠ ق.م عند المصريين تاريخا لتعلم الكتابة العددية وقال ان النصوص المدونة تكشف عن أن البابليين قد وضعوا جداول مطولة لعملية الضرب فى حين أن الحضارة المصرية على قدمها لم تضبط هذه العملية ومهما يكن فان الانسان قد توصل الى كتابة الاعداد بالصور فان اراد أن يدون عددا من الخراف رسم تصاوير خراف بقدر العدد نفسه واذا اراد أن يعبر عن عدد من الرجال يسكنون خيمة رسم صورة خيمة والى جانبها عدد من الرجال .

ولكن التطور الكبير الذى حدث على يد البابليين الذين كتبوا الأعداد بالرموز وقد عبروا عن التسعة أرقام الاولى بأشكال عمودية أما الرقم العاشر فقد استعملوا نفس الرمز بشكل افقى ، ويظهر من ذلك أن نظام العد عن البابليين هو النظام الستينى فالمائة تركب من الستين مضافا اليها عشرات أربع .

وهكذا تفوق البابليون العرب باستعمال علامة خاصة للصفر وابتكارهم نظام المرتبة العددية التى تغير قيمة العدد بالنسبة الى مرتبته كما هو فى النظام الحديث . ويرى صاحب كتاب الأرقام العربية الصادر حديثا أنه

لا يستبعد أن الهنود الذين اعتبروا حديثا هم أصحاب هذا النظام قد أخذوه من البابليين .

وأشار المؤلف الى كتابة الارقام باستخدام الحروف الصوتية التى اقتبسها الفينيقيون عن سكان سيناء ثم نشروها فى العالم وعنها أخذها اليونانيون ، أما الارقام الرومانية التى يمكن أن نستذكر صورها بأرقام الساعة القديمة فقد فشلت لصعوبة اجراء العمليات الحسابية بها وكانت هذه الصعوبة من أسباب تأخر علم الحساب قبل ايجاد الارقام العربية ، ثم استخدم المسلمون فى الدولة العربية حروف أبجديتها فى الترقيم باعطاء كل حرف رقما خاصا به ، حتى القرن الثانى . ويذكر المؤرخون أن فلكيا هنديا قدم بغداد عام ١٥٦ هجرية — ٧٧٣ م — اسمه — كانكا — يحمل كتابا يبحث فى النجوم مع معادلات مكتوبة بأرقام جديدة تسير على النظام العشرى المعروف حاليا ، وقد عهد الخليفة أبو جعفر المنصور بترجمة الكتاب وتأليف كتاب بالعربية على نهجه الى الفلكى العربى محمد محمد ابراهيم فقام بترجمة كتاب كانكا (سند هند) وألف كتاب سند هند كبير وبقى معمولا به حتى زمن المأمون اذ قام محمد بن موسى الخوارزمى عالم الرياضيات الشهير باعادة كتابته واضافة معلومات أخرى اليه .

وقد انكب العرب على الأشكال الكثيرة للأرقام الهندية والتهذيب فاستخرجوا منها سلسلتين : الأرقام الغبارية المعروفة الآن بالأرقام العربية والتى نسميها نحن الارقام الانجليزية وهى التى سادت فى المشرق أولا وهى المستعملة الآن فى المغرب العربى .

اما السلسلة الثانية فهى التى أطلق عليها العرب الارقام الهندية وهى المستعملة الآن فى المشرق العربى .

وقد ثبت تاريخا أن الارقام العربية قد انتقلت الى أوربا فى القرن الثانى عشر الميلادى بينما ثبت وجود هذه الارقام فى الدولة العربية منذ القرن الثامن الميلادى وقد تعددت طرق انتقالها عن طريق الاندلس وعن طريق ترجمة كتابى الخوارزمى (حساب الجبر والمقابلة) الى اللاتينية كما نقلها العرب الى صقلية حين فتحوها .

من امجاد تاريخنا

عندما دخل عبد الرحمن الناصر — سمورة امتطى صهوة جواده وانطلق متجولا فى ميدان القتال باحثا عن جريح يواسيه أو حزين يصافيه أو تائه يعيده الى أهله . وطرق أذنيه وهو مار تحت اسوار المدينة نحيب طفل يبكى ، فأنصت ثم ترجل وقصد الى مبعث الصوت واذا به أمام وليد ما زال فى لفائفه مطروحا بين الأعشاب فى أخدود ضيق تحت جدار متهدم فالتقطه عبد الرحمن واحتضنه وجعل يبذل له من تدليل وهدهدة ما يستطيع بذله ، فسكت الطفل فحمله عبد الرحمن على جواده ورد عليه طرف ردائه واستمر فى جولاته فى السهول والهضاب .. واذا بامراة قد حلت شعرها ومزقت ثوبها تقتحم عاينه وتقول : اين هو ملك العرب ؟ قالوا لها : هذا هو ، فقالت له : أعد الى ولدى يا قاتل النساء والأطفال . فرفع رداءه عن الطفل الذى حمله معه وقال : أهذا هو ولدك ؟؟ قالت : نعم ، وانبسطت أساريرها !.

(٤)

٢ ــ رحـــلة الأرقام الى أوربا

يروى الاستاذ محمد الحميده فى كتابه (الارقام العربية) قصة الدور الذى قام به المسلمون فى اعدادها حين وضـــعها العلامة محمـــد بن موسى الخوارزمى فى الصورة التى نعرفها الآن يقول : ان العرب بعـــد تاسيس دولتهم الاسلامية لم يغـــيروا من أعمال الدواوين الحكوميـــة فاستخدموا الأرقام الرومانية فى بلاد الشام والأرقام القبطية فى مصر حتى زمن الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك الذى أمر بعدم استعمال الارقام الاجنبية مما أجبر العرب على استخدام وسيلة جـــديدة للترقيم .. ولمـــا كانت الامم المعاصرة للدولة العربية تستخدم حروف أبجديتها فى الترقيم باعطاء كل حرف رقما خاصا به فقد استخدم العرب أبجديتهم فى الترقيم ، وظل هذا الاسلوب متبعا عنـــدهم حتى القرن الثـــانى الهجرى ، واختص المؤرخون للوفيات والمواليد وما شاكل ذلك باستخدام الابجدية العربية للدلالة على التاريخ .

ويذكر المؤرخون أن فلكيا هنديا قدم بغداد عام ٧٧٣ ميلادية ١٥٦ هجرية وكان اسمه (كانكا) يحمل كتابا يبحث فى النجوم مع معادلات مكتوبة بأرقام جديدة تسير على النظام العشرى المعروف حاليا . وقد عهد الخليفة أبو جعفر المنصور بترجمة الكتاب وتأليف كتاب على نهجه بالعربية الى الفلكى العربى محمد بن ابراهيم فقام بترجمة كتاب كانكا (سند هند) وألف كتاب (سند هنـــد كبير) وبقى معمولا بـــه حتى زمن المأمون اذ قام محمد بن موسى الخوارزمى عالم الرياضيات الشهير باعادة كتابته واضافة معلومات أخرى اليه ، ومن الثابت أنه كان للهنود أشكال كثيرة للأرقام انكب العرب عليها بالدراسة والتهذيب فاستخرجوا منها سلسلتين : اختاروا الاولى مبدئيا وهى المسماة بسلسلة الأرقام الغبارية أو كما هى معروفة الآن فى العالم بالأرقام المغربية وهى التى سادت أولا فى المشرق ثم فى بقية الامصار ، وقد جاءت تسميتها الغبارية من عادة الهنود اجراء الحساب على الارض او على لوحة من الخشب تغطى بغبار ناعم ، وقد اعتمد على استنباط أشكال الأرقام على عدد الزوايا الرقم ٣ مثلا بثلاث زوايا . أما السلسلة الثانية فهى التى أطلق عليها العرب أنفسهم اسم الارقام الهندية ، والتى تعود فى أصلها الى أشكال الفرع البرهمى وقد تطورت أشكالها حتى استقرت على وضعها الحـــالى .

● وقد ثبت تاريخيا أن الأرقام العربية انتقلت الى أوربا فى القرن الثانى عشر الميلادى بينما ثبت وجود هـــذه الارقام فى الدولة العربية منذ

القرن الثالث الهجرى ، وقد تعددت طرق انتقالها عن طريق الاندلس وعن طريق ترجمة كتاب الخوارزمى (حساب الجبر والمقابلة) الى اللاتينية كما نقلها العرب الى صقلية حين فتحوها .

ويقرر المؤلف ان الاشكال التى توجد الآن ما هى الا ابتكارات عربية رغم انها تعتمد فى الاصل على النظام الهندى الذى أوجـــد تسعة اشكال للأرقام أضيف اليها (الصفر) لاكمال الحلقة .

وهذه واحدة من اهم انجازات الحضارة الاسلامية .

* * *

ونحن على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى

كلما قرب أول القرن الخامس عشر الهجرى (ونحن الآن على أبوابه) عادت بى الذكرى الى مقال كتبه الأستاذ محمد لطفى جمعة عام ١٩٣١ م قال فيه : كنت فى المدرسة متحرقا لنهضة الشرق لأننى شعرت بالذل الذى يحيق بنا بوصف كوننا أمة شرقية ولم يكن أساتذتنا الأجانب ليخفوا عنا هذا الاحتقار ولعله كان جزءا من بروجرام المعارف فى عهد دنلوب الأسود .. اذكر اننى حوالى سنة ١٩٠٢ أو ١٩٠٣ عندما كنت اقرا احد كتب تاريخ أوربا المقررة لمحت فجأة أن نهضة أوربا بعد ظـــلام القرون الوسطى كان فى القرن الخامس عشر المسيحى أى بعد ظهور المسيحية بأربعة عشر قرنا ، وحينئذ اخذت فى الحال أقارن بين تاريخ العالم العربى والتاريخ الشرقى ورأيت اننا فى بداية القرن الرابع عشر الهجرى وحينئذ ايقنت بأننا سننهض ونحيا ولن يتم القرن الهجرى الا والشرق فى قمة المجد كما كان .

* * *

(٥)

لابد للعرب من نظام تصنيف أصيل

منذ اتصل العرب بالفكر الغربى وهم يتخلون عن أمور ذات أهمية أساسية فى الحفاظ على أصالتهم ، ومن أهم هذه التنازلات خضوعهم لنظام تصنيف ديوى العشرى فى الكتاب العربى بينما سبق العرب العالم كله بنظامهم وتصنيفهم الذى ابتعثوه من واقع فنون التأليف والذى أخذت عنه الأمم الغربية والذى استمد ديوى نظامه منه أصلا ثم يجىء العرب اليوم فيتنازلون عن منهجهم ويخضعون لمنهج وافد لا يحقق لهم استيفاء عملية التصنيف فنيا فضلا عن التبعية .

ولقد علت صيحات كثيرة منذ سنوات بعيدة تطالب بالتماس الاصالة فى هذا المجال وفى مقدمة هؤلاء الاستاذ محمد حسن كاظم صاحب كتاب (تصنيف العلوم فى الحضارة الاسلامية) الذى ينادى بضرورة ابداع خطة تصنيفية تنبع من واقعنا وتفى بحاجات ومقومات هذا المجتمع بحضارته وفكره ويكون جزءا من هذا الاعتزاز العربى والحضارة وكامتداد له وحلقة وصل لخطة التصنيف التى أبدعها علماء المسلمين وفلاسفتهم ابتداء من الكندى والخوارزمى واخوان الصفا وابن النديم الى ابن خلدون والقلقشندى وطاشكيرى زاده وحاجى خليفة وغيرها من خطط التصنيف التى بلغت حسب ما جمعته مائة وعشرين كتابا فى تقسيم العلوم وتفريعها وضوابط تقسيم المصنفات والكتب وجعلوا علم التصنيف أو ما أسموه بعلم تقاسيم العلوم ضمن العلوم الفلسفية العظيمة منزلة ، اذ أحلوه محلا ساميا لأن تصنيف العلوم عندهم أول أبواب المعرفة كما يقولون ، وقد توفرت فى مؤلفاتهم تلك أدق صفات خطط التصنيف الحديثة فبلغت حدا من الضبط اعتمدها الكثيرون من فلاسفة النهضة الحديثة وعلماء المكتبات فى الغرب فى أبحاثهم وخططهم عن تقسيم العلوم .

ويشير الباحث الى انه بعد أن سيطرت أنظمة أجنبية أخذ المفكرون العرب يحاولون — تعديل خطة التصنيف حتى تلائم حضارتهم العربية الاسلامية وخاصة فى نواحى الدين واللغة والأدب والتاريخ ولم تزل محاولتهم تلك وكأنها فى بدايتها فانها لم تصل الى بلوغ الهدف المرجو منها وقال ان المفكرين العرب قد نقدوا طريقة ديوى منذ وقت بعيد وكان فى مقدمتهم خالد الحديدى عام ١٩٤٧ واكدوا ضرورة اجراء تعديل على خطته . وقال ان التعديل منبعث أساسا من نزعة نفسية وعاطفية تتعلق بمشاعر الاعتزاز القومى والفكرى والحضارى لكل مواطن ، وان أبرز عيوب تصنيف ديوى هو عجزه

عن فهم الدين الاسلامى فهو يدخل ما ليس فى الاسلام فى موضوعاته متأثرا فى ذلك بتصنيف الديانات الأخرى كادخال الخرافات والبدع تحت عنوان الاسلام وهو ليس من موضوعاته كذلك فانه يدخل موضوع الالحاد والملاحدة تحت اسم الاسلام ، وقد فصل تصنيف ديوى بين موضوعات تتطلب الجمع فى مفهوم الاسلام ولم يتمكن المنهج جملة من مسايرة التطور الثقافى مما اضطر كثيرا من البلاد الى العدول عنه الى النظام العشرى العالمى ، ولابد اذن أن يتجه علماء المسلمين الى منهجهم الأصيل فى التصنيف أو ادخال معالمه على المنهج العشرى العالمى بحيث يصبح وافيا بحاجات المقومات الحضارية والفكرية للبلاد العربية وابراز مفهوم الاسلام واللغة العربية والأدب العربى والتاريخ الاسلامى والعربى وتقديم القضايا العربية والاسلامية بتعريفاتها المتميزة ولا يكونوا منصهرين فى مناهج الأمم الاخرى ولاثقافاتها .

* * *

من امجاد تاريخنا

عندما استولى صلاح الدين على بيت المقدس فتح أبواب المدينة لمن يرغب فى مغادرتها فخرج الأمير يليان ومعه سبعة آلاف فقير بعد أن أدى عنهم ثلاثين الف درهم ثم تتابع خروج الصليبيين ثم خرج البطريرك الكبير يجر من أموال الكنيسة وتحفها وجواهرها ما لا يقدر بمال فلم يعرض صلاح الدين له بشىء مما معه ، وانقضت اربعون يوما ولا يزال فى المدينة آلاف كثيرة من فقراء الصليبيين لا يملكون فداء فتقدم العادل الى أخيه قال انى أستوهبك الفا من أولئك الأرقاء فأجابه السلطان الى طلبه وعند ذلك أعتقهم العادل من فوره ثم جاء يليان والبطريرك وطلبا مثل الذى طلبه العادل فوهبهم صلاح الدين الف رقيق أطلقوا فى الحال . ثم قال صلاح الدين بقى أن أؤدى أنا صدقتى ثم أمر رجالا من حرسه أن ينادوا بأن كل عاجز عن دفع الفداء أن يخرج حسبة لوجه الله كما أطلق للنساء أزواجهن من الحبوس .

* * *

يقول هنرى دى كاسترى : ان احد سلاح يستأصل به المسلمون وأمضى سيف يقتلون به هو الخمر وان الواجب على المسلمين ان يحتفظوا بما حظرته الشريعة عليهم من تعاطى المسكرات فان هذا المنع سبب قوتهم وان القوى التى كونت فيما مضى عظمة الاسلام لم تندثر بل ان بقاياها آخذة بالمحافظة على المدينة الاسلامية اذ انفرد الاسلام بتحريم الخمر وهى مزية لا تجدها فى كتب الديانات الأخرى لهو ميزة عظمى فانه لم يكد يبلغ المسلمين تحريم الله للخمر حتى أريقت أدنانها وأكوابها فسالت بها الشوارع مدرارا .

(٦)

هذه الحملة المسعورة على التراث

ما يزال تاريخ الحضـــارة الاسلامية يكشف عن أصـــالة تلفت نظر الباحثين الغربيين لتصادق الكلمة المنصفة فى تأكيد الدور الخطير الذى قاموا به فى الماضى القريب والذى لايزال ممتدا وقائما من وراء الصورة المغرقة فى التهافت والغموض والتحلل التى تعيشها الحضارة المعاصرة . ويجىء ذلك فى صحائف الغرب فى نفس اللحظات التى يستأسد فيها النفوذ الاجنبى ممثلا فى الغزو الفكرى (ماركسيا وصهيونيا واستعماريا) بعد انتصارات رمضان فى محاولة لاعادة المسلمين والعرب الى حلقة الحصار والاحتواء ..

بتلك الحلقة الضيقة المظلمة التى داروا فيها أكثر من مائة عام وهم يظنون بفضل المشرفين من الناصحين لهم أمثال لطفي السيد وطه حسين وسلامة موسى أعداء اللغة العربية الفصحي والشريعة الاسلامية والأصالة الاسلامية ، ولمـــا كان هؤلاء المزيفون الذين لمعت شهرتهم واستطال نفوذهم فى الصحافة والثقافة والجامعات قد تحطمت نظرياتهم ودعاواهم قبل أن يذهبوا فان هناك محاولة ضخمة ترمي الى تكوين قيادة جديدة لهذا التيار تؤازرها قوى مختلفة وابرز ظواهر هذه القيـــادة الجـــديدة غلبة اليســـار والماركسيين والاشتراكيين عليها فهؤلاء هم طابع المرحلة الأخـــيرة التى استمرت تحفر فى أسس الاســـلام وتحطم جداره خـــلال سنوات الهزيمة والنكسة والتى تابعت وظـــاهرت دعاة التغريب والتى حملت لواء الفـــكر التلمودى الصهيونى .

وكذلك وجـــدنا بعـــد النكسة صادق الفطم ، وزكى نجيب محمود ، وعبد الله العروى وأدونيس ، وبعد انتصارات رمضان ، طيب تيزين ، وهادى العلوى ، وغالى شكرى ، ومحمد عمارة ، وأنور عبد الملك ، وأمير اسكندر ، فى مؤلفات تترى كلها تهاجم التراث الاسلامى وترميه بالعقم وتنتقصه من أطرافه وذلك فى مواجهة التصحيح الحاسم الذى قدمته حركة اليقظة الاسلامية حين أعلنت بعد النكسة كلمتها الحاسمة من أنه ليس من سبيل الى النصر والتماس امتلاك الارادة الا بالعودة ـــ الى الينابيع الاسلامية الاولى بعـــد أن انحرفت عن الطريق القديم وسارت فى مهاوى المادية والعلمانية والافكار المنحرفة والمستوردة ـــ كانت هذه الصيحة التى أطلقتها حركة اليقظة بعد النكسة هى اللطمة القاسية التى واجهت الغزو الفـــكرى والتغريب بعـــد أكثر من سبعين عاما من العمـــل الدائب لتزييف المفاهيم وادخال المسلمين والعرب فى الدائرة المظلمة المغلقة عن طريق القول بان التبعية للفكر الغربى

هى الوسيلة الوحيدة للتحرر ، ثم تبين بعد حروب ٤٨ و ٥٦ و ٦٧ أن هذا كله زيف ووهم ومتاهة ، وان الطريق الصحيح هو العودة الى المنابع والى الأصالة وقد صدق الله وعده الذين التمسوا هذا الطريق فى تبصر سريع حاسم بعد سنوات قليلة من العاشر من رمضان حين علت صيحة الله أكبر فبددت الظلمات وكشفت الغمة وتبين أن دعوى النفوذ الأجنبى بأجمعه باطل ولذلك سرعان ما علت الأصوات ترمى هذا الاتجاه بالغيبية والخرافة ، وتجمعت القوى مرة أخرى لمواجهة هذا النصر الذى هو نكسة للتغريب فكانت هذه المحاولة بالعمل على تحطيم التراث وصدرت فى ذلك مؤلفات ترمى الاسلام وتاريخه ولغته عن قوس واحدة ولكن صمود حركة اليقظة فى مواجهة الأحداث أدال من هؤلاء المبطلين ولم يعد فى وسع المسلمين والعرب أن يخدعوا بأكثر مما خدعوا خلال أكثر من سبعين عاما بتعطيل تطبيق شريعتهم وانحدار اسلوب التربية الاسلامية وهزيمة اللغة العربية واستشراء اسلوب امبراطورية الربا بكل مفاسدها الاجتماعية وكل محاولاتها لاذاعة الالحاد والشعوبية . وقد تبين أن تجربة الغرب الليبرالية قد فشلت وأن تجربة الماركسية الشيوعية والاشتراكية قد باءت بالخسران وان على المسلمين والعرب التماس طريق الاصالة استمدادا من ذاتيتهم وهو طريق القرآن .

وانزاحت مدرسة كاملة كان قوامها الاقليمية والفرعونية والقومية الضيقة ، تلك التى حرصت على اعلاء الوثنية والفكر اليونانى والرومانى القائم على عبودية الجسد وعبودية الروح وتكشف زيف تلك الدعوى الى العناصر والاجناس وان كل هذه الانظمة كانت قائمة على القهر والسخرة والعسف وانها قد حولت الانسان الى عبد وان الحضارة الغربية ما هى الا محاولة اخرى لاستعباده عن طريق الجنس أو لقمة العيش وان كلا المذهبين الفرويدى والماركسى يحاصران الانسان ليحطماه وأن المذاهب المادية ما هى الا محاولة جديدة لتدمير الانسان واستعباده . وكما لم تقبل حركة اليقظة دعاوى الفرعونية أو الاقليمية طريقا لها فانها أيضا رفضت مفهوم القومية الغربى الوافد القائم على اللغة والتاريخ كما قدمه ساطع الحصرى ومن لف لفه ، وانما آمنت حركة اليقظة بأن الطريق الصحيح هو وحدة الفكر الاسلامى الجامع الذى تتحرك فى داخله الوطنية والعروبة حركات مترابطة متلاقية فى سبيل التكامل الجامع لعالم الاسلام الذى يضم اليوم الف مليون مسلم والذى يتطلع الى آفاق القرن الخامس عشر الهجرى بأمل فى الله كبير لتحقيق خطوة واسعة فى طريق امتلاك الارادة وهزيمة الشيوعية والصهيونية والاستعمار

* * *

صفحات من أمجادنا

رحلة الفتية المغررين وبلدة اسفي

ذكر الادريسي في كتابه نزهة المشتاق طرفا من رحلة الفتية المغررين فأشار الى الطريق الذي سلكوه والمكان الذي وصلوا اليه وقال انه لا يبعد أن يكون القارة الامريكية قال :

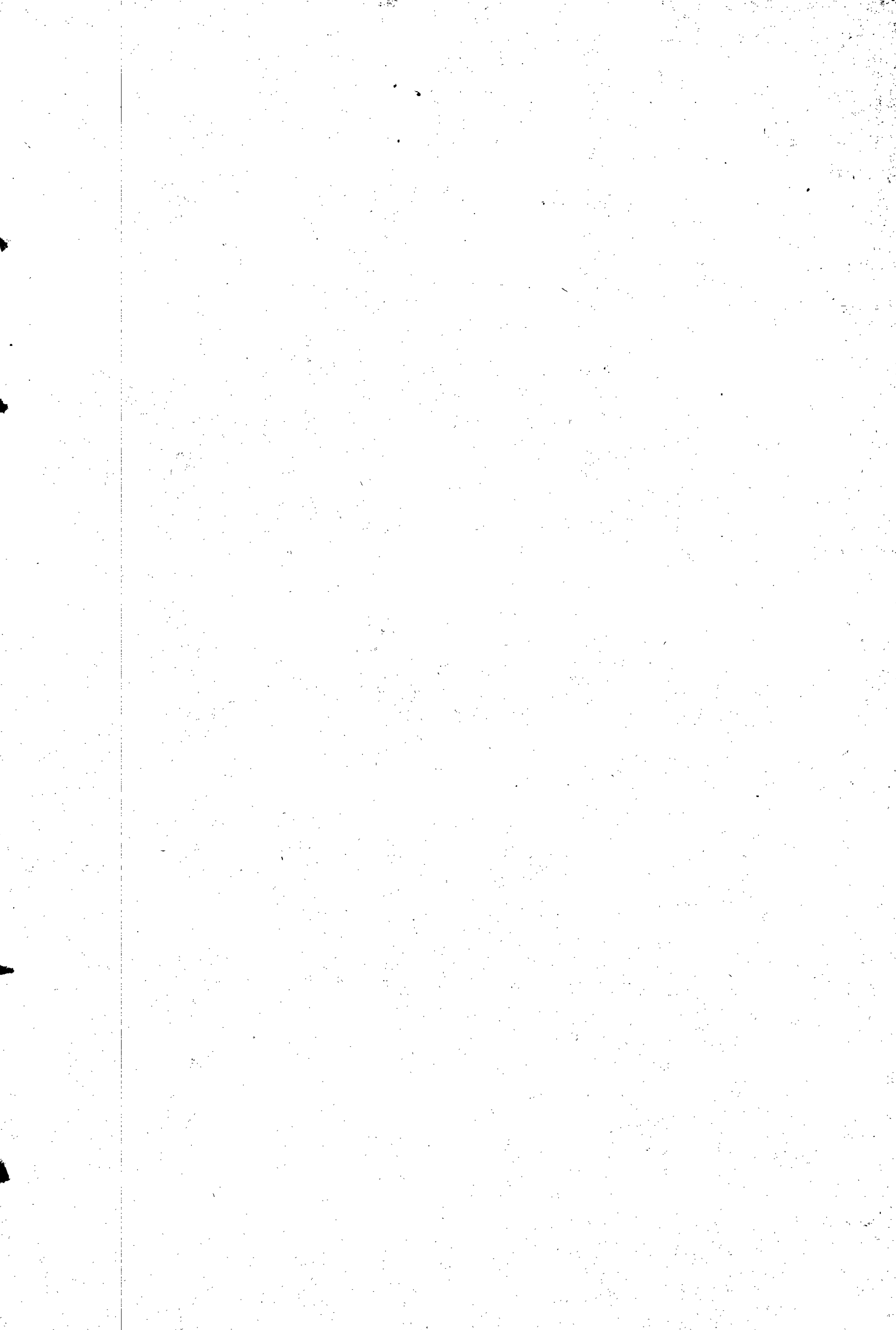
خرجوا من مدينة لشبونة ــ بحر الظلمات ــ وكانوا ثمانية رجال كلهم أبناء عم فأنشأوا مركبا جمالا وادخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر ثم دخلوا البحر في أول طارد الريح الشرقية فجروا فيه نحوا من أحد عشر يوما فوصلوا الى بحر غليظ الموج كدر الضوء فأيقنوا بالتلف ، فردوا قلاعهم في اليد الأخرى ناحية الجنوب اثنى عشر يوما فخرجوا الى جزيرة الغنم ووجدوا عمارة وحرثا فتصدوا فأحيط بهم في زوارق هناك فأخذوا وحملوا من مركبهم الى المدينة فاعتقلوا في بيت ثلاثة أيام ثم دخل عليهم مترجم يتكلم باللسان العربي فسألهم عن حالهم ثم حملوا الى الملك ، ثم حملوا الى موضع حبسهم الى أن بدأ جرى الريح الغربية فعمر بهم زورق وعصبت أعينهم وجرى بهم في البحر برهة من الدهر قال قوم قدرنا انه جرى بنا ثلاثة أيام بلياليها حتى جيء بنا الى البحر فأخرجنا وكتفنا الى خلف وتركنا بالساحل الى أن تعالى النهار وطلعت الشمس ونحن في ضنك وسوء حال من شدة الاكتاف حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس فصحنا بأجمعنا فأقبل القوم الينا فحلوا وثاقنا وسألونا فأخبرناهم وكانوا برابر فقال لنا أحدهم أتعلمون كم بينكم وبين بلدكم ، مسيرة شهرين فقال زعيم القوم : وا أسفى ...

فسمى المكان الى اليوم وا أسفى ــ وهو المرسى الذي في أقصى المغرب .



أزمة الحضارة الغربية

أعلن أرنولد توينبى أن أزمة الحضارة في الغرب هي « الدين » وقال ان الحضارة الغربية المتدهورة لا يمكن انقاذها الا بالدين ذلك أنها مصابة بالخواء الروحي الذي يحول الانسان الى قزم مشوه يفتقد عناصر وجوده الانساني ويعيش الحد الأدنى من حياته . وهو حد وجوده المادي فحسب مما يصيبه بأمراض السأم الروتينية وفقدان الهدف من كل ما يأتي خواء روحي يحول المجتمع الى قطيع يركض بلا هدف كما تركض القطعان دونما تفحص لمعنى مسيرته الهوجاء كما يضطر المدركون أحيانا الى اعلان اشفاقهم عليه .



(٧)

زوايا خاصة فى التراث العربى

يهتم بها الاستشراق

كان للاستشراق موقف واضح من كل كتاب من الكتب الأمهات الادبية القديمة (العقد الفريد لابن عبد ربه) و (البيان والتبيين للجاحظ) و (يتيمة الدهر للثعالبى) و (الاغانى لابى الفرج) و (الف ليلة وليلة) وأخبار الحلاج ورسائل اخوان الصفا وغيرها ، كان يهدف من وراء احياء هذه الكتب غرضا مبيتا دفينا ففى يتيمة الدهر والأغاني وألف ليلة كان يهدف الى اذاعة أشعار المجون وقصص الاباحية وأخبار الشعراء والزنادقة الذين تحدثوا عن الغزل المذكر وافسدوا أديم الأدب العربى الاصيل الذى يستمد ضوءه من القرآن والنبوة بتلك المترجمات المجوسية الفاجرة .

وكذلك كان الاهتمام بنشر أخبار الحلاج ورسائل اخوان الصفا يستهدف نشر الفكر الباطنى المضطرب الذى يحاول أن يفسد على المسلمين نقاء العقيدة وصفاء التعبد لله تبارك وتعالى . أما البيان والتبيين فقد كرهه المستشرقون وأغروا به أتباعهم من دعاة التغريب فحمل عليه طه حسين وسلامة موسى حملات قاسية .

***

العقـــد الفـــريد

أما العقد الفريد ، فقد انتفع به جرجى زيدان فى اذاعة ونشر مارددته الشعوبية القديمة من « مثالب العرب » وهدفها ضرب الدولة الاسلامية العربية وضرب الاسلام نفسه .

وقد حوى العقـــد الفريد قدرا ضخما من التراث العربى فقـــد قسمه الى خمسة وعشرين كتابا ، كل كتاب افرده بجوهرة من جواهر العقد .

ونقل فيه من ابن قتيبه والجاحظ والمبرد وابن المقفـــع وسيبويه وابن ســـلام وأبو عبيده وابن هشام ، كمـــا نقل عن التوراة والانجيل والكتب المترجمة عن ارسطو طاليس .

وقد راجع الباحثون هذا الحصاد الضخم وكانت لهم عليه ملاحظات هامة منها أن ابن عبد ربه حذف الاسناد من كثير من الأخبار طلبا للتخفيف والايجاز

وهربا من التطويل وانه لا يمحص الأخبار بل ينقل الكثير منها على علاته دون أن يسبرها بمعيار العقل والمنطق وانه يتناقض فى نقل الاخبار بين موضع وآخر .. واضافوا الى ذلك « نزعة الشيعية » التى أضفت على الكتاب طابعا معينا وان عرف بالشيعية المعتدلة فلا يطعن الا فى المتطرفين . وقد عرف بأنه شديد الحملة على أعداء المسلمين فى الاندلس ، وعدم استنكافه عن ذكر بذىء اللفظ ونازل المعنى ، وقد ذم سيبويه وانتقده وتعرض للمبرد وذمه وعرف بالهجاء والميل للدعابة والفكاهة والنوادر والقصص .

وقد أخذ عليه مدح الخمر فى كتاب الاشربة ، كل هذا أقام تحفظات كثيرة ازاء موقفه من العقيدة فوصف بقصوره عن الكمال ورقة دينه . وهناك دفاع عنه يقول بأنه قد دس عليه نصوص كثيرة ، وخاصة ما ورد لاربعة خلفاء من بنى العباس « الراضى والمقتفى والمستكفى والمطيع » وكلهم توفى بعد وفاة ابن عبد ربه بعد عام ٣٢٨ .

وفى العقــد ما لا يقل عن عشرة آلاف بيت من الشعر لأكثر من مائتى شاعر فى الجاهلى والأموى والعباسى . وقلما تجد شاعرا معروفا وليس له خبر أو رواية فى العقد لمناسبة ما ، وقد حفل العقد بأكبر مجموعة شعرية وقدر ضخم من الرسائل والقصص والخطب والنوادر والحكايات وله كتاب قصص المتنبئين والممرورين والبخلاء والطفيليين .

وأخطر ما فى كتاب (العقــد) فصله عن العرب (اليتيمة فى النسب وفضائل العــرب) وقد أورد بابا فى فضلها — أتى فيــه على أقوال أكثر الناس من عرب وموال ، وقد كادوا يجمعون على الشهادة بفضل العرب ، غير أن ابن عبد ربه بعد أن يقدم أنساب العرب من شماليين وجنوبيين يدون رأى الشعوبية أو من كانوا يسمونهم اهل التسوية ويورد حججهم فى مساواتهم للعرب واســتنادهم الى أحاديث نبوية يقرنونها الى آيات من القــرآن فى معناها ، وليس فى هذا ضير فان الاسلام قد سوى بين الموالى والعرب ورفع الاسلام أصر العنصرية نهائيا ولكن كتاب ابن عبد ربه تجاوز ذلك الى الاشارة الى بيان مآثر للشعوبيين ومفاخر لهم وعلوم ويورد كل ما سجلوه فى كتبهم من ذم للعرب ثم يعــود فيورد رد ابن قتيبة عليهم ثم يعقب برد الشعوبية على ابن قتيبة ويدع الموقف مائعا وكأنه يوحى بهواه مع الشعوبية ، هــذا الجانب من كتابه كان من اخطر ما اعتمد عليه الاستشراق واعتمد عليه دعاة التغريب أمثال جورجى زيدان واحمد امين وتوفيق الحكيم فى الحمــلة على العرب فى العصر الحديث .

* * *

(٨)

إحياءُ الأَساطير الجاهليــة

خطر على الثقافة الأصيلة

منــذ وقت بعيــد ينظــر المفكرون المسلمون الى مسائل الفلكلور ، والانثربولوجيا على أنها محاولات ماكرة ، تخفى وراءها أهواء النفوذ الغربى ، والاستعمار ، والصهيونية ، وأنها لا تقصد الى غايات ايجابية .. وقــد جرى التحذير والتحفظ الشــديد منها ، ذلك أن أغلب مقاصدها انما هو احياء الاساطير والخرافات القديمة التى كانت تجارة الأمم التى كرهت الفكر الربانى ، وخرجت عنه ، وحاولت أن ترد البشرية الى الضلال وهى تجارة الصهيونية فى العصر الحديث ..

ولقد جاء القرآن الكريم بمقطع الحق فى كل ما يتعلق بهذه الأســاطير فوضع فى وضح النهار حقائق التاريخ القديم وكشف عن الصورة الحقيقية لهــا وخاصة فيما يتعلق بالطوفان وعاد وثمود وفرعون والمؤتفكات وقوم ابراهيم وقوم اسماعيل ، هذه كلها وغيرها مما حاول دعاة الفكر البشرى الى اتخاذ أسباب الكشف الاثرى أو البحث فى المخلفات الاولية للانســان القديم استغلالها لاذاعة أفكار وقضايا تعارض مفهوم الاسلام الحاسم الذى جاء بالحق .

وكان من أخطر محاولات علماء الانثروبولوجيا القول بأن البشرية كانت معددة فى الآلهة ثم وحدت بنزول دين موسى عليه السلام وقد جرى كثير من الباحثين وراء هذه المفاهيم وأخذوا يرددونها ومنهم من الف كتبا عن الألوهية والواقع يزيف هذه المحاولات الكاذبة ذلك ان التوحيد كان مرافقا للبشرية منذ يومها الاول وقد جاء آدم عليه السلام بالتوحيد كما جاء به نوح وهو آدم الثانى وسار على ذلك الانبياء جميعا لانهم كلهم يستقون من نبع واحد ولذلك فان القول بأن البشرية بدأت وثنية ومعددة للآلهة قول باطل وهو من السموم التى حاولت التلمودية اذاعتها ووقع فيها الكثير من الباحثين . كذلك فان علماء الأنتروبولوجيا حاولوا احياء كثير من الوثنيات والأساطير والخرافات ، ولقد جاء الاستاذ الدكتور زيدان عبد الباقى اســتاذ علم الاجتماع فى كلية البنات الاسلامية فى جامعة الازهر بالقاهرة فكشف عن صحة ما ذهب اليه علماء المسلمين فقال : ليس لعلماء علم الانسان (الانتروبولوجيا) أن يحتجوا على تقرير عالم النفس الاجتماعى بفكره الذى يؤكد وجود تعارض بين قضايا البحث الانثريولوجى والاخلاق أو على حكمه على الانثروبولوجية بالاستقراطية العلمية اللا أخلاقية للاسباب التى أوضحها هذا العالم الكبير .. أن عليهم أن يسلموا بها وذلك ان الطريقة فى البحث الانثروبولوجى القائم على الملاحظة

الشخصية يعتمد على الانطباعات الذاتية وكل ما هو ذاتى ليس موضوعيا ، علما بأن الانثروبولوجيا قد نشأت بتشجيع ورعاية الاستعمار لكى يتمكن بها من قهر الشعوب المتخلفة وامتصاص ثرواتها تحت زعم العمل على الرضى بها وهذه الانثروبولوجيا لا تقرها الأخــلاق .. ويقول : ان حركة التحرر والاستقلال جعلت من الاستعمار عملية غير مريحة من ثم كف الاستعمار عن تمويل البحوث الانثروبولوجية وبالتالى فلا يجوز للجامعات أن تحل محل الاستعمار فى تمويل البحوث الانثروبولوجية » .

ولا ريب أن هذا الموضوع جد خطير ويجب وضعه موضعه الصحيح فى حركة التغريب والغزو الثقافى .. ولذلك فان الدكتور زيدان عبد الباقى يطالب بالغاء اقسام الانثروبولوجيا فى الجامعات .

ونحن نعرف أنه باسم المؤامرة التى تدعى حقــا تاريخيا لليهود جرى تزييف كثير من العلوم والمكتشفات الاثرية وعلوم الانثربولوجيا واللغات .

لقد جاءت دعوة احياء التراث (الفلكلور) من قبل الاسلام من أخطــر المحاولات التى ترمى الى هدم الاسلام من خلال عبارات غامضة رمزية ..

ومن عجب أنهم يدعون الى احياء تاريخ ما قبل الاســـلام من وثنيات وخرافات ثم هم يتنكرون ويتجاهلون المرحلة الواضحة الصريحة التى تتمثل فيها قوة التراث الصحيح بما يحمل من بطولة وعظمة وقدرة على تجميع الشعوب تحت لواء التوحيد ، هذه المرحلة توجه اليها الاتهامات والشبهات .. ويتدافعون الى احياء ما قبلها مما هو عبارة عن وثنية مظلمة ، وهذا هــو العمل الحقيقى الذى تقوم به دعوات الفلكلور والانثروبولوجيا اليوم لقد جاء الاسلام فأنهى تلك العصور تماما ، لغاتها وفكرها وتراثها من خلال الف سنة كاملة فى بلاد العرب كانت الوثنية اليونانية والرومانية تحاول أن تقيم لهــا وجودا فكريا منذ تدافعت خيول الاسكندر المقدونى وتحطمت بعد قليل منذ ذلك اليوم والى أن ظهر الاسلام بعد الف عام — أصبح هذا كله ركاما لا قيمة له .. حيث جاء موضوع التوحيد يحيى من تاريخ البشرية تلك الصفحات النقية التى حمل لواءها الأنبياء والرسل أما ما سوى ذلك من قصص وأساطير وأوهام مما حملت الهلينية أو حملت الغنوصية الشرق ممثلة فى المجوسية والمزدكية ، والمانوية وغيرها ، كل هذا أصبح هباء تذروه الرياح والعودة الى احيائه اليوم عمل باطل لن يؤدى الى شىء ما فقد مادت هذه القوائم للفكر البشرى وتحطمت تحت اضواء نور التوحيد الخالص وتحطمت معها لغاتها وثقافاتها وتقرر اليوم تماما بتعبير علماء التاريخ المنصفين ما يسمى بالانقطاع الحضارى بين حاضر البشرية اليوم وخاصة حاضر العالم الاســـلامى ، وبين وثنية الفرعونية والفارسية والهندية والرومانية بعد أن تحطمت قوائم العبودية الوثنية والعبودية الانسانية ولم تعد هناك غير عبودية البشرية لخالقها وحده لا شريك له .

ومما يتصل بهذا محاولات تسميم آبار الفكر الاســـلامى للوصول الى نفس الهدف ..

فقد حاول جولدزيهر وشاخت أن يقدما للجامعات الغربية كتبا لها صفة العلم فى مختلف المسائل الاسلامية تدرس على أنها صورة صحيحة لما جاء فى الشريعة الاسلامية من أحكام وقواعد جاء بعضها محرفا وبعضها لا يقيد حكمة الشارع ثم بولغ فى تحريف مدلولاتها ومعانيها على نحو يتعذر معه فهم أحكام الاسلام على وجهها الصحيح .

وفى مقدمة ذلك كتاب جولدزيهر اليهودى .. « العقيدة والشريعة » الذى قدمه طه حسين فى ترجمته العربية التى أصدرتها دار الكاتب المصرى والتى تحمل كل مقررات الاستشراق التى تحاول أن تهدم مفهوم الاسلام الجامع الصحيح بل أن مجلة الرسالة مع الأسف نشرت فى الأربعينات محاضرات المستشرق شاخت عن الشريعة الاسلامية التى يدعى فيها انها مأخوذة من العرف الجاهلى دون أن يتنبه أحد الى الرد اليها سنوات طوالا حتى دحض فريتها الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله بل ان كل ما كان يقول به طه حسين خلال اكثر من اربعين عاما عن قرآن مكى وقرآن مدنى .. وان القرآن المكى فيه جفاف وان القرآن المدنى فيه رقة بعد أن اتصل النبى باليهود هذا الذى كان يدعو اليه طه حسين فى محاضراته امام طلبة الآداب تبين أنه موجود بنصه فى هذه الدراسات ومع ذلك فهذه الكتب ما تزال فى أيدى الباحثين ويعتمد عليها كأنها مراجع علمية بل ان دائرة المعارف الاسلامية التى كتبتها مجموعة من المتعصبين المستشرقين ما تزال بين الأيدى على انها حقائق مع انها تأخذ القصة اليهودية للعهد القديم فى خلق آدم وتجعلها مصدرا لقصة آدم فى دائرة معارف اسلامية وما تزال تنظر الى ابراهيم عليه السلام نظرة تلمودية يهودية .

ان علينا أن نعمل اليوم دائبين على تأصيل القيم العليا التى ورثناها عن الدين الحق والتى هى أساس وجودنا بعد أن تداعت تلك الحضارات الوثنية القديمة وبعد أن جرت محاولات الحروب الصليبية وحروب الفرنجة وحروب الاستعمار الحديث ومحاولات الصهيونية بالسيطرة على فلسطين ، فى محاولة لقهر الارادة الاسلامية واحتوائها وستظل الارادة الاسلامية فوق كل محاولة لقهرها .. ولن تستطيع البشرية فى عصرها الحديث أن تسقط المسلمين والعرب من حساباتها . وعلى المسلمين أن يحرروا مواريثهم الحضارية التى أفاء الله عليهم من هذه الأحقاد والأطماع التى صبها عليهم أعداؤهم وأن يدركوا أن طبيعة أعدائهم تدفعهم دائما الى ان يتآمروا على الاسلام لكى يقضوا عليه وقد سجل القرآن هذا فى وضوح .

« ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم » .

وعلى المسلمين ان يواجهوا هذه الموجة المادية الالحادية التى تنكر الايمان بالله الخالق وتحبس نظر الناس وتفكيرهم على مسائل العيش المادى وحدها وترفض التفسير الربانى للكون والحياة وتعتنق التفسير المادى للتاريخ وحركاته والتى تحمل الانسان على أن يقنع من حياته على الأرض بكفاية من حاجات الجسد وحدها كأى حيوان بدون تطلع الى الارتفاع الى أشواقه الروحية التى ترتبط بالسماء .

وعليهم أن يدعوا البشرية الى الانتقال الى الانسانية طريقا الى بناء المجتمع الربانى المتحرر من أهواء المادة ومطامعها .

إن هناك مهمة للمفكر المسلم . هى مهمة تحرير البشرية من الوثنية التى تعيشها اليوم ، هذه المهمة شبيهة بالمهمة التى أخذها الجيل القرآنى الاول على عاتقه حتى يمكن أن تندفع طلائع المسلمين لتبلغ الاسلام الى العالمين تارة أخرى .

***

صلاح الدين فى تقدير قادة الغرب

تحدث كثيرون من كتاب الغرب عن صلاح الدين الأيوبى وبالرغم من كل أساليب الكراهية والخلاف التى نشروها عنه فان صلاح الدين استطاع بعلمه الذى استمد أسلوبه من جوهر الاسلام أن يكون موضع تقدير المؤرخين والباحثين غير أن القائد العسكرى البريطانى « مونتجمرى » عندما يتحدث عن صلاح الدين الأيوبى فانه انما يعنى حنكة صلاح الدين العسكرية والحربية بصفة أساسية يقول : كان صلاح الدين حاكما قديرا ومسلما ورعا واستراتيجيا بارعا . انه بنى قوته بانتظام وعن طريق المواعظ الذكية أعد رعاياه للجهاد أى الحرب المقدسة ضد الصليبيين مما جعل الصليبيين فى خطر دائم لم يشعروا به من قبل .

ان صلاح الدين هو الذى يحكم سوريا ومصر فى عام ١١٧٤ م وهكذا كان رجاله فى الشمال والجنوب يعملون وفقا لخطة واحدة مشتركة ، وتعرضت خطوط الامدادات التابعة للصليبيين لتهديد الأسطول المصرى وكانت ثمة خلافات بين قادة الصليبيين الذين نهبوا احدى قوافله . وزحف صلاح الدين عبر الأردن حيث أباد قوة تضم ١٣٠ رجلا من فرسان الصليبيين وفرض حصارا على قلعة طبرية ودعا بعض القادة الصليبيين الى التقدم والزحف لفك الحصار المفروض على القلعة ولكن القائد الصليبى ريموته قدم نصيحته التى كانت تتلخص فى أن مثل هذا الزحف سيؤدى الى الوقوع فى الكمين الذى نصبه صلاح الدين الذى تتفوق قواته فى العدد كما أن الجنود الصليبيين سيعانون العطش لأن الحرارة شديدة ولم يستمع بقية القادة الى نصيحته بالتزام موقف دفاعى وفى يوم ٣ يولية ١١٧٤ قاد « جى دى لوسيجنان » القوات الصليبية الى أبشع كارثة وهى « معركة حطين » عند التلال الغربية لبحيرة طبرية .

***

الإسلام هو الذى جعل المسلمين عظماء

اشارت الصحف الى انعقاد أول مؤتمر عالمى للتراث العربى فى أوروبا يعقد فى العام الجديد فى الاندلس باسبانيا ، وأن المؤتمر خطوة فى الطريق الى كشف الكنوز العربية فى أوروبا وغيرها من بلاد العالم .. وان المؤتمر سيتتبع الآثار الاسلامية فى أسبانيا والمخطوطات العربية التى تزخر بها مكتباتها ، وسيتناول دراسة الألفاظ العربية فى اللغة الاسبانية ، ونحن نأمل أن تكون الدراسات على مستوى الاصالة والفهم الاسلامى العميق حتى يمكن أعطاء الغربيين مفهوما صحيحا صادقا مخالفا للزيوف والشبهات التى تزخر بها مؤلفات المستشرقين والمبشرين . وأن يكون منطلق البحث ان الاسلام قدم للبشرية مفهوما حضاريا أصيلا يختلف عن مفهوم الحضارة اليونانية والرومانية وأن هذا المفهوم ينطلق من الايمان بالله الواحد ، وقد أستطاع أن يحرر البشرية من المفهوم الوثنى ومن العبودية التى قدمتها حضارات الفراعنة والفرس والرومان للبشر وأن المسلمين هم الذين قدموا لأوربا المنهج التجريبى الذى صنع الحضارة الغربية .

هذا الدور الاسلامى الواضح العميق فى الحضارة العالمية يجب ان يكون واضحا فى دراسات الباحثين وان تكون الدراسات الاسلامية كلها كاشفة للفكر الغربى عن العطاء الاسلامى الذى يجب أن يقدمه المسلمون للبشرية كلها .

٢ ــ وعلينا أن نتساءل : هل الغرب جاد حقيقة فى فهم الاسلام والتعرف اليه بعقل مفتوح وقلب مفتوح ، ام انها محاولات التعرف على هذا العالم الجديد القديم بعد ان أصبحت فى يده مقدرات الثروة والطاقة والتفوق البشرى فى محاولة لتجديد السيطرة عليه أو احتوائه .

لو كان أمر التعرف على الحضارة الاسلامية هو الهدف لكان فى أيدى الغرب ما يقدم لهم وجهة النظر الصحيحة المنصفة .

يقول محمد اسد فى كتابه « الطريق الى الاسلام » : لقد اقتضت الامبراطورية الرومانية الف عام حتى نمت الى اتساعها الجغرافى الكامل وحتى بلغت نضجها السياسى ، بينما الامبراطورية الاسلامية بزغت ثم بلغت أشدها فى مدة وجيزة تبلغ نحو ثمانين عاما .

وكذلك نجد أن انقراض الامبراطورية الرومانية الذى نتج نهائيا من هجرات الهون والقوط تم فى قرن واحد وكان تاما حتى انه لم يبق من تلك الامبراطورية سوى بضعة معالم من الادب والبناء ، والامبراطورية البريطانية التى يظنها بعضهم عادة وارثة الامبراطورية الرومانية كانت وارثة لها بمعنى انها استمرت فى الحكم على بعض الاراضى التى كانت يوما جزءا من الامبراطورية الرومانية .

أما فيما يتعلق بالغزوات الخارجية من الامبراطورية الاسلامية حتى غزوة التتار التى كانت أعنف من جميع ما خبرته الامبراطورية الرومانية فانها لم تستطع ان تهز شيئا من النظام الاجتماعى ولا من الحياة السياسية المستمرة فى امبراطورية الخلفاء .

ويقول محمد اسد : لايمكن أن يخطأ خطأ أفدح من ان يعتقد ان المدنية الغربية الحديثة نتاج النصرانية . ان نسبة نتاج المدنية الغربية الحديثة الى النصرانية خطأ تاريخى عظيم . ان النصرانية قد ساهمت فى جزء يسير جدا من الرقى العلمى المادى الذى فاق به الغرب فى مدنيته الحاضرة كل ما سواه . وفى الحق ان ذلك النتاج قد برز من كفاح أوروبا المتطاول على الكنيسة المسيحية .. لقد بقى الروح الأوربى قرونا طوالا يرزح تحت عبء نظام دينى يطوى فى نفسه احتقار الحياة واحتقار الطبيعة . وفى أثناء القرون الوسطى حينما كانت الكنيسة مقتدرة على كل شىء هنالك لم يكن لأوربا نشاط ما فى حقول البحث العلمى .

لقد أثار الفكر الأوربى « مرارا » ولكن الكنيسة كانت مقهورة مرة بعد أخرى ، ولم تكتف الكنيسة الرومانية فى العصور الوسطى بأن تهيىء الجو المناسب للحروب الصليبية ، تلك الحروب التى كانت وصمة عار فى جبين الانسانية بل شنت على العلوم والفنون التى كانت تشع يومذاك فى الاندلس حربا لا هوادة فيها ولا لين .

فليس عجيبا اذن ان الاسلام حالما انطلق خارج حدود جزيرة العرب اكتسب أتباعا جددا وأخذ الناس يدخلون فيه أفواجا فقد وجد الناس أنفسهم تجاه دين ينكر مبدأ « الخطيئة الاولى » ويشدد على الكرامة الفطرية للحياة الأرضية الدنيوية .. وهكذا التحقوا زرافات بالدين الجديد الذى علمهم ان الانسان هو خليفة الله فى الأرض هذا « لا أسطورة التسليم بحد السيف » هو التفسير لانتشار الاسلام المدهش فى فجر تاريخه العظيم . لم يكن المسلمون هم الذين جعلوا الاسلام عظيما بل لقد كان الاسلام هو الذى جعل المسلمين عظماء .. الا انهم ما ان اصبح ايمانهم عادة وانقطع عن ان يكون « منهاجا فى الحياة » يتبع بوعى وادراك حتى خبت تلك القوة الدافعة الخلاقة التى كانت وراء مدنيتهم وأفسحت المجال الى الاسترخاء والعقم والانحطاط الثقافى .

* * *

رأى مستشرق آخر :

ويقول اربرى فى كتابه : « مظاهر الحضارة الاسلامية »

ان الاسلام لم يكد ينزل على محمد فى قلب جزيرة العرب ، حتى بدأ يغزو العالم بسرعة أذهلت المفكرين المحللين للتاريخ . وقد حاول المؤرخون المحدثون تعليل هذه الانتصارات الواسعة والفتوحات العظيمة بردها الى عوامل اقتصادية أو حربية أو سياسية ، ولكن كل تلك التفسيرات ظلت عاجزة عن التعليل الصحيح ، فكان لابد من الرجوع الى العامل المؤثر الفعال وهو الدين الجديد . ويقول : ان بلاغة القرآن المعجز مع بساطة تعاليم الاسلام التى جاءت فى هذا الكتاب هى المفتاح لحل لغز أعظم « مد » فى تاريخ الأديان : ذلك أن الاسلام جاء يدعو الى حياة منظمة جادة ، حياة جماعة عاهدوا الله ان يخضعوا لارادته فى كل امر وان يجاهدوا فى حمل كافة البشر على الاقرار بقدرته وملكوته .

٣ — وقد شهد الكتاب الغربيون بروح الانصاف التى تجلت فى كتابات مؤرخى الاسلام ومفكريه للامم الاخرى وخاصة لاديانها وعقائدها فقال هاملتون جب فى هذا : « ان المؤرخ الغربى لم يكن فى الاعم الاغلب منصفا للاسلام والمسلمين فقد استسلم بالرغم من دعوى المنهج العلمى لعواطفه وأهوائه وكتب عن الاسلام والمسلمين من زاوية خلافه وتعصبه ، ولم يستطع احكام النظرة المنصفة وانما وضع امامه صورة مشوهة تكونت من خلال الخصومات السياسية والدينية تحاول ان تصور الاسلام بصورة القوة التى زحفت على أرض الامبراطورية الرومانية فانتزعتها منها بعد ألف سنة من سيطرتها عليها . وكان المؤرخون الغربيون يضعون أمامهم دائما خصومتين : خصومة الحروب الصليبية التى اقتحموا خلالها بلاد الاسلام وعادوا مهزومين بعد قرنين من الزمان وخصومة العثمانيين الذين عبروا الى أوربا فانتزعوا أجزاء كثيرة ووصلوا الى أسوار فينا . ولا ينسون دخول المسلمين الى الاندلس وهزيمتهم فى بلاط الشهداء .

يشهد جب فى نفس الوقت للمؤرخين المسلمين فيقول : ان كتاب الاسلام كانوا أول من ألف فى الملل والنحل لأنهم كانوا واسعى الصدر تجاه العقائد الأخرى وحاولوا أن يفهموها ويدحضوها بالحجة والبرهان ثم انهم اعترفوا بما اتى قبل الاسلام من ديانات توحيدية ، ويحظى « ابن حزم » فى هذا المجال بالنصيب الاوفى .

٤ — وصور أخرى كثيرة يستطيع الغربيون أن يجدوها اذا أرادوا جادين معرفة الاسلام والاقتناع بدوره البناء . هذه الصورة والصور المقابلة لها تكشف سماحة الاسلام — يقول المؤرخ الذى رافق الحملة الصليبية الى بيت المقدس :

اذا كنت تريد ان تعرف المعاملة التى لقيها اعداؤنا فى بيت المقدس (اى المسلمين) فيكفى أن تعلم أن أصحابنا كانوا يخوضون فى بحر من الدماء داخل

الأقصى حتى الركب ولم يستطع أحد من الكفار (أى المسلمين) الخروج سالما ولم نعف عن أحد حتى النساء والأطفال .

وكتب جودفرى ملك بيت المقدس الى البابا بعد ذلك يقول « ان خيولنا كانت تخوض الى ركبتها فى بحر من دماء المسلمين » .

فاذا سألت ماذا فعل صلاح الدين بعد ان حرر بيت المقدس واستعادة للمسلمين نجد أن البعض قال له لا نخرجهم الا بالقتال فأبى وقال لا ، انما الاسلام رحمة وسماحة وعفو . وذكروه بالسبعين ألفا الذين قتلوا فى معركة دخول بيت المقدس ، فأشاح بوجهه عنهم وعفا عن الصليبيين وسامح من لا يملك دفع الرسم المقرر للخروج بل وفرض على أصحاب السفن الايطالية أن تحملهم ليعودوا الى بلادهم سالمين .

ويطول بنا الحديث عن هذه الصور الواضحة الصريحة التى يعرفها المثقفون فى الغرب ولا يحتاجون الى دراسات جديدة للكشف عنها لو كانوا مخلصين فى التعرف الى الاسلام .

ولكن علينا أن نكون على حذر من هذه المحاولات التى ترمى الى التقارب والى الحوار وهى لا تكشف صراحة عن اخلاص ، ولنعرف قبل كل شىء وبعد كل شىء ان المسلمين لا يمكن احتواؤهم وانهم متمسكون بذاتيتهم الخاصة التى تفرض عليهم أن يبلغوا كلمة الله وأن يكونوا شهداء على الناس .

* * *

خاتمة العمود

يقول محمد بن موسى الخوارزمى واضع علم الجبر :

ان للتأليف ثلاثة مناهج : هناك تأليف الابتكار وذلك أن يسبق المؤلف الى أمر لم يعرفه أحد من قبل فيطلع هو به على الناس . وهناك تأليف الشرح وذلك أن يرى المؤلف أمرا غامضا مستغلقا على الكثرة من الناس فيتولى شرحه وايضاحه لهم .. ثم هناك تأليف التصحيح والتتميم وذلك ان يقع المؤلف على رأى خاطىء أو غرض ناقص فيعكف على تصحيحه وتتميمه . ولكل واحد من هؤلاء المؤلفين فضله الذى لا ينكر .

* * *

(١٠)

سرقة التراث

نشرت الصحف أخيرا خبرا مؤداه ان ٤ آلاف مخطوط عربى وجدت فى مكتبة دبلن بايرلندا ومنها نسخ من القرآن الكريم بخط أعظم خطاط عربى هو ابن البواب كتبها فى بغداد عام ٣٩١ هـ (الموافق ١٠٠٠ م) ويقول الخبر ان هذه الروائع احضرها (الفريد تشتير تيتى) من أقصى المشرق الى أقصى المغرب ، وكان قد وصل الى مصر عام ١٩١٣ ، وأقام بها وظل يجوس أحياء القاهرة القديمة يجمع المخطوطات القديمة . وكان أغلب الأوربيين يهتمون بجمع المخطوطات ، بينما كان غيرهم ينظرون اليهم بدون اهتمام ، وكان ذلك هو هدف المستشرقين الذين كانوا يعملون فى المتاحف الكبيرة ، وكان من السهل شراء روائع المخطوطات والأعمال الفنية بأبخس الأثمان . وقد كون تشتير تيتى لنفسه عدة وكلاء فى الشرق من التجار والارمن أو اليهود ، وكان له محل فى شارع سليمان بالقاهرة ، ثم أصبح أحد مراكز الشرق الاوسط لبيع وشراء المخطوطات الشرقية . وعندما توفى سركيسان يهودا فى أمريكا عام ١٩٤٢ اشترى تشتير ما يزيد على الالف مخطوطة ، ثم انتقل الى ايرلندا عام ١٩٤٩ وبنى مكتبته الحالية التى تضم ١٢ ألف مخطوط .

هذا ما أورده الخبر ، وهو نافذة على قصة طويلة لمؤامرة عالمية ضخمة استهدفت لهـا معظم عواصم العـالم الاسلامى وخاصة دمشق والقاهرة وبغداد واستانبول ونقلت منها الى الغرب ملايين المخطوطات والكتب التى كانت مودعة فى المساجد والزوايا الصغيرة والتى شكلت من بعد ذلك (الاثر) الخطير الذى استطاع به الاستشراق ضرب الفكر الاسلامى وتسميم اباره بعرض ما تحوم حوله شبهات الباطنية والمجوسية والشعوبية وطمس واغراق كل ما يصحح المفاهيم . ولقد كانت سرقة الكتب والتراث والمنابر وغيرها معروفة على مدى هذا التاريخ الاستعمارى الطويل . وصحفنا القديمة كالأهرام والمقطم حافلة بهذه الأحـداث . وكان لهـذا الامتلاك لتراثنا أثره الخطير فى الحيلولة بيننا وبين ابراز جوانب الحق فى قضايا وشبهات أثيرت ورد عليها مفكرونا المسلمون ، وما تزال الآن حركة الاستشراق تبرز الشبهات على أنها حقائق لأنها تخفى النصوص الأخرى المواجهة .

مارتن لوثر واليهود

ما يزال العلامة الجليل عجاج نويهض الذى عرف منذ اربعين سنة بترجمة كتاب « حاضر العالم الاسلامى » عن لوثروب ستوارت ، هذا الكتاب الذى علق عليه امير البيان شكيب أرسلان تعليقات ضافية حتى تضاعف حجمه ، نقول : ما يزال هذا المجاهد المسلم يواصل كفاحه فى سبيل الكشف عن الحقائق التى تعين المسلمين على فهم عدوهم الخطير : « الاستعمار والصهيونية والماركسية » وقد ترجم أخيرا كتاب أكاذيب اليهود للدكتور مارتن لوثر زعيم الحركة البروتستانية فى القرن السادس عشر تحت عنوان (نفاق اليهود) .. والكتاب يفضح اليهودية فى أوروبا ، ويكشف عن كراهية المسيحية لها وخصومتها .

يشير دكتور مارتن لوثر الى « عقدة الاستعلاء اليهودى الكاذبة التى دفعتهم الى ان يسموا أنفسهم » « شعب الله المختار» ونقول ان الشعوب قد اكتوت بنار سوء اخلاقهم ، وان هذه الشعوب لم تقف منهم موقفا سلبيا بل فرضت عليهم العقاب العادل ، لانهم كانوا ينظرون الى من عداهم على أنهم « جوييم » أى أميين . ويقول : كم مرة نكبوا واستأصلوا ، لقد شردهم ملك بابل ومثله ملك أشور الذى نقض كيانهم واحتوتهم سياط الرومان ، هذه الطائفة الشريرة لم يؤثر فيها عامل من عوامل الردع ، فضلا عن تشويه التوراة وتأويلها ، وتحليلهم الربا واباحة استنزاف غير اليهود .

● ويقول : والشر الاكبر فى (التلمود)الذى جعلوه مساويا لتوراة موسى فى المرتبة بعد تزييفها ، ثم أخذت درجة قداستها فى الازدياد حتى حلت محل التوراة فى العصور الوسطى وأصبح أكبر قداسة .

وأشار الى انهم يمارسون التجارة فى الرقيق الأبيض ، وان الهيكل كان سوق صيارفة ولقد كان الربا لديهم (اسفينا) يدقون به صرح الاقتصاد فى أى شعب من الشعوب يعيشون متآمرين مبتزين ، والناس « الجوييم » يعملون وهم يكسبون من السحت الحرام ، ولقد ظل هذا الكتاب حبيسا فى الظلام سنوات طويلة ، حبسه اليهود حتى أتيح له أن يرى النور فى الأخير .

● يقول عجاج نويهض : ان عنوان الكتاب اكاذيب اليهود وقد وجدنا ان كلمة النفاق اشد انطباقا على المراد من كلمة (أكاذيب) والقرآن الكريم قد وصف اليهود قبل لوثر بأكثر من تسعة قرون وقرعهم على نفاقهم : النفاق الطويل الامد الذى استؤصل فى يوم الخندق فى السنة الخامسة للهجرة .

ومما يذكر أن العلامة عجاج نويهض قدم بروتوكولات صهيون منذ سنوات فى مجلدين كبيرين فى اطار سيرة الصهيونية العالمية الحديثة ، وكشف كثيرا من أسرارهم ونذكر فى هذا المجال ايضا المرحوم عبد الله التل وكتبه الثلاثة : وآخرها : (الأفعى اليهودية) .

***

ظاهرة الرسائل النبوية

ما تزال الرسائل النبوية التى ظهرت فى السنوات الأخيرة موضع دراسة الباحثين وخاصة رسالته صلى الله عليه وسلم ، الى هرقل والى كسرى . وفى العدد الاخير من مجلة (المنهل) السعودية دراسة ضافية للدكتور محمد حميد الله عن رسالة النبى الى كسرى . ومنذ وقت ليس ببعيد ، تناولت الصحف رسالة فى أبى ظبى ، والذى يهمنا فى هذا الشأن هو ذلك الاهتمام البالغ الذى تبديه الدوائر المختلفة بالنسبة لهذه الرسائل وخاصة بعد أن ظهر أنهـا رسائل صحيحة واثبتت المختبرات العلميـة العصرية سلامتهـا . وهى فى هذا الوقت بالذات الذى علت فيه صيحة المادية وتكذيب رسالات السماء والوحى والنبوة ، عامل جديد لاطلاع البشرية على حقائق السماء .

والذى يهمنا الان فى هذا المجال ما جاء فى رسالة النبى الى هرقل :

« أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام . اسلم تسلم . وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فعليك اثم الاريسين » .

وقد تبين من الدراسات التى اجراها علماء المملكة العربية السعودية فى فرنسا وروما فى العام الماضى ان لفظ (الاريسين) يعود الى اتباع «أريوس» أحد قساوسة كنيسة الاسكندرية الذى عارض التثليث وتأليه عيسى ، وقاوم ذلك بشدة فى عـدد من المجامع واتجهت حمـلة الكنيسة الرومانيـة الى اضطهادة ، وان ظل هو وجماعته يؤمنون بالله ربا وبالمسيح نبيا ، وينكرون ذلك الاتجاه الخطير الذى تحولت به المسيحية فى شأن عيسى عليه السلام ، وقد ولد عام ٢٧٠ م وتوفى ٣٣٦ وما تزال سيرته فى كتب التاريخ الغـربى مظلمة قاتمة ، فهم يصفونه بأنه صاحب بدعة ويسمونه (اريوس الهرطقى الشهير) .

وتقول دوائر معارفهم : انه قام يعلم فى لاهوت المسيح تعليما غير مستقيم حتى ضل به كثيرون من الناس واتهمه خصومه بأنه ينكر لاهوت المسيح . وقد حكم عليه عام ٣٢١ بفصله من الكهنوت .

وهكذا يجىء الاسلام بعد ذلك بأكثر من ثلاثمائة عام ليرد اعتبار اريوس ويحمل هرقل مسؤولية هذا الانحراف ، ويجعل من الاريوسين اتباع هذا الراهب الموحد ، نقطة اتصال حقيقية بين دين المسيح المنزل من السماء وبين الاسلام ، ومما يروى أن الموحدين من المسيحيين ظلوا معتصمين فى الجبال جيلا بعد جيل يصرون على عقيدتهم ، وينكرون التحريف الذى فرضه « بولس » حتى أشرقت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فآمنوا بها .

* * *

لو غيرك قالها يا أبا عبيدة

لو غيرك قالها يا أبو عبيدة : مخاضة اعترضت طريق عمر الى بيت المقدس : نزل عمر من فوق ناقته ، وخلع نعليه فوضعهما على عاتقه واخذ بزمام ناقته فخاض الماء فقال أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين : أانت تفعل هذا ؟ ! ما يسرنى ان أهل البلد (الشام) استشرفوك على هذا الحال قال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة لجعلته نكالا لأمة محمد ، انا كنا اذل قوم حتى أعزنا الله بالاسلام .. فاذا طلبنا العز بغيره أذلنا الله .

* * *

مصابيح على الطريق

الرحالة المقدسى :

يقول المقدسى : صاحب احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم :

ما بقيت خزانة ملك الا وقد لزمتها ولا مذاهب قوم الا قد عرفتها ولا أهل زهد الا وقد خالطتهم ولقد سميت بستة وثلاثين اسما دعيت وخوطبت بها مثل مقدسى وفلسطينى ومصرى ومغربى وخراسانى وسلمى وصوفى ومقرى وفقيه وولى وعابد وزاهد وسياح ووراق ومجلد وتاجر ومذكر وامام ومؤذن وخطيب وغريب وعراقى وبغدادى وشامى وحنيفى وراكب ورسول ، وذلك لاختلاف البلدان التى حللتها وكثرة المواضع التى دخلتها .

وقد طاف المقدسى العالم كله ما عدا الأندلس والسند ، وركب المخاطر فى بحر الهند والبحر الأحمر والأبيض .

وقال عنه المستشرق اشبرنجر : انه أعظم جغرافى عرفته البشرية قاطبة .

يقول المقدسى : لم يبق شىء مما يلحق المسافرين الا وقد أخذت منه نصيبا غير « الكدية » أى التسول وركوب البكترة فقد تفقهت وتزهدت وتعبدت وفقهت وادبت وخطبت على المنابر وأذنت على المنائر وأقمت فى المساجد وذكرت فى الجوامع واحتفلت الى المدارس وتكلمت فى المجالس وأكلت مع الصوفية الهرائس ومع الخانقانيين الثرائد ومع النواتى « الملاحين » العصائد وطردت فى الليالى من المساجد وسحت فى البرارى وتهت فى الصحارى وصدقت فى الورع زمانا دمجت بعباد جبل لبنان وخالطت حينا السلطان وملكت العبيد وحملت على راسى بالزنبيل ، وأشرفت مرارا على الغرق ، وقطع على قوافلنا الطرق ، وخدمت القضاة والكبراء ، وخاطبت السلطان والوزراء وبعت فى الأسواق وسجنت فى الحبوس وأخذت على انى جاسوس ... الخ .

الباب الثالث

اللغة والأدب

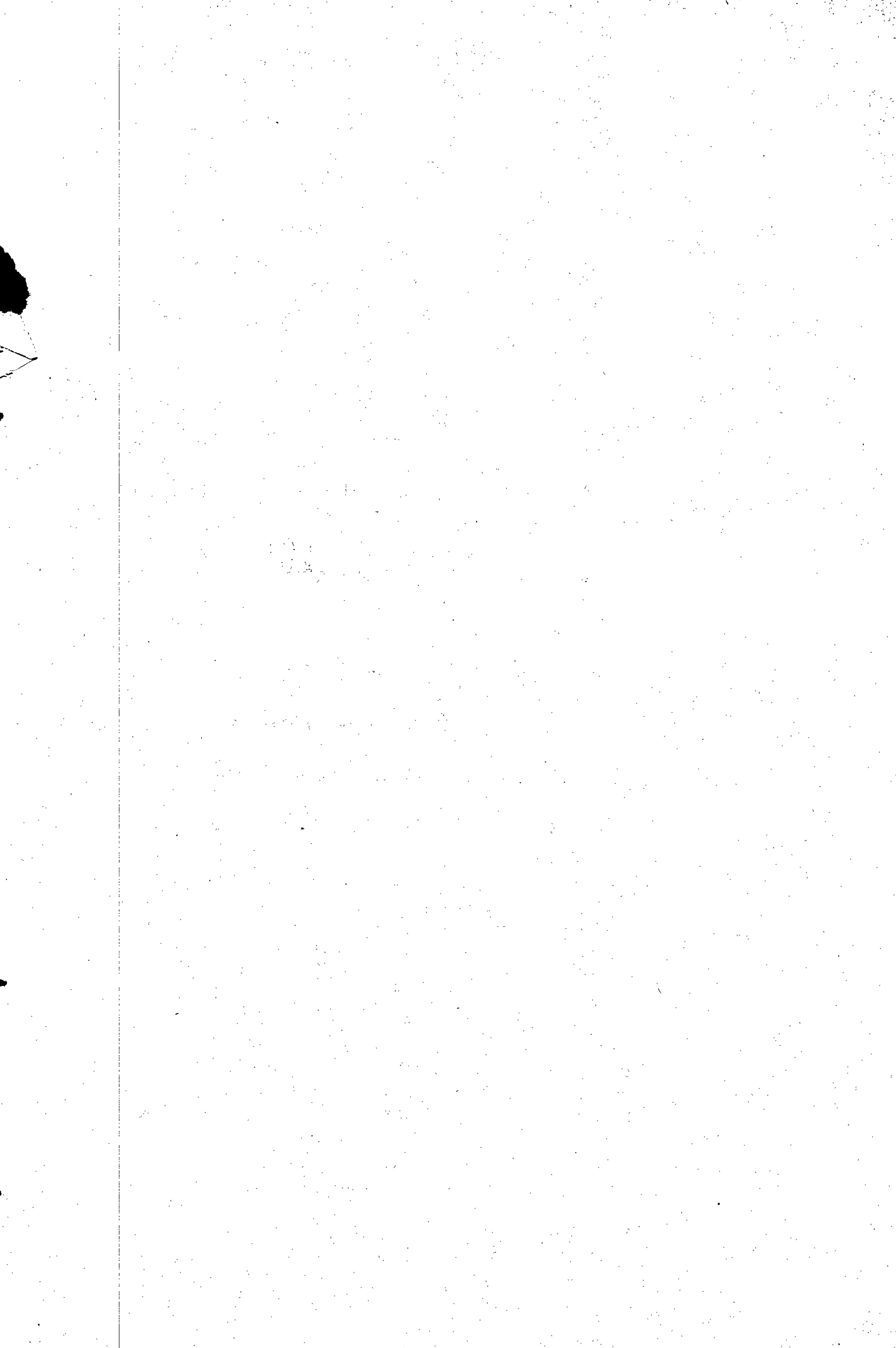
١ ــ الفصحى لغة القرآن .

٢ ــ عام الفصحى لغة القرآن .

٣ ــ لماذا دراسة اللهجات العامية والاهتمام بها .

٤ ــ اللغة الهيروغليفية احدى اللغات العربية .

٥ ــ هذه الأمة الوسط .



(١)

الفصحى لغـة القرآن

لغة الف مليون هم المسلمون وليس مائة مليون هم العرب وحدهم ! ما تزال قوى التغريب والغزو الثقافى تطارد اللغة العربية الفصحى مطاردة شديدة : وفى مؤتمر المستشرقين الأخير دارت مناقشات وابحاث كثيرة حول ما يسمونه اللغة العربية الحديثة وحول العامية التى يسمونها لغات .

وهناك اتجاه فى بعض الجامعات التى تشرف على الدراسات الاسلامية والعربية فيها يهود صهيونيون — يرمى الى المبالغة فى أهمية اللهجات العامية والعناية بدراستها باعتبارها اللغة المستعملة ، وهناك دراسات عن اللهجات المصرية والتونسية والمغربية .

ويواجه الاساتذة العرب هذه الحركة بحركة مضادة معادية لهذا الاتجاه يقررون فيها ضرورة التمسك باللغة الفصحى لغة القرآن ويكشفون فساد هذا المنهج التغريبى الذى تحمل لواءه اليهودية العالمية لحساب الصهيونية واسرائيل ونحن نعرف ان الهدف هو القرآن والاسلام والقضاء على الوحدة الفكرية الجامعة تحت لواء الاسلام فى لغته الأم .

وفى هذا نذكر ذلك النذير الذى اصدره الاستاذ مصطفى صادق الرافعى منذ خمسين عاما حين قال :

أن العربية لغة دين قائم على أصل خالد هو القرآن الكريم وقد أجمع الأولون والآخرون على اعجازه بفصاحته الا من لا حفل له به من زنديق يتجاهل أو جاهل يتزندق ثم ان فصاحة القرآن يجب ان تبقى مفهومه ولا يدنو الفهم منها الا بالمران والمداولة ودرس الأساليب الفصحى والاحتذاء بها واحكام اللغة والبصر فى حقائقها وفنون بلاغتها والحرص على سلامة الذوق بهـا وكل هذا يجعل الترخص فى هذه اللغة وأساليبها ضربا من الفساد . والحال الخاصة فى فصاحة هذه اللغة ليست فى الفاظها ولكن فى تركيب الفاظها .

ويعنى هذا الذى يقوله الاستاذ الرافعى رحمه الله أن اللغة العربية ارتبطت بالقرآن فأصبحت لغة أمة : ولغة فكر وثقافة ولغة عبادة المسلمين جميعا الذين يبلغ تعدادهم الف مليون وليست لغة مائة مليون هم العـرب وحدهم ، ولقد حماها ارتباطها بالقرآن من أن تتحول لهجاتها الى لغـات مستقلة وحال بينها وبين أن يقرأ تراثهـا بقاموس كما يقرأ تراث اللغات

الاوروبية . وسيظل الترابط بين المسلمين وبين لغة الضاد قائما ما دام القرآن الكريم والى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ان اللغات الاوروبية حين انسحبت من اللغة اللاتينية الى اللهجات القومية فأصبحت لغات خاصة ، فقد انقطعت عن تراثها القديم ، وقد أصبح من شأن هذه اللغات أن تتطور وتتطور وهى فى كل فترة تنتقل من اللغة المكتوبة الى لغة الكلام التى تصبح بدورها لغة كتابة ومن ثم فان أوروبا لا تستطيع أن تقرأ شكسبير أو ملتون أو غيرهما من أعلام الأدب الا بواسطة القاموس ، وليس بين اللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية وبين هذا التراث أكثر من أربعمائة عام بينما يقرأ العرب والمسلمون اليوم أمرؤ القيس وبينهم وبينه اكثر من الف وخمسمائة عام كأنما القى شعره فى نفس اليوم . ولو أن انسانا عربيا من الجاهلية بعث اليوم لاستطاع أن يتحدث الينا ونتحدث اليه ويفهم منا ونفهم منه .

ان القول الباطل الذى يردده هؤلاء التغريبيون من قولهم أن اللغة العربية هى لغتنا ونحن اصحابها ولنا حق التصرف فيها هو قول غير صحيح يرده واقع التاريخ ويدحضه منطق البحث العلمى .

وقد يكون صحيحا بالنسبة لعلم اللغات الذى استمد مقوماته من دراسة اللغات الأوربية وأقام نظرياته على أساس واقعها وهو يصح بالنسبة لكل اللغات ولكنه لا يصح بالنسبة للغة العربية التى احتضنها القرآن فنزل بها ومن ثم فقد أعطاها « أبعادا خالدة » تختلف اختلافا واسعا عن اللغات وقد تتباين وتتعارض معها ، ذلك أن اللغات الأوربية ترجمت كتابها المقدس الى لغاتها الجديدة ، وكانت موجة القوميات الاوروبية عاملا على أن تقيم من لهجاتها لغات خاصة منفصلة عن اللغة الأم كما انفصلت سياسيا عن النظام السياسى الغربى الذى كان قائما ومتصلا بالكنيسة الغربية الواحدة وهذا أمر يختلف فى اللغة العربية تماما فان المسلمين لم يترجموا قرآنهم وما يزال يقراه الهندى والفارسى والتركى والبربرى وغيرهم من الاجناس واللغات بنفس اللغة العربية التى نزل بها ولذلك فهو قد أقام للغة العربية كيانا خاصا حماها من التحول الى العاميات ومن ثم فان علم اللغات الحديث الذى تجرى محاولة تطبيقه على اللغة العربية هو علم قاصر قامت مستخلصاته على أساس دراسة اللغات الاوروبية وظروفها . كما ذ كرت ولكنه لم يدرس ظروف اللغة العربية .

ولقد اعتقد المسلمون على مدى القرون ، وهو الحق ، أن لغتهم جزء من حقيقة الاسلام لأنها كانت ترجمانا لوحى الله ولغة لكتابه ومعجزة لرسوله ولسانا لدعوته . ثم هذبها الدين بانتشاره وخلدها القرآن بخلوده فالقرآن لا يسمى قرآنا الا بها والصلاة لا تكون صلاة الا بها وأن « الارجانون » لأى فكر أو « منهج بحث » لاى فكر انما يستند الى خصائص اللغة ولذلك فان منهج البحث العلمى العربى انما يستند الى خصائص اللغة العربية ولا يستطيع أن يستند الى خصائص لغة أخرى فلكل لغة منهجها الفكرى

القائم على معانيها ومضامينها . وكما هاجم المسلمون المنهج الارسطى وقالوا أنه مستند الى خصائص اللغة اليونانية التى تخالف اللغة العربية فكذلك الامر بالنسبة للمنهج الغربى الوافد (ماركسيا أو ليبراليا أو فرويديا أو وجوديا) ذلك لأن للفكر الاسلامى منهج البحث الخاص به ومنهج المعرفة الذى يمثله والمستمد من اللغة العربية أصلا ومن التوحيد الخالص .

ولا ريب أن محاولة فصل اللغة العربية الفصحى عن لغة الكلام باعلاء اللهجات أو بخلق ما يسمونه لغة وسطى أو لغة الصحافة ، كل هذا له خطره وله أبعاده ومخاطره .

ان النظرة اليسيرة قد ترى فى ذلك شيئا مقبولا ولكن النظرة العميقة تكشف عن محاذير عميقة أبرزها : الانفصال عن مستوى البيان القرآنى ذلك انه من الضرورى أن تظل اللغة العربية متصلة ببيان القرآن ومرتبطة به فاذا بعدت عنه كان من أخطار ذلك أن تنفصل أو تنعزل عن مستوى البيان القرآنى . فاذا مر زمن طال أو قصر انقطعت الصلة بين البيان والأداء العربى وبين القرآن .

واللغة العربية : لغة غنية خصبة عملاقة ، يقول الخليل بن احمد فى كتاب العين : أن عدد أبنية كلام العرب ١٢ مليون و ٣٠٥ الف و ٤١١ كلمة ويقول الحسن الزبيدى أن ما يستعمل من الفاظ اللغة العربية هو ٥٦٢٠ لفظا فقط . وعندما نزل بها القرآن أزاحت السريانية والكلدانية والنبطية والارامية واليونانية والقبطية عن مكانها فى مصر والشام وأفريقيا وأدالت منها قبل أن ينقضى قرن واحد ، فلما بلغت القرن الثالث تحولت الصلوات فى الكنائس اليها ثم كتبت بها اللغات التركية والفارسية والاوردية والافغانية والكردية والمغولية والسودانية والابجية والساحلية . كما كتبت بها لغة أهل الملايو وقد حدث هذا منذ أكثر من ألف عام .

ثم دخلت اللغات الاوروبية كالفرنسية والالمانية والانجليزية وفى اللغة الانجليزية وحدها أكثر من الف كلمة عربية ، ومن الناحية العلمية فهى تفوق أضخم اللغات ثروة وأصواتا ومقاطع ، اذ بها ٢٨ حرفا غير مكررة . بينما فى اللغة الانجليزية ٢٦ حرفا ومنها مكرر ، كذلك فان فى اللغة العربية ثراء فى الاسماء فيها ٤٠٠ اسم للاسد و ٣٠٠ للسيف و ٢٥٥ للناقة و ١٧٠ الماء و ٧٠ للمطر لكل واحد منها استعماله الخاص فى حالة معينة .

ولقد عرف رجل من أشد خصوم الاسلام قدر اللغة العربية فكتب عنها فى كتابه اللغات السامية . ذلك هو أرنست رينان فقال :

من أغرب ما وقع فى تاريخ البشر وصعب حل سره : انتشار اللغة العربية فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادىء ذى بدء ، فبدأت فجأة فى غاية الكمال ، سلسة أى سلاسة ، غنية أى غنى ، كاملة ، بحيث لم يدخل عليها منذ يومنا هذا أى تعديل مهم ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت لاول أمرها تامة محكمة ولم يمض على فتح الاندلس أكثر من خمسين سنة

حتى أضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم بالعربية ليفهمها النصارى ، ومن أغرب المدهشات ان تنبت تلك اللغة القومية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرحل ، تلك اللغة التى فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها وكانت هذه اللغة مجهولة عند الامم ، ومن يوم علمت ظهرت لنا فى حلل الكمال الى درجة انها لم تتغير أى تغير يذكر حتى أنه لم يعرف لها فى كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة ولا تكاد تعلم من شأنها الا فتوحاتها وانتصاراتها التى لا تبـــارى ولا نعلم شيئا عن هذه اللغة التى ظهرت الباحثين كاملة من غير تدريج وبقيت حافظة لكيانها خالصة من كل شائبة .

هذا وقد أثبت الاستاذ كامل كيلانى أنه ما من فن أو علم أو معنى فى نثر أو شعر يتحدث به فى أدب من الآداب الا وله ضريب فى اللغة العربية وقد جمع ١٨٠ صورة من هذه المقابلات بينما وجد أن هناك ٢٥ صورة من الأدب العربى لا ضريب لها فى الآداب الغربية .

وقد شغلت كلمة (الوفاء) فى اللغة العربية من لسان العرب صفحات ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ من جزئه العشرين بينما لا توجد هـــذه الكلمة فى بعض اللغات كلية .

لقـــد كتب جول فيرن الروائى المشهور قصة خيالية عن قوم شقوا فى أعماق الأرض طريقــا الى جوفهـــا فلما خرجوا سجلوا أسماءهم باللغة العربية فلما سئل عن ذلك قال : لانها لغة المستقبل .

ولذلك فان من الخطر فصل اللغة العربية عن مستوى بيان القرآن وذلك هو هدف التغريب الذى يعرفه جيدا جميع المستشرقين :

يقول بول كداوس : لا لغة عربية بدون القرآن .

ويقول سيديو : ان اللغة العربيـــــة حافظت على وجودها وصفاتها بفضل القرآن . نقول : ومن ثم فان كل هذه المحاولات هى فى جوهرها هجوم على الاسلام يتخفى وراء عبارات كاذبة مضللة .

***

(٢)

علم الفصحى لغة القـرآن

اقترحت مجلة البيان الكويتية أن يطلق على هــذا العام (١٣٩٧) عام اللغة العربية الفصحى لغة القرآن ومن الحق أن اللغة العربية فى أشد الحاجة الى هذه النصرة والتجمع والمؤازرة فى هذه المرحلة التى يمر بها العالم الاسلامي والوطن العربي بالذات حيث تتجمع قوى كثيرة للتآمر عليها وقد ارتفعت الأصوات : أصوات دعاة اليقظة الاسلامية بالتحذير من تلك الأخطار التى توجه الى اللغة العربية الفصحى ..

فان العدو عندما عجز عن مواجهة القرآن الكريم لجأ الى مهاجمته عن طريق اللغة فى مجال البيان ، ولجأ الى التشكيك فيه عن طريق السنة فى مجال الفقة . وعلى شباب المسلمين المثقف ان يحذر ما يوجه الان الى اللغة والسنة من مؤامرات وتحديات .

ولقد صدرت فى السنوات الاخيرة مؤلفات ودراسات تكشف عن هذه المحاذير ، فى مقدمتها (الزحف على لغــة القرآن) للأستاذ الجليل أحمد عبد الغفور عطار والعامية للدكتوره نفوسه وصدر لكاتب هذه السطور : اللغة العربية بين حماتها وخصومها ومنذ وقت قريب عقد فى الخرطوم مؤتمر بحث تطوير دراسة اللغة العربية الذى قرر توحيد مناهج اعداد معلمى اللغة العربية والعمل على تأكيد قرار معلمى أفريقيا الخاص باعتبار اللغة العربية احدى لغات أفريقية ثلاث اساسية يدرسها كل أفريقى مع لغته الأصلية كما أوصى بالاسراع فى تعريب التعليم الجامعى .

والواقع أن مجامع اللغة التى قدمت عددا وافرا من المصطلحات قد أصبحت اليوم محتواة بمجموع من خصوم اللغة العربية الذين استطاعوا السيطرة عن طريق ما اسموه دراسات علم اللغة والاصــوات وهم الذين يحملون لواء الدعوة الى تشجيع العاميات واللهجات ويفسحون أمامهــا الطريق لتدخل القواميس ولتسيطر منحية البيان العربى الاصيل الذى فرضه القرآن الكريم والذى يلتزم أهل العربية بالاتصال به والاستمرار فى مستواه .

والمؤامرة معروفة ، مدخلها : تطوير اللغة ، والقول بوضع اللغة فىخدمة العصر . وهذه كلها عبارات لم تعد تخدع أحدا ومعروف هدفها وهو الفصل بين العرب وبين لغة القرآن التى جمعتهم الى محاولة الوصول باللهجات العامية فى كل قطر الى لغة تمزق الوحدة الفكرية والسياسية الجامعة بين

العرب أنفسهم وبين العرب والمسلمين . ولقد قاومت اللغة العربية الفصحى محاولات مستمرة لم تتوقف وصمدت صمودا عنيدا امام جميع التحديات الاستعمارية فى المغرب العربى وفى سوريا وفى مصر ، وفى كل مكان حيث حاول النفوذ الأجنبى ضربها ضربا مزدوجا باللغات الأجنبية وباعلاء اللهجات العامية .. قاومت اللغة العربية كل المحاولات من ادماج وازالة وابادة لانها مدينة لقاموسها الجوهرى ولنظام بناء الكلمات وتركيب العبارات والنحو والصرف ومن هنا كانت دعوتنا الى نقل العلوم والتكنولوجيا من افق اللغات الأجنبية ، فنحن نطالب بأن ينقل العلم الى أفق اللغة لا أن ينتقل العرب والمسلمون الى أفق اللغات الأجنبية ولقد واجهت اللغة العربية الفصحى فى العصر الحديث مقاومة ضخمة فى كل مكان : فقد حيل بينها وبين نموها الطبيعى وامتدادها مع انتشار الاسلام الى آفاق العالم وخاصة فى افريقيا وتشــير التقارير الى أن اللغــة العربيــة خارج الوطن العربى هى أكثر اللغات الوطنية انتشارا فى افريقيــا المعاصرة ، وهناك دول تعتبر العربية فيها أكثر اللغـــات الوطنية انتشارا فى موريتانيــا وتشاد ومالطة فانتشار العربية فى موريتانيا لا يقل عن انتشارها فى المملكة المغربية فاللهجات البربرية المختلفة هى وسيلة التعــامل المحلية عند حوالى ثلث ســكان موريتانيا ولكن نصف ابناء البربرية فى موريتانيا يستطيعون التعامل فى امور الحياة باللغة العربية . وفى المنطقة الممتدة من السنغال ومالى الى تشاد فان العربية مستخدمة هناك فى مناطق كثيرة كلغة ام أو كلغة تداول ، بل ان العربية هى أكثر اللغات استخداما فى المنطقة الممتدة من تمبكتو (مالى) الى كانم وواداى الى غرب السودان .

ويقول التقرير ان اهم تجمع بشرى يتعامل بالعربية فى هذه المنطقة يوجد فى تشاد حيث يعيش فيها حوالى مليون و ٨٠٠ الف ممن يستخدمون اللغة العربية كلغة ام والعربية بهذا هى اكثر اللغات الوطنية انتشاراً فى تشاد فابناء اللغات الاخرى يكونون ٤٠ فى المائة فقط من سكان تشاد وهناك منطقة لم يرتبط تعريبها بالاسلام وهى جزيرة مالطة : المنطقة الوحيــدة التى تخلو من المسلمين ولغة الحديث فيها احدى اللهجات العربية اما فى موريتانيا وتشاد ومالطة فان العربيــة قاصرة على أمور الحيــاة اليومية البسيطة ولكن العربية بعيدة عن هذه المناطق فى المجالات الثقافية واللغــة السياسية وعلى العكس من ذلك نجد الموقف اللغوى فى الصومال حيث تسود فى أمور الحياة اليومية البسيطة الواحدة لغة واحدة هى اللغــــة الصومالية ولكن ابناءها يتوسلون بالعربية فى امور الثقافة الجادة والتعليم ويهتم الصوماليون اهتماما كبيرا بتعليم اللغة العربية ويحسن كثير منهــم التعامل بها فتصبح بمثابة اللغة الأم الثانية .. وقد ارتبط تعليم العربيـــة فى الصومال بحفظ القرآن الكريم وبالثقافة الدينية عموما غير أنه فى ظل الحكم الماركسى الحالى يعانى السكان والعربية من مشاكل كثيرة ليس أقلها قفل المعاهد الاسلامية ومنع الخطابة باللغة العربية .. انهــا محنة نعتقد انها سوف تزول عن شعب الصومال .. وهناك دول لا يشكل ابناء العربية فيها اغلبية سكانية ولكنهم يكونون اقليات لغوية هى (مالى والنيجر وايران وتركيا وأزبكستان وأفغانستان) وقد لاحظ الرحالة الأوروبيون أن العربية منتشرة من شــمال السنغال ومنطقة النيجر الى تمبكتو ثم من بورنو الى دارفور فى السودان .. والمنطقة التى ينقطع فيها استخدام العربيــة هى

المنطقة من بورنو الى تمبكتو كما أشار التقرير الى ان اكبر تجمع بشرى يستخدم العربية فى دولة مالى والمناطق المتاخمة لها هم « ذو حسان » وقد تعرف لهجتهم العربيـــة باسم الحسانيـــة وهم الذين يسميهم ابن خلدون (عرب المعقل) واغلب الظن انهم دخلوا هذه المنطقة قبيل دخول الهلالية الى المغرب كما توجد اقليات عربية اللغة فى عدد من الدول الاسيوية وفى مناطق أخرى من ايران تعيش جماعات تتعامل باللغة العربية فى حياتها الخاصة ويقدر عدد هؤلاء بنصف مليون .

اما فى تركيا فتعيش جماعة عربية فى منطقة ماردين ويقدر عدد ابناء العربية فى تركيا بحوالى ربع مليون نسمة وهناك عدة جزر لغوية صغيرة فى افغانستان وازبكستان .

ويقدر الباحثون ان اللغة العربية الان هى لغة حوالى مائة وخمسة عشر مليون من العرب (١٩٧٠) اما الجماعات غير العربية فهى لا تزيد عن خمسة ملايين نسمة وقد لوحظ ازدياد انتشار العربية فى الأجيال الصاعدة مع انتشار التعليم ويصدق هــذا على جنوب السودان رغم البطء الشديد فى نشر التعليم هناك ، واكبر جماعات بشرية غير عربية فى البلاد العربية هى جماعات الاكراد (مليون) والبربر (٤ مليون) والنوبيون والمهره وابناء لغات جنوب السودان ، وفى اقصى جنوب جزيرة العرب تجد فى مناطق من جمهورية اليمن الشعبية عددا من المتحدثين بلغة سامية قديمة هى لغة المهرية ، ويعتبر النوبيون أهم تجمع بشرى غير العربى فى مصر (٤/١ مليون) ولا ريب ان هذه الاحصائيات تعطى صورة النمو المتجدد للغة العربية فى العـــالم الاسلامى بالرغم من كل محاولات حصر اللغـــة الفصحى وحجبها وتغليب اللهجات العامية واللغات الأجنبية عليها وبالرغم من محاولات تغيير ابجديات اللغات فى الملايو وبعض البلاد الافريقية .

***

الرافعى ولغة القرآن

ولقد كان المرحوم مصطفى صادق الرافعى من أوائـــل المجاهدين فى الدفاع عن اللغة الفصحى حتى وصف بأنه حارس لغة القرآن يقول :

« قد ادهشتنى الكلمة التى جرت على قلم يوسف حنا من اعتقادى انى المختار لحراسة لغة القرآن فأنا لم اقل له هذا ولم اعتقدها مطلقا ومن أجــل ذلك اثرت فى هـــذه الكلمة تأثيرا عظيما وأعددتها أنبـــاء من الغيب واعتقدتها والظاهر انها كذلك » .

والحق أن كتاب الرافعى « اعجاز القرآن » كان بمثابة القنبلة الخطيرة التى القاها الرافعى فى جو ظن خصوم الاسلام والعربية انهم قادرون فيه على الهدم دون أن يلتفت اليهم أحد .

***

ولكن اليقظة الاسلامية كانت تنطلق دائما مكتسحة كل هذا الركام الذى شيده الأعداء وفى هذا المجال نذكر رجلا آخر من المجاهدين فى سبيل اللغة العربية هو احمد السكندرى :

كان الدكتور منصور فهمى يقول كلما واجهتهم فى المجمع اللغوى مشكلة :

انتظروا السكندرى ، ارجئوا المسألة فعند السكندرى علم ما أشكل علينا ولديه حل ما استعصى علينا . فلما مات السكندرى قال منصور فهمى الآن يموت حلال المشكلات والمرتجى فى اللغة للمستعصيات . وكان السكندرى يقول : لا يجوز التعريب الا اذا تحقق العجز فى نقل أسماء ومصطلحات الفنون والصناعات وأنواع النبات والحيوان . وهو واحد من مؤسسى المجمع وكان عضوا فى سبع لجان وهو من الرعيل الأول لدار العلوم الخضرى والمهدى وحفنى ناصف أولئك الذين كانت لهم مواقف حاسمة ازاء المؤامرات التى وجهت الى اللغة فى مطالع العصر .

ومنذ بدأت فكرة التجمع لحماية اللغة والنظر فى أمرها كان الاسكندرى فى المقدمة وهو قد شاهد توفيق البكرى وحمزة فتح الله والشيخ الشنقيطى وحفنى ناصف عندما اجتمعوا لأول مرة ووضعوا عشرات من الكلمات ثم جاء بعدهم نادى دار العلوم فوضع مئات الكلمات وشارك هو فى هذه اللجنة .

والسكندرى : ازهرى درعمى معا : شغف باللغة وتخصص فيها وكان من أصحاب العزائم ، كان مؤمنا بمبدأ لا يتزعزع أن اللغة تكونت من عناصر تمت للأبدية والخلود فعنده أن عناصر هذه اللغة تنسحب الى ماض لا أول له ، وفى طاقتها أن تمتد الى مستقبل لا آخر له فاللغة عنده ماضيها وحاضرها ومستقبلها وحدة قوية متماسكة تتسع لكل المصطلحات وكان يعد من المتشددين فى القديم وقد جعل المجمع بالغ الحرص على توفير المظان القديمة شديد العناية بممارسة ما احتوته من مدخور العربية وكنوزها ولم تكن معاركه داخل المجمع وحده ولكنه كان معاركا فى كل مجال من أجل اللغة وعندما كان أحمد زكى باشا شيخ العروبة يكتب كان يتحاماه كثيرون ولكن شيخ العروبة اراد ان يكتب عن اللغة ويتعرض لكلمات : (على الحركرك ، ويا الله) فكتب رأيه ثم سأل أصدقاءه وطالب السكندرى بالذات ان يدلى برأيه فى الكلمتين .

قال السكندرى : ظن الباشا ان صمت مثلى انما هو علم يكتمه ولا والله ليس الا قلة الاعتداد بما خطر على بالى والاستهانة بما سنح لى فى تخريج هذا الحرف (على الحركرك) والله يقول : **« ولا تقف ما ليس لك به علم »** فاما اذ أحرجنى الباشا مرتين ولم يرض لى غير احدى خصلتين : الفتيا ولو بغير مضع أو استحقاق الألجام بلجام من نار فانى أستغفر الله واقول ما لم أتعود قوله :

خطر ببالى أن (على الحركرك) محرف من لفظتين فصيحتين هما : حرج الحرج قلبت الجيم فيهما كافا لتقاربهما فى المخارج الحرج بفتح الراء معناه اضيق الضيق ، فاذا اضيف الى مثله كما يقال فلان فى ضيق الضيق كانت المبالغة اشد اذ هو بمنزلة أن يقال : اضيق الضيق وهو ما تريده العامة وهو نظير قولهم (شفت فيه ويل الويل ومر المر) ويحتمل ان يكون محرفا عن الحرج الحرج فاذا كان يعجب الباشا مثل هذا التخريج فذاك والا فانى أعتقد أن اجابتى انما هى على حرج الحرج ربئا بنفسى ان أكون مستأهلا الألجام بلجام من نار والعياذ بالله » .

وبعد فمن حق اللغة العربية أن نفرد لها عاما يشترك فيه المجاهدون دونها ولعل الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار ان يقدم وجهة نظره فى هذه الدعوة المطروحة الان على بساط البحث فى عدد من البلاد العربية .

* * *

اسمها فوق براكين القمر

نقرأ ونسمع اعترافا بالفضل الذى قدمه علماء المسلمين حين اشارت التقارير أن علماء الفلك المحدثين عندما توصلوا الى رسم خريطة سطح القمر ، رأوا أن يطلقوا على براكينها أسماء الأعلام الذين خدموا علم الفلك بوجه عام وخصوا اثنين من البراكين بأسماء عربية أطلقوا على أحدها اسم عالمنا الكبير أبو الفداء وعلى الآخر اسم البتانى .

واستشهد الباحثون بأن الغرب قال يوما : انه لا يمكن لأحد أن يتمخض فى علم الفلك ما لم يعرف اللغة العربية . ومما يذكر أن أربعة أخماس أسماء الكواكب ما تزال فى كتب العلم كلها عربية على النحو الذى وضعه كوكبة العلماء الذين يتقدمهم أبو الفداء والبتانى .

* * *

(٣)

لماذا دراسة اللهجات العامية والاهتمام بها

ما تزال اللغة العربية تدافع عن كيانها الذى يرهق الاستشراق والتغريب والذى تخطط له الماركسية فى كل مكان تحل فيه كما يخطط له الاستعمار والصهيونية بوصفها لغة القرآن التى تجمع العرب الى وحدة الأمة والجماعة وتربط المسلمين الى وحدة الفكر والثقافة ، ولقد ترددت فى المرحلة الأخيرة ظاهرة تبدو كأنها دفاع عن الفصحى ولكنها تخفى فى أعماقها حربها وخصومتها تلك هى ظاهرة دراسة اللهجات العامية ، ترى ذلك واضحا اليوم فى عديد من مجامع اللغة ومعاهد الدراسة العالية .

وقد حاول بعض الباحثين أن يدعى أن الغاية من دراسة اللهجات هى الكشف عن انجع الوسائل المؤدية الى جعل لغة الضاد (موحدة وموحده) فى جميع البلاد العربية اى ان تكون لغة امتنا العربية واحدة وان تكون اكبر أداة لتوحيد الشعوب الاسلامية فى أمة واحدة .

ولكن المتعمق للامور يرى ان ذلك وهم من الاوهام وان التجربة لم تحققه بل حققت عكسه وان بعض المعاهد التى استقدمت أمثال أنيس فريحة وغيره لم تزد ان اعطت دعاة العامية سلاحا ضد الفصحى بالاضافة الى اسلحتهم المشرعة اليوم فى مجال المسرح والاذاعة والكاريكاتير .

يقول الامير مصطفى الشهابى ان اللهجات العربية العامية تعد بالعشرات بل بالمئات وكلها اليوم لاضابط لها من نطق او صرف او نحو او اشتقاق او تحديد لمعنى الالفاظ فهى كلام العامة يستعمل فى الاغراض المعاشية وفى علاقات الناس بعضهم ببعض .. وهذا الكلام وقتى لايثبت على مرور الايام وموضعى لايتجول من قطر عربى الى قطر عربى آخر .. ومعناه ان اللهجات العامية لا يمكن أن تكون لغات علم وادب وثقافة وليس فى مقدورها أن تعيش طويلا وأن يعم بعضها أو كلها ، الأقطار العربية كافة ، وكل ما يكتب بلهجة عامية يظل محصورا فى قطرة وقلما يفهمه غير ابناء ذلك القطر أو غير طائفة من ابناء ذلك القطر فاذا تدارسنا حقائق هذه اللهجات ووضعنا لكل منها قواعد رجراجة فلماذا تكون مغبة هذا العمل .. ان أخشى ما نخشاه أن يستهوى هذا الموضوع عقول بعض هؤلاء الطلاب فيعكفوا على معالجة تنظيم الكتابة والتأليف باللهجات المختلفة وعلى طبع هذه الرطانات ونشرها فتكون النتيجة تشويشا وضررا يباعد بعض الأقطار العربية عن بعض بدلا من أن

يتوجد بلغتها اى تكون النتيجة مخالفة تمام المخالفة لما يتوقـع من تدريس اللهجات العامية فى خدمة الفصحى .

اما القول بأن تدريس هذه اللهجات يفضى الى معرفة مشكلات الفصحى والى مداواة أدوائها فهو قول ضعيف فى نظرنا فأدواء الفصحى معروفة تحتاج الى من يعالجها باخلاص ونشاط وصبر ومثابرة واهمها وضع المصطلحات العلمية أو تحقيقها وتبسيط قواعد الكتابة والاعراب والصرف والنحو وتبسيط الكثير من تعليلات القواعد الصرفية والنحوية .

وجميع هذه الامور الشائكة يعرفها علماؤنا الاثبات ولاعلاقة لها باللهجات العامة وقواعد تدريسـها ومن الطبيعي القول بان هذا التبسيط لم يمس جوهر الفصحى وسلامتها وانها ستظل صعبة فى نظر بعض الناس ولا مجال للبحث عن بعض الآراء التى تذهب الى جعل التبسيط تشويها للفصحى . المطلوب هو رد العامى الى الفصيح ، كما فعل الشيخ أحمد رضا العاملى وعلماء اثبات وفقهاء باللغة ممن يعرفون كيف يفيدون الفصحى من دراساتهم وكيف يمنعون طغيان العامية عليها . ان قضية الفصحى والعامية لا تحل بدراسة اللهجات العامية.وتدريسها للطلاب بل تحل بتيسير قواعد الفصحى مع الاحتفاظ بسلامتها وعلى الأخص نشر التعليم فى سواد الشعوب العربية ومنها فرض التعليم بالفصحى على المعلمين وعلى التلاميذ فى جميع المدارس ومنع طبع رسائل بالعامية او التكلم بها فى المدارس والمسـارح ومحطات الاذاعة ودوائر الحكومات .

* * *

الفصحى فى لغات اوربا

يقول (والت تايلور) فى رسالته عن الألفاظ العربية فى اللغة الانجليزية انه فى الفترة ما بعد ١٤٥٠ ميلادية كان الداخل الى اللغة الانجليزية من الألفاظ العربية بمعدل ٨٣ فى المائة وذلك بعد ان اتسعت افاق التجارة واسـباب المواصلات بين الشرق والغرب ، وقد كان للجزيرة الأندلسية أعظم اثر فيما قدمته العربية للغات الأوربية فالسيادة العربية التى بقيت فى تلك الجزيرة بضعة قرون قد طعمت لغتها الاسبانية والبرتغالية بعدد كبير من الألفاظ .

والذى يفتح كتاب دوزى عن الالفاظ العربية فى اللغة الاسبانية يجد فيه نحو الف وخمسمائة كلمة من اصل عربى بعضها يرجع الى عهود العرب الاولى فى الاندلس .

كذلك فقد دخلت الى أوربا ولغاتها مصطلحات كثيرة عن طريق جزيرة صقلية وعن طريق الحروب الصليبية .

وقد قسم انيس المقدسى هذه الالفاظ العربية الى عدة انواع .

أولا : اعلام اشخاص وامكنة والقاب خاصة .

ثانيا : الفاظ ومصطلحات مستحدثة .

ثالثا : مصطلحات علمية وخصوصا الفلكية منها كاسماء النجـــــوم (ابرة العقرب) و (الشعرى) ورأس الثعبان .

رابعا : الفاظ عربية تبنتها اللغة الانجليزية أمثال منبر وكنيسة وسراط وفردوس وسكر ومسك وفندق .

وقد اندغمت هذه المصطلحات ، والألفاظ فى اللغة الانجليزية واضحة .

ومجال القول فى هذا الموضوع ذو سعة وقد تناوله عشرات الباحثين الأجانب :

١ — والتر تايلور : ما اكتسبته الانجليزية من العربية .

٢ — الأب لامنس : علاقة العربية بالفرنسية .

٣ — دوزى : علاقة العربية بالاسبانية والبرتغالية .

٤ — قاموس اكسفورد .

٥ — قاموس وبستر .

٦ — معجم الألفاظ الفلكية ، أمين المعلوف .

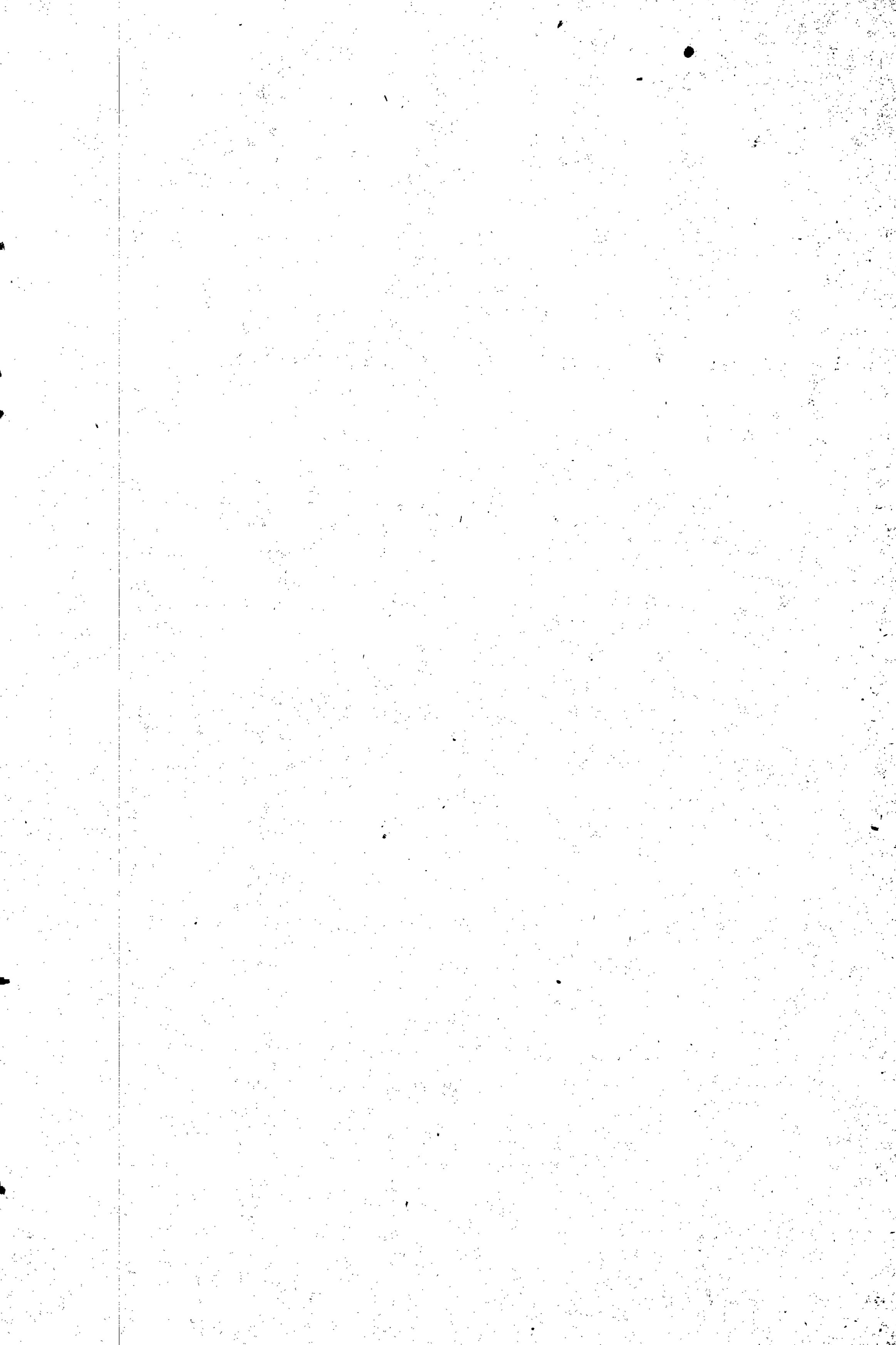
٧ — معجم الفاظ النبات الدكتور أحمد عيسى .

٨ — معجم الالفاظ الزراعية للامير مصطفى الشهابى .

٩ — معجم العلوم الطبيعية والطبية للدكتور محمد شرف .

١٠ — معجم الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية للقس طوبيا القيسى .

* * *



(٤)

اللغة الهيروغليفية إحدى اللغات العربية

عندما حاولت قوى الاستعمار تمزيق وحدة المسلمين عمدت الى تمزيق وحدة العرب الى فينيقيين وأشوريين وبابليين وفراعنة ، وحاولوا فى كل قطر اثارة روح ما قبل الاسلام ومع ان الاسلام احدث ظاهرة خطيرة أطلق عليها المؤرخون ظاهرة — الانقطاع الحضارى — فقد قام اناس من هنا وهنـاك يحاولون جمع القصاصات البالية من الكلمات والألفاظ ليحدثوا — تراثا — للعامية ينسبونه الى عصور وتيارات بعيدة عن العربية ولكنهم فشلوا مع الاسف وتحطمت مؤامرتهم حين واجهتهم الحقيقـة التى كشف عنهـا — أحمد كمال باشا — وهى أن لغة الفراعنة الهيروغليفية لها جذور عربية ولندع هذا العلامة الباحث يعرض لنـا تلك الحقيقة العلمية التى حطمت امال الشعوبيين والتغريبيين وقضت على أهدافهم ومطامحهم .

يقول : ان كثرة مطالعتى فى اللغة المصرية القديمة منذ كنت فى الثامنة عشرة الى أن بلغت الستين مهدت لى سبل الوصول الى اكتشاف غريب مفيد الا هو أن اللغة العربية واللغة المصرية القديمة من أصل واحد ، وهو لغة — الاعناء — ان لم يكونا لغة واحدة افترقتا بما دخلهما من القلب والابدال كما حصل فى كل اللغات القديمة .

وكنت قبل الان ادرس اللغة المصرية القديمة على الاسلوب الذى تلقيته من أستاذى هنرى باشا بركش فى مدرسة خاصة على نفقة الحكومة لبثت مقتفيا منهاجه كغيرى من الاثريين الى ماقبل الان بثمانى سنوات — كتب هذا فى مارس ١٩١٤ — وفى اثناء ذلك كنت أرى للألفاظ العربية مثيلا فى اللغة المصرية القديمة وكنت أدونها شيئا فشيئا حتى كثرت واخيرا اطلعت على مقالة للمعلم نافيل الأثرى أبان فيها بناء على النقوش فى الدير البحرى من زمن الدولة الثامنة عشرة أن المصريين الأول اشتهروا باسم الاعناء — ومعناه فى العربية اقوام من قبائل شتى ولم يذكر النص من اين جاءوا ولكن المدن التى أسسوها باسمهم هذا فى ما فوق طيبة من الجنوب الى ما بعد منف تدلنا على انهم استعمروا تلك الجهة فى بدايتهم ثم كثروا وانتشروا .

ويقول النص المشار اليه أن فريقا منهم هاجر الى جهة القيروان وتونس والجزائر وسمى نفسه أعناء — التحنو — وذهب فريق آخر الى أواسط أفريقية وسمى نفسه أعناء — الستو — ومضى فريق ثالث لعله بعض من

الفريق الثانى الى بلاد الصومال ثم اجتاز البحر الاحمر الى بلاد العرب وانتشر فيها وسار من هناك الى جنوب فلسطين وسمى نفسه — اعناء منتو — فهذا الانتشار يوضح لنا أن الأعناء سكنوا تلك الجهات الشاسعة والمناطق الواسعة وبعثوا فيها لغتهم فصارت لغة أصيلة للبلاد .

ثم استنبط اعناء وادى النيل طريقة الكتابة فكان لهم الفضل على غيرهم لكنهم حصروها فى ضفاف النيل ودونوا كتابتهم على الآثار بقلم الحفر البارز او المجوف . كما انهم رشــقوها على اوراق البردى والحجارة والأقمشة والخشب .

وهكذا نجد أن احمد كمال باشا اظهر لنا كما يقول السيد محمد رشد رضا . اظهر لنا من الاتحاد والالفة بين اللغة العربية واللغة المصرية القديمة ما لم يكن فى الحسبان ، وذلك منذ الف القاموس الذى اورد فيه ألوفا من الكلمات الهيروغليفية الموافقة للغة العربية المصرية فى الغالب اما موافقة تامة واما موافقة بضرب من التحريف او القلب والابدال المعهود مثله فى اللغتين ومن المعروف ان اللغة المصرية القديمة كانت فى مصر والعراق وسورية وقد ضاع اكثر لغتهم ولعلها لو دونت كاللغة المصرية لفسرت لنا من اللغة المصرية القديمة ما لم يفسر الى اليوم حتى فيما نراه يخالف منها المصرية بتحريف او قلب او ابدال .

ذلك أن احمد كمال باشا يرى ان اللغة العربية أصل للغـــة المصرية القديمة المدونة بالقلم الهيروغليفى ومن لوازم هذا ان اصحاب تلك المدنية كانوا من العرب ، ثم أنه رأى نصا يدل ظاهرة على أن العرب انفسهم او بعضهم من المصريين وذلك النص هو ما وجــد منقوشا فى الدير البحرى — مكان بجهة الاقصر — فى زمن الدولة الثامنة عشرة — كان ق . م — وهى ارقى دول مصر ، وفيه أن المصريين الأولين اشتهروا باسم — الاعناء — ولم يبين النص أصلهم ولا من اين جاءوا ولكنهم استعمروا الجهة الجنوبية من مصر وأسسوا المدن بأسمائهم ، وفيه أن بعضهم هاجر الى القيروان وتونس والجزائر ، وبعضهم الى أواسط أفريقيا والصومال وبعضهم قطع البحـــــر الاحمر الى بلاد العرب وانتشروا فيها وسار من هناك الى جنوب فلسطين واطلق على كل عنو من أولئك الأعناء المهاجرين اسم مركب تركيبا اضافيا فصار يقال اعناء كذا واعناء كذا ولفظ — اعناء — عربى معناه الاخلاط من الناس يكونون من قبائل شتى . والامر المتيقن عندنا الان هو أن لغتنــا العربية الشريفة هى لغـــة قدماء المصريين ومظهر مدنيتهم ونتيجة ذلك أن قدماء المصريين من العرب أو العرب منهم فهم أمة واحدة وكذلك السوريون والعراقيون .

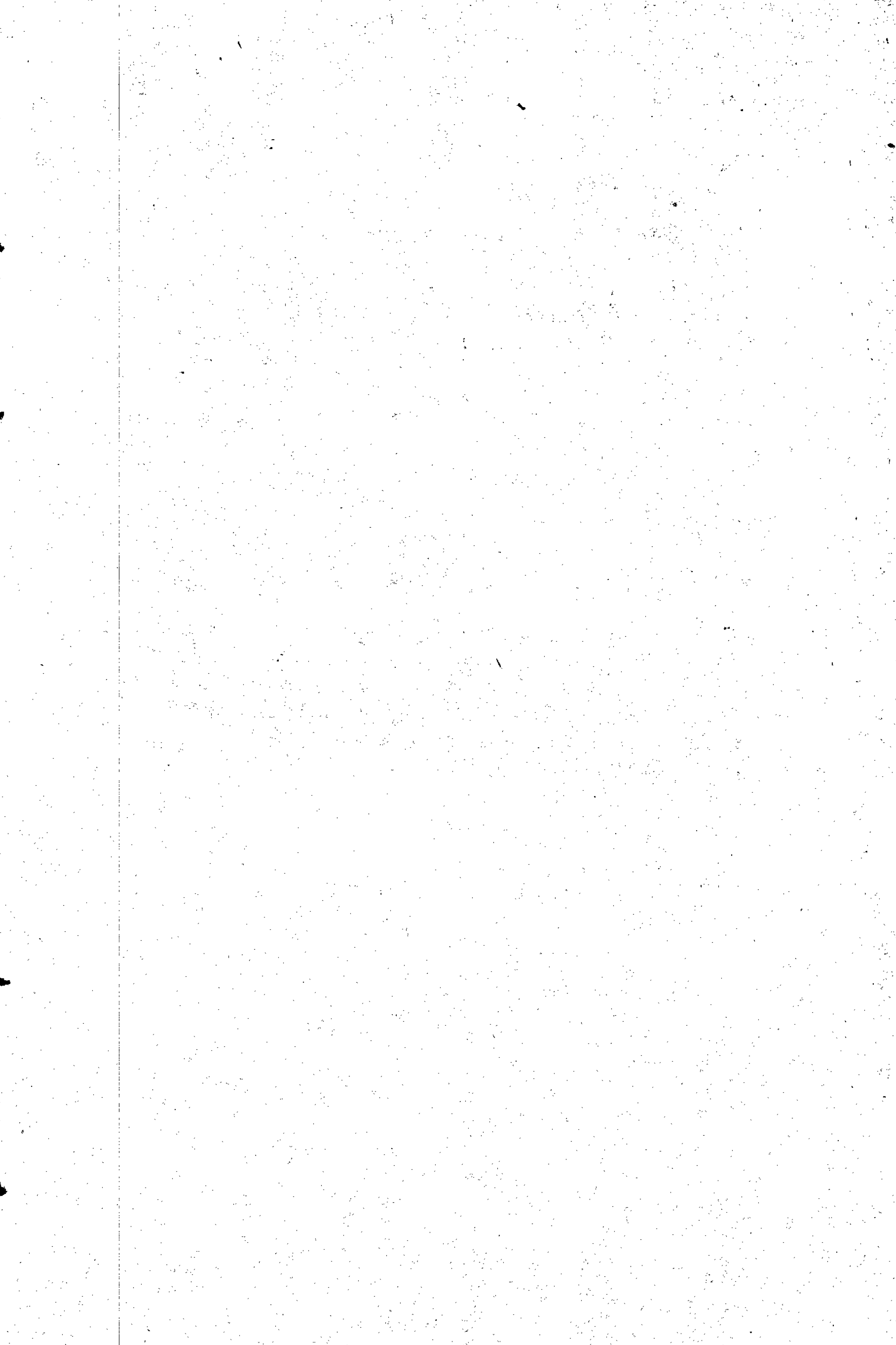
وتكملة لذلك فان أحمد كمال باشا وضع قاموسا فى اثنين وعشرين مجلدا ضخما قارن فيه بين اللغة الهيروغليفية واللغـــــة القبطية وعارض الكلمة باللغات الأخرى كالقبطية والحبشية والأرامية والعبرية ، وهو من أغرب المؤلفـــات فى وصفه اذ يكتب الكلمة ويبين اشتقاقها ثم ما عرف عنهــا من الآثار فيورده بنصه ليعلم منه تاريخها ثم يردف ذلك بالألفاظ العربية التى

تناسبها فهو كتاب لغة وتاريخ واثار وعلم واشتقاق وفلسفة لغة وضعه فى نحو ربع قرن ورتب كل حرف فى مجلد واحد واضعا أولا الرسوم الهيروغليفية ثم الحروف الصوتية منها ثم ما يقابلها فى العربية ثم كتابة الرسوم والحروف معا ثم ما يقابل الكلمة باللغة الفرنسية وهو عمل شاق .

ومع الاسف فان هذا القاموس لم يطبع وقد انتقل من أحمد كمال باشا الى نجله محرم كمال وكان من المعنيين بالاثار ثم انتقل بعد ذلك الى أحفاده وما يزال ثاويا لديهم ، وكان أحمد كمال باشا قد طلب الى الجامعة المصرية اذ ذاك أن تطبع قاموسه فاعترض الدكتور طه على هذا الامر . وقال فيما قال أن هذا الامر لا يرضى عنه المستشرقون وبذلك قبر هذا العمل وما زال مدفونا حتى اليوم والدكتور طه يعلم أن هذا القاموس يحطم نظرية من اخطر النظريات التى يدعو اليها الاستشراق والتغريب وهى دعوى أن هناك جنسا فرعونيا هو أساس شعب مصر وأن هذا الجنس مباين ومختلف ومعارض للجنس العربى ، وقد ناقش هذه المقارنة الباطلة وتوسع فيها توفيق الحكيم فى كتابه شمس الفكر منذ اكثر من ثلاثين عاما وما يزال يردد هـذه الآراء حتى الان .

ولقد كان لهذه الدعوات الباطلة الداعية الى رد العرب الى تاريخ ما قبل الاسلام جولة ودعاة ومدارس وقد سقطت جميعها لانها لم تجد — تراثا — تستطيع أن تستند اليه وكل ما عرف فى تاريخ ماقبل الاسلام من حكمة وموعظة أو ضوء فانما هو من تراث النبوة الابراهيمية الحنيفية التى سادت هذه الارض فى العراق والشام وفلسطين ومصر والتى تركت اثارها فى الديانتين اليهودية والمسيحية ثم جاء الاسلام ليصحح الرسالة ويضعها فى مكانها الحق منكرا للعنصرية واستعلاء القوميات داعيا الى التقاء الأمم والشعوب تحت لواء التعارف الجامع القائم على تبادل المنافع والسلام والاخاء البشرى .

* * *



(٥)

هذه الأمة الوسط

من هذا المنبر احيي أخي الأستاذ عبد السلام العمرى رئيس تحرير مجلة الخفجي فهو دائما يذكرنا فى افتتاحياته بالاصالة ويرد عن هذه الامة الوسطى عادية الدعايات الضارة والشبهات المثارة ولقد تذكرته وأنا اقرأ هذا النص الذى أورده (برترام توماس) فى كتابه (العرب) الذى القاه كمحاضرات فى معهد لويل بمدينة برستون حيث يقول :

ليس فى العالم أمة تفوق العرب فى الكرم المطبوع فانهم يعطون بالتدين ويعطون عطاء القلب المفعم باريحية العطاء لا يشحون ولا يحسبون حساب المثوبة المنظورة وانما يجودون عفو السليقة المطبوعة على هذه الخصال .

وقد هزنى الاعجاب عشرين مرة لا مرة واحدة أو مرات قليلة بما شهدت من الدلائل الصغيرة العارضة التى كشفت عما جبل عليه رفقائي البدو من السجايا الانسانية فقد كنت بعد ساعات العطش والركوب المضنى اخف ومعى واحد أو اثنان منهم الى عين ماء طال بنا ارتقابها لنسبق الى وردها فكان السابقون معى يرقبوننى وعلى وجههم أمارات الرضى والاغتباط اذ أنا مقبل على الماء اطفىء غلتى فى شوق ولهفة . بيد أن واحدا منهم لا يبيح لنفسه قطرة من الماء يبل بها شفتيه قبل أن يصل رفاقه المتخلفون ولعلهم لا يصلون الا بعد ساعة طويلة ليشربوا معا مجتمعين ولاحظت مرة أن احدهم قد ادخر كسرة خبز اعطيته اياها ليقاسمها رفيقه وندر جدا ان عبرنا بخيمة كائنة ما كانت من الضعة والشظف دون أن يعدو الينا صاحبها ملحا علينا فى مقاسمته قعب اللبن والتمرات التى عنده وربما كان فى أشد الحاجة اليها وانك لغريب ما رآك من قبل ولن يراك بعد ارتحالك ولكنه على هذا يؤثرك على نفسه ويعطيك ما هو فى أمس الحاجة اليه » .

ولا ريب أن هذه الأصالة العربية التى أشار اليها برترام توماس عن مشاهدة وتجربة قد عرفها كثير من الرحالة الأجانب الذين جاسوا خلال الديار ، وهى معين لا ينضب من ذلك الكرم الاصيل الذى يملأ النفس العربية البدوية منذ قرون طويلة ، والذى يعود حتى الى ما قبل الاسلام ، يعود الى عطاء الحنيفية الابراهيمية التى أقامها ابراهيم عليه السلام من بعده فى الجزيرة العربية وحملته كل الموجات المتوالية التى هاجرت من الجزيرة وانطلقت الى الآفاق حتى بلغت ما بين النهرين شرقا وافريقيا متجاوزة مصر وليبيا . . فلما جاء الاسلام كانت هـذه الأرض كلها قد نبتت فيهـا غراس الأصالة الحنيفية الابراهيمية التى وصلت الى المحمدية .

ولعل (م. فتنجو) مؤلف كتاب المعجزة العربية قد أشار الى هـذا المعنى حين قال « انبعثت حركة فى أواخر القرن الهجرى الاول : حركة فكرية واسعة اذكت جامعات الشرق ولم تستفد من هذه الحركة لا السريانية ولا الفارسية ولا اليونانية وانما استفادت منها لغة شعب عاش لحد ذاك خارج حدود العالم المتمدن ولم يكن فى الظاهر ما يحدوه الى الاضطلاع بالدور الخطير الذى قام به مع ذلك فى تاريخ الحضارة وهذا الشعب هو الشعب العربى » .

لقد قدمت هذه الامة الوسط الاصالة الى العالم كله فى ذلك الوقت بعد ما حملت به قرونا طويلة وما زالت تحمـل فى أعماقها هـذا الروح وهذا الايمان .

يقول مفيد الشوباشى : بينما كانت آداب الأمم القديمة ذات الحضارات تشهر أغلب موضوعاتها من الاساطير والمعتقدات انتشر فى الجزيرة العربية لأول مرة فى التاريخ شعر مختلف الطراز يحرص ناظموه على الصدق فى التعبير عن مشاعرهم ، وتصوير المشاهد التى تحيط بهم والاحداث التى تقع لهم شعر يفسر حياة الناس واهتماماتهم تفسيرا واقعيا صادقا دون أن يلجأ الى ما ساقته اليه القصة الهندية والفارسية والمصرية القديمة أو ملاحم الاغريق ومسرحياتهم الى المبالغة غير المقبولة ، والى التفسير الاسطورى الوثنى غير المعقول . والباحث فى شعر الجاهلية يستخرج منه عادات العرب وآدابهم وأخلاقهم وطبائعهم وسائر أحوالهم ، ولذلك قال ابن خلدون : الشـعر ديوان علوم العرب وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم وأصل يرجعون اليه فى الكثير من علومهم وحكمهم ويزيد على ذلك أنه مستودع عاداتهم وأخلاقهم وأدواتهم وصناعتهم وقد صدق فى ذلك ، بينما شعر الاغريق الملحمى يصور عالما وهميا لا تكاد تقوم صلة بينه وبين الحياة الحقيقية للمجتمع الاغريقى » .

وهكذا نجد أن هذه الامة الوسطى التى اختارها الحق تبارك وتعالى لحمل رسالته كانت غـير مغرقة فى الأوهام والأساطير ، وكانت الديانات السماوية التى نزلت عليها منذ فجر الرسالة الربانية قد هذبتها وصهرتها وأعدتها لتحمل الرسالة الخاتمة ولتكون قائدة رسالة الحق وكلمة التوحيد الى البشرية كلها .

ولذلك فقد اعطت البشرية كلها دين التوحيد وحملته الى كل أرض ، وحملت الى أوربا الصناعات والفنون بل حملت الكثير ، حملت العلوم والبذور الى أوربا مع مفاهيم الأدب الرفيع الأخلاقى الطابع : الواقعى الأداء .

يقول مفيـد الشوباشى : لم يعرف غرب أوربا من فنون الأدب قبل احتكاكه بالعرب غير القصة الخرافية والملامح الاسطورية ولم تتغير تلك الحال الا عندما خطفت الحضارة العربية الاندلسية أنظار أمراء الجنـوب الفرنسى وخلبت ألبابهم وأشعرتهم بتأخرهم فراحوا يأخذون بأسباب الرقى الحضارى ويحيطون أنفسهم بمظاهره ويحاولون احتذاء العرب فى كل حركة وسكنة وفى كل مظهر ومخبر فاحدث ذلك تحويرا فى ادراكهم العقـلى والحسى » .

وهكذا نجد أن تلك القيم الاصيلة التى ارسى دعائمها الأنبياء ابراهيم واسماعيل وجددها محمد صلوات الله عليهم جميعا هى التى صنعت هذا الوجود الذى أعطى للبشرية وما زال يعطى ولن تستطيع محاولات التغريب تجريدها من تلك القيم أو هدم هذه الأخلاقية الاسلامية الربانية وما تزال هذه الامة مؤهلة لتحمل رسالة الحق الى أطراف الارض مرة أخرى .

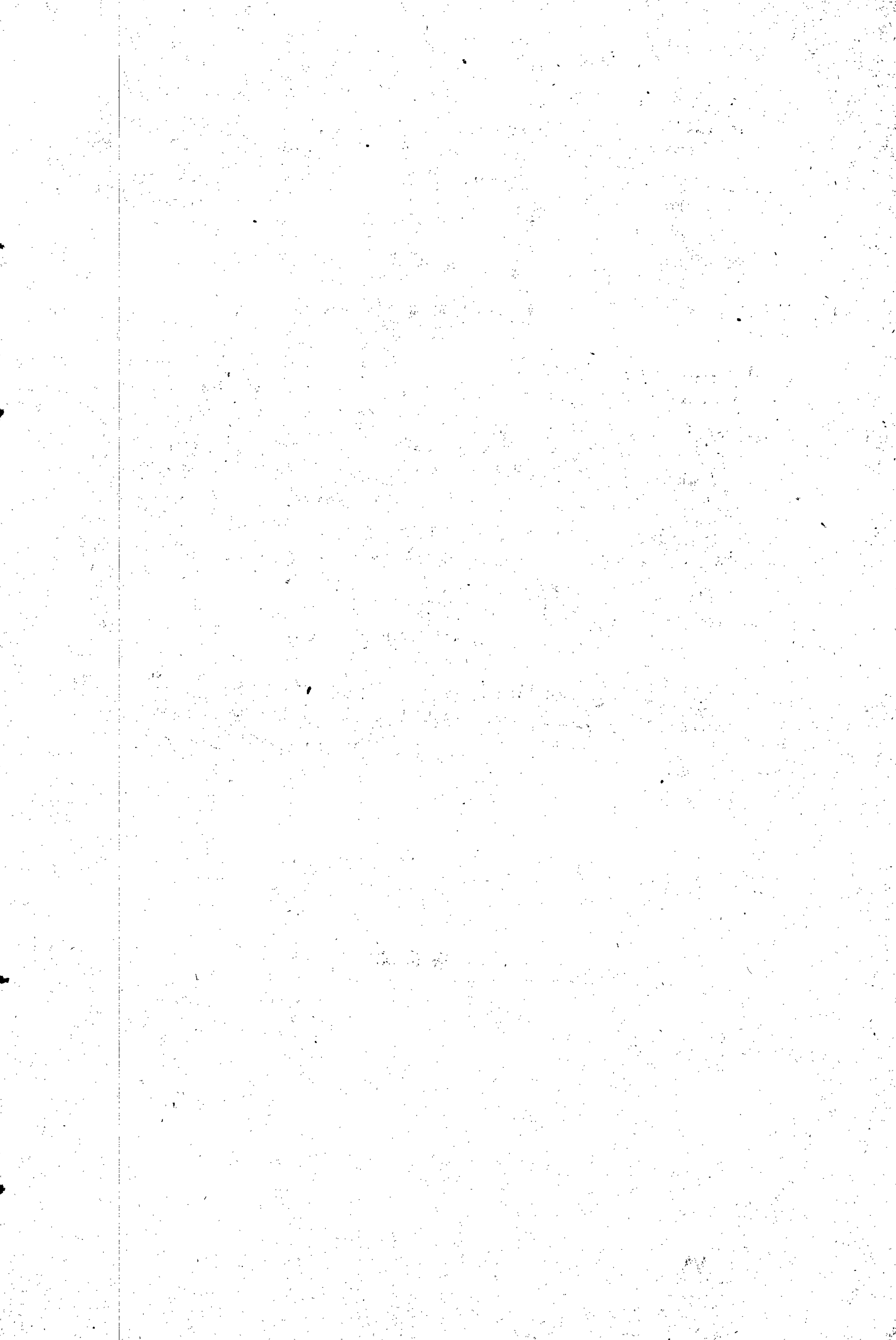
* * *

مرض التطلعات العصرية

سجلت الدكتورة امرين هيكمان أستاذة علم النفس بجامعة كاليفورنيا ملاحظاتها الطبية أثناء قيامها بعلاج قرابة ثمانية آلاف من المرضى بالاضطراب النفسى ، ودونت تشخيصها لأسباب اصابة بعضهم بأمراض بدنية كقرح المعدة وارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب والحساسية والاضطرابات المعوية وغيرها ، وقالت فى تقريرها أن مصدر ذلك هو « المبالغة فى التطلعات » والاسراف فى الطموح الى متطلبات الحياة العصرية وانصراف النفس الى أهواء اقتناء الفـــاخر من السيارات والزوارق والأدوات المنزلية وأجهزة الترفيه وأحدث الأزياء والطموح الى تقليد الآخرين ممن هم على مستوى اقتصادى أرفع وقالت ان هؤلاء الطموحين يستهلكون صحتهم ويرهقون أعصابهم وقررت أن ٩٠٪ من الأمراض النفسية الشائعة فى العصر الحديث مصدرها الهموم الناشئة عن انشغال البال بجمع الكماليات .

ولا ريب أننا نحن المسلمين نجرى الآن فى هذا الطريق الخطر ، ولدينا محاذير كثيرة فى القرآن وفى سنة نبينا عليه الصلاة والسلام ازاء هذا التحدى النفسى والصحى الخطير ..

* * *



الباب الرابع

التاريخ

١ — سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم .

٢ — عدالة الفتح الاسلامى .

٣ — الفردوس الاسلامى المفقود .

٤ — ابن خلدون وابن الأزرق .

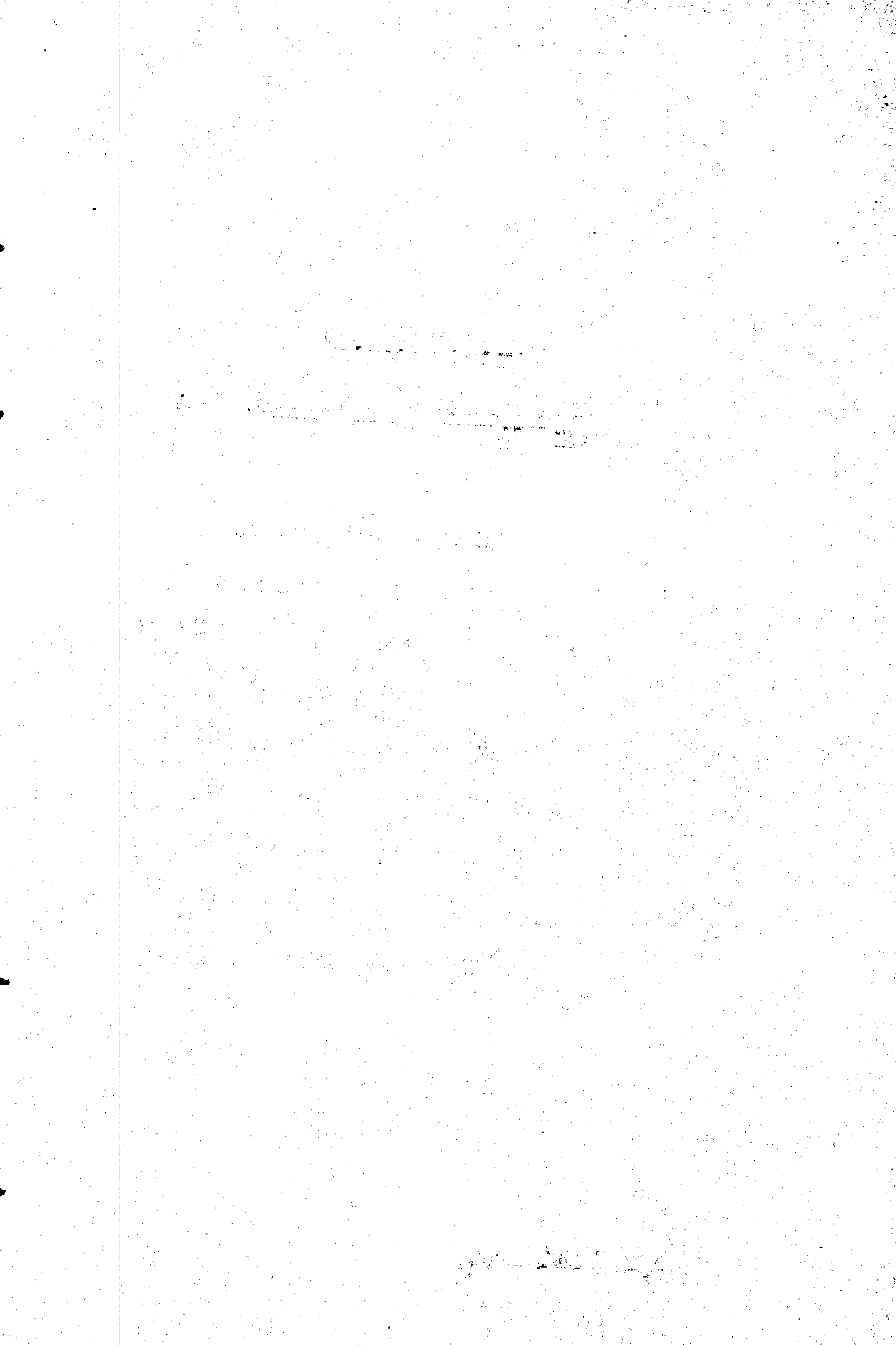
٥ — ظهور الاسلام علامة بدء العصر الحديث .

٦ — يقظة العالم الاسلامى انبعثت من أعماقه .

٧ — عندما عرف الغرب حقيقة صلاح الدين .

٨ — مخطوطات كهف قمران .

٩ — حول علاقة شارلمان وهارون الرشيد .



(١)

سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم

فى كل يوم يكشف العلم فى الآفاق جديدا يضىء به الطريق الى الله . وفى كل يوم تكشف الحفريات جديدا من باطن الأرض ينير الطريق الى الله ويؤكد حقائق القرآن ، ويكشف عن اعجازه التاريخى والعلمى والبيانى جميعا .

ومع السنوات تطرح الحفريات الاثرية حقائق كثيرة ، لقد ارادوها فى سبيل تأييد مفاهيم التوراة المحرفة ومنطلق الدعوة التلمودية الزائفة ، ولكن الحق الذى قامت عليه السموات والأرض أبى الا أن يكسف أحلامهم ويكشف فساد أهوائهم ويزلزل ما بيتوه ورسموه من اكاذيب وسموم . وجاءت الحفريات كلها تصدق القرآن وتكشف زيف ما كتبوه فى بابل . وفى اكثر من موقع فى جزيرة العرب وامتدادها الى الشام ومصر ، جاءت هذه الأحداث الكبرى ، عاد وثمود وقوم لوط وما تزال آثارها باقية عبرة للأجيال المتوالية وتصديقا للقرآن وهى تحت أقدام العرب خلال رحلاتهم : رحلتى الصيف والشتاء الى الشام والى اليمن .

ولذلك كانت عبارة القرآن دقيقة وواعية حين قال (تمشون فى مساكنهم) فى السنوات الأخيرة تكشفت حفريات عن كهف الرقيم الذى سجل القرآن الكريم قصته وكانت وجهة البحث فى العصر الماضى قائمة على انكار الآيات والتشكيك فيها ثم جاءت ابحاث العلماء فى قلب الأرض تستخرج الحقائق .

يقول الاستاذ عباس محمود العقاد : لقد أنكروا قصة عاد وثمود وظنوا أن هذه القبائل لم يكن لها وجود تاريخى لأنها لم تذكر فى أخبار العهد القديم فتبين أنها مذكورة فى تاريخ بطليموس وأن عاد ارم هى (عاد راميت) اليونانية وان أخبارها محفورة على آثار هيكل مدين التى عثر عليها المؤرخ التشيكى موزيل ، ويقول الاستاذ عبد الحميد السحار : لقد حدد بطليموس فى اطلسه موقع عاد وثمود وكشفت الحفريات عن مدائن صالح وعثر على بعض الخطوط الثمودية فى ثمود وفى الطائف كذلك فان الدكتور اولبرايط استطاع أن يكتشف موقع قريتى سدوم وعموره وثلاث مدن أخرى وهى التى كان يقيم بها قوم لوط ودمرها عليهم الله تبارك وتعالى وقد اختلف المؤرخون حول قصة سدوم وعموره وحول موقعها حتى جاء الدكتور اولبرايط فاكتشف هذه المنطقة المجاورة للبحر الميت وقد مر عليها أربعة آلاف سنة وتثبت الحفريات التى أجراها علماء الاثار ان تلك القصة حقيقة بكل تفاصيلها فقد قام الدكتور أولبرايط بمباحث واسعة النطاق فى وادى الاردن وعلى

سواحل البحر الميت وهما المكانان اللذان يظن أن سدوم وعمورة والمدن الثلاث الاخرى كانت فيها ، وانتهى البحث الى ان الحادثة ليست خرافة ولا رمزية بل هى تاريخية بكل تفاصيلها وخلاصة القصة هى أن حوالى القرن التاسع عشر قبل الميلاد انحدر ابراهيم الخليل من بلاد النهرين الى فلسطين ومعه أهل بيته وابن أخيه لوط وأهل لوط وقد اختار لوط دائرة الاردن : الى الوادى الذى كانت فيه سدوم وعموره وأقام بسدوم ، واختـــــار ابراهيم المرتفعات التى فى الشمال وضرب خيامه فى موقع يقال له (بلوطات ممرا) .

ويقول الدكتور اولبرايط أن احداثا كثيرة وقعت فأزالت مدن طروادة وبابل وبعلبك وكرطاجة وبطرا وبومباى وتدمر وغيرها ، ولكن هذه الاحداث لم تمح أى اثر من هذه الآثار محوا تاما بل لا يزال لكل منها آثار تدل عليها وعلى ما كان لها من المجد والعظمة . ونقول هــــذه هى حكمة الله البالغة (ولقد تركناها آية فهل من مدكر) وان سنن الله فى الامم والحضارات الذى كشفه القرآن الكريم يصور كيف أن ما من أمة بغت أو أفسدت أو خرجت عن أمر الله وحدوده ، الا وقد دمرت ثم تركت منها بقاياها لتكون عبرة للأجيال التالية .

ويقول الدكتور اولبرايط : ولم يبق لها اثر قط مما جعل المؤرخين يعتقدون انها خرافة ، وقد اكتشف الدكتور أولبرايط آثارا يمكن أن يستدل منها على صحة القصة فقد وجد هناك اثار حصن قديم يعلو نحو خمسمائة قدم على سطح البحر الميت .

يقول : من المحتمـــل أن يكون البحر الميت قد طما على الخمس المدن التى كانت فى دائرة علماء الجيولوجيا يؤكدون أن هذا البحر يغمر اليوم بلادا كانت آهلة بالسكان والمـــدن الخمسة هى : سدوم وعمورة وأدمة وبلع وصبويئم وقد اشتهر أهـــل ســـدوم والقرى الأخرى بشرورهم وانغماسهم فى شهواتهم البهيمية ولا سيما المحرمة منها وأن أهل سدوم عندما علموا بوصول الرجال الثلاثة الى منزل لوط ابن أخى ابراهيم أرادوا أن يرتكبوا معهم موبقا ولكن لوط دافع عنهم فأبى أهل ســـدوم الا أن يرتكبوا الجرم والبغضاء ، ولكن الضيوف تمكنوا من الفـــرار وأقنعوا لوطا وأهل بيتـــــه بالفرار معهم .

وأمطرت سماء سدوم وعمورة كبريتا ونارا من السماء ويقول الدكتور أولبرايط أن الغازات الكثيرة تصاعدت من الآبار التى التهبت اما بسبب زلزلة أو بسقوط صاعقة من الجو ، وان كلا السببين يكفى لاشتعال الآبار وجعلها اتونا يلتهم ما حوله من نبات وحيوان وانسان . وان مثل هذا الحادث غير مناقض للنواميس الطبيعية بل ان له فى التاريخ نظائر كثيرة .

يشير الدكتور أولبرايط الى هذه المنطقة فيقول :

اذا وضعت الخارطة امامك ورسمت خطا من بحر الجليل مارا بوادى الأردن فالبحر الميت فالبحر الاحمر فبلاد الحبشة كان ذلك ما يسميه علماء

الجيولوجيا ـ منخفض ارتيريا ـ اذ يقولون ان الكرة الأرضية انخفضت فى زمن من الازمان على مدى الخط المذكور فأصبح بحر الجليل يعلو ٦٥٣ قدما على سطح البحر المتوسط حالة ان البحر الميت اصبح تحت مستوى البحر المتوسط بزهاء ١٣١٦ قدما وهذا دليل ان المدن الخمس التى كانت هناك غمرها البحر الميت وانخفض معها الى اسفل وقد احترقت بالغاز واختنق أهلها بالغازات المنبعثة عن ذلك .

وهذا الحادث الذى كشفته الابحاث الجيولوجية والاثرية هو واحد من احداث كثيرة أنكرها خصوم الاسلام والوحى فجاءت الوقائع العلمية لتؤكد وجودها :

أولا : انكروا قصة الطوفان والسفينة فوجد العلماء الحفريون هذه القصة مكتوبة على حجارة قديمة من آثار وادى النهرين ووجدوها منقولة متواترة على الالسنة والاثار بين اقوام كثيرين فى أمم الشرق والغرب .

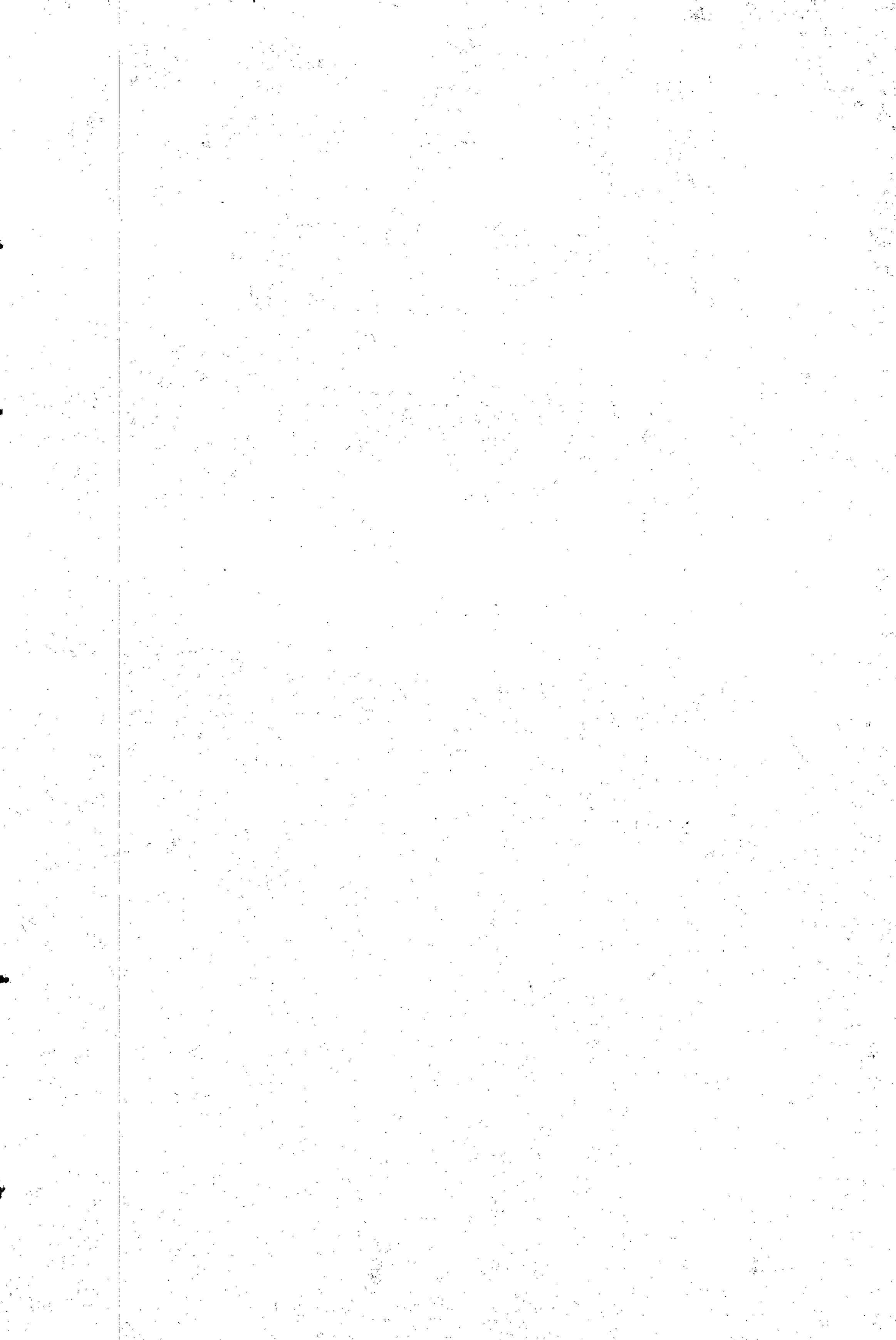
ثانيا : انكروا قصة السيل العرم وقصة أبرهة الحبشى وهلاك جيشه فوجدوا اثار السد ووجدوا عليها اسم ابراهيم ووجدوا خبر (الجدرى) الذى ابتدأ بعام الفيل .

ثالثا : انكروا قصة عاد وثمود وظنوا ان هذه القبائل لم يكن لها وجود ثم تبين وجودها .

رابعا : انكروا قصة سدوم وعمورة فجاء الكشف الاثرى ليؤكد صحتها ويصادق البحث ما أورده القرآن الكريم « **ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها** » .

وبعد فنحن فى اطار الاسلام وتحت ضوئه ننظر الى كل هذه المعطيات التى تقدمها العلوم التجريبية أو الكشوف الاثرية على أنها اضواء كاشفة تثبت قلوب المؤمنين وتؤكد لهم الحقيقة الكبرى والأساسية والواحدة : وهى وجود الله تبارك وتعالى وصدق وحيه .

* * *



(٢)

عدالة الفتح الإسلامى

من اعظم الصيحات المدوية التى ايقظت الفكر الغربى وحولت تياره نحو الاعتراف بفضل الحضـــارة الاسلامية بعـــد فترة طويلة من العقوق : هو ما كتبه توماس كارليل فى كتابه الأبطال عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فى باب ((البطولة فى صورة النبوة)) .. ثم جاء كتاب حضارة العرب لجوستاف لوبون فانصف المسلمين والاسلام وان كان فى صميم رايه فى الدين ليس على ما يحب المسلمون بل انه نفسه لم يكن مؤمنا بالمسيحية ، وتلك خلة نجدها فى كثير من الباحثين الغربيين وفى المستشرقين ، ولعل مما يؤخذ على جوستاف لوبون نسبته هـــذه الحضـــارة الى العـــرب وتسميتها باسمهم مع انها حضارة اسلامية ويرجع هذا الى غلبة فكرة العنصرية التى طافت ريحها باوربا ثم تأثر بها الشرق من بعد .

● يقول جوستاف لوبون : للاسلام وحدة الفخـــار بأنه أول دين قال بالتوحيد المحض الخالص وبأنه أول دين نشر اتباعه ذلك التوحيد فى انحاء العالم فالاله الواحد المطلق الذى دعا اليه الاسلام منزه عن شريك له مهيمن على كل شيء ، وتشتق سهولة الاسلام من التوحيد المحض ، وفى التوحيد سر قوة الاسلام . والاسلام ادراكه سهل ، خال مما نراه فى الأديان الأخرى وياباه الذوق السليم من المتناقضات والغوامض ولا شيء اكثر وضوحا واقل غموضا من اصل الاسلام فانك اذا اجتمعت بأى مسلم من اى طبقة رايته يسرد لك أصول الاســـلام فى بضع كلمات وهو بذلك على عكس غيره ممن لا يستطيع الحديث عن الدين من غير أن يكون من علماء اللاهوت والجدل .

وقد ساعد وضوح الاسلام ما امر به من العدل والاحسان على انتشاره فى انحاء العالم وبذلك تفسر سر انتحال كثير من الشعوب للاسلام ومن الذين كانوا تابعين لحكم القياصرة فأصبحوا مسلمين حين عرفوا اصول الاسلام كما نفسر به السبب فى عدم تحول اية امة بعد ان رضيت الاسلام دينا .

يقول جوستاف لوبون فى موقف الاسلام من الأديان الأخرى :

والاسلام من اكثر الديانات ملاءمة لمناخ العالم واكتشافاته ومن أعظمها تهذيبا للنفوس ودعوة الى العدل والاحسان والتسامح .

والبوذية وان قامت جميع الاديان الشرقية على فلسفة تراها مضطرة الى التحول حين تبدو للجموع وهى لا شك دون الاسلام تأثيرا فيها ، وتأثير دين محمد فى النفوس اعظم من تأثير اى دين آخر ، ولقد دخلت دولة العرب في التاريخ ولكن الدين الذى كان سببا فى قيامها لايزال ينتشر والسهولة التى انتشرت بها شريعة الاسلام فى العالم شاملة للنظر والمسلم حيث يمر يترك دينه وخلقه ، وقد بلغ عدد أتباع النبى الملايين الكثيرة فى البلاد التى دخلها تجار العرب بقصد التجارة لا بقصد الفتح ، كبعض أجزاء الصين وافريقيا وآسيا الوسطى وروسيا وقد اعتنقت هذه الملايين الاسلام طوعا لا كرها ولم نسمع انه ارسل جيش مع أولئك التجار المبشرين لمساعدتهم وفى الهند لم يوفق مبشرو البروتستانت على الرغم من مظاهرة حكومتها لهم وفى الصين حيث اعترف المبشرون بفشلهم يكتب للاسلام أتم الفوز ومع ما أصاب حضارة العرب ، لم يمس الزمن دين محمد الذى له الآن من النفوذ ماكان له فى الماضي ولا يزال ذا سلطان كبير على النفوس وهو فى ذلك خلاف الاديان الأخرى التى تخسر كل يوم شيئا من قوتها .

● وتحدث جوستاف لوبون عن عدل الفتح الاسلامى فقال ان العرب وهم أعقل من الكثيرين من اقطاب السياسة فى الزمن الحديث ، كانوا يعلمون جيدا ان النظم الواحدة لاتلائم شعوب الارض قاطبة ، وكان من سياستهم ان يتركوا الامم حرة فى المحافظة على قوانينها وعاداتها ومعتقداتها كان يمكن أن يعمى فتوح العرب الأول ابصارهم فيقترفوا من المظالم مالم يقترفه الفاتحون عادة وليسيئوا معاملة المغلوبين ويكرهوهم على اعتناق دينهم ونشره فى انحاء العالم ولكن الخلفاء السابقين الذين كان عندهم من العبقرية ما ندر وجوده فى دعاة الديانات الأخرى أدركوا أن النظم والأديان ليست مما يفرض قسرا فعاملوا الكثير من الشعوب وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة فى مقابل حمايتهم لهم وحفظ الامن بينهم ، الحق ان الامم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ، ورحمة العرب الفاتحين وتسامحهم كانا من اسباب اتساع فتوحهم واعتناق كثير من الامم لدينهم ونظمهم ولغتهم التى رسخت وقاومت جميع الغارات وبقيت قائمة . وأشار جوستاف لوبون الى معاملة عبيدة بن الجراح لأهل حمص فقد رد عليهم ما جباه منهم باسم الجزية عندما بلغته حشود الروم فى اليرموك قائلا : « سكتنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على امركم » .

وغادر مدينتهم منسحبا بجيشه ، مما دعا اهل حمص للقول :

لولايتكم وعدلكم احب الينا مما كنا فيه من الظلم والضيم ولندفع جند هرقل عن المدينة مع عاملكم .

وقارن جوستاف لوبون بين تصرف المسلمين هذا فى عدلهم ورحمتهم وسماحتهم وبين تصرف بريطانيا واستعمارها .

قال ان اللورد ملبورن رئيس وزراء بريطانيا فى عهد الملكة فكتوريا القريب من عصرنا هذا سنة ١٨٤٠ ـ لقد خاض هذا الرئيس السياسى مع

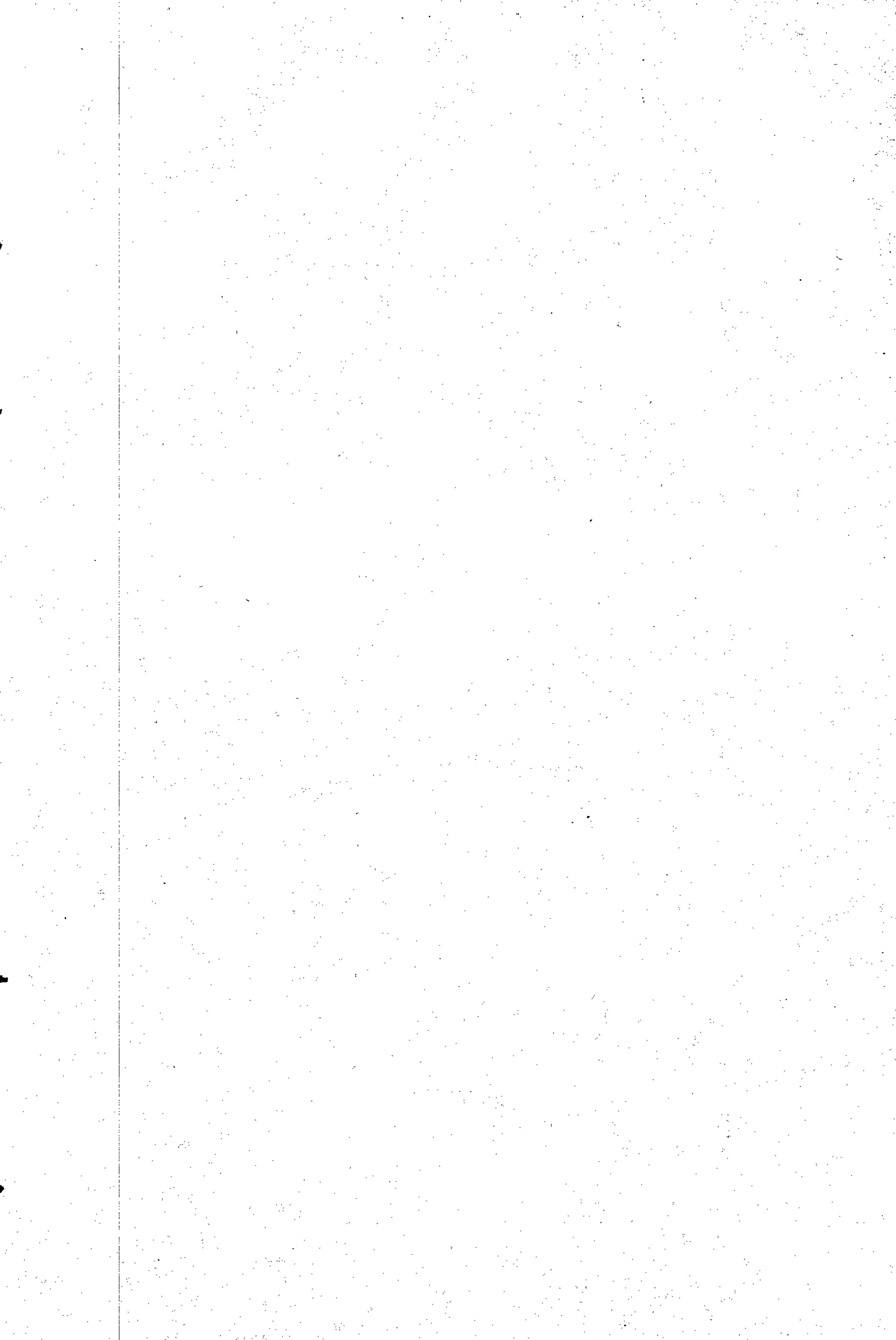
الصين « حرب الأفيون » المشهورة فأدار عليهم المدافع من سفنه الحربية ومن النقاط التى ارتكز عليها فى السواحل فصبت عليهم شواظا من النيران بلا رحمة ولا هوادة فأحرقت المدن والمنازل والسكان بما فيها من الشيوخ والنساء والاطفال حتى اكرههم على قبول هذه التجارة المحرمة فى بلادهم ليربح كل سنة من هذا السم القاتل ومن تلك الضحايا البريئة ١٥٠ مليونا من الجنيهات وقد بلغ ضحايا المدخنين لهذا السم كل سنة اكثر من نصف مليون شخص — (أى ٦٠٠ الف ضحية) .

وقال جوستاف لوبون : الحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ، ان الاسلام هو الذى اعطى المسلمين هذه الرحمة ، وهذا التسامح ونحن رأينا صورا مختلفة مثل حرب الأفيون وأقسى منها حروب الاستعمار الحديث واشد منها ظلم الصهيونية وقسوتها وحبها للدماء والعدوان والابادة .

موسى بن ميمون كتب مؤلفاته بالعربية وزيفها اليهود

حاولت الصهيونية ان تجعل لها تراثا فى الفكر اليهودى القديم الذى كتب بالعربية فأخذت كتب موسى بن ميمون التى الفها باللغة العربية فنقلتها الى اللغة العبرية وهذا من خداع اليهود والادعاء بأن لهم تراثا قديما بلغتهم التى قامت منذ الفى عام .. وقد كشف زيف هذه المحاولة الدكتور عثمان أمين فى مؤتمر العلوم الانسانية الذى عقد فى جامعة هارفارد واشتركت فيه خمس واربعون دولة .. وكان كشفه لذلك بمثابة قنبلة رجت اركان المؤتمر ، حيث قدم لهم كتاب موسى بن ميمون : (دلالة الحائرين) وطالبهم بأن يتقدم أحدهم لقراءته فلم يستطع أحد ، ذلك أن كتاب « دلالة الحائرين » كتبه موسى بن ميمون اصلا باللغة العربية وبالحروف العربية غير انهم بعد مرور وقت طويل من كتابته قام اليهود بمحاولة لتغيير شكل الكتاب حتى يظهروا للعالم أنه مكتوب باللغة العبرية أصلا ولم تخرج المحاولة عن استبدال الحروف العربية بحروف عبرية فبقيت مادة الكتاب باللغة العربية فى جوهرها وان كانت حروف هذه المادة بالعبرية وقد كشف الدكتور عثمان أمين هذا السر عندما أعجزهم عن فهم ما يقرءون له لأن نطقه بالعبرية ومعناه بالعربية وكان ذلك دحضا لما حاولوا أن يثبتوه من أن لهم دورا فى الفلسفة والعلم والحضارة .

***



وانشق القمــــر

كشفت رحلات الفضاء عن تصديق للحقيقة بانشقاق القمر ، ووجد الدليل الذى يثبت المعجزة التى اتى بها النبى محمد قبل ١٣٩٣ ســنة كما يذكر الكاتب الانجليزى (دنيس جونسون) واشار الى الشرخ الموجود على القمر والذى يبلغ الميل عرضا والذى يسميه العلماء (افريز هارلى) فان القمر قد انشق فعلا فى الساعة السابعة من مساء ذات يوم فى مكة الى نصفين . وان هذا الشرخ الذى يبلغ الميل عرضا هو جزء من الخط الذى حدث عند انشقاق القمر .

واشار الباحث الى ان فى القرآن اشارات متعددة للقمر الذى كان رمزا للقوة لدى العرب والآية الكريمة تقول فى القرآن « اقتربت الساعة وانشق القمر » ذلك ان هذه المعجزة جاءت فى ذروة مطالبة اهل الجزيرة العربية محمدا (صلى الله عليه وسلم) أن يثبت نبوته كما فعــل الأنبياء من قبل أن يشطر محمد القمر حيث يكون بدرا الى شطرين ليثبت انه حقا نبى الله .

وكان القمر يعتبر فى ذلك الحين كبير آلهة العرب الوثنيين ولما سمع محمد طلب ما كان يريده أهل مكة توجه الى ربه وقد حقق الله لنبيه هذه الدعوة فانشق القمر الى شطرين ابتعد احدهما عن الآخر مسافة ثم عادا فالتحما هــذا ما أوردته صحيفة الجارديان التى نشرت بحث الكاتب الغربى وهو لا يتعارض مع الرواية الاسلامية ، كذلك كشفت ابحاث العلماء عن الأرضين السبع فقد استطاعت الأبحاث العلمية العصرية أن تقدم عددا من الحقائق عن جوف الأرض :

تقول ان الحدود الخارجية لنواة الأرض تقع على بعد ٢٩٠٠ كيلو متر من سطح الارض وان طــــول قطر الارض ٢٩٠٠ + ٢٩٠٠ + ٧٠٠٠ = ١٢٨٠٠ كيلو متر وان الابحاث تدل على ان هناك سبع اراضى .

١ ــ غلاف غازى .

٢ ــ غلاف مائى .

٣ ــ قشرةالارض .

وتتكون :

من المانييل الأعلى والمانييل الأوسط والمانييل الأسفل وباطى الارض وقد اثبتت الابحاث ان الارض تتكون من ثلاثة اغلفة رئيسية ابتــداء من سطحها حتى المركز وان درجات الحرارة عالية جدا فى باطن الارض تصل الى عدة آلاف درجة مئوية فى الجزء الاسفل من المانييل وفى النواة وان النواة تنقسم الى قسمين :

النواة الخارجية والنواة الداخلية وتحيط الأولى بالثانية .. وللنواة الخارجية خواص المواد السائلة فهى ليست صلبة وان الموجات الزلزالية الطويلة تخترق النواة الخارجية التى لها خاصية السيولة بينما لا تستطيع الموجات العرضية اختراق هذا الجزء من باطن الارض .

ويوجد فى باطن الارض معادن كثيرة ومواد تتحول الى معادن .

ونواة الارض تتكون من مركبات الحديد .

ويبلغ وزن النواة ثلث وزن الأرض .

وقالت الابحاث ان عمر الارض لا يتجاوز بأى حال من الاحوال خمسة مليارات من السنين .

هذا ما اورده الدكتور ليوبيينج وهو يكشف عن حقيقة اوردها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا من أن الأرضين سبعة وصدق الله العظيم .

حقائق عن الحضارة الاسلامية

هناك جملة حقائق عن اثر الحضارة الاسلامية فى التقدم المعــــاصر لايمكن تجاهلها :

اولا : يرجع الفضل الاكبر فى نجاح فاسكودى جاما ورحلاته الاستكشافية فيه الى ما افادم من المراجع الجغرافية العربية التى ترجمت فى اسبانيا ومن مدرسة الخرائط التى قامت فى جزيرة ميورقة معتمدة على جهود العــرب السابقة وفوق هذا كله فقد كان دليله الذى قاده من شرق افريقيا واوصلة آمنا الى الهند هو الملاح العربى المشهور : احمد بن ماجد .

ثانيا : تفوق الغزالى على ديكارت فى نقطتين :

اولاهما : انه حدد العلم اليقينى قبل ان يتقدم فى اختباراته وابحاثه حتى يكون التحديد ميزانا يزن به العلم اليقينى من غيره .

ثانيهما : هى أن تعريف ديكارت للعلم اليقينى فى ضعف ، بل مما يدعو الى الشك اذ جعل معيار صدق المعرفة وضوحها ونسي أن الوضوح أمر نسبى .

ثالثهما : عظمة الدور الذى قدمته الحضارة الاسلامية فى الاندلس والذى نقله الغربيون حتى يصفه أحد الكتاب الغربيين : لا تدرك عظمة المسلمين العلمية حتى تدرك الروح التى كافحوا بها فى سبيل العلم وقد عدت المعارك التى خاضها العرب ضد الفرنجة فى الاندلس وحدها ٣٧٠٠ معركة وان أمة تكون أيديها مغلولة بثلاثة آلاف وسبعمائة معركة ثم لا تنسى رسالة العلم المقدسة بل تبلغ بالعلم ذروة الرقى والتقدم : لامة عظيمة حقا .

رابعا : أعلن الدكتور الطبيب موريس بوكاى بعد دراسات طويلة قام بها لكل من التوراة والانجيل والقرآن تبين له بما لا يقبل جدلا ولا نقاشا : ان القرآن هو الكتاب المنزل من السماء وان آياته الكونية لا تصـادم اى حقيقة علمية وأن صدقه فى هذه النظريات يؤكد أنه وحى من ((الله)) أنزله على خاتم الرسل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

خامسا : عظمة التراث الاسلامى :

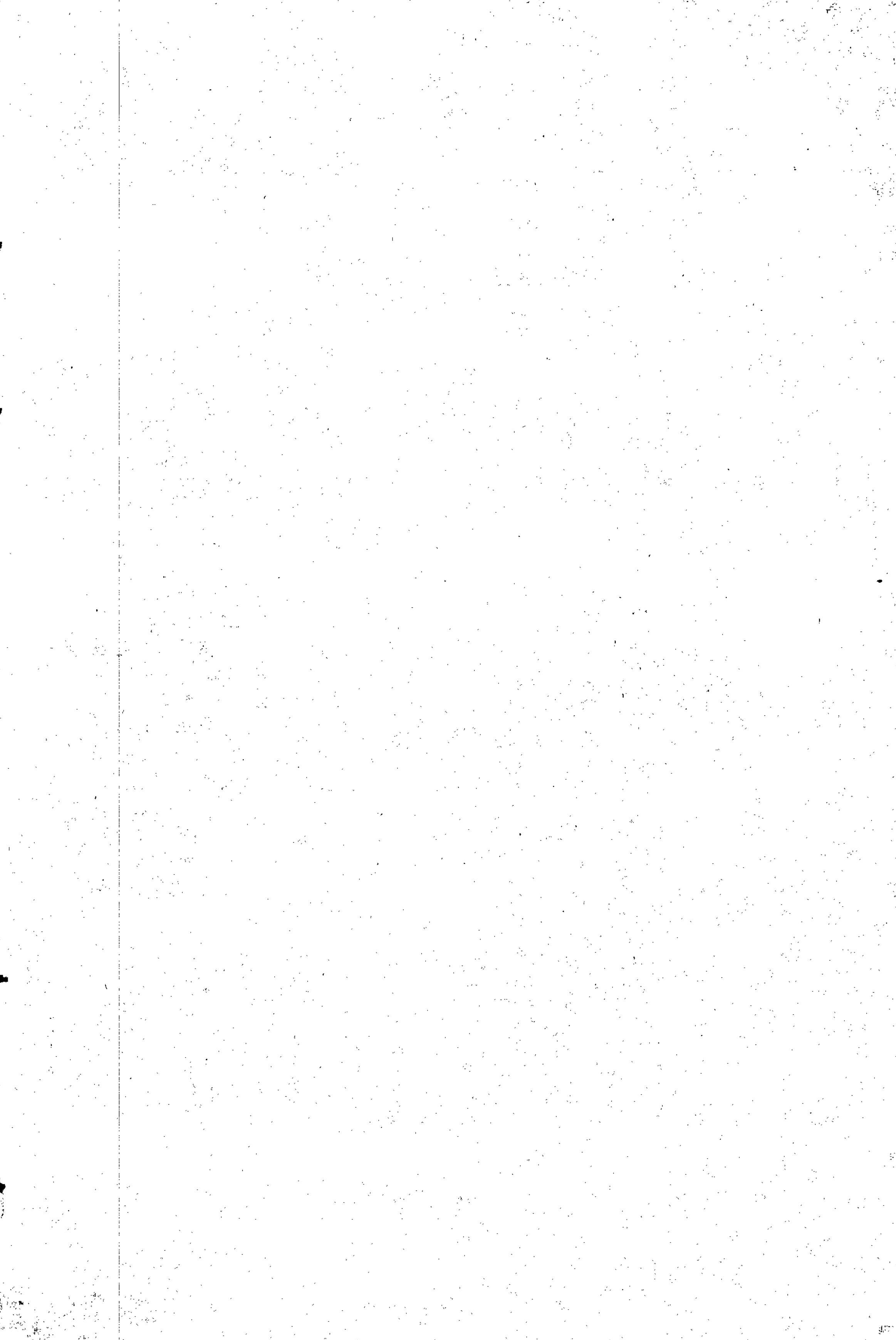
يقول هاملتون جب :

باستطاعة العرب أن يفاخروا غيرهم من الأمم بما فى أيديهم من جوامع الكلم التى تحمل سمو الفكر وأمارات الفتوة والمروءة وما لا مثيل له . وايجاز التأليف عند العرب يأتى من الايجاز الذى كان تركزا بالتقطير . ثم كيف ننسى بعض قصائد المتنبى وهى كالأسهم صيغت من حكم خالصة تسمو قدرا على مجلدات . كيف ننسى ان العرب قد وضعوا فى مجال العـلوم الرياضية والكيماوية من الاصطلاحات الدقيقة ما يسير اليوم فى خط متواز مع أحدث الأبحاث فى العلوم . يقال هذا عن ظاهرة جوامع الكلم فى الأدب العربى وظاهرة الايجاز فى القرآن ويقال هذا لمن يزعمون أن الأدب العربى لا يحمل عيونا كثيرة مثل الالياذة فى اغريق . ويقال لمن يبحثون عن ظاهرة التفاصيل فى الآداب اليونانية .. يقول جب : ان عدد الأبيـات الشهيرة بما تحمله من ثروة لا يعدو فى الالياذة مائة بيت وما يتبقى بعد ذلك ليس الا حشوا وتطويلا وتصنيعا .

اخر العـامود :

هناك بون شاسع وعميق بين الناجحين والعظماء فى مفهوم البطولة فالعظماء هم الذين قدموا لأمتهم اضافة حقيقية على طريق التقدم فى حياء وتواضع دون أن يبهرهم عملهم أو يستعلوا به أو يطلبوا اجـرا او جزاء وربما لم يعرف جيلهم قـدرهم ولا فضلهم وربما عاشـوا حيـاة خشنة مغمورين بينما كانوا يعملون من أجل اسعاد أمتهم التى تجاهلت قدرهم .. أما النجاح فهو شـهرة ومال ونفوذ وزحام وذلك كله بريق قصير الأجل يستمر أعواما ولكنه ينطفىء ولا يبقى الا الجهد الحقيقى القائم على الايمان بالله وانكار الذات .

* * *



(٣)

الفردوس الإسلامى المفقود

ما تزال الأندلس وستظل قطعة حية نابضة بالحياة فى تاريخ الاسلام ترنو اليها قلوب المسلمين ذاكرة ثمانية قرون قضاها الاسلام هناك قائما ناهضا معطيا للغرب كل ما هى الآن فيه من حضارة وعمران وعلم وفن ..

لقد كانت هدية الشرق الى الغرب ، ودرة الاسلام فى قلب اوروبا منذ عبر اليها طارق بن زياد حتى عاد منها الملك أبو عبد الله ، ذلك تاريخ يجب أن لا يغيب عن فكر المثقفين وخواطرهم أبدا فان أهل الأندلس ما زالت حتى الآن معلقة على صدورهم مفاتيح دورهم هنـــاك فقد أخرجوا ظلما وغـــدرا .

ومنذ فجر اليقظة الاسلامية العربية وقد تدافع كتاب العرب الى زيارة الأندلس والكتابة عنها : أحمد زكى باشـــا ، وله فى ذلك فصل فى كتاب (الرحلة الى المؤتمر) ثم أحمد شوقى الذى أقام بهـــا خمس سنوات وقد زارها من بعد محمد لبيب البتانونى ومحمد ثابت وأمين الريحانى وعمل فيها وأقام وتردد سنوات بعد سنوات محمد عبد الله عنان .

وكان الأمير شكيب ارســـلان من الرواد المسلمين الذين عبروا الى الأندلس فى العصر الحديث ، لم يسبقه الى ذلك الا « أحمد زكى باشا » الملقب بشيخ العروبة .

يقول : كان غرضى من الرحلة : استقصاء آثار العرب واخبارهم أينما كانوا وحلوا فى القارة الأوربية . ولو كنت زرت الأندلس مبتدئا من المكان الذى دخل منه العرب (أى من الجنوب) لكان الترتيب يقضى بأن ابدأ بجبل طارق فالجزيرة الخضراء ، فشريش فأشبيلية فقرطبة ، فطليطلة ، وهلم جرا .. وهكذا كان يجب أن أفعل ، فكان السفر الى الأندلس على الطريق الذى سلكه أجدادنا عند فتحهم تلك الديار وهى طريق المغرب ولكن الغربة التى تطوحنا بها بسبب نضالنا عن استقلال وطننا قضت علينا بأن نسكن أوربا وأن نقصد الأندلس من شمالها لا من جنوبها اى من حيث نحن مقيمون الآن ومن حيث انتهى العرب من فتوحهم الأوروبية .

وليس بعجيب أن يكون مثلى مغرما بالأندلس وآثار العرب فيهـــا .. وفيما جاورها من الأصقاع الأوروبيـــة ، فان كل عربى صميم حقيق بأن

يبحث عن آثار قومه ويتعلم مناقب أخوانه ويترك من ذلك تراثا خالدا لاعقابه ، ولعمرى أن آثار العرب فى الأندلس هى غرة عالية وهمة شامخة من تاريخ الأمة العربية . نقول ولا نخشى مغالطا انها من انفس ما اثره العرب بل من أنفس ما أثره البشر فى الأرض ، فلا غرو أن يعجب بها العربى وينقب عنها ويشد الرجال اليها ويأخذ العبرة اللازمة منها فليست هى الآية الناطقة والبينة على مجدنا الماضى . كنت اذا فى ريعان شبابى وغضاضة أهابى مولعا بحضارة الأندلس العربية وآثارها مشغوفا بتاريخها وأخبارها حتى انى منذ أربع وثلاثين سنة وهى مدة يصح أن تسمى دهرا نقلت من الفرنسية الى العربية رواية الكاتب الشهير شاتوبريان المسماه (باخر بنى سراج) وذيلت تلك الرواية المترجمة بتاريخ الأندلس استخلصته من الكتب العربية والأوروبية وأجلت معظم قداح البحث فيه عن سقوط مملكة غرناطة وجلاء العرب عن تلك الجزيرة وبازدياد النهضة العربية تزداد الرغبة فى هذا المقام وتشرئب الى الاندلس الأعناق وتتحلب على ذكرها الشفاه .

ولكن كل هذا لم ينقع غلتى ولم يشف ما بى من أمر الأندلس ، وبقيت بين معرفتها بالقلم متشوقا الى أخبارها واقتصاص آثارها ووفاء بواجب ازديارها ، وما زلت أحدث نفسى برحلة أتوم بها فى تلك الديار التى ترك لنا عنها أباؤنا أجمل تذكار .. وتعوقنى العوائق عنها ، وتعترضنى الاشغال من دونها وانا أخشى أن توافينى المنية قبل تحقيق هذه الأمنية ، الى أن يسر الله هذه الرحلة ، والأمور مثل النفوس مرهونة بالاجال ، وكنت موطنا النفس على السفر الى الأندلس عام ١٩٣٠ فحدثت شؤون وطرأت طوارىء اقتضت أن نراجع جمعية الأمم فى جنيف مراجعات مستمرة قضت على بأن لا أفارق جنيف فى تلك الآونة ويحدث أنه اقبل الصيف يسحب ذيله وجاء الحر هاجما فلم يكن ذلك ليغير من نيتى ولا ليرخى من مشدود طيتى ، لانى لم أبرح فى هذه المسألة منذ ثلاثين سنة أمنىبها النفس وكلما حدا سائق بدا عائق . ونحن نعتمد على التأخير والتسويف ونعلل النفس بشتاء وصيف وربيع وخريف ، وقد عرفنا أكثر البلاد الأوروبية ولم تبق مدينة فيها الا دخلناها وربما بدل المرة الواحدة مرارا وقتلنا أحوالها درسا واختبارا ، ولم يبق من أوروبا ما لم نعرفه سوى الاصقاع الاسكندنافية فى الشمال والبلاد الأسبانية فى الجنوب .

ولكن الأندلس التى نحن اليها منذ نعومة الأظافر ونقرأ عنها بل نؤلف الاسفار فانه لا يجوز لمثلنا أن يتأخر عن السفر اليها ونحن لا نزال انضاء أسفار بين الأقطار ، وعليه انتهزنا هذه الفرصة واغتنمنا من وقتنا هذه الخلسة قاصدين الى الأندلس عن طريق فرنسا التى حصلنا على رخصة المرور بها أياما معدودات وذلك انه لما كان الغرض الأصلى من الرحلة تتبع آثار العرب كيف حلوا وأنى ارتحلوا من هذه الديار الغربية كان لا بد لنا من زيارة فرنسا التى كان للعرب فيها جولة بل كانت لهم فى جنوبها دولة وصولة وطالما عصفت ريحهم ببلاد الفرنجة .

وكان ذهابى الى اسبانيا عن طريق فرنسا .. فما عبرت الحدود

الواقعة بين فرنسا وأسبانيا حتى خلت نفسى سائرا فى سواحل الشام بلادى فكيفما نظرت وقع نظرى على التين والزيتون والخروب والصنوبر والصبير وجميع الأشجار والنباتات المرجية التى أعرفها فى بلادى مع وجوه الشبه الكثيرة فى منظر الأرضين ولون التراب ، وتحدر الغدران ويحف بها القصب والحلفاء ، ومع حنين النواعير فى البقاع التى لا يصح لها الشرب من الغدران وغير ذلك مما يخيل لك انك فعلاً فى سواحل سوريا ولا شك ان هذا التشابه بين البلدين هو الذى حدا عرب سوريا على انتجاع الأندلس أكثر من أى بلاد سواها لان الانســـان يحب اذا تغرب أن يقع فى أرض تشبه مسقط رأسه » .

وهكذا مضى شكيب أرسلان يصول ويجول ، ويجدد مجد الآباء ويتحدث عن الأندلس الاسلامية التى هى قطعة من تاريخنا وتراثا من تراثنا ومن أجل آثار العرب فى أوربا طاف خزائن ألمانيا وسويسرا واســبانيا واتصل بالعلماء فى كل مكان وعكف فى الاسكوريال على المصادر . .

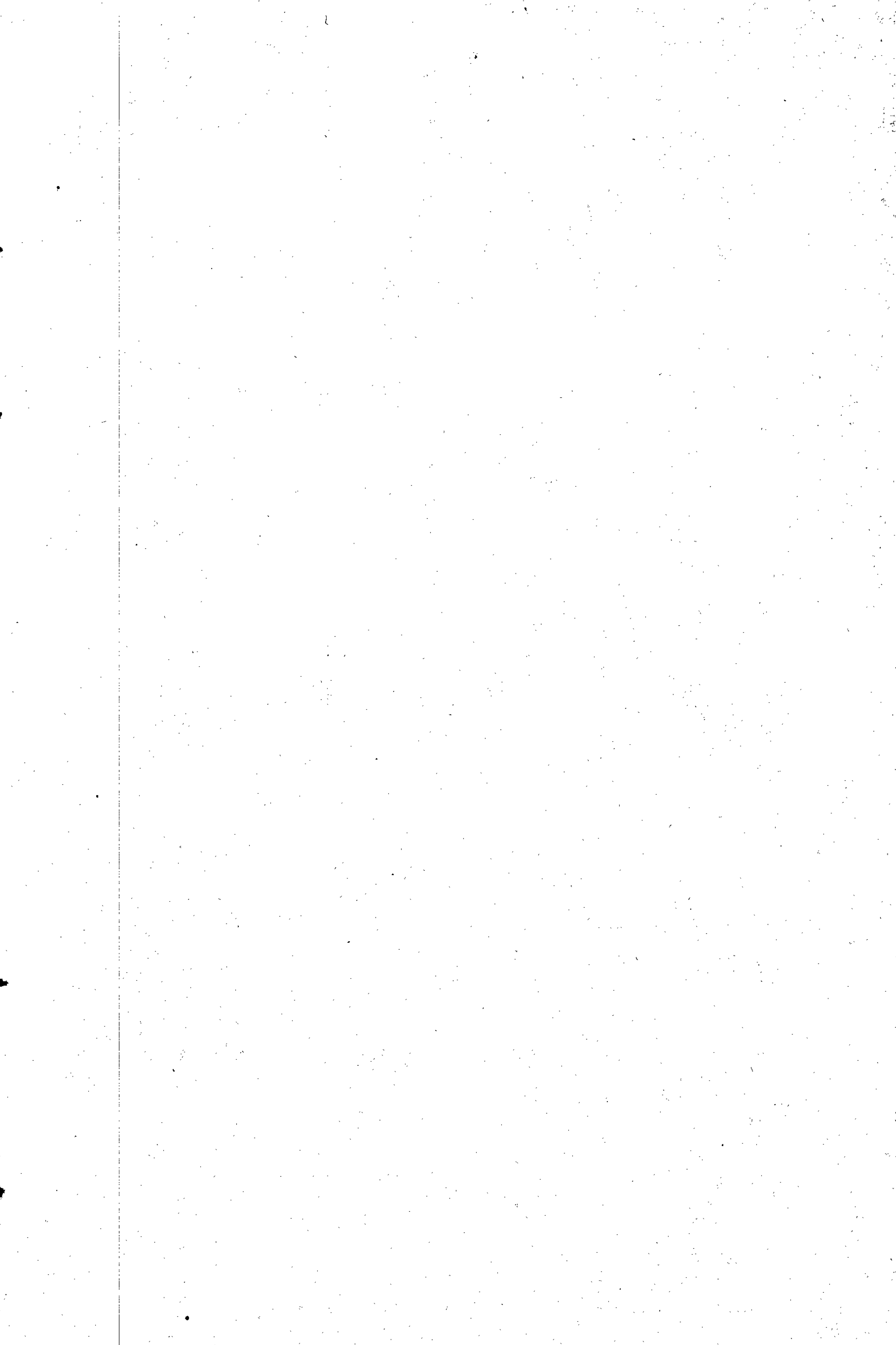
واذا كان كتاب العرب قد عكفوا على دراســـة الفردوس الاســـلامى المفقود ، فان كتاب الغرب أيضا أولوا الأندلس هذا الاهتمام :

يقول الشاعر الأسبانى (فيلا سبازا) : ليس فى طاقتنا نحن الأندلسيين المعتنقين بايمان ثابت دين المسيحية أن نمجد دين أسلافنا المسلمين ، فلئن كان الأول مستقرا فى ضمائرنا فان الثانى ما برح مستقرا فى فطرة قوميتنا المزدانة بالبدائع ، وكما اننا لو انتزعنا بعض الألوان التى موهت بها جدران كنائسنا نجد وراءها لمعا مذهبة لاسم الله الصمد محفورا بالحروف الكوفية ، فاننا لو خدشنا بشرتنا الأوروبية الصفراء لبرزت لنا من تحتها البشرة العربية السمراء .

خوان أندرس :

واليوم يكتب خوان أندرس كتابه عن أصول الأدب الأندلسى فيقول : لقد يبدو غريبا لكثيرين ولكنه الحق خالصا ان الفكر الحديث يعترف بأمومته للعربية لا فى العلم فحسب بل وفى الأدب أيضا ، ولكنى أوضح على نحو أفضل تأثير العرب فى ثقافة أوربا ، أردت أن آتى بجديد فى قضية تتصارع أمم كثيرة حولها عبثا ، كل يدعى هذا الشرف لنفسه بينما نحن جميعا ندين به لاولئك العرب ، الورق والأرقام والبارود والبوصلة وأشياء كلها جاءتنا من العرب وربما الساعة الذبذابة أيضا ، والجاذبية وبعض الاكتشافات ذات الضجيج الان كانت معروفة عند تلك الأمة وكثير غيرها قبل أن تبلغ أخبــارها آذان فلاسفتنا ، وكذلك المدارس والمراصد والمجامع العلميـــة ومؤسسات أدبية أخرى لا تفكر فى أننا ندين بوجودها للعرب . ان المخطوطات القيمة فى مكتبة الاسكوريال جعلتنى أقف على الدور الكبير الذى لعبه الأدب العربى فى نهضة أوربا الحديثة .

هــكذا قال الراهب خوان اندريس المولود فى بلنسية ، والذى نشر أول فهرس المخطوطات العربية فى الاسكوريال .



(٤)

ابن خلدون وابن الأزرق

جاءت الأنباء الفكرية أخيرا بظهور دراسة لابن الأزرق تفوق مقدمة ابن خلدون من ناحيــة أصالة البحث ، ومن تفردها بجوانب عديدة لم يخض ابن خلدون غمارها ومن ناحية اتساع نطاقه وتفرده فى المجالات الثلاث : الاجتماع والتاريخ والاقتصاد كشف هذا المخطوط الدكتور على سامى النشار ، وتداولت الخبر العراق والمغرب وعالم الغرب . ذلك أن المستشرق بروفنسال الذى عرف بكتاباته المعتدلة فى معالجة التراث الاسلامى وخاصة فى كتابيه منهج البحث العلمى عن المسلمين ، ودراسة التاريخ عند المسلمين ، فقد لفت نظر الدكتور النشار الى هذا البحث منذ عشرين عاما وقد استبطن الدكتور الخبر حتى جاء الى المغرب أستاذا بجامعة الرباط ، وجاءه صاحب مكتبة اسمه محمد علوى ، ومعه مخطوط يلتمس منه مراجعته ، فاذا به ذلك الأثر الذى أخبره عنه المستشرق بروفنسال .

وهناك تبين أن موضوع البحث يبدأ بالتعليق على مقدمة ابن خلدون ولكنه يتجاوزها بكثير الى آفاق واسعة من البحث .

عاش ابن الأزرق بعد ثمانين سنة من وفاة ابن خلدون ، وهو مفكر عربى أندلسى عاش فى غرناطة بالأندلس فى القرن الثامن الهجرى ، وعمل قاضيا فيها ثم كاتبا ، وفى أواخر أيام غرناطة أرسله حاكمها العربى الى المغرب لنجدة غرناطة ، ومن هناك سافر الى تونس ومصر وكانت أيام غرناطة العربية قد انتهت فذهب الى الحج ثم عاد الى مصر فولاه حاكمها منصب قاضى القضاة لمدينة القدس ثم توفى بعد فترة فيها ودفن فى حى المغاربة بالقدس عام ٨٨٠ هجرية . وقد عرف به كثير من الباحثين ، ولكنهم بعد هذا البحث الذى كشفت عنه لم يكونوا قد عرفوا أبعاد مخطوطته الفريدة .

وقد وصف ابن الأزرق بأنه شخصية نادرة ، كتب فى أصول التربية والتعليم والنحو والأدب واللغة ، ورد ذكره فى نفح الطيب وأزهار الرياض ، والانس الجليل وله مخطوطات أخرى لم تطبع منها :

* بدائع السلك فى طبائع الملك .
* شفاء العليل فى شرح مختصر خليل (فى النحو) .
* روضة الاعلام .
* **أصول التعليم والتربية .**

لقد بدأ ابن الأزرق بحثه تعليقا على مقدمة ابن خلدون ، ولكنه لم يتابع منهج ابن خلدون ، بل تجاوزه الى منهج جديد ، فقد جمع بين الاتجاه المثالى الأخلاقى ، السياسى عند الطرطوشى ، وأبو بكر بن عربى وابن رضوان وبين المنهج المادى التفسيرى للظواهر الاجتماعية .

لقد كتب ابن الأزرق فى موضوعات ما يظن أحد فى العصر الحديث أن المفكرين المسلمين عالجوها ، كتب عن الاحتكار والسوق والاقتصاد السياسى وكتب عن صلة بيت المـال بالمجتمع ، وبحث فى الملكية ، وفى مصائب العالم وسلطات الحكام ، وبحث فى المؤسسـة التعليمية والتربوية فى المجتمع العربى الاســلامى .

ويقول الدكتور على سامى النشـــار ان المسافة بين شخصيتى ابن خلدون وابن الأزرق كبير جدا ، لقد كشف ابن الازرق بشكل غير مباشر أن ابن خلدون أخذ من مفكرى العصر الذى مات قبله « ابن رضوان » الذى أعطاه ابن الأزرق حقه . لقد تناول ابن خلدون وابن الأزرق موضوعات متشابهة ، ولكن ابن الأزرق تدل مخطوطاته على انه كان رجل علم وفقه حقيقى يقول الحق بقوة ، وقد أظهر لنا شخصيات اسهمت فى بناء أسس علم الاجتماع السياسى لدى العرب وفى الاتجاه التعبيرى عن المجتمع مثل ابن الحاج وابن رضوان . ولقد حاول ابن الأزرق حين لخص آراء ابن خلدون أن يصوغها فى اسلوب أكثر يسرا .

ونتيجة لذلك كله ، فان الأمر يتطلب اجراء مراجعات كثيرة من أجل اعادة تحقيق المقدمة التى يوجد منها الآن ٢٧ نسخة وخاصة نسخ اسطمبول ، ولابد من دراسة سلسلة طويلة فى علم الاجتماع السياسى من مروج الذهب للمسعودى حتى مخطوطة ابن الأزرق ..

بدائع السلك

فى طبائع الملك

وبعد فماذا يمكن أن يعطينا هذا الخبر الهام فى مجال التراث والفكر الاسلامى الحديث : لقد كان ابن خلدون عملا رائعا لم يستكشف الا منذ مائة سنة أو أكثر قليلا فى العصر الحـديث عندما ترجمت مقدمته وبدأ علماء الاجتماع والاقتصـــاد والتـــاريخ يستمدون منه مناهج البحث الحـديث ويتجاهلونه ، بل ويحملون عليه ، وما زلنا نذكر كيف أن دور كايم وكازنوفا وهما من أساتذة جامعة السربون المنتمين الى الفكر التلمودى الغربى قـد حاولا تمزيق هذا الرجل ورميه بقل نقيصة ، وحرضا رجلا مسلما عربيا كان يدرس فى السربون ليحمل لواء هذه الأحقاد ، ويذيعها فى الشرق ، ذلك هـو طه حسين الذى كتب اطروحة الدكتـوراه عن فلسـفة ابن خلدون الاجتماعية ، فرماه بالسذاجة ونقص المعرفة وغيرهما مما هو مبثوث فى هذه الرسالة التى ترجمها محمـد عبد الله عنان وعلق عليهـا كثير من العلماء الأبرار وكشفوا زيفها .

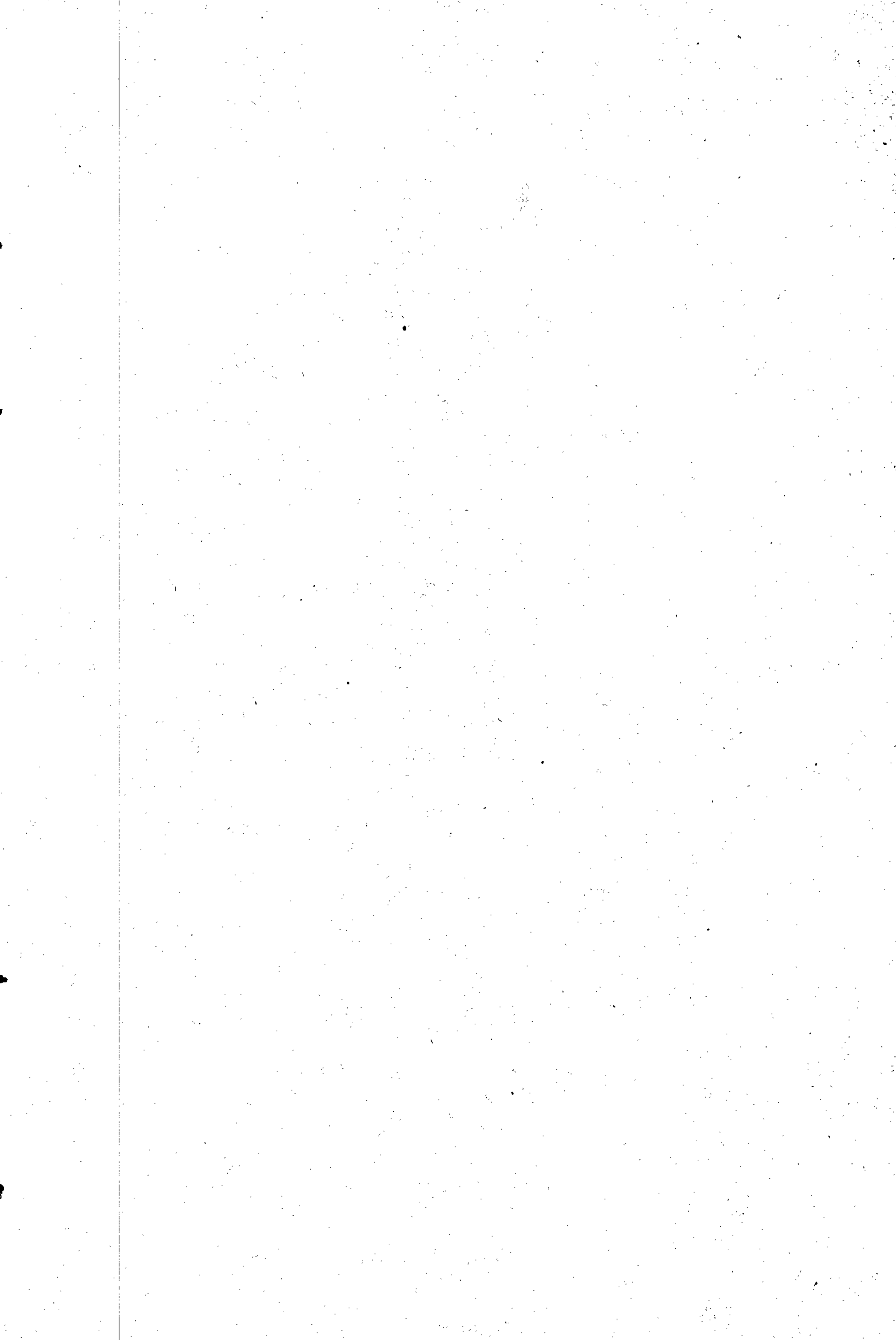
غير أن هذه (المؤامرة) على الرجل لم تلبث أن تكشفت حين ترجمت عشرات الأبحاث الغربية التى تضع الرجل موضع التقدير الصحيح ..

وفى القاهرة عقد مؤتمر لدارسته حضره عشرات من هؤلاء ، وأشادوا بابن خلدون وبفضله ودوره الرائد .

واليوم تبين أن العقل الاسلامى لم يعقم ، وانه لم يخرج فى عصر التخلف والركود ، سوى ابن خلدون وابن تيميه فقط « وهما عملاقا الفكر الاسلامى كله » ولكنه خرج أيضا كثيرون لا نعلمهم منهم ابن الأزرق الذى جاء بعد سقوط غرناطة والذى يبدو انه أضاف اضافات هامة على بحوث التاريخ والاجتماع .. ولابد أن هناك كثيرين فان العقل الاسلامى لم يعقم أبدا ولعله كان فى فترة التخلف والركود الاجتماعى والحضارى التى مر بالعالم الاسلامى بعد سقوط الأندلس أو بعد الحروب الصليبية اشد قوة وتألقا .. ولكن كيف يمكن أن نثبت ذلك وليس فى أيدينا الدليل والبرهان .. هذا هو السؤال الذى نجد الاجابة عليه ممكنة ولكنها ممنوعة ، لان النفوذ الأجنبى الغربى الذى أخرج المسلمين من الأندلس واستولى على جامعاتهم وأبحاثهم ، ومنجزاتهم فحرمهم من الاستمرار فى تنميتها واستولى هو عليها وأمضى سنوات طويلة يدعى انها من نتاجه الخاص ، هذا النفوذ نفسه عمد الى خطة اشد خطرا من ذلك حين حمل التراث الاسلامى من العالم الاسلامى ، من المساجد والربط والزوايا الى أوروبا حتى يحرم المسلمين من معرفة مدى الدور الذى قاموا به وكل يوم يتكشف لنا شيء جديد يدل على أن المسلمين قاموا به وعملوه فى مجال الفكر ، وهو منسوب الى هذا أو ذلك من الباحثين الغربيين واذا كان هناك أكثر من عشرة من كبار مفكرى الغرب قد تبين أن ابن خلدون هو امامهم فى التاريخ والاجتماع والاقتصاد ، فلابد أن يكون لابن الأزرق عدد آخر وهذا هو السر الخطير الذى حال به النفوذ الغربى دون تمكين المسلمين من معرفة (أبعاد) الدور الذى قام به علماؤهم ومفكروهم فى الاضافات الحية للفكر الحديث وللحضارة البشرية . ولن يستطيعوا أن يقوموا بهذا الدور الا اذا أتيح لهم استعادة تراثهم ومخطوطاتهم التى تعد بألوف الألوف فى جامعات الغرب والتى قد يجدون أنفسهم غير مستطيعين الحصول عليها أو الاطلاع عليها كما حدث لكثير من العلماء الذين ذهبوا الى لندن أو برلين أو باريس وردوا عن نوع خاص من المخطوطات ولم يسمح لهم بالنظر فيه ..

تلك هى العبرة مما يظهر بين آن وآخر من مخطوطات أو يعلن من حقائق عن اضافات المسلمين للعلم التجريبى أو العلوم الانسانية .

وأمر آخر هام تكشفه هذه الاخبار هو أن المسلمين لم يأخذوا هذه المفاهيم عن الفكر اليونانى القديم كما حاول لويس عوض أن يفترى هذا على (ابن خلدون وأبو العلاء) ولكن الحقيقة التى لا ريب فيها أن القرآن ، والقرآن وحده كان هو المنطق الحقيقى للطريقة العلمية التى قادت المسلمين فى مجالات البحث التجريبى والعلوم الانسانية جميعا الى ما وصلوا اليه من حقائق ونظريات .



(٥)

ظهور الإسلام علامة بدء العصر الحديث

لا ريب كان تأثير الاسلام فى الغرب الأوربى عميقا وفى التفكير الغربى المسيحى فهو الذى قدم لها عناصر التحول الحقيقى للفكر والحياة والمجتمع والحضارة ، ومن الحق أن يقال انه لا علاقة مطلقا بين حضارة أوربا الحديثة وبين المسيحية لانها جاءت بعدها بألف عام وبعد قرون من ظلمات العصر الوسيط ، وانما هو الاسلام الذى أعطى أوربا مفاتيح الحضـارة بالعلم التجريبى الذى ورثته فى الأندلس من طليطلة الى قرطبة خلال أكثر من ثلاثة قرون ويزيد .

وصدق القول القـائل : ان المسيحية أدخلت أهل أوربا الأديرة وان الاسلام هو الذى أخرجهم منها ، ذلك ان التقدير الحقيقى للموقف يؤكد أن الاسلام هو الذى نقـل البشرية كلها الى العصر الحديث وليس صحيحا ما ذهب اليه المؤرخون الأوربيون الذين يخضعون لعنصريتهم من أن حادثة اجتياح الشعوب الجرمانية لدولة روما الغربية كان حدا فاصلا بين العصور القديمة والعصور المتوسطة . ومن عجب انسياق مدارسـنا الاسلامية ومقررات التعليم فى البلاد العربية وراء هذا الخطأ التاريخى واستمرار مؤلفى الكتب التاريخية العرب فى اتخاذ هذا الحادث فاصلا فى تاريخ الانسانية متابعة وجريا وراء الغرب .

واذا كان الغربيون قد عجزوا بتعصبهم القومى والملى أن يعترفوا بأن ظهور الاسلام هو الحادث الانسانى العظيم الذى غير مجرى التاريخ ، وانه هو الحد الفاصل فان الاستاذ هنرى بيرين مؤلف كتاب — محمد وشارلمان — وقد أعلن هذه الحقيقة فى صراحة ووضوح حين قال :

ان الاسلام هو القوة الهائلة التى حولت مجرى التاريخ الأوربى ، وان العصر الوسيط والنهضة الحديثة ثمرتان من ثمار الاسلام .

يقول هنرى بيرين : ان القول بأن سقوط الامبراطورية الرومانية هى القوة التى أدت الى هذا التحول فى التاريخ الأوربى هو محض خطأ شائع ، فان هذه الشعوب كانت من هوان الشأن وضيق الحياة الى درجة تجعلها تنظر الى الرومان نظرة العبد الى السادة فما كان يخطر لها بل ما كانت ترغب أبدا فى أن تناوىء روما وتقضى عليها ، أما المسلمون فكانوا يعتقدون أنهم أرقى وأسمى من الرومان فى جميع أساليب الحياة ولا سيما من الناحية

الدينية التى كانت مبعث قوتهم ومصدر تشريعهم فلم يحجموا عن منازلة الرومان ليقضوا على سطوتهم وسيادتهم ، لقد ظلت الدولة الرومانية قائمة وظلت حضارتها باقية بعد أن اجتاز الوندال حدودها ، واستقروا فى نواحيها وكل ما حدث أن انتقل مركزها الرئيسى من روما الى بيزنطه وأصاب حياتها العقلية والمادية شىء من الركود والكساد ولكن لم تكن تهب — حضارة الاسلام — وتسير ركائبه الى أراضى الرومان حتى تلاشى ما كان لهم من المعالم والآثار وقامت دولة جديدة وظهرت حضارة جديدة حاصرت أوربا من الشرق والجنوب فاضطرت ملوكها أن يوجهوا أنظارهم الى الجزء الشمالى من أوروبا حيث قامت المعارك التى كيفت تاريخ أوربا فى العصر الوسيط وابان العصر الحديث . أما الجزء الجنوبى من أوربا فلم يقع فيه فى تلك العهود الا موقعة — بواتيه — التى انتصر فيها شارل مارتل على جيش الأندلس ، فلولا ظهور الاسلام لظلت الامبراطورية الرومانية قائمة وان انتقل مركزها من الغرب الى الشرق ولظل البحر الابيض بحرا رومانيا ولما قامت الثورات القومية التى شيدت أوربا الحديثة ولا الثورات الفكرية التى تمخضت عنها الحضارة الراهنة .

وذلك الذى يقرره هنرى بيرين فى كتابه — محمد وشارلمان — هو الحقيقة التى أصبحت اليوم على كل لسان وكل قلم .

يقول : أيريك بتيمان فى بحثه عن أثر الاسلام فى المسيحية :

لقد اجتذبت الاندلس ومدارسها فى أسبانيا والبرتغال ومؤلفاتها ومكتباتها العالم المسيحى فكان من درسوا فى مدرسة طليطله كثيرون ، ظل كتاب (الرازى) : الحاوى المؤلف من عشرين مجلدا المرجع الوحيد المعترف به فى جامعات أوربا حتى القرن السابع عشر وهو أعظم تقدم علمى حققه المسلمون فى علم البصريات وعندما اكتشف المسيحيون أن الاسلام شىء آخر غير مجرد الحاد مسيحى أخذوا فى مقاومته بطريقتين : تشديد الهجوم المضاد على الدين الاسلامى والثانية : هى الحملات الفعلية لمحاربة الشعوب الاسلامية :

***

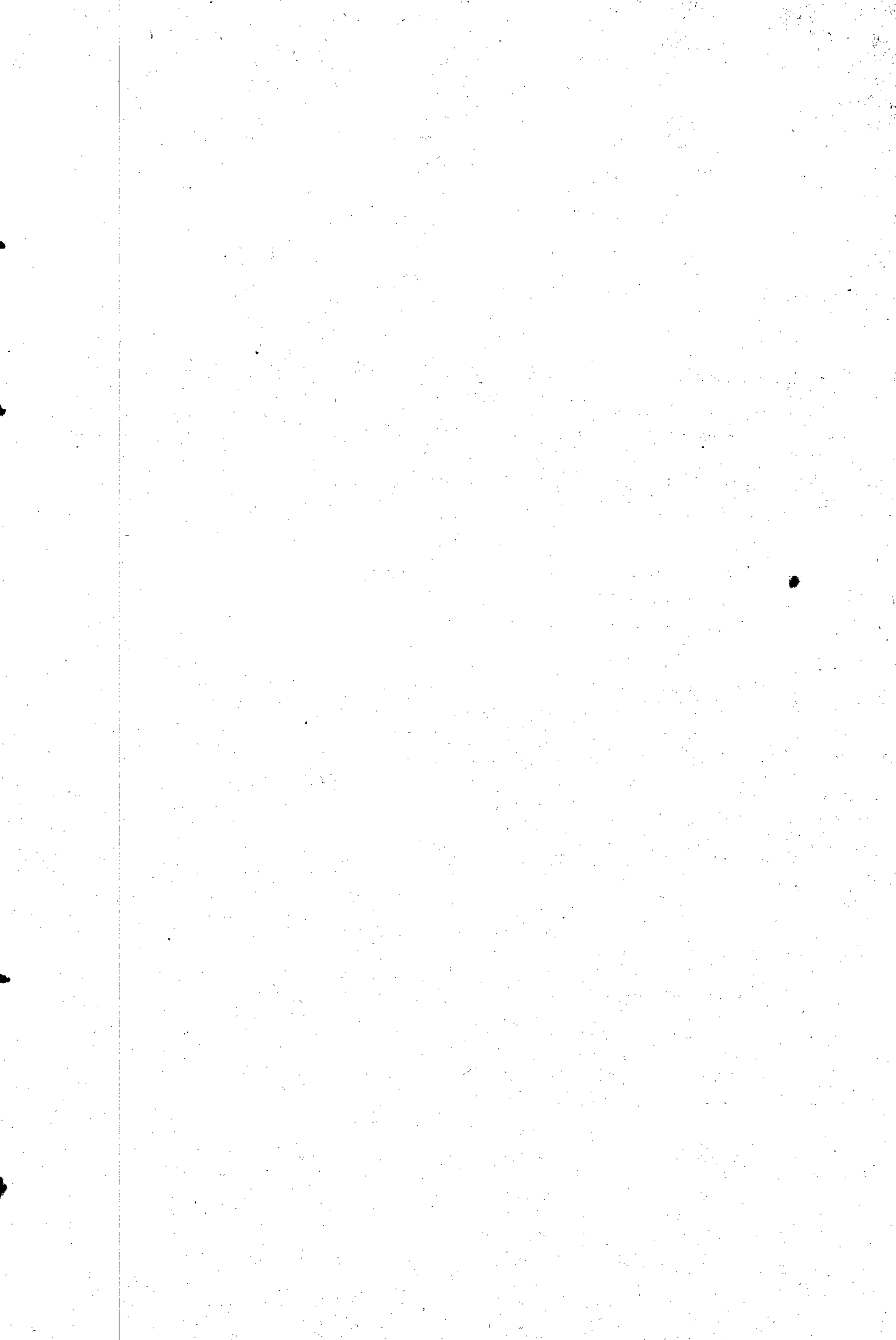
(٦)

يقظة العالم الإسلامى انبعثت من أعماقه

اذا كان الغزو الأوربى للشرق بوصـــول فاسكو دى جاما الى الهنـــد (مايو ١٤٩٨) ومن ثم بدأت هزيمة الوحدات البحرية العربية ، وتراجعت أساطيل العرب التجارية فى المحيط الهندى ، فان انتصار الاتراك العثمانيين فى وراثة العرب فى حكم المنطقة وحمل لواء الزعامة السياسية والثقافية والدينية قد أخر الاصطدام أكثر من ثلاثة قرون ، غير أن الغرب لم يتوقف عن الغزو وذلك بمحاولة حصول دولة على امتيازات فى عديد من اقطار الامبراطورية العثمانية تكفل للتجار سلامة أشخاصهم وأملاكهم ، ثم اتسعت هذه الامتيازات حتى أصبحت سلطانا ضخما لا سبيل الى مراجعته ، لهـا محاكمها وسلطاتها ، وقد تغلغل الفرنسيون قبل ذلك فى الوطن العربى ، وهنا تبرز قضية فكرية هامة طالما رددها كتاب الغرب ، وهى أن حـــركة اليقظة الفكرية فى البلاد العربية قد بدأت بحملة نابليون على مصر ١٧٩٨ ، وبوصول الجمعيات التبشيرية الفرنسية عام ١٨٤٧ ، والأمريكية عام ١٨٦٨ الى بيروت واليها تنسب يقظة الفكر الاسلامى فى العصر الحديث .

ونحن نرى ومعنا كل الادلة على أن اليقظة الفكرية قد سبقت هـــذا الغزو الفكرى الغربى بأمد طويل ، وعندنا أنها بدأت بدعوة الامام محمد بن عبد الوهاب الذى حمل لواء حركة التوحيد والتماس منابع الاسلام ، واذا كان الشيخ قد ولد عام ١٧٠٣ وقام بدعوته فى حدود الأربعين فان يقظة الفكر الاسلامى تكون قد بدأت قبل وصول الجمعيات التبشيرية الاوروبية بمائة عام على الاقل . وقد كانت هذه الدعوة الفكرية السياسية بعيدة المدى فى تحرير الفكر الاسلامى وايقاظه لانها التمست نفس منطلقات الدعوة الأولى ومن خلال مهادها . ولا سيما بعد أن أتيح لها التقاء البيتين الكريمين بيت سعود ، وبيت عبد الوهاب أن تتحول الى دولة فتية كانت لهـــا سطوتها وقوتها ..

ومن هنا فقد حققت دعوة التوحيد التى حمل لواءها الامام محمد بن عبد الوهاب الظاهرة التى عرفتها الفكرة الاسلامية خلال حياتها كلها وهى القدرة على الانبعاث بالنهضة من أعماقها كلما ادلهمت حولها الاحداث .. ودخلت مرحلة الازمة أو الخطر ومعنى هذا أن يقظة الفكر الاسلامى فى البلاد العربية قد انبعثت من أعماقه وصدرت من فهم أصيل للاسلام .. وانه كان منطلقا لتحرير البلاد الاسلامية من كل نفوذ أجنبى .



(٧)

عندما عرف الغرب حقيقة صلاح الدين

عندما قدمت الحملات الصليبية الى المشرق الاسلامى كانت تحمل فكرة ظالمة ، هى ان المسلمين قد ظلموا بيت المقدس ومنعوا المسيحيين الغربيين من دخوله فلما جاءوا وجدوا غير ذلك تماما ، وجدوا رحمة وعدلا وسماحة لا حد لها ثم جاءت انتصارات حطين على يد صلاح الدين فكشفت عن مزيد من الرحمة والسماحة فقد افتدى السلطان العاجزين وسمح لهم بالخروج من القدس منها بأشيائهم دون قيد ، وأرغم المراكب والسفن الأجنبية لتحملهم الى ديارهم وعفا عما دعى اليه بأن ينتقم منهم وقد قتلوا ٨٠ الفا من المسلمين عندما احتلوا بيت المقدس وقال ان ديننا ينهانا عن ذلك .

وعادت فلول الحملات الصليبية مهزومة فى النهاية ولكن أهلها عجزوا عن أن يقولوا كلمة الحق فى المسلمين وفى صلاح الدين ، فقد كانوا يغتالون حين يفرحون بعدل المسلمين فصمت الناس وقنعوا من الغنيمة بالاياب .

ولكن الأمر لم يطل كثيرا فقد شاء الله أن تتكشف الحقائق ، فلم يمض وقت طويل حتى كتب جيبون كتابه الخطير (سقوط الامبراطورية الرومانية) وكشف عن صفحة صلاح الدين فى انصاف ودوى صوته لاول مرة فى آفاق الفكر العربى يعلن الحقيقة التى طواها الأحبار والرهبان زمنا طويلا .

قال جيبون : كان صلاح الدين متواضعا لا يعرف التبرج أو الترف ولا يرتدى سوى عباءته المصنوعة من الصوف الخشن ولم يكن يعرف غير الماء شرابا وكان متدينا قولا وفعلا وان لم يتمكن من أداء فريضة الحج لأنه كان منشغلا فى الدفاع عن الدين الاسلامى .. وكان يحافظ على تأدية الصلوات الخمس فى أوقاتها فيقف خاشعا فى الصلاة .. ومن شدة ورعه وتقواه أنه كان يقرأ القرآن وهو على صهوة جواده أثناء المعارك ووسط الجيوش المتهيئة للقتال » .

كان هذا هو الضوء الأول على حقيقة الاسلام وعدالته فى تلك الملحمة الخطيرة : الحروب الصليبية .

ولقد كان هذا منطلقا لما كتبه (والتر سكوت) فى روايته (التعويذة أو الطلسم) حين قال :

أما صلاح الدين فقد فاق أعظم الفرسان الانجليز شهامة ونبلا ونكران

ذات فهو الذى ينقذ عدوه من الموت وهو الذى ساعد على شفاء (ريتشارد قلب الأسد) من مرض عضال كاد يودى بحياته .

يقول المؤرخون : ان نجاح رواية الطلسم قد أدى الى قلب المعانى والدلالات التى كانت ترتبط عادة بلفظ (صلاح الدين) فى الانجليزية راسا على عقب فبعد أن كان الاسم يوحى بالعداء فى القرون الوسطى أصبح الآن مرادفا للشهامة والشجاعة والصدق .

ومن ابرز الذين نظروا الى (صلاح الدين) بهذا المنظار الجديد (تشارلز دكنز) ـــ ١٨٧٠ م الذى وصف صلاح الدين بأنه قائد شهم ورجل شجاع فى الوقت الذى انحى باللائمـــة على أعدائه الصليبيين ورماهم بالابتـــذال والتفكك والفساد .

جذور التركيب العلمى :

فى مجال البحث العلمى ســـبق المسلمون الغرب الى جذور التركيب العلمى الحديث كله .

اولا : اكتشاف الجاذبية ، تحدث عنها (ابن سينا) ، ابن خردزابه ، الادريسى ، الخازن . قال ابن خردزابه صراحة (الأرض جاذبة لما فى ابدان الناس من الثقل لان الأرض بمنزلة الحجر يجذب الحديد وقال الادريسى ان الأرض جاذبة .

ومع ذلك فقد نسبت نظرية الجاذبية الى نيوتن .

ثانيا : المسلمون أول من اثبت ان سطوح المـــاء كروية كسطوح اليابسة وفصل الكندى هذه النظرية تفصيلا .

ومع ذلك فقد نسبت النظرية الى (والاس) .

ثالثا : المسلمون هم اول من تكلم عن البحث التجريبى وكان جابر بن حيـــان هو الرائد الاول الذى اخضع جميع بحوثه للتجربة وكان يسميها (التدريب) .

ومع ذلك فقد نسب البحث التجريبى الى فرنسيس بيكون .

رابعا : العرب اول من وضع علم الجيولوجيا وقال ابن سينا أن نشأة الجبال ترجع الى عامل الحركات الارضية كتلك التى تسبب الزلزال وعامل المياه الجارية والرياح فى حفر الاوديه فى الصخور الضعيفة .

وقال ماكس مايرهوف : نحن مدينون لابن سينا برسالته فى تكوين الجبال والأحجار والمعادن .

ومع ذلك فقد نسب وضع علم الجيولوجيا الى ليوناردو دافنشى .

وقد سبق البيرونى علماء أوربا فى القول بأن سهل الهند كان بحرا ردمته الرواسب وقال (ايرو بوب) من المستحيل أن يكتمل بحث فى تاريخ علم المعادن دون الاقرار بمساهمة البيرونى فى كتابه ((**الجماهر فى معرفة الجواهر**)) .

خامسا : ثابت بن قرة أول من طبق علم الجبر على علم الهندسة قبل العالم ستيفن والبوزجانى هو أول من اكتشف الاختلاف الثالث للقمر الذى نسب من بعد الى العالم الغربى (يتخو براهى) أما الزرقانى فكان أول من قال بحركة الكواكب السيارة فى مدارات اهليلجية وقدم لها البرهان وجاء (كبلر) فذهب الى ما قاله الزرقانى فنسب اليه الكشف بعد مرور ستة قرون .

سادسا : اكتشف الادريسى منابع النيل التى بقيت قرونا عديدة مجهولة لدى العلماء الأوربيين حتى اكتشفها (سبيك وجرانت) .

سابعا : فى مجال الطب : اكتشف المسلمون نظرية العدوى وكان الخطيب البغدادى هو أول من أشار اليه فى رسالته عن الطاعون وقال ان وجود العدوى مقرر بالخبرة والدراسة ، وابن النفيس هو الذى اكتشف الدورة الدموية الصغرى التى نسبها الغرب الى (سرفينوس) أما الطبيب المسلم على بن عباس فقد سبق الاوربى (هارفى) فى وصف الدورة الدموية فى الأوعية الشعرية .

أما الزهراوى فقد استطاع ايقاف نزف الدم بواسطة ربط الشرايين وقد نسبت نظريته الى الجراح (امبرو ازبادى) وأول من أوصى بولادة الحوض التى نسبت الى العالم والشر وابن سينا أول من اكتشف الانكلستوما ونسبت الى (ويبى) الايطالى .

لويس فى موقف الهزيمة :

قال جوانفيل مؤرخ الحملة الصليبية التى قادها لويس التاسع على مصر (١٢٤٩/١٢٥٠ م) : وذات ليلة تقدم المماليك بآلة من الآلات فظيعة لاحداث الضرر والأذى ووضعوها قبالة قاذفات الحجارة التى كان يحرسها فى تلك الليلة السير والتر دى كوريل وأنا .

ولقد أطلقوا من هذه الآلة كميات هائلة من النار الاغريقية غير انها كانت أفظع ما رأت عينى على الاطلاق فقد شاهد زميلى ستر والتر هذا السيل المنهمر من النيران كالنيران المشتعلة ومن خلفها ذيل طويل ، أما

الصوت الذى كانت تحدثه عند انطلاقها فكان الرعد وكانت تشق الهواء كأنها تنانين من النار تطير فى الهواء تضىء ظلمة الليل ضوءا قويا ، حتى لقد كنا نرى الأشياء فى خيامنا وكأننا فى النهار تماما .

ولقد اطلقوا النار من هذه الآلة ثلاث مرات فقط فى تلك الليلة وكان مليكنا الطيب لويس فى كل مرة يسمع هذه الطلقات يركع على الأرض ويتجه الى السماء باسطا ذراعيه والدمع ينهمر مدرارا من خديه ..

ولقائل أن يقول : من الذى دفع لويس الى مهاجمة المسلمين فى عقر ديارهم واحتلال بلادهم فاذا هزموه ، تذلل وانهمرت دموعه وضعف والتصق بالارض ولكن هل ارعوى لويس من هذه التجربة ، انه لم يلبث أن قاد حملة أخرى الى تونس وهناك قتل جزاء عدوانه .

آخر العامود :

احفظ قلبك من ارادة الدنيا وحب الجاه وايثار الشهوات ، واقنع من ذلك بما قسم الله لك اذا خرج لك مخرج الرضى فكن لله شاكرا ، واذا خرج لك مخرج السخط فكن عليه صابرا .. وحب الله أساس تدور عليه الخيرات واصل جامع لانواع الكرامات وحصول ذلك يكون بأربع اشياء : الورع وحسن النية واخلاص العمل ومحبة العلم ، ولا يتم ذلك الا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح الزم الطهارة من الشكوك كلما احدثت تطهرت ومن دنس الدنيا كلما ملت الى شهوة اصلحت بالتوبة ما أفسده الهوى وعليك بمحبة الله على التوقير والنزاهة ..

« ابن مشيش »

* * *

(٨)

مخطوطات كهف قمــران

المسيح نبى مرسل من عند الله

تكشف الحفريات كل يوم جديدا يزيح الســـتار عن حقيقة تاريخية ، تظاهر ما جاء فى القرآن الكريم من آيات بينات جعلها الحق تبارك وتعالى نورا وهدى للبشرية حتى تؤمن وتصدق ثم تزداد ايمانا بانه من عند العليم الخبــير .

ولقد وعد الله تبارك وتعالى أن يوسع دائرة العلم بين يدى الناس ، وأن يريهم من آياته ما يؤكد الحـــق الذى جاء به دين الله ويدحض تلك الأكاذيب والاغاليط والمفتريات التى ادعاها بعض من لم يفهموا كتاب الله فى الأزمنة الغابرة فحرفوا وزادوا ونقصوا .

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » .

ولقد عرضنا من قبل لمـــا كشفته الأبحاث الحديثة فى شأن فرعون وفى شأن القرى المكتفئات التى كانت تفعل الخبائث . ومن قبل ذلك كشفت الحفريات كثيرا من شأن قوم ابراهيم وقوم اسماعيل بما صحح كثيرا من الاكاذيب المدعاة التى حاولت انكار رحلة ابراهيم الى مكة واقامة قواعد البيت مع ابنه اسماعيل عليهما السلام وكان لهذه الكشوف الأثرية أثرها العكسى المضاد لمـــا كان يهدف اليه بعض الدعاة لها .

وكان من أخطر الاحداث فى هذا الصدد ذلك الكشف الأثرى الخطير الذى وقع عام ١٩٤٧ على شاطىء البحر الميت عندما عثر أحد البدو حينما ضلت عنزاته فذهب يبحث عنها فاهتدى الى أحد الكهوف على تلك الجرار الحجرية الغريبة التى تشتمل على محفوظات دينية أذهلت العالم المسيحى بأسره . وقد أطلق عليها كشوف شاطىء البحر الميت او خربة قمران التى تقع جنوب مدينة أريحا (ثمانية أميال) وقد عرف من بعد أن هذه الكتابات مما لا يقدر بثمن لانها القت الضوء على مرحلة خطيرة من تاريخ المسيحية وتاريخ السيد المسيح نفسه والتى كتبت قبل مولد السيد المسيح بسنين طويلة . وقد أسرعت بعثات الجامعات والفاتيكان الى الحصول على هذه الملفات أو اجزاء منها ، وانفقت الحكومة الاردنية خمسة عشر الف دينار فى سنة واحدة لشراء هذه المخلفات الأثرية القيمة .

وقد أجريت فحوص دقيقة على هـذه المخطوطات من قبل مؤتمر للمستشرقين عقد فى باريس اثبتت انها وثائق حقيقية لا زيف فيها ولا تلاعب وقد وصفها واحد من اعظم علماء الآثار من المتخصصين فى آثار التوراة وهو الدكتور البرايت من الولايات المتحدة بقوله انها اعظم اكتشاف للمخطوطات فى العصر الحديث وافضل تاريخ يمكن أن تكون كتبت فيه هو مائة سـنة قبل الميلاد (بالحساب التقديرى المعروف الآن) وقد تبين كما يقول الدكتور صبحى الدجانى — ان هـذه الملفات كتبت بأيدى كتبة فى (دير الاسينين) الذى مازالت خرائبه واطلاله وبقاياه بادية للعيان الى يومنا هذا على مقربة من الكهف الذى اكتشفت فيه أول مجموعة من هذه الملفات .

هؤلاء الأسينيون كانوا طائفة يعتقدون أنهم ورثة عهد النبوة وكانت طقوسهم وتعاليمهم وثيقة الصلة بتعاليم الدين المسيحى ، وقد اودعوا جميع ما عندهم من ملفات فى الكهوف عندما فروا ليأمنوا شر الاضطهاد الرومانى الذى كان واقعا عليهم فى ذلك الحين .

ويقول العلماء ان المسيح عليه السلام ربما يكون واحـدا من هؤلاء الاسينين وانه كان متأثرا الى حد بعيد بطقوسهم وعقائدهم .

وكان الأسينيون يعتبرون ثروتهم حصة مشتركة بينهم ، وانهم يعتقدون بخلود الروح وتتحدث نصوصهم عن واحد منهم يعلو عليهم كثيرا ويسمونه « السيد الاكبر » المدهون بالزيت او المسيح الذى اختاره الله وتتحدث وثائق الاسينين الذين كانوا يقيمون فى الدير على مقربة من البحر الميت انهم كانوا يشعرون بتسام روحى له شكر موجه الى الله تبارك وتعالى الواحد الأحد .

وتتحدث الوثائق عن حياة هذا السيد بما يشبه حياة السيد المسيح ، وقد استقرت فى الاذهان فكرة مؤداها أن هذا السيد أو المعلم الذى كان ينزل عليه وحى الله ويقول : ج. ل. تيتشر احد اساتذة كمبرج ان أحـد المراجع الأساسية فى ملفات البحر الاسود ان معلم البر والتقوى الذى يتحدث عنه الاسينيون هو نفسه يسوع المسيح ولا احد غيره .

ويقول جون كلارك صاحب بحث ضاف عن الوثائق انه من الممكن ان المسيح قد عاش قبل مائة سنة قبل التاريخ الذى اجمع الناس عليه حتى الآن وان فى ذلك جواب مقنع للذين طالمـا أعربوا عن شكوكهم فى الأدلة التاريخية الواردة عن مولد السيد المسيح لانها قليلة ومليئة بالمتناقضات ..

ويقول ابراهيم مطر ان هذه المكتشفات قد اقتضت دراسة استمرت سنوات طويلة ولا تزال ويعتقد العلماء انه برحت جماعة من الناس المحبة للعزلة ، الى تلك التلال الواقعة بجوار البحر الميت فرارا من حياة المدن الصاخبة سكنت فى ذلك الغور المقفر عند طرف الصحراء الموحشة فالتجأت الى نظام رهبانى شديد وحياة مشتركة شاملة وقد هزت المكتشفات الأوساط المسيحية والغربية ورجال الآثار حيث وجدت أدراج واطمار ، ومخطوطات متنوعة وقطع من النقود الوفيرة ، والأوانى المطبخية والجرار الفخارية ، كما عثر على مختلف أسفار العهد القديم ما عدا سفر (استير) فضلا عن

بضعة آلاف من المخطوطات المنوعة ذات القيمة التاريخية والأثر العظيم ؛

ويقول الباحثون : ان الرومان ربما هاجموا تلك الجماعة حوالى ٦٨ أو ٧٠ قبل الميلاد (بالتاريخ المعتمد الآن) وقضوا عليها وذلك عندما انقضت جيوشهم على اريحا بقصد اخماد فتنة اليهود التى اضطرمت اذ ذاك .

ويبدو أن تلك الجماعة التى سكنت فوق تلال قمران قد أخفت كتبها الدينية المقدسة بسرعة فى المغاور أملا فى أن تعود اليها بعدما تستقر الأحوال غير انه على ما يبدو لم يتح لاحد منهم العودة لاستعادة ما أخفوه من محفوظات .

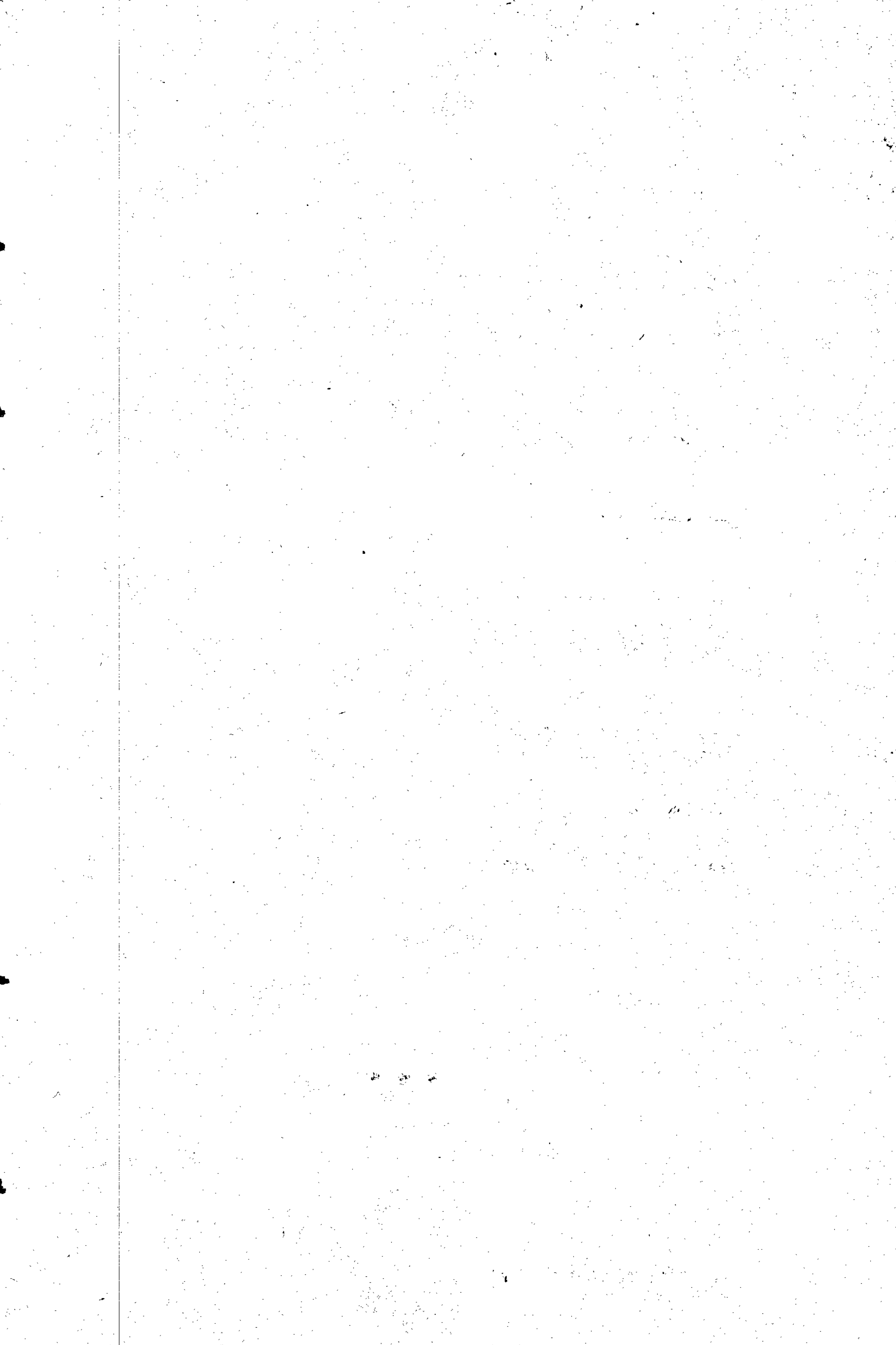
هذا مجمل ما عرف فى شأن كهف قمران التى نشرت الصحف من بعد انها قدمت حقائق جديدة تؤيد فهم القرآن للسيد المسيح رسولا ونبيا الى بنى اسرائيل .

وقد تجددت الدعوة فى الغرب الى النظر فى نصوص العهد القديم التى لا تتفق مع الحقائق التى قدمتها هذه المكتشفات .

كذلك فان بعثة دولية للآثار اكتشفت فى منطقة مناجم الملك سليمان بصحراء النقب أن المصريين عاشوا فى هذه المنطقة منذ ٣٢٧١ عاما وبناء على هذا صرح البروفسور بينوروتنبرج أحد علماء الآثار بأن هذا الكشف يتطلب اعادة النظر فى العهد القديم .

ولم تمض على ذلك الا سنوات قلائل حتى ظهر القس المسيحى (بايك) الذى نشرت صورته مجلة تايم الامريكية على غلافها فى (١١ نوفمبر ١٩٦٦) مع بحث مطول تحت عنوان انقلاب أو ثورة أجراها القس المسيحى بايك (وقد أعلن بايك أن المسيح نبى وليس الها ولا ابن الاله ويبدو أنه اعتمد فى ذلك على الوثائق التى ظهرت فى مغارة قمران بدليل انه قصد بعد ذلك الى هذه المنطقة فأقام بها فترة منقبا وباحثا حتى قضى نحبه وقد ألفت زوجته كتابا معروفا عن تجربته هذه) .

* * *



كهف الرقيم بعـــد كهف قمران

وبعد أن اذن الله بالكشف عن كهف قمران الذى وصل اليـــه الراعى بطريق الصدفة المحضة تحقق كشف الرقيم الذى شغل المسلمين طـــوال تاريخهم وتعددت تفسيرات العلماء عن أماكن مختلفة ظنوا انها هى التى أشـــار اليها القرآن الكريم . ومنذ عهـــد الواثق فى القرن الثانى الهجرى والمسلمون مشغولون بهذه القضية فقـــد بعث الخليفة العباسى العـــلامة المشهور محمد بن موسى الى بلده افسوس بآسيا الصغرى من بلاد الروم لزيارة الكهف الذى قيل ــ يومها ــ انه حفظ رفات الفتية الذين ورد ذكرهم فى سورة الكهف .

وقد منح الامبراطور البيزنطى ميخائيل الثالث البعثة الاسلامية التى كانت تتألف من هذا العالم ومن معه تفويضا خاصا لزيارة الكهف وبعث معهم دليله الخاص لارشادهم لموضع الكهف وقد أشار بعض المفسرين الى أن يكون الكهف فى دمشق ، أو فى البلقاء قرب عمان ومنذ سنوات طويلة كان أحـــد الباحثين الاثريين الفرنسيين (كليهانت جابو) الذى كان قنصلا لبلاده فى بيت المقدس ١٨٦٠ كما يقول الأستاذ حسن فتح الباب قد زار المكان الذى دل عليه سكان البادية وأكد انه موقع الكهف الذى تحدثت عنه المصادر الاسلامية والمسيحية على السواء ، وله كتاب فى هذا ضمنه عددا من الصور ومنهم بطريرك السريان فى دمشق الذى أورد ابياتا من الشعر السريانى القديم تحكى قصةأهل الكهف وذلك من الادلة على اعجاز القرآن الذى أورد المعلومات الدقيقة عنهم وقد حملت الاخبار فى الاخير اكتشاف كهف الفتية الذين آمنوا بربهم وفروا من عسف الامبراطور الرومانى (اقلديانوس) فى قرية الرقيم على مقربة من جنوبى عمان بالاردن (المسافة بينهما سبعة كيلو مترات) وهى القرية التى أصبح اسمها الرحيب واعلن الاستاذ محمد تيسير ظبيان ان الدراسة التاريخية والاثرية التى استغرقت أكثر من عشر سنوات داخل الاردن وخارجه قـــد أفضت الى الكشف عن موقع الكهف فى قرية الرقيم .

وقد عثر فى داخل الكهف على نقوش وأدوات زينة ونقود العهد البيزنطى فى القرن الثالث بعد الميلاد وهو العصر الذى عاش فيه أهل الكهف ، كمـــا عثر على أعمدة المسجد الذى أقيم على الكهف بعد موت أصحابه والذى ورد ذكره فى القرآن ، كما عثر على سبعة قبور وقبر ثامن للكلب الذى تبع الفتية الى الكهف (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) .

كما عثر على سبع جماجم بشرية وجمجمة حيوان فى القبور المكتشفة

ثبت أنها جمجمة كلب ، كما عثر على فجوة داخل الكهف (كوة عليها غطاء حجرى مثقوب) فلما رفع الغطاء إذا به ينفذ الى داخل الكهف حيث توجد فجوة يبلغ طولها حوالى أربعة أمتار وعرضها ثلاثة تقريبا بما يطابق عبارة القرآن الكريم وقد أشار بعض الباحثين الى أن بناء المسجد والأعمدة كان فى العصر البيزنطى وذلك مطابق لما جاء فى القرآن من ان الفتية قد استيقظوا بعد ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعا وكانوا قد أووا الى الكهف فى العصر الرومانى الوثنى وقاموا فى العصر البيزنطى .

وقد طابق كهف الرقيم ذلك الوصف الذى جاء به القرآن عن الفجوة التى لا توجد فى كهف افسوس بتركيا ويرى محمد تيسير ظبيان ان كهف افسوس لا يطابق ذلك الوصف المذكور فى كتاب الله .

وهكذا تتوالى الكشوف التى جاء ذكرها فى القرآن وتقدم لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد حجة جديدة على صدق القرآن وأحقيته ابالغة فى ان يكون المصدر الوحيد للتاريخ القديم وذلك بعد أن تبين زيف كثير مما أوردته التوراة المكتوبة بأيدى الأحبار والرهبان وخاصة فيما يتعلق بحجب رحلة سيدنا ابراهيم الى مكة ووضع القواعد من البيت مع اسماعيل وفى اكذوبة « السامية : لغة وجنسا » وفى كثير من دعاوى مبطلة وهكذا يؤكد القرآن انه جاء مصدقا لما بين يديه من التوراه والانجيل كما جاء مهيمنا على هذه الكتب ومصححا لما كتبه الاحبار والرهبان .

* * *

(٩)

حول علاقة شارلمان وهارون الرشيد

تجدد الحديث فى هـذه الرواية المشبوهة التى وردت فى بعض كتب التاريخ العربى الحديث عن علاقة بين هارون الرشيد وشارلمان .. وقد تبين من المراجعات التى أجريتها فى الدوريات القديمة أن هذا الموضوع كان مثار جدل منذ أكثر من خمسين عاما حيث كتب الأستاذ زهدى الداية فى مجلة الهلال المصرية يتساءل عما اذا كانت هناك حقا علاقات بين هارون الرشيد وشارلمان .. ويقول : راجعت الاصول التاريخية العربية كالطبرى وابن الأثير وابو الفداء وابن خلدون وابن خلكان والمسعودى والسيوطى فلم أجد ذكرا للعلاقات بين هارون الرشيد وشارلمان ، ولم أر لذلك ذكرا فى الكتب المتأخرة نقلا عن التواريخ الافرنجية .

قال العلامة كلينكوز : الذى اعتمد فى بحثه على الاصول اللاتينية : انه لم يكن هناك علاقات بين هارون الرشيد وشارلمان وما هذه العلاقات التى نسبت اليه الا خرافات اخترعتها عقول الرهبان والمؤرخين فى القرون الوسطى وقد أثبت كلينكوز قوله هذا بعدة براهين دامغة منها أن المرجعين الأصليين لتاريخ الرومان فى هذه الفترة لا يذكران ذلك وأن ذكر العلاقات بين هارون الرشيد وشارلمان كانت لعدم فهم هذين الكتابين فهما صحيحا .

لقد ذكر كتاب Lavi de Charlmagme تسع بعثات بين شارلمان وبطريرك القدس ولكن هذا لا يستنتج منه انه كانت هناك علاقات بين هذين الملكين .

ويقول الباحث : لقد تدرجت هذه الاسطورة حتى قامت بدور هام فى تاريخ القرون الوسطى وأصبحت فيما بعد حقيقة تاريخية مثبتة اقتبسها المؤرخون وبنوا عليها قصصا وحكايات غير صحيحة .

وان أول من ذكر العلاقات بين هارون وشارلمان هو القديس جـول وهذا اخترع قصة الهدايا التى تبودلت وزعم هذا الزعيم عام ٩٢٥ ميلادية أى بعد موت شارلمان بمائة وأحـد عشر سنة واعتمد على كتاب حيـاة « شارلمان لاجينرد » وعلاوة على ذلك جعل شارلمان حامى الاراضى المقدسة ولعل جول هذا أساء فهم ما كتبه اجينرد .

وقد كتب الراهب رشنو بعد جول يثبت ما كتبه جول وزاد عليه قصة اخرى وهى ان احد أمراء الشرق توجه الى اوربا يحمل شظايا من الصليب المقدس والكأس التى شرب بها المسيح لشارلمان .. ولكنه مات فى جزيرة كريت قبل وصوله الى شارلمان .. « وهذه خرافة اخرى » !

وغاية الراهب رشنو من ذلك الادعاء هو اشتهار صومعته التى تحتوى على شظايا من الصليب والكأس المذكورة .

وفى عام ٩٦٨ كتب الراهب (بنوا) اعجب من هذا كله فقد زعم أن شارلمان زار القبر المقدس ووهب لهارون الرشيد الأراضى المقدسة وجعله حاميا لها ولم تمض على هذه القصص الخرافية فترة حتى اصبحت حقائق تاريخية لا غبار عليها عند عدد من المؤرخين .

يقول زهدى الدايه :

ولعل القارىء يعجب بما كتبه المؤرخون فى القرون الوسطى عن هذه العلاقات ، فانهم خبطوا فيها خبط عشواء (اعتمادا على هذه النصوص الزائفة) .. ومن هؤلاء سيسيون ١٦٣٩ ومزرى ١٦٧٩ ، ذلك أن المؤرخين من جيل الى جيل اعتمدوا على ما كتبه غيرهم ولم يستنكفوا أن يزيدوا من عندهم أمورا أخرى ..

وقد أنكر العلامة كلينكلوز على كلينر زعم سريرتشر واثبت باختصار ان اضطهاد المسيحيين فى ذلك الزمن جعل البطريرك الاورشليمى يستعطف شارلمان . والمؤرخون ينفون حدوث اضطهاد للمسيحيين ، وقد ارسل تيودسيوس البطريرك الأورشليمى ٨٩٦ .. يمدح عدل العرب .. وربما لان البيزنطيين والامويين فى الاندلس كانوا أعداء لشارلمان وهارون الرشيد .. هذه العداوة ربما قربت بين الرشيد وشارلمان ، وبما أن الاصول العربية لا تذكر شيئا البتة عن العلاقات بين هارون الرشيد وشارلمان وبما أن الاصلين الوحيدين لحياة شارلمان وهما لا يذكران الا تسع بعثات بين شارلمان والبطريرك اذن نرجح ترجيحا علميا صحيحا أن البطريرك — لا هارون الرشيد هو الذى وهب القبر المقدس لشارلمان وان شارلمان لم يكن حاميا للاراضى المقدسة .. وان ذكر المفاتيح والساعة والفيل وما أشبه ما هى الا خرافات اخترعتها عقول الكتاب فى القرون الوسطى لغاياتهم الشخصية او لتعظيم شخصية شارلمان ، وهؤلاء الكتاب لا نثق بهم اى ثقة علمية صحيحة .

هذا ما نشر منذ خمسين عاما عن علاقة الرشيد وشارلمان وهو مطابق لما اوردته المصادر المعتمدة من عدم وجود هذه العلاقة أصلا وحق أن يرفع هذا الكلام من كتب التاريخ التى تدرس فى بعض البلاد العربية .

البـــاب الخامـــس

الحضـــــارة الإســـــلامية

١ ـ فضل الحضارة الاسلامية .

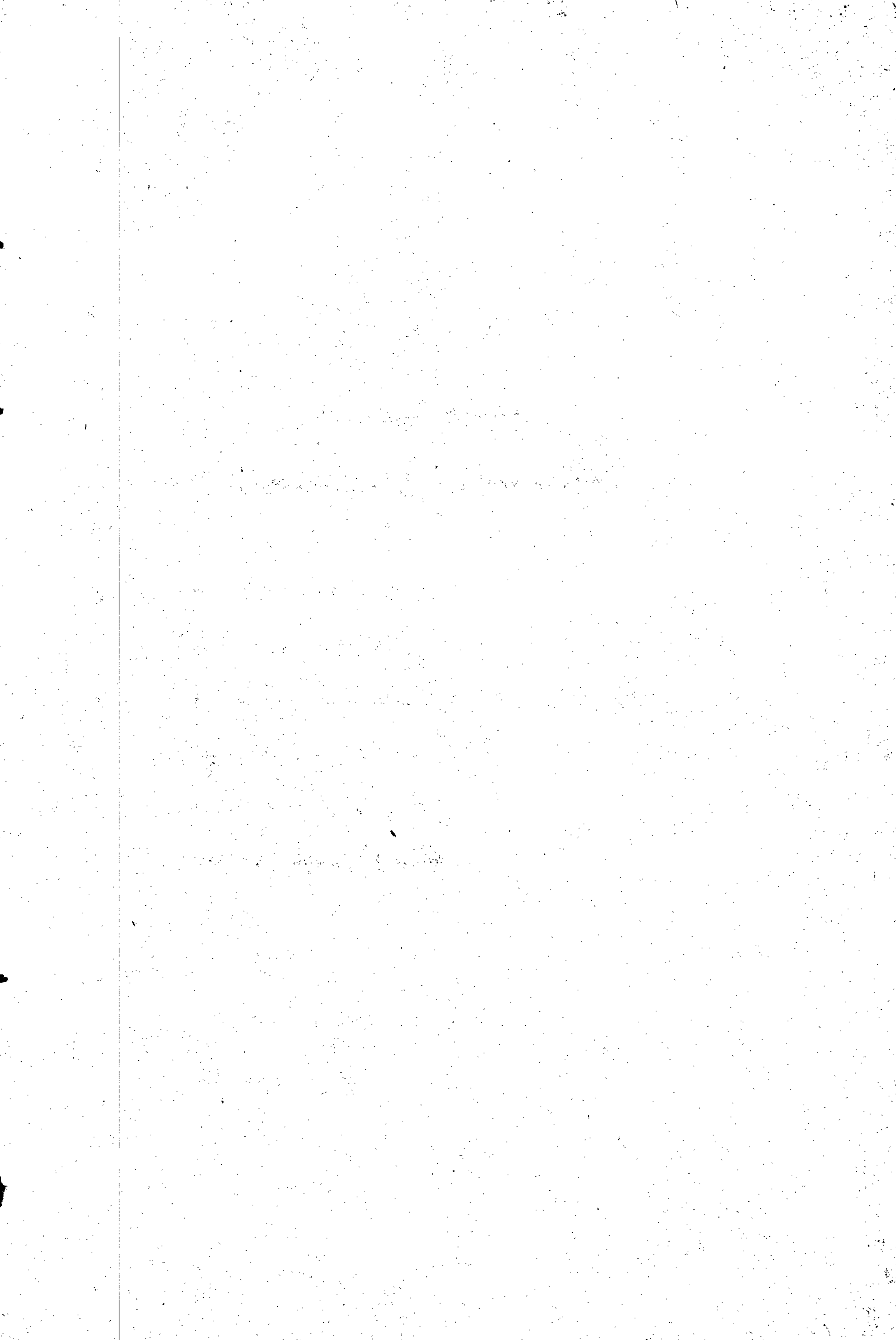
٢ ـ مشعل الحضارة يعود .

٣ ـ الاسلام يسبق الطب الحديث .

٤ ـ شمس الله تسطع على الغرب .

٥ ـ مستقبل الحضارة الاسلامية .

٦ ـ حقائق عن الحضارة الاسلامية .



(١)

فضل الحضارة الاسلامية

من أعظم الصيحات المدوية التى أيقظت الفكر الغربى وحولت تياره نحو الاعتراف بفضـل الحضـارة الاسلامية بعد فترة طويلة من العقوق : هو ما كتبه توماس كارليل فى كتابه الأبطال عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فى باب « البطولة فى صورة النبوة » ..

ثم جاء كتاب حضـارة العـرب لجوسـتاف لوبون فأنصف المسلمين والاسـلام وان كان فى صميم رأيه فى الدين ليس على ما يحب المسـلمون بل انه نفسه لم يكن مؤمنـا بالمسيحية ، وتلك خلة نجدها فى أكثر الباحثين الغربيين وفى المستشرقين ، ولعل مما يؤخذ على جوستاف لوبون نسبته هذه الحضارة الى العرب وتسميتها باسمهم مع أنهـا حضارة اسلامية ويرجع هذا الى غلبة فكرة العنصرية التى طافت ريحها بأوربا ثم تأثر بها الشرق من بعـد ..

● يقول جوستاف لوبون : للاسلام وحدة الفخار بأنه أول دين قال بالتوحيد المحض الخالص وبأنه أول دين نشر أتباعه ذلك التوحيد فى أنحاء العالم فالاله الواحد المطلق الذى دعا اليه الاسلام منزه عن شريك له مهيمن على كل شيء ، وتشتق سهولة الاسلام من التوحيد المحض ، وفى التوحيد سر قوة الاسلام . والاسلام ادراكه سهل ، خال مما نراه فى الأديان الأخرى ويأباه الذوق السليم من المتناقضات والغوامض . ولا شيء أكثر وضوحا وأقل غموضا من أصل الاسلام . فانك اذا اجتمعت بأى مسلم من أى طبقة رأيته يسرد لك أصول الاسـلام فى بضع كلمات وهو بذلك على عكس غـيره ممن لا يستطيع الحديث عن الدين من غـير أن يكون من علماء اللاهوت والجـدل .

وقد ساعد وضوح الاسلام ما أمر به من العدل والاحسان على انتشاره فى أنحاء العالم وبذلك نفسر يسر انتحال كثير من الشعوب للاسلام . ومن الذين كانوا تابعين لحكم القياصرة فأصبحوا مسلمين حين عرفوا أصول الاسلام كما نفسر به السبب فى عدم تحول أية أمة بعد أن رضيت الاسلام دينا ..

ويقول جوستاف لوبون فى موقف الاسلام من الأديان الأخرى :

والاسلام من أكثر الديانات ملاءمة لمناحى العالم واكتشافاته ومن أعظمها تهذيبا للنفوس ودعوة الى العدل والاحسان والتسامح ..

والبوذية وان قامت جميع الأديان الشرقية على فلسفة تراها مضطرة الى التحول حين تبدو للجموع وهى لا شك دون الأسلام تأثيرا فيها ، وتأثير دين محمد فى النفوس أعظم من تأثير أى دين آخر ، ولقد دخلت دولة العرب فى التاريخ ، ولكن الدين الذى كان سببا فى قيامها لا يزال ينتشر ، والسهولة التى انتشرت بها شريعة الاسلام فى العالم شاملة للنظر ، والمسلم حيث يمر يترك دينه وخلقه ، وقد بلغ عـــدد أتبـــاع النبى الملايين الكثيرة فى البـــلاد التى دخلها تجار العرب بقصد التجارة لا بقصد الفتح ، كبعض أجزاء الصين وافريقيا وآسيا الوسطى وروسيا ، وقد اعتنقت هذه الملايين الاسلام طوعا لا كرها ولم نسمع انه أرسل جيش مع أولئـــك التجار المبشرين لمساعدتهم وفى الهند لم يوفق مبشرو البروستانت على الرغم من مظاهرة حكومتها لهم وفى الصـــين حيث اعترف المبشرون بفشـــلهم يكتب الاســـلام اتم الفـــوز ومع ما أصاب حضارة العرب ، لم يمس الزمن دين محمد الذى له الآن من الفـــوز ما كان له فى الماضى ولا يزال ذا ســـلطان كبـــير على النفوس وهو فى ذلك على خلاف الأديان الأخرى التى تخسر كل يوم شيئا من قوتها ..

● وتحدث جوستاف لوبون عن عدل الفتح الاسلامى فقال ان العرب وهم أعقل من الكثيرين من اقطاب السياسة فى الزمن الحديث ، كانوا يعلمون جيدا أن النظم الواحدة لا تلائم شعوب الأرض قاطبة ، وكان من سياستهم ان يتركوا الأمم حرة فى المحافظة على قوانينها وعاداتها ومعتقداتها . كان يمكن أن تعمى فتوح العرب الأول ابصارهم فيقترفوا من المظالم ما لم يقترفه الفاتحون عادة ويسيئوا معاملة المغلوبين ويكرهونهم على اعتناق دينهم ونشره فى انحاء العالم ولكن الخلفاء السابقين الذين كان عندهم من العبقرية ما ندر وجوده فى دعاة الديانات الأخرى أدركوا أن النظم والأديان ليست مما يفرض قسرا فعاملوا الكثير من الشعوب وكل قطر استولوا عليـــه بلطف عظيم تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة فى مقابل حمايتهم لهم وحفظ الأمن بينهم ، الحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ، ورحمة العرب الفاتحين وتسامحهم كانا من أسباب اتساع فتوحهم واعتناق كثير من الأمم لدينهم ونظمهم ولغتهم التى رسخت وقاومت جميع الغارات وبقيت قائمة . وأشار جوستاف لوبون الى معاملة عبيدة بن الجراح لأهل حمص فقد رد عليهم ما جباه منهم باسم الجزية عندما بلغته حشود الروم فى اليرموك قائلا : « سكنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم » ..

وغادر مدينتهم منسحبا بجيشه ، مما دعا أهل حمص للقول :

لولايتكم وعدلكم أحب الينا مما كنا فيه من الظلم والضيم . ولندفع جند هرقل عن المدينة مع عاملكم ..

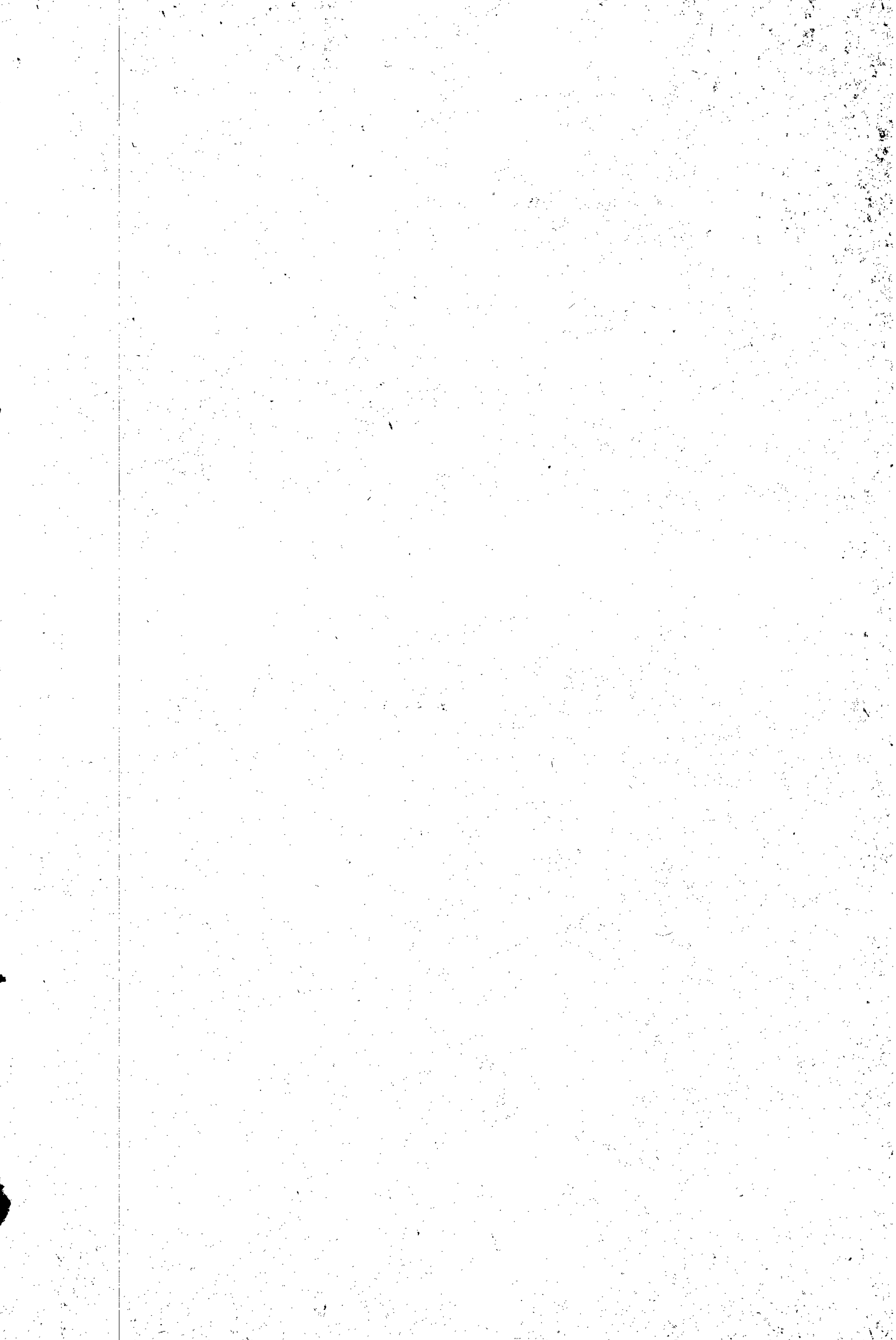
وقارن جوستاف لوبون بين تصرف المسلمين هذا فى عدله ورحمته وسماحته وبين تصرف بريطانيا واستعمارها ..

وقال أن اللورد ملبورن رئيس وزراء بريطانيا فى عهد الملكة فكتوريا القريب من عصرنا هذا سنة ١٨٤٠ قد خاض هذا الرئيس السياسي مع الصين

« حرب الأفيون المشهورة » فأدار عليهم المدافع من سفنه الحربية ومن النقاط التى ارتكز عليها فى السواحل فصبت عليهم شواظا من النيران بلا رحمة ولا هوادة فأحرقت المدن والمنازل والسكان بما فيها من الشيوخ والنساء والأطفال حتى أكرههم على قبول هذه التجارة المحرمة فى بلادهم ليربح كل سنة من هـذا السم القـاتل ومن تلك الضحايا البريئـة ١٥٠ مليونا من الجنيهات ، وقد بلغ ضحايا المدخنين لهذا السم كل سنة اكثر من نصف مليون شخص (أى ٦٠٠ الف ضحية) ..

وقال جوستاف لوبون : **الحق أن الأمم لم تعـرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ، ان الاسلام هو الذى أعطى المسلمين هذه الرحمة ، وهذا التسامح ونحن رأينا صورا مختلفة مثل حرب الأفيون واقسى منها حروب الاستعمار الحديث وأشد منها ظلم الصهيونية وقسوتها وحبها للدماء والعدوان والابادة ..**

* * *



(٢)

مشعل الحضارة يعـود

مرة أخرى فى ايدى المسلمين

الاستاذ عثمان الكعال المؤرخ الاسلامي التونسى بقية من جيل رائد من اولئك الذين عاشوا يتابعون تراث الاسلام وما كتب عنه ، وهو منذ خمسين عاما يواصل قراءة ما كتب علماء الغرب ومستشرقوه عن (الاسلام والغرب) التقينا به في الملتقى الاسلامي بالجزائر شخصية طليقة حافلة بالعلم مزودة بالوثائق ...

يتحدث عن دور المسلمين فى الحضارة العالمية حديث الباحث المتمكن : المسلمون اخترعوا الصفر والأرقام ، وابتدعوا الجبر والمثلثات ، وعلموا سلفستر الثانى ، وادفونش العاشر الذى اخـذ حساباته الفلكية عن أبي الزرقال واخذ المؤسيقى عن موسيقى العرب . والرومان لم يعرفوا الدورة الدموية التي عرفها المسلمون ولا اخترعوا الساعة التى اخترعها المسلمون للصلاة وبالضبط العباس بن فرناس المتوفى عام ٨٧٣ ، فقد صنع الميقاته (اسم آلة من الوقت) أو « الميقاتة » ومنها المنقلة بالتونسية اى الآلة ، وقصد بها معرفة أوقات الصلاة وكتب عليها او بالأحرى على لسانها :

الا اننى للدين خـيـر اداة
اذا غاب عنـكم وقت كل صـلاة
ولم تر شمس بالنهـار ولم تنر
كواكب ليـل حالك الظلمـات

واهداها للخليفة محمد بن عبد الرحمن الاموى بقرطبة ، والعباس بن فرناس هـو بربري من تاكرنا بالاندلس ، فهذا البربرى الذى ارادوا أن يفرنسوا أو ينصروا اخوانه هو الذى اخترع الساعة للصلاة وهو اول من اخترع البلور الصناعي . وطارق بن زياد الذى فتح الاندلس بربرى ويوسف ابن تاشفين الذى أعاد فتحها وعبد المؤمن بن على الكومى الذى أعادت دولته فتحها ثانيـة كلاهما بربرى فمقارنتكم صعبة ومختلة ، ولا نصيب لهـا من الحقيقة ...

ويقول : ان الغربيين يقولون أن المسلمين عاجزون عن العلوم الرياضية والعقلية والفلسفية ، ياللعجب ، رمتنى بدائها وانسلت . من اخترع الصفر ،

والمنازل القيمة فى الارقام والمثلثات والخوارزمية والجبر ، والساعة ، وبيت الابرة ، ودفة السفينة ، والاسطرلاب والخريطة البحرية من اكتشف الدورة الدموية ، والتلقيح ، ومن فصل الطب عن الصيدلة ، من ابتدع علم الاسرة التجريبى ، من اكتشف العطور والصابون ، وصناعة السكر ومن نشر بأوروبا تربية دودة القز ، والارز والقطن والنارنج والليمون ، والاشجار الغالية المثمرة ، من كانوا أساتذة الفونس العاشر والبابا سلفستر الثانى الذى أسس أول جامعة طبية فى أوروبا ومن ترجم كتب العرب فى الطب والفلك والنبات الى اللاتينية .. من استنبط القهوة ونشرها مع السكر ، والحصان العربى فى أمريكا ، من اخترع المدفع والاسلحة النارية والبلطة التى حافظت على اسمها العربىّ فى اللغــات الأوربيـــة بالاسبانية والفرنسية بل من أعجب ما يكون انى كنت أبحث عن اشتقاق كلمة لوزنج الفرنسية وهــو شــكل هندسى يسمى بالعربية (المعين) أو « اللوز » ، فمعظم معاجم الاشتقاق ذكرت أنه اشتقاق مجهول فبحثت فى الانكليزية فجاء فى القاموس أنه : أولا مقطر حبات بشكل لوزى مخلوطة بعقاقير لعلاج السعال ثانيا : يطلق أيضا على الشكل الهندسى المعروف ، واذن هى لوزينج الجاحظ فى كتاب البخلاء ، فى قصة الرجل المصاب بالسعال ، والذى كان بخيلا ، فوصف له اللوزينج فاستثقل المؤونة ، ووصف له ماء النخالة يحسوه حسوا فشفى بحمد الله ، وذكرت قصـــة اللوزينج لأحــد كبــار التونسيين ، فسكت وكان لســان حاله يقوله « الله يحبس علينا العقل والدين » ونحن فى المشرق نقول « الله يحفظ علينا العقل والدين » . ثم خرج ورجع بعد لحظات وبيده علبة مكتوب عليها بالانجليزية « لوزينج كهه » أى الكحة ! فاندهشنا كلنا وأخذت انا العلبة أولا ، لانى كنت مصابا بالسعال ، وثانيا : لانى عثرت على هذا الاشتقاق فأيدته العلبة ... فكيف يقال بعد هذا ، ان الاسلام خال من العلوم ، وعاجز لغة وتأسيسا وذهنية عن الاتيان بها ، والاجادة فيها .. ولكن قرن ونصف قرن من التعليم الاجنبى ، ومن محاولة قتل العربيـــة ، ومن تعطيل التعليم الاسلامى ومن تجهيل أبناء الاسلام بحضارتهم وأمجادهم يفعل هذا وأكثر . ولكن لم نلبث أن وجــدنا كتابا مسلمين باللغة العربية أضعاف نظــائرهم بالفرنسية والانجليزية ، فالاسلام لم يشأ أن يموت لانه لا يمكن أن يموت ، وأخذ يشعر بعظمته فسما فى نظر نفسه ونظر خصومه ..

وهكذا يمضى الأستاذ عثمان الكعاك فيفصل القول وعنده رصيد ضخم من التراث العربى .

وكان فى الطريق يحدثنــا عن « الرباطات » القائمة فوق الجبــال : تلك الرباطات الممتدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط من دمشق الى الدار البيضاء التى بناها المسلمون ليرقبوا منها تحركات الغزاة ويرابط بهذه الرباطات المسلمون يتبادلون الاقامة فيها طوال العام ، وفيها ينسخون الكتب ويعبدون الله ، فاذا ما ظهرت مركب رصدوها ثم أطلقوا الحمام الزاجل الى الأمير والى قائد الجيش الى كل مركز من مراكز المراقبة ليكونوا على أهبة الاستعداد لمواجهة الخطر ، ولعلنا اذا عرفنا أن الحرب بين المغرب وأسبانيا استمرت ثلاثمائة عام قبل الاحتلال الفرنسى للجزائر وبعد سقوط الأندلس ما عجبنا حين رأينا رباط مدينة (بجاية) فوق الجبل ما زال قائما كالعلم .

ويتحدث عثمان الكعال .. ويفصل القول ، ويراجع آراء كتاب الغرب الذين أولوا هذه الرباطات اهتماما كبيرا ..

ويتحدث عثمان الكعال عن الدور القادم للاســـلام والمسلمين ويرى أن هذا الطور بدأ عام ١٩٤٥ وبه تحول العالم الاسلامي من التوريد الاقتصادى الى التصدير الاقتصـــادى ومن طلب المواد الخـــام الضرورية الى تصديرها بما فى ذلك البترول الذى هو العامل المادى فى كل نهضة اسلامية : مادية واجتماعية وثقافية . فالعـــالم الاسلامي نكب أولا ، اذ تحول من التصدير الى التوريد فاذا انتقل من التوريد الى التصدير فقد تحولت دفة السياسة الاقتصادية لفائدته وهى أم السيادات كلها . وتبقى بعد ذلك السيادة الثقافية ، فهذه تحتاج الى ايمان بها يدفعنا الى معرفتها بترجمة ما كتبه الأوربيون عنها وزهد فيه المسلمون ، وبتأسيس كراسي فى الجامعات الاسلامية ، موضوعها : تاريخ العلوم والفنون عند المسلمين وتأثيرها على أوربا وأمريكا .

لقد انتبه المسلمون على دوى الجبر ، والرياضيات ، وبخار السفينة ، وأزيز الهاتف ، والماع البرق ، وقرقعة السيارة ، وهزيز الطيارة ، وصفير الباخرة ، فاندهش المسلمون وما طالت بهم الدهشة ، بل منهم من لم يأخذ اجازته كأهل الأندلس فاستمروا خلال القرن السابع فى ترجمة كتب الاسبانيين فى المدفعية « محمد بن غانم النواشى » وكتب الجبر وكتب الأدب وغيرها .. وهكذا ظهرت بشائر الطور الخامس الذى هو طور رجوع المشعل للمرة الثانية للمسلمين فترجموا بالمغرب والجزائر ، وتونس ومصر والشام ، ونهضت الهند الاسلامية التى لم تشأ أن تنام ، وتركيا التى أخذت (تعسيلة) فقط ونهضت ايران ، ونهض العالم العربى كله نهضة جبارة ، فترجم وأسس الصحافة والمسرح ، والجمعيات والمكتبات والمتاحف والحكومات الدستورية ، والجامعات والمعاهد ، لكن فت فى ساعده الاستعمار ، متى بلغ البنيان يوما أشده ، اذا كنت تبنيه وغيرك يهـــدم ، وظهر فى القرن الماضى بناة الفـــكر الاسلامى فى الاصلاح : الامام محمد بن عبد الوهاب ، الأمير عبد القادر ، خير الدين التونسى ، جمال الدين ، ومحمد عبده وهذه كلها عناصر تمهيدية للطور الخامس الذى سيبدأ فعلا باستقلال العالم الاسلامى . عندئذ رجعت للاسلام سيادته الترابية بعد جهاد وطنى بطولى ممجـــد مرير ، وسيادته السياسية ، والاقتصادية والثقافية ..

أما الأدوار السابقة فهى كما يراها عثمان الكعال :

فى الطور الأول : (شرقى) ظهر الفينيقيون والسرامطـــة ، والحيثيون والمصريون والبربر والعالم الأسود .

وفى الطور الثانى (غربى) : ظهر اليونان والرومان فتعلموا عن العرب والفرس ، وجاء الرومان .

وفى الطور الثالث : جاء الاسلام فأسس أولا دولة الدين ثم دولة السياسة والادارة .. والقضاء والحكم ، ثم دولة العلم والأدب والفن والتقنية التى نشر

معالمها ووزع أصولها ومبادئها ، فالعالم القديم ، ودولة الدين بنفسها هى دولة علم اسلامى انتشارى وتوزيعى ومقيس عليه ، فأول كلمة فى القرآن هى فعل الأمر من مادة (اقرأ) « اقرأ باسم ربك » فالقرآن الكريم هو المؤسس للتعليم الاجبارى باذن الرب الكريم سبحانه وتعالى . ثم ان الاسلام أسس علومه من لغة وبلاغة ونحو ومعاجم لفهم القرآن والحديث ، ثم أسس العلوم القرآنية والحديثية ، ثم أسس العلوم الميكانيكية اللازمة لأداء فرائضه ، كآلات التوقيت من مزولة ومرملة ، وساعة وآلات نقل الحجاج بحرا بواسطة السفن من بوصلة ودفة سفينة واسطرلاب وخريطة بحرية وعلوم ملاحة وقيس أراضى وعلوم عدد وحساب وجبر ومثلثات لمعرفة الفرائض فى المواريث ولمعرفة قيس الأراضى ومسالك الحج ، كما درسوا الفلك لمعرفة مسالك النجوم والأهلة التى يرصدون بها مداخل الشهور فى حسابهم الهجرى المبنى على النظام القمرى .. ونبغوا فى الموسيقى والمعمار ، والرسم والنقش واخترعوا وسائل الثقافة المادية التى هى الكاغد والتجليد والطباعة الخشبية منذ العهد الأغلبى الرستمى ، والادريسى ونشروا كل ذلك فى أوربا ، وجلبوا مزروعات جديدة من الشرق مثل النارنج والقراصيا (حب الملوك) ، والأشجار المثمرة الغالية ، والزهور مثل البيلك والوسن ، والياسمين والخيلى ، وجلبوا العقاقير والأدوية مثل الزعفران والفلفل الأسود والسكنجين ، والقرجة ، وابتدعوا الكيمياء الزراعية فصنعوا السكر والعطور ، والمستقطرات ، والصابون ، والغوالى وجلبوا زراعة الأرز والاسبارج ، والأرضى شوكى (الخرشوف) ونبغوا فى المعمار ، فابتدعوا القبة والزليج (القاشانى) ، والقوس العربية وقوس الجب ، والمقرنس والسقف الخشبى المرصع ، والفوارة ، والبستان الاسلامى الممتاز والقمريات ، والتوريق والنقش ونشروا ذلك فى أوربا وأمريكا ثم اقبلوا على ترجمة معظم كتب التراث القديم من هندى وايرانى وسريانى وأشورى ، ونبطى ويونانى ورومانى ، وبربرى وفينيقى وعبرانى فى العلوم والرياضيات والهندسة والفلسفة والطب والفلك ، والزراعة وأشغال الرى ، والموسيقى والسحر والطلسمات والأدب والقصص الشعبى « انظر الفهرست لابن النديم وبروكلمان » فعادت الثقافة العربية بذلك ثقافة عالمية ، وصارت المصادر العربية هى مصادر العالم والعلوم ..

ودام هذا الدور من القرن الخامس الى القرن العاشر أى من القرن ١٢ الميلادى الى القرن السابع عشر ، فعل ذلك ابن خلدون بالاضافة الى التاريخ فوضع العلوم الاسلامية والنقد التاريخى وتصنيف العلوم والبيداجوجيا .. وفعل ذلك بالاضافة الى الجغرافيا الشريف الادريسى ، وابن فضل الله العمرى ، وفعل ذلك فى الأدب النويرى فى نهاية الأدب وفى العلوم الانسانية والادارية والدبلوماسية ، القلقشندى فى صبح الأعشى ، وابن منظور فى اللغة فوضع لسان العرب ، وابن سيده فوضع المخصص وفعل مثل ذلك سرو الدين التيجانى فى الفلك والجيولوجيا والجغرافيا ، والأحجار والمعادن والحيوان والنبات والكيمياء والفيزياء والموسيقى ، فوضع سرور النفس بمدارك الحواس الخمس . ثم انتقلت علوم المسلمين الى أوربا ، ودام ذلك من القرن السابع الميلادى الى السابع عشر ، ثم أخذوا (أجازة) قرنين نبعت خلالهما علوم المسلمين لدى الأوربيين وترعرعت وزادوا فيها كثيرا واخترعوا واكتشفوا ،

وذلك هو الطور الرابع : رجوع المشعل للمرة الثانية الى الواجهة الشمالية من البحر المتوسط . ثم ها هو المشعل يعود مرة اخرى الى المسلمين .

وهكذا أمضى عثمان الكعاك ليلته معنا الى مطلع الفجر يتحدث عن الدور الذى قام به الاسلام للحضارة العالمية ، وما ينتظرهم اليوم ، وقد عاد المشعل مرة أخرى اليهم ..

ونحن نرى حقا تباشير هذا الدور .

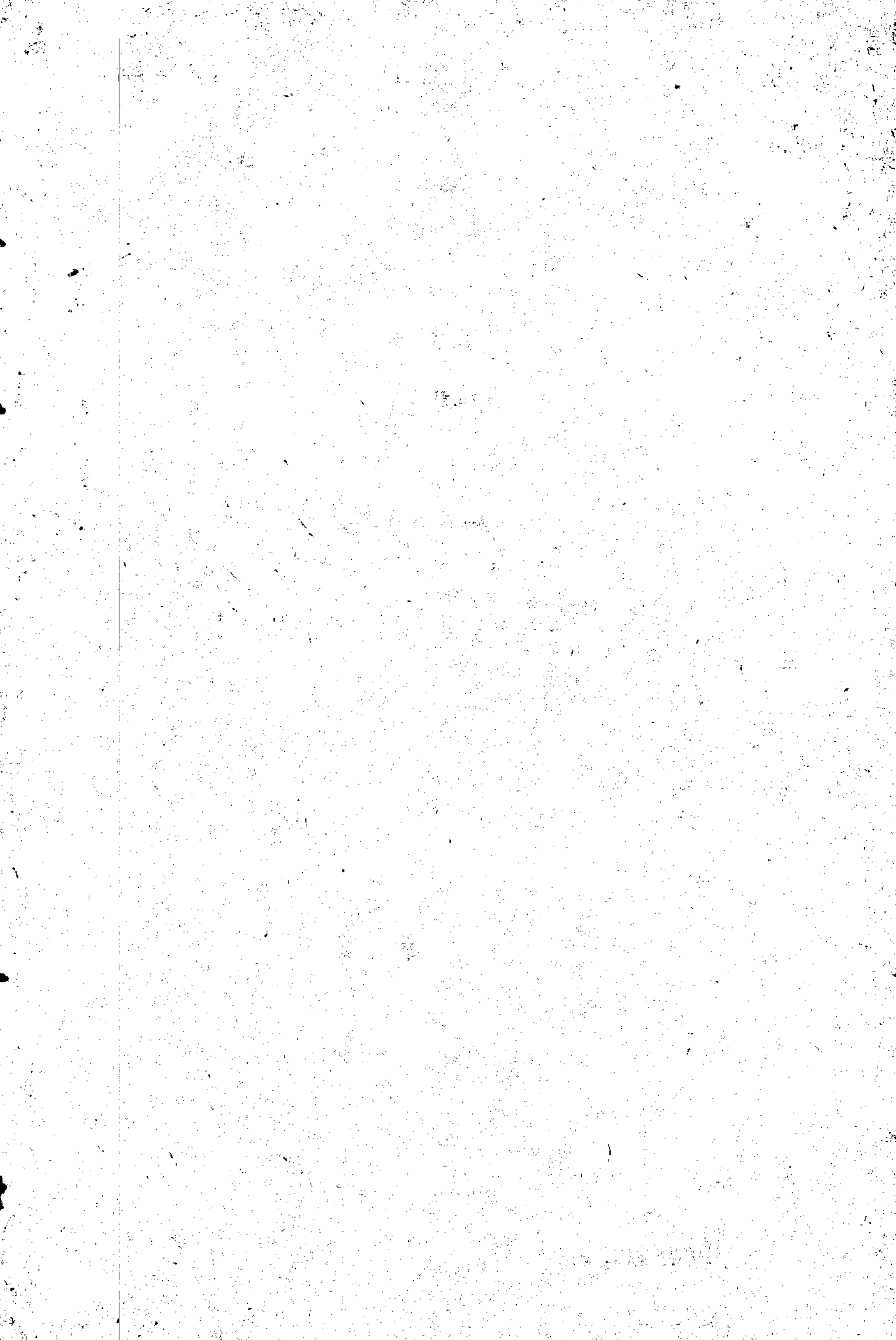
* * *

هـــذه الأمة

يقول توينبى :

« اننى أغبط أبناء المجتمع العربى لما تضفيه عليهم الأمة العربية أنه فى داره ما دام فى بلاد عربية اسلامية ، فالعراقى والمصرى او النجدى أو الحجازى أو المراكشى او التونسى ، لا يجد فرقا فى الجو الاجتماعى وروح الحياة العربية وعقليتها السياسية بين الرباط وتونس والجزائر ، والقاهرة وجدة ودمشق وبغداد والبصرة » ونقول وهذه هى وحدة الثقافة وهذه وحدة الأمة مصدرها الوحيد هو الاســـلام ..

* * *



(٣)

الإسلام يسبق الطب الحديث

بألف عام فى اعلان فساد الخمر

حدثنى الدكتور أحمــد غلوش فقال : كنت فى هلسنكى عاصمة فنلندا فى صيف ١٩٣٩ مندوبا عن مصر لدى المؤتمر الدولى لمكافحة المســكرات ، وكان بين البحوث التى عالجها المؤتمر بحثان علميان احدهما (هل الخمر تساعد حقيقة على تدفئة الأجسام ابان البرد ؟) .

وهذا ما يزعمه الكثيرون من الناس فيعمدون الى شرب الويسكى وغيره من المشروبات الكحولية قصدا الى وقاية أنفسهم من برودة الجو ، والثانى (هل تفيد الخمور التى تحتوى على عقاقير مقوية فى تقوية الجسم وذلك من أنواع الكينا الحديدية) التى يكثر تجارها من الاعلان عن فائدتها فى حصول من يتعاطونها على القوة والتخلص من الضعف ؟.

فكان قرار اللجنة الأولى : أن الدفء الذى يشعر به من يتعاطى الخمر لهذه الغاية دفء كاذب مضلل مخادع وليس دفئا حقيقيا صحيا ، كذلك الذى يحدث من تعاطى الأعذية المفيــدة . وذلك لأن الدفء بالخمر يرجــع الى أن كحول الخمر من شأنه أن يمدد الأنابيب الشعرية التى تحمل الدم الى سطح الجلد فى الوجه واليدين فيكون من اثر هذا التمدد أن تلك الأنابيب الشعرية وهى العروق تستجيب لها فى الأحوال العادية فيبدو عند ذلك وجه شارب الخمر محمرا يكاد صاحبه يتصبب عرقا من فرط ما يشعر به من الدفء والحرارة وهو فى هذا واهم مخدوع لأننا اذا وزنا حرارة جسمه وهو على تلك الحالة لوجدناها هبطت من درجة ٣٧ الطبيعية لكل انسان الى ٣٦ أو ٣٥ درجة وأحيانا اقل من ذلك فهذا الفرق قد ضاع على المسكين باشعاعه بفعل الهواء البارد المحيط بالجسم وعلى ذلك فان المؤتمر ينصح الناس بالكف عن تعاطى الخمور لتدفئــة أجسامهم ويعمدوا الى حفظ حرارتهم الطبيعية بالملابس الدافئة وبالغذاء المفيد .

فأردت التعليق بأن النبى محمد صلى الله عليه وسلم نبى المسلمين أعلن

هذه الحقيقة بعينها قبل اكتشاف أمريكا بألف عام وهو رجل أمى لم يقض فى الدراسة الطبية ولا التجارب الصحية يوما واحدا وانما كانت تعاليمه وليدة الوحى من عند الله . ثم ذكرت ترجمة الحديث الشريف وخلاصته أن وفدا من الأعراب قدم عليه وساله عن شراب يتخذونه من القمح والشعير أو الذرة يستعينون به على مقاومة برد بلادهم الشديد فسألهم الرسول هل ذلك الشراب واسمه (المزر) وهو مثل (البوظة) عندنا أو (البيرة) عند الافرنج سألهم : هل هذا الشراب يسكر ؟. فقال قائلهم : نعم ، انه يسكر ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا تشربوه فهو حرام ، قالوا : ولكنه يدفىء أجسامنا ويقيها من البرد ويعيننا على تحمله .. قال النبى صلى الله عليه وسلم : هو لا يدفىء ولا يقى من البرد ولا يعين عليه ولا يعين على شىء قط ..

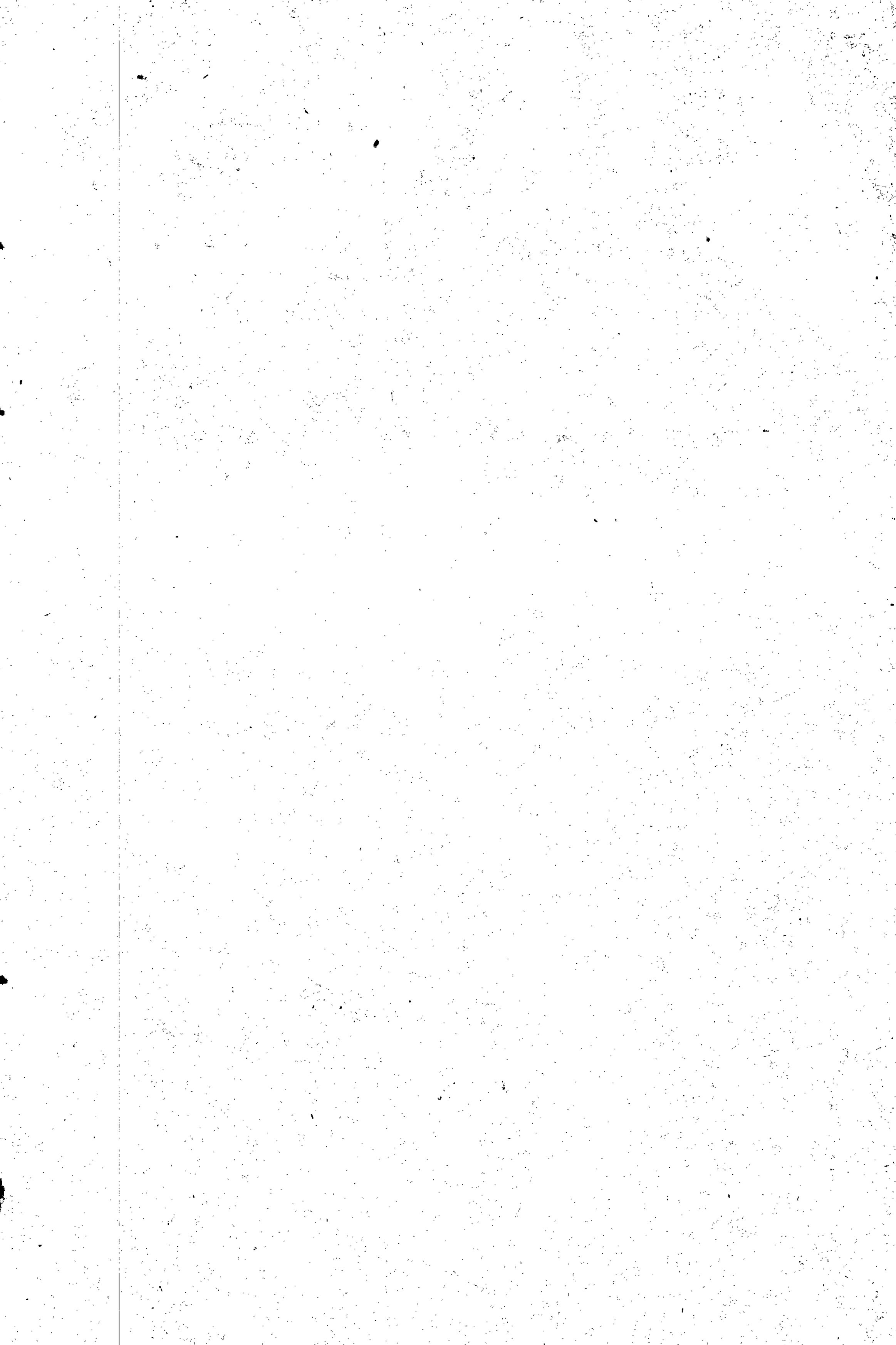
فكان سرور السامعين فى المؤتمر عظيما حتى أنهم لدى انفضاض الجلسة كانوا يتزاحمون على ويطلبون ان أملى عليهم ما سمعوه منى فكانت الأحاديث تدور حول تداوى الجسم وتقويته بتعاطى أنواع (الكينا) الحديدية التى كثيرا ما يعمد الى تعاطيها أولئك الذين تستهويهم الدعاية التجارية المغرضة لهذه المشروبات فكان الحاضر وهو كبير أطباء مستشفى فيينا وهو يعد من الأطباء العالميين ، قال : ان كل شراب أساسه الخمر كله هو الحال فى هذه المشروبات اذ انها تحتوى على (٤٠ فى المائة) من الكحول لا يمكن أن تفيد الجسم فى شىء واذا أفادت بعض الفائدة فان ضررها أكثر من نفعها بكثير وخير لمن يريد أن يتقوى بالعقاقير الطبية مثل الكينا ونحوها ان يتعاطاها بدون الخمر كأن يغليها أو ينقعها ثم يشرب نقيعها أو ما يغليه منها فيحصل على فائدتها كاملة بثمن رخيص جدا لا يذكر بجانب ثمن المشروبات الحديدية التى يعلن عنها ، ثم ختم المحاضر أقواله بأنه ثبت للجنة الصحة الاجتماعية أن الخمر داء لا دواء وأن الرجل الوحيد الذى يفيد من الخمر هو صانعها وبائعها والمتجر بها ، أما متعاطيها فهو الفريسة والضحية لما يستهلك منها .

وهنا طلبت الاذن فى الكلام للتعليق على ما ذكره المحاضر ، فقلت : وهذه معجزة ثانية كشف عنها هذا المؤتمر على ما ذكره المحاضر لنبى الاسلام صلى الله عليه وسلم فقد جاء أعرابى ينوب عن قومه وساله عن شراب يصنع من الخمر ويستعملونه للتداوى فهل هو حرام ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هو حرام ما دام مصنوعا من الخمر ويحدث السكر . فقال الاعرابى : ولكننا نستعمله للدواء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو داء لا دواء فاجتنبوه ولا تقربوه .

كان الدكتور احمد غلوش من علامات حركة اليقظة فى الشرق ، فقد حمل لواء الدعوة الى محاربة المغيبات العقلية أكثر من سبعين عاما ، يقول :

كنت أطارد أصحاب الحانات ، كلما أغلقت حانة فتحوا غيرها ، فأذهب الى المسئولين لأغلقها ، وقد حوربت من الانجليز لموقفى من معركة الخمور اتخذونى عدوا لهم وكانوا يقولون اترك المسكرات حتى نرقيك ، فأقول لهم : لن أتركها ابدا وأعيش فقيرا فى ظل عقيدتى ، لقد كنت سببا فى اصلاح أسر ورد زوجات . جاءت مرة امراة من فضليات النساء والدموع فى عينيها قالت : ابنى محمود ينفق ثلاث جنيهات كل ليلة مع أصحاب السوء ويرجع مخمورا وذهبت اليه وسهرت معه واستطعت أن أحوله عن خطئه ، وقال : اننى تبت على يديك وقد كان لى من بعد اتبع من ظل . كان يرجع بيته مخمورا والفجر يؤذن فأصبح يخرج ليصلى الفجر وكانت لحية الدكتور غلوش فى أوروبا موضع تقدير ، وقد لفتت اليه الأنظار ، وكان يصلى فى كل مكان مهما كان غاصا بالناس فكانوا يسألونه عن الاســلام وهــذا ما حفزه الى أن يؤلف كتابه (دين الاسلام) بالانجليزية ومنذ ١٩٠٥ والدكتور غلوش يحمل لواء الدفاع عن الاســلام وتحريم الخمور .

* * *



(٤)

شمس الله تسطع على الغرب

قالت الدكتورة سجريد هونكة صاحبة كتاب : (شمس الله تشرق على الغرب) في الاجابة على سؤال : لماذا عمدت الى انصاف حضارة الاسلام ؟ :

اثناء دراستى فى الجامعة وخلال تحضيرى لاطروحتى تتبعت عن كثب تاريخ الشعر العربى القديم وتاثيراته القوية على الشعر فى اوربا عامة والشعر الغنائى خاصة (المقصود بالشعر الغنائى فنون المدح والرثاء وغيره) هذه التاثيرات التى انعكست فى اتباع شعراء القرون الوسطى وفى شعر جوتة (ديوانه الشرقى العربى) .

وديوان طوق الحمامة وقد نقل الى عدة لغات وانطلاقا من دراستى لشعر العرب وقفت وقفــة طويلة على العلاقة القائمة بين الرجــل والمراة فى عصور النهضة فوجدت فرقا شاسعا بين مكانة المراة العربية فى مجتمعها وبين مكانة أختها الغربية فى مجتمعها آنذاك . ففى الوقت الذى كانت فيه المراة العربية تتمتع باحترام الرجل لها وتقديره لها واقراره بحقوقها كانت المراة فى الغرب عنوانا للخطيئة كما بشرت بذلك الكنيسة الكاثوليكية وبالتالى كان عليها أن تعيش فى ارهاب دائم من الرجل . من هذه الناحية بالذات كان موضوع كتابى السابق « الرجل والمراة » متطرقة فيه الى الدور الذى حققه الاسلام فى هذا المضمار ، كل هذه الأمور جعلتنى أركز اهتمامى على الثقافة العربية والأدب العربى وكل مظاهر حضارتكم ، وعبثا بحثت عن كتاب جامع شامل يوضح هذه الأشياء ويجمع تلك الحقائق التى لمستها أثناء دراستى هذه فلم أجد ، وقد لمست التعمد فى اخفائها وطمسها عبر القرون من قبل الكنيسة الكاثوليكية وغيرها من الجهــات الغربية التى كانت تعمل بوحى من تعصبها الأعمى .

فضل العرب فى الحضارة

واثناء اقامتى فى المغرب مع زوجى وزيارتى للأقطار العربية دفعتنى الى وضع كتابى هذا . لقد تجاهل الأوربيون فضل العرب والمسلمين فى بناء حضارة الانسانية وهو أحد الأسباب التى دفعتنى الى وضع كتابى هــذا ولو اطلعت يوما على كتب التاريخ التى يتداولها تلامذة المدارس فى أوربا لوجدت أن ذكر العرب كشعب وحضارة وثقافة يرد باختصار فى مرات ثلاثة معدودات .. تحصر العلاقة بين أوربا والعرب :

اولا :

الخطر الذى كان يشكله العرب فى اسبانيا على أوربا ووصول الجحافل العربية الى قلب فرنسا وموقعة بواتيه بقيادة شارل مارتل الذى اصبح قديسا لانقاذ أوربا من خطر البربر (المسلمين) .

ثانيــا :

الحروب الصليبية التى كانت تهدف الى احتلال البلاد العربية وليس الى حماية الأراضى المقدسة ومقاومة العرب لهم وقذفهم فى البحر .

ثالثــا :

خطر العثمانيين الذين وصلوا الى أبواب فيينا عاصمة أوربا والأوربيون لا يفرقون بين العرب والعثمانيين .

موقف الكنيسة الكاثوليكية

أضف الى هــذا موقف الكنيسة الكاثوليكية أمام الفلاســفة المسلمين ومحاولتها فى القضاء على نفوذهم وتأثيرهم فى أوربا فى حملات تعصبية عمياء بالاضافة الى الترسبات المتراكمة فى عقول الأوربيين والناتجة عن صراع قديم » .

تلك هى العوامل التى دفعت الدكتورة سجريد هونكة الى انصاف حضارة الاسلام بذلك الكتاب الرائع الذى ترجم مرتين الى اللغة العربية منذ سنوات والذى يعد واحدا من الأعمال الطيبة التى ردت اعتبار حضارة الاسلام بعد أن فرض الغربيون عليها (مؤامرة الصمت) أكثر من ثلاثمائة عام .

استقلال الشريعة الاسلامية

وكان االفضــل فى فتح هــذه (الـكوة) الصــغيرة الى « توماس كارليل » ، وجوستاف لوبون والعالم درابر ثم اتسعت الدائرة وجاء العلماء التجريبيون فاعترفوا بأن العرب هم الذين قدموا لهم المنهج التجريبى الاسلامى فى نفس الوقت الذى كان التغريبيون (طه حسين ومحمود عزمى وغيرهم) .. ينفثون فى الصدور الاسلامية أن العرب والمسلمين ليسوا الا أتباع لحضارة اليونان ثم جاءت طائفة رجال القانون فى فرنسا وألمانيا وايطاليا ليعترفوا بأن الشريعة الاسلامية شريعة مستقلة تامة وانها قدمت للانسانية عطاءات سخية وتكشف من بعد فى دراسات المسلمين والعرب أن كثيرا من القوانين الغربية مستمد من الشريعــة الاسلامية وأن قانون نابليون نفسه مأخوذ من مذهب مالك فى نفس الوقت الذى كان التغريبيون فى بلادنا (لطفى السيد وعلى عبد الرازق وسلامة موسى) يقولون أن الشريعة الاسلامية مأخوذة من الفقه الرومانى أو أن يقول طه حسين أن المسلمين ليس لهم فكر سياسى

أو قول على عبد الرازق أن الاسلام دين روحى بينما كان الأوربيون يقولون أن الاسلام دين ودولة وأنه منهج حياة ونظام مجتمع .

ثم جاءت الموجة الأخيرة حين أعلن برنارد شو ان اوربا والغرب لن يجدوا أمامهم سبلا الى مجتمع كريم الا حين يأخذون شريعة الاسلام ، وان النبى محمدا صلى الله عليه وسلم لو كان حيا لاستطاع حل معضلات المجتمعات الحديثة فى جلسة واحدة .

ثم توالت اعترافات المنصفين الغربيين بينما ظل دعاة التغريب والغزو الثقافى والمستشرقون على صلفهم وكذبهم وتضليلهم .

التربية وفضل المسلمين

بل ان بعض الشـباب المسلم ذهب ليحصل على اطروحة فى التربيـة فقال له رجال الجامعة ان كل ما عندنا عن التربية انما أخذناه من ابن خلدون والعبدرى وابن سيناء .

ولقد تبين للكثيرين جملة من الحقائق :

١ — ان الاسلام وليس سقوط الدولة الرومانية الغربية هو الذى أدخل البشرية فى العصر الوسيط .

٢ — ان الأمم الأوروبية التى تنصرت فى القرن الثـالث والسادس من ميلاد المسيح قد بقيت كذلك فى غفوتها طوال عشرة قرون ثم تيقظت من نحو أربعة قرون فقط بينما نهض الاسلام بمعتنقيه وأقام حضارته الباهرة منذ القرن الأول للهجرة فلم يكن الاسلام سبب تأخر المسلمين ولم تكن المسيحية سبب تقدم أوربا فقد كانت الأمم الأوروبية مثل الاغريق والرومان من أرقى أمم الأرض قبل اعتناق المسيحية .

المنهج التجريبى للمسلمين

٣ — ان المسلمين قدموا للغرب المنهج التجريبى الذى بنى به عصر النهضة ، وهدم مذهب أرسطو الذى كان مذهبا نظريا تأمليا عاق أوروبا عن التجريب حتى هداهم المسلمين اليه ، فلما جاء الغربيون الى الشرق كان همهم أن يقدموا للمسلمين مذهب أرسطو ودعا لطفى السيد وطه حسين الى هذا المذهب غاشين به أمتهم ذلك الان المسلمين من قبل نهضة أوروبا كانوا قد كشفوا عن زيف مذهب ارسطو .

٤ — ان النضالات الوطنية الأولى قد انطلقت من تحت راية الجهاد

فى سبيل الله واستمدت أصولها من منهج الاسلام . كان الاسلام فى أغلب هذه النضالات رمزا للمقاومة الروحية والثقافية ضد الاحتلال والاستعباد الاستعمارى وكان الضمان لاستمرار وحدة اللغة والثقافة وكانت تتجسد فيه كل القيم النقية التى لم تكن متوفرة فى ظل الاستعمار .

***

وحدة الثقافة العالمية فكرة مرفوضة

ولذلك فان الدعوة المدعاة اليوم بالتأثير والتأثر باطلة تماما وانه لا سبيل لأن يقبل المسلمون فكرة (وحـدة الثقافة العالمية) التى تريد أن تصهرهم وهم فى مرحلة الضعف والنمو فى حضارة متسلطة تمر بمرحلة الأزمة والتحلل ؛ ان عبارة وحدة الثقافة العالمية هى عبارة خلابة المظهر براقة الصورة ولكنها تخفى من وراءها طابع (الاحتواء) الذى يستهدف اذابة كل الثقافات الانسانية فى بوتقة الفكر الغربى المسيطر الآن فهى دعوة الى تسييد الثقافة الغربية على ثقافات الأمم ولاسيما الثقافة الاسلامية التى تسود افريقيا وآسيا . ومن حسن الحظ ان وحدة الثقافة العالمية تتنازعها الآن قوى كثيرة غربية وماركسية وصهيونية . واذا كانت هذه الدعوات تتصارع وتحاول أن تفرض نفوذها فى المناطق التى تتصل بها فانها تعد فى مجموعها موجهة بالأغلب الى احتواء الثقافة الاسلامية لأنها هى الثقافة الوحيدة القادرة على استقطاب الانسان بعد أن تهاوت وفسدت مختلف الأيديولوجيات والمذاهب التى حاولت منذ قرنين أو ثلاثة أن ترسم للانسان مثلا أعلى ومنهج حياة .

***

الفـكر الاسلامى القرآنى

وما يزال الفكر الاسلامى القرآنى المصدر مرجوا لجولة قريبة يقدم للبشرية هذا المنهج الكريم الذى يسعد النفس الانسانية ويقدم لها مطامحها الروحية وحاجاتها المادية على هدى وبصيرة وفى توازن كامل ومواءمة تامة وسوف يظل الفكر الاسلامى مكافحا عن وجوده وكيانه وذاتيته حتى لا يقع فى براثن احتواء الثقافة العالمية . وسيظل قادرا على العطـاء للانسانية فى نفس الوقت .

لقد استطاع الفـكر الاسلامى فى القرن الرابع والخامس الهجريين ان يحطم قيد الاحتواء الاغريقى وأن ينتصر عليه وذلك بفضل الحذر واليقظة ازاء خطر الاحتواء والاذابة .

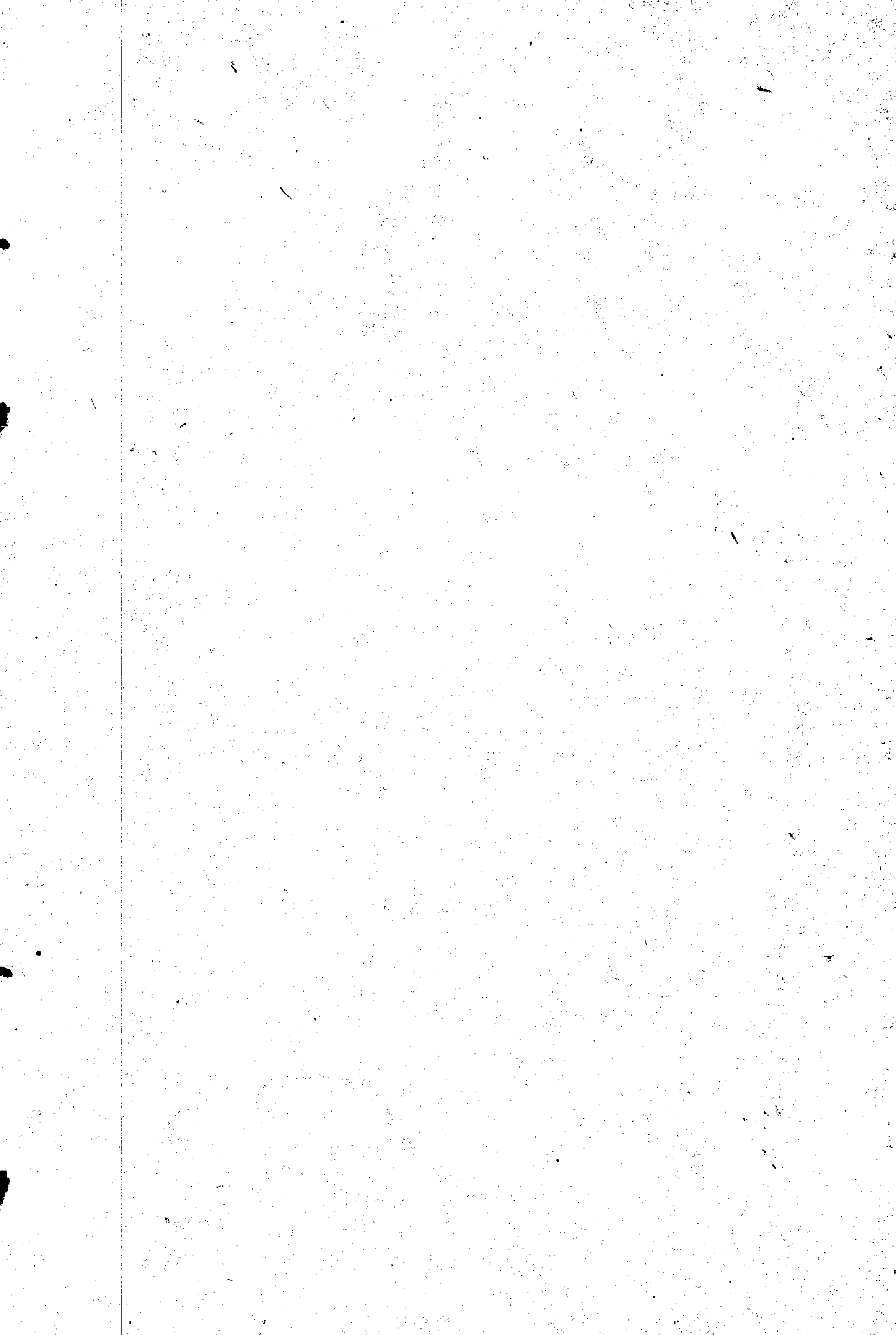
لا بد للفكر الاسلامى ان يبقى

ان هناك صيحة تحذير عامة صدرت من عدد من المفكرين المسلمين تقول : بأننا نفقد اصالتنا تدريجيا ونتنازل عن الصفات المميزة لنا يوما بعد يوم نتيجة غزو (اسلوب العيش الغربى) لنا وسيطرة قيم وافدة على مفاهيمنا وسلوكنا .

ويرد الباحثون ذلك فى الأغلب الى عدم القدرة على استيعاب الفروق الدقيقة بين الروح العامة للاسلام فيما يتشابه او يتعارض مع روح الفكر الغربى وطوابعه الوثنية أو المادية او الاباحية .

واذا كانت بقايا آثار النفوذ الغربى ما زالت قائمة تفرض القوانين الوضعية ونظام التعليم الغربى والأسلوب العلمانى فى مجال المجتمع والتعليم والأسرة ومن نتيجة كل ما اصاب المجتمعات الاسلامية من تحلل ، اقول اذا كان كل هذا قد وقع فان الخطر قد أصبح محيطا الآن بآخر هذه الحصون وهو الفكر الاسلامى حيث تجرى محاولة احتوائه فى اطار الأممية واذابته فى القوى العالمية وهذه هى الأمانة وهذا هو التحدى .

* * *



(٥)

مستقبل الحضارة الإسلامية

يقف المفكرون الغربيون من الحضارة الاسلامية موقف خصومة تصدر عن محاولة تزييف المفاهيم أمام أهل الاسلام ، وافساد عقيدتهم فى تاريخهم وقيمهم ، حتى يشكوا فى مقدرتهم الخاصة وفى عملهم الدائب للخروج من أزمة التخلف وامتلاك ارادتهم وتحكيم كتاب ربهم ولكن احداً منهم لا يستطيع أن يقول كلمة حق ، مثل تلك التى قالها برناردشو حين تنبأ بأن الغرب سوف يخضع للاسلام بعد مائة عام وبعض ما قاله كارليل وجوستاف لوبون وجوته وقد وقف توينبى من الاسلام فى أخريات أيامه موقفاً عادلاً فى ضوء ما يعرف من أطوار الأمم وتاريخ الحضارات . واذا كان قد عجز فى صلب دراسته الضخمة عن أن ينصف الاسلام لانه كان يصدر عن عقيدة غربية مسيحية تريد أن تعلى شأن الغرب المسيحى وحضارته فى مواجهة حملات اليهودية التلمودية التى قادها ماركس وشبنجلر وماكس نوردو فانه يقول فى كتابه الأخير الذى نشره قبل وفاته بقليل :

يقول : مستقبل الحضارة الاسلامية متوقف على هذه الأكثرية المؤمنة بتراثها والتى زادها الصراع مع الغرب حيوية ونشاطاً والمؤمل أن هؤلاء الاكثرية سوف يوجهون الطاقة العربية للخلق والابداع والنمو وبالتالى الى تجديد شباب الحضارة العربية والعمل على احلالها المحل اللائق فى الحضارة العالمية .

ان مستقبل الحضارة العربية لا يتوقف على (الرجعى الانعزالى المنكمش) ولا على المندفع المائع المقلد ، انه يتوقف على الأكثرية المطلقة من الجماهير الواعية التى تدرك ذاتها وتعمل على تقوية نفسها لصد السيطرة الغربية والتحرر من الاستعمار بأوسع مظاهره والعمل على تنمية حضارتها الذاتية .

ان الثقة بالنفس التى تميز بها العرب لم تصل الى حد التعصب الاعمى أو المغرور أو الى روح العزلة شأن الحال عند بعض الغربيين فقد تميز العرب بالقدرة على الاختلاط بالآخرين والتعاون مع من لا يريد تحديهم أو العمل على اذلالهم .

ان العرب لا يعيشون فى فراغ روحى وحضارى لأن تراثهم الحضارى الغنى بمؤسساته ونظمه وتقاليده وأفكاره يملأ روحهم ويكون ثروة عظيمة اذا أحسن تنميتها وتوجيهها فانها ستعين على فرض مستقبل زاهر على أن

أهمية التراث فى حياتنا الحضارية لا يكون بالجمود عليه بل فى محاولة تنميته وتطويره ليكون قوة حيوية ملائمة للحياة الجديدة بما تواجه من تحديات وان هذا التطوير ينبغى أن يقوم به العرب أنفسهم بوعى وادراك وهذا هو السبيل الذى مكن للعرب فى الماضى من تكوين دولتهم العظيمة التى دامت قرونا ، وهو السبيل الذى اذا أتقن تنظيمه سيضمن للعرب مكانتهم فى المجتمع الانسانى فى المستقبل ثقة فى النفس وسعة فى الصدر ومرونة فى الفكر وعمقا فى البصيرة وتعاونا بناء .

ولا ريب ان دعوة توينبى هذه لاحياء التراث بل هـذا المفهوم كله انما انتزعة المؤرخ الكبير من مفهوم حركة اليقظة كما ينادى بها اليوم أهل القرآن ودعاة المطالبــة بتطبيق الشريعــة الاسلامية ولا ريب أن المسلمين اليوم مطالبون بتحقيق ثلاثة أهداف رئيسية لا سبيل الى انبعاثهم لحمل لواء الحضارة من جديد الا بها . .

أولا : بناء التعليم والتربية على منهج الاسلام .

ثانيا : تطبيق الشريعة الاسلامية تطبيقا كاملا ، فى كل جوانب الحياة : الحدود ، الزكاة ، الغاء الربا ، أخلاقيات الاسلام .

ثالثا : حماية الأسرة الاسلامية من التدمير ، وبناء المجتمع على أساس العقيدة ولا ريب ان المذاهب الاجتماعية المعاصرة تحاول أن تدمر هذه القيم الثــلاث .

وعندما يصبح المسلمون مصدرا جديدا من مصادر اسعاد البشرية بعد ان يقيموا المجتمع الربانى الذى قال (جب) أنه سيحقق القضاء على الفردية المسرفة والجماعية الشرسة وقال (توينبى) انه سيحقق القضــاء على المنصرية الخطيرة والخمر والموبقات .

ولقد أشاد توينبى الى جوار ذلك بالأخوة البشرية التى يحققها المسلمون فى مجتمعهم فقال : اننى لأغبط ابناء المجتمع الغربى بما تضفيه عليهم الأمة العربية من وحدة حتى يشعر العربى أنه فى داره ما دام فى بلاد عربية اسلامية فالعراقى والمصرى والنجدى والحجازى والمراكشى والتونسى لا يجد فرقا فى الجو الاجتماعى وروح الحياة العربية وعقليتها السياسية بين الرباط وتونس والجزائر والقاهرة وجدة ودمشق وبغداد البصرة ونقول وهذه هى وحدة الثقافة أساس وحدة الامة ومصدرها الاسلامى .

* * *

(٦)

حقائق عن الحضارة الإسلامية

هناك جملة حقائق عن اثر الحضارة الاسلامية فى التقدم المعاصر لا يمكن تجاهلها :

أولا : يرجع الفضل الاول فى نجاح فاسكودى جاما ورحلاته الاستكشافية ومن مدرسة الخرائط التى قامت فى جزيرة ميورقة معتمدة على جهود العرب فيه الى ما أفاده من المراجع الجغرافية العربية التى ترجمت فى اسبانيا السابقة وفوق هذا كله فقد كان دليله الذى قادم من شرق افريقيا واوصله آمنا الى الهند هو الملاح العربى المشهور : احمد بن ماجد .

ثانيا : تفوق الغزالى على ديكارت فى نقطتين :

أولاهما : انه حـــدد العلم اليقينى قبل ان يتقدم فى اختبـــاراته وابحاثه حتى يكون التحديد ميزانا صادقا يزن به العلم اليقينى من غيره .

ثانيتهما : **هى أن تعريف ديكارت للعـــلم** اليقينى فى ضعف بل ما يدعو الى **الشك اذ جعل معيار صدق المعرفة** وضوحها ونسى إن الوضوح أمر نسبى ..

ثالثا : عظمة الدور الذى قدمته الحضارة الاسلامية فى الأندلس والذى نقله الغربيون حتى يصفه أحد الكتاب الغربيين : لا تدرك عظمة المسلمين العلمية حتى تدرك الروح التى كافحوا بها فى سبيل العلم وقد عدت المعارك التى خاضها العرب ضد الفرنجة فى الأندلس وحدها ٣٧٠٠ معركة وأن أمة تكون أيديها مغلولة بثلاثة آلاف وسبعمائة معركة ثم لا تنسى رسالة العلم المقدسة بل تبلغ بالعلم ذروة الرقى والتقدم : لأمة عظيمة حقـــا .

رابعا : أعلن الدكتور الطبيب موريس بوكاى بعد دراسات طويلة قام بها لكل من التوراة والإنجيـــل والقرآن تبين له بما لا يقبل جـــدلا ولا نقاشا : أن القرآن هو الكتاب المنزل من السماء وأن آياته الكونية لا تصادم أى حقيقة علمية وأن صدقه فى هذه النظريات تؤكد انه وحى من الله أنزله على خاتم الرسل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

خامسا : عظمة التراث الاسلامى . يقول هاملتون جب :

باستطاعة العرب أن يفاخروا غيرهم من الأمم بما فى أدبهم من جوامع الكلم التى تحمل سمو الفكر وأمارات الفتوة والمروءة وما لا مثيل له . والمجاز التأليف عند العرب يأتى من الايجاز الذى كان تركيزا بالتقطير . ثم كيف ننسى بعض قصائد المتنبى وهى كالأسهم صيغت من حكم خالصة تسمو قدرا على مجلدات . كيف ننسى أن العرب قد وضعوا فى مجال العلوم الرياضية والكيماوية من الاصطلاحات الدقيقة ما يسير اليوم فى خط متواز مع أحدث الأبحاث فى العلوم . يقال هذا عن ظاهرة جوامع الكلم فى الأدب العربى وظاهرة الايجاز فى القرآن ويقال هذا لمن يزعمون أن الأدب العربى لا يحمل عيونا كثيرة مثل الالياذة فى اغريق . ويقال لمن يبحثون عن ظاهرة التفاصيل فى الآداب اليونانية حتى يقول جب . أن عدد الأبيات الشهيرة بما تحمله من ثروة لا يعدو فى الالياذة مائة بيت وما يتبقى بعد ذلك ليس الا حشوا وتطويلا وتصنعا .

* * *

آخر العامود

هناك بون شاسع وعميق بين الناجحين والعظماء فى مفهــوم البطولة فالعظماء هم الذين قدموا لأمتهم اضافة حقيقية على طريق التقدم فى حياء وتواضع دون ان يبهرهم عملهم او يستعلوا به او يطلبوا له اجرا أو جزاء وربما لم يعرف جيلهم قدرهم ولا فضلهم وربما عاشوا حياة خشنة مغمورون بينما كانوا يعملون من اجل اسعاد أمتهم التى تجاهلت قدرهم .. أما النجاح فهو شهرة ومال ونفوذ وزحام وذلك كله بريق قصير الأجل يستمر أعواما ولكنه ينطفىء ولا يبقى الا الجهد الحقيقى القائم على الايمان بالله وانكار الذات .

* * *

الباب السادس

عظمة الإسلام

١ ـ هل آن للبشرية ان تعرف وجهتها الى الدين الحق : الاسلام

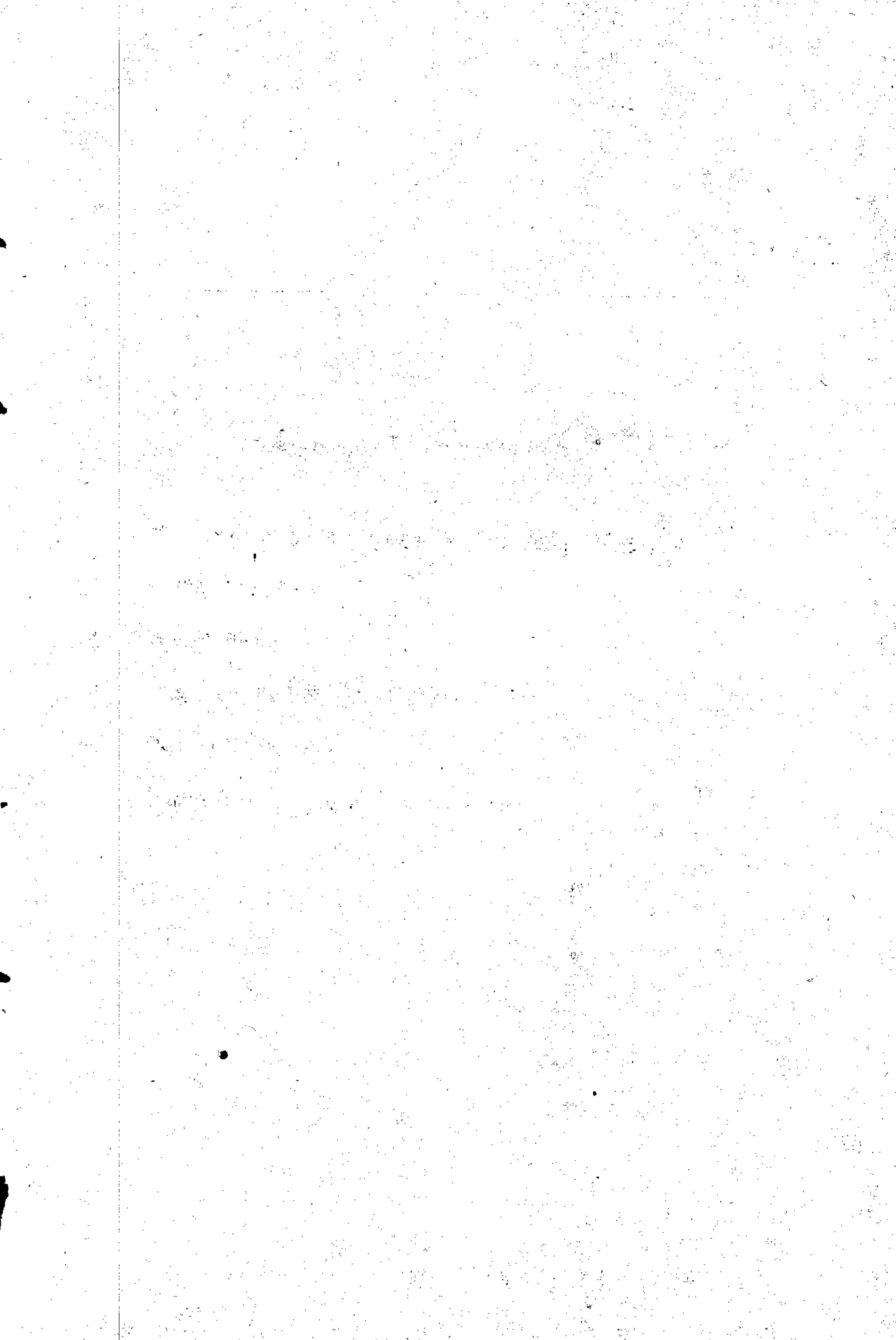
٢ ـ مستقبل الاسلام .

٣ ـ الرسالة الجامعة .

٤ ـ تبليغ الاسلام لأهل الغرب بلغاتهم .

٥ ـ اليوم اكملت لكم دينكم .

٦ ـ لا تطلع الشمس كل يوم الا على مسلم جديد .



(١)

هل آن للبشرية أن تعرف وجهتها

الى الدين الحق : الاســـلام

هل آن للبشرية أن تعرف طريقهـــا الحق الى المجتمع الأمثـــل وتؤمن بأن هذا المجتمع لا يوجد الا فى اطار الاسلام ، لقد عرفت البشرية المجتمع اليونانى والرومانى والفارسى والهنـــدى وعرفت المجتمع الغربى الحـــديث الذى شكلته الفلسفة اليونانية والقانون الرومانى والمسيحية الغربية .. كما عرفت العهد الاسلامى الزاهر الذى لم يسبق له مثيل . ثم مضت فترة ، وبقى عليها الآن أن تعود الى تجربة ((المنهج الاسلامى)) من جديد وهو المنهج القادر وحده على العطاء . تستطيع تجربة رجل دخل الاسلام أن تعطينا شيئا خاصة اذا كان هذا الرجل مثقفا يعيش عصره وفكر عصره وله اتصال واسع بالأديان والثقافات والأيدلوجيات المعاصرة ويعرف تجربة مجتمعه الأوربى الغربى الذى أجهده السعى فى سبيل الوصول الى الحقيقة .

والواقع أننا لا نبحث عن اسم هذا الرجل ، ولا عما اذا كان قد أسلم حقيقة ولكننا ونحن نراجع تحول فكره نجد لديه من عمق النظرة ما يجعلنا ندهش لحسن الفهم وسلامة الرؤيا والقدرة على الوصول الى مرفأ الأمان ولا يكون هذا الا بهدى الله سبحانه وتعالى .

يقول هذ االرجل الذى نقدمه :

ان أبرز ما يمثله القرآن : ذلك الالتئام الباطنى بين تعاليمه الأخلاقية وتوجيهاته العملية وأن الله بمقتضى القـــرآن لم يطلب خضوعا من جانب الانسان بل خاطب عقله انه لا يقف بعيدا عن مصير الانسان بل انه أقرب اليك من حبل الوريد ، انه لم يرسم أى خط فاصل بين الايمان والسلوك الاجتماعى ولعل أهم ما فى الأمر أنه لم يبدأ من الحقيقية القائلة بأن الحياة كلها مثقلة بنزاع المادة والروح وأن الطريق الى النور يتطلب تحرير الروح من قيود الجسد وأن كل شكل من أشكال انكار الحياة واماتة النفس قد قضى عليه النبى فى أحاديث مثل (لا رهبانية فى الاسلام) وان ارادة الانسان فى أن يحيا لم يعترف بها الاسلام كغريزة ايمان مثمرة فحسب بل لقد خلع عليها قداسة كقداسة القضية الأخلاقية المسلم بها أيضا . لقد رأيت أمامى شيئا يشبه بناء هندسيا كاملا يتمم عناصره بعضها ببعض بطريقة متناغمة لا تنافر فيه ولا يفتقر الى شىء : اتزان وسكينة يضفيان على المرء شعورا بأن كل ما فى نظرات الاسلام وفروضه هو فى محله .

ان ليوبولد فابس رجل أوربى يهودى مفروض انه موسوى العقيدة وكان عليه وهو يبحث عن الله وعن دين الحق أن ينتقل مباشرة الى المسيحية التى هى فى الأصل آخر رسالات بنى اسرائيل ونبيها آخر أنبياء بنى اسرائيل والانجيل تتمة للتوراة التى أنزلت على موسى والزبور الذى أنزل على داود ولكن هذه النغمة التى تتردد فى كلماته تدل على أنه كره هذا الانتقال لأنه لم يجد فى المسيحية ما يرضى نفسه ، بل لعله قد أحس بأنه سوف ينتقل الى عقيدة مجهدة للعقل الحديث الذى يقوم على فهم الأمور فهما أساسه العلم والقياس والتجربة فأين يذهب ، وماذا يمكن أن يعطى هذا العقل الغربى الحديث الذى لم يعد يقتنع الا بشىء لا يتعارض مع العلم ولا يفصل الروح عن الجسد ولا يلغى ارادة الانسان ولا يفصل بين التعاليم الأخلاقية والتوجيهات العملية ، ان دينا ما لن يستطيع أن يعطى هذا كله غير الاسلام . ولذلك نجد ليوبولد فابس يقول :

وقف رجل منذ ثلاثة عشر قرنا وقال :

لست سوى بشر ولكن الذى أوجد الكون قد أمرنى أن أحمل رسالته اليكم فلكى تعيشوا بصورة تتلاءم والخطة التى أبدع بها العالم أمرنى أن أذكركم بوجوده وقدرته على كل شىء وعلمه بكل أمر وبأن أضع أمامكم منهاجا للسلوك فاذا قبلتم هذا التذكير وهذا المنهج فاتبعونى .

ان النظام الاجتماعى الذى بسطه كان تلك البساطة التى لا تتمشى الا مع العظمة الحقيقية .

ويجد ليوبولد فابس فى الاسلام مفهوم الجماعة بدلا من مفهوم الفردية فى المسيحية الغربية التى يعيشها قومه .. ان خالقهم قد أبدعهم بحيث يتعين عليهم أن يعيشوا فى جماعات لكى يرضوا المدى الكامل لحاجتهم الجسدية والمعنوية والعقلية . وبالاختصار فانهم محتاجون بعضهم الى بعض واستمرار الفرد روحيا يتوقف على ماذا كان يحصل على المعنوية والتشجيع والحماية من أولئك الذين من حوله والذين يتوقعون منه هذا التعاون نفسه هذا الاعتقاد المتداخل نفسه كان السبب فى أن الدين فى الاسلام لم يمكن فصله عن الاقتصاد والسياسة فهو ينظم العلاقات الانسانية العملية بطريقة تمكن كل فرد من أن يلقى أقل قدر ممكن من العقبات وأكبر قدر ممكن من التشجيع فى انماء شخصيته .

وهذا ما بدا أنه مفهوم الاسلام من وظيفة المجتمع الحقيقية لذلك فان نظام الاسلام لم يختص بالشئون الروحية فحسب . بل زود اطارا لكل نشاط فردى واجتماعى أيضا . انه لم يبسط مفهوم الاصلاح الفردى فحسب بل عرض أيضا مفهوم المجتمع العادل الذى يجب أن يوجده ذلك الاصلاح . كذلك فقد قدم الاسلام نظاما للحقوق الفردية والواجبات الاجتماعية أخذ فيه بعين الاعتبار حقيقة التطور التاريخى . لقد شملت الشريعة الاسلامية الحياة من جميع وجوهها المعنوية والجسدية الفردية والمجتمعية . ولقد وضعت جميع مواد الشريعة الاسلامية لصالح أعضاء المجتمع كلهم بالتساوى

دون تمييز بين الولادة أو العنصر أو الجنس (الذكر والأنثى) أو الولاء الاجتماعى السابق فلم يحتفظ بحقوق خاصة لمؤسسى المجتمع أو لذريته من بعده ، وان الرفيع والوضيع بالمعنى الاجتماعى للكلمة تعبيران لا وجود لهما كما انه ليس هناك وجود لمفهوم الطبقة فجميع الحقوق والواجبات والفرص تنطبق بالتساوى على جميع المسلمين .

كذلك فانه ليس هناك من حاجة لايمان كاهن للتوسط بين العبد وربه ذلك لأن الله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يعترف بولاء غير الولاء لله ورسوله ، وليس هناك من عصبية « ليس منا من دعا الى عصبية » وليس منا من قاتل فى سبيل العصبية ، وليس منا من مات فى سبيل العصبية .

فالاسلام قد فرض مجتمعا سياسيا أهمل الانقسامات التقليدية الى قبائل وعناصر . لقد كشف الاسلام للعالم عن مؤسسة سياسية يكون فيها وعى الله الباعث على سلوك الانسان العملي والأساسى الوحيد لجميع المؤسسات الاجتماعية ، وكذا فان الاسلام قد افتتح فصلا فى تطور الانسان فهو أول مجتمع أيديولوجى مكشوف مقابل مجتمعات الماضى المقفلة والمحدودة جنسيا وجغرافيا ، لقد واجه الاسلام وأحيا مدنية لم يكن فيها متسع « للقومية » ولا حقوق مكتسبة ولا طبقية ولا كنسية ولا كهانة ولا نبل وراثى .

وفى الواقع لا مناصب وزارية على الاطلاق .

أهم مميزات هذه المدنية الجديدة ، ميزة فرزتها بالكلية عن جميع الحركات الأخرى فى تاريخ الانسانية — هى أنها قد نظر اليها ونشأت عن موافقة ارادية من الناس الذين كان يعنيهم أمرها .

لقد قامت على عقد اجتماعى خالص : هو المصدر التاريخى الحقيقى للمدنية الاسلامية هو :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة »
انى لم أكن أؤمن بأن الانسان الفرد كان بحاجة الى الخلاص ولكنى كنت أؤمن بأن المجتمع الحديث كان بحاجة الى الخلاص .

شعرت أكثر من أى وقت مضى بأن عصرنا هذا بحاجة الى أساس أيديولوجى لعقد اجتماعى جديد بحاجة الى ايمان يجعلنا نفهم بطلان الرقى المادى من أجل الرقى نفسه ، ومع ذلك يعطى الحياة الدنيا حقها ايمان يبين لنا كيف يقدم توازنا بين حاجتنا الروحية وبذلك ينقذنا من الهلاك الذى نندفع فيه برعونة وتهور .

ان الناحية التى أعجبتنى فى الاسلام منذ اللحظة الأولى هى :

فقدان تقسيم الحقيقة الى أقسام جسدية وروحية والتأكيد على العقل كطريق الى الايمان .

وهكذا نجد كيف أن الاسلام ما زال الى الآن هو الأمل الوحيد أمام البشرية لتجد فيه نفسها بعد أن دمر العلم كل مفاهيم التفسيرات البشرية للأديان والعقائد ، لقد جاء عصر العلم ليكون آية جديدة من الله لتنسف آخر قواعد العقائد المبطلة التى كانت تدعو أصحابها الى الايمان أولا ثم الاقتناع .

لقد جاء الاسلام اليوم كالضوء الساطع أمام طريق العلم الصحيح وأمام الدعوة الى استعمال أسلوب التجربة والعقل ، على أنه العطاء الوحيد الذى يعطى النفس البشرية أشواقها بعد أن دمرت المذاهب المادية روحها ومزقت عواطفها وأشاعت الخراب فى حنايـا النفوس بالهزيمة والشـك واليأس والتشاؤم القاتل وبالغربة والغثيان والانحلال ، ومصدر ذلك كله هو تقسيم الحقيقة الى أقسام جسدية وروحية والى مادة ونفس وقلب وعقل ، ودنيا وآخرة ، وانكار الروح والنفس والقلب وكل ما هو غيب ، هذا الانفصام الخطير هو مصدر أزمة الانسان المعاصر ولا سبيل الى القضاء على هذه الأزمة الا باعتناق العقيدة التى تجمع بينهما فى حقيقة واحدة . ان هذه الانشطارية هى مقتل الحضارة الغربية والانسان الحديث ولا سبيل له ولا للبشرية كلها الى أن تحقق كيانها وتعيش المجتمع الأمثل الا بأن تلتمس ذلك فى « الاسلام » فهو وحده المنار السامق القائم على بحر الظلمات يهدى كل من اتجه صوب ضوئه وليس ما يقوله ليوبولد فايس الذى عبر هذا الموج المتلاطم من مفاهيم النحل والأديان والعقائد البشرية الضالة المضلة الى الاسـلام وآمن بأنه (مرفأ النجاة) الا خيطا واحدا من عدة خيوط كتبها الكثيرون ممن هداهم الله الى الحق وممن آمنوا بأنه لا طريق للبشرية الا صوب الدين الحق .

يقول ليوبولد فايس : كنت شابا أوروبيا ناشئا على الاعتقاد بأن الاسلام وكل تعاليمه لم يكن أكثر من طريق فرعى لتاريخ الانسانية غير جدير بالاحترام من الناحيتين الروحية والأخلاقية وانه كذلك لم يكن يوضع فى المنزلة نفسها بل لم يكن ليقارن بالدينين اللذين يعتبرهما الغرب جديرين بالنظر اليهما نظرة جدية : المسيحية واليهودية . بهذا الانحراف الأوروبى الغامض ضد الدين الاسلامى بدأت رحلتى ، لقد كنت فريسة لتلك العقلية الثقافية الغربية المستغرقة فى ذاتها التى طالما تميز بها الغرب فى جميع الأزمنة ، والآن قد أقنعتنى ملاحظاتى الخاصة وتجربتى الواسعة بأن رأس الغربى العادى كان يحمل صورة مشوهة بالكلية عن الاسـلام وأن ما رأيته فى صفحات (القرآن) لم يكن نظرة عالميـة غير ناضجة ، بل على العكس وعيا للاله كثيفا يعبر عن نفسه بتقبل عاقل للطبيعة التى هى من صنع الله : تلازم متناغم بين العقل والدافع الحسى ، بين الحاجة الروحية والحاجة الاجتماعية ، لقد كان واضحا عندى أن تأخر المسلمين لم يكن ناجما عن أى نقص فى الاسلام بل من عدم عملهم هم انفسهم بتعاليمه ذلك لأن الاسلام الحق هو الذى حمل المسلمين الأولين الى أعالى الذروات الثقافية بتوجيه طاقاتهم كلها نحو التفكير الواعد كوسيلة جيدة لفهم طبيعة خلق الله وبالتالى لفهم ارادته . ان الاسلام لم يطلب اليهم قط أن يؤمنوا بعقيدة يتعـذر فهمها . والحق أنه ما من عقيـدة كهذه يمكن أن توجد فى رسالة النبى . وهكذا فان التعطش الى المعرفة الذى يتميز به تاريخ المسلمين الأول ، لم يحمل ، كما حمل فى سائر أنحاء العالم على أنه يؤكد ذاته فى صراع مؤلم ضد الايمان وبالعكس : لقد انبثق من ذلك الايمان وحـده .

لقد أعلن النبى العربى أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وبالطريقة نفسها عكفوا على الكيمياء والفيزياء والفسيولوجيا وعلى سائر العلوم حتى قدر للعبقرية الاسلامية أن نجد فيها آخلد آثارها وهم فى بنائهم ذلك الأثر لم يفعلوا أكثر من اتباع عظمة نبيهم فى كثير من أحاديثه :

« من سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له طريقا الى الجنة » .

ويمضي ليوبولد فايس ليفرق بين مفهوم الاسلام ومفهوم النحل والأديان فى مجال النفس والأخلاق فيقول : ان الاسلام دون الأديان يعتبر روح الانسان بمثابة ناحية واحدة من شخصيته وليست ظاهرة مستقلة ، وبالتالى فان نمو الانسان الروحى فى نظر الاسلام مرتبط ارتباطا لا انفصام له بجميع نواحي طبيعته الأخرى . ان الدوافع الجسمانية جزء متمم لطبيعته فهى ليست نتيجة أى خطيئة أولى ، ذلك المفهوم الغريب على تعاليم الاسلام ، بل قوى ايجابية وهبها الله للانسان فيجب أن يتقبلها وأن يفيد منها بحكمة على أنها كذلك . ومن هنا فان مشكلة الانسان ليست فى كيف يكبت مطاليب جسمه ، بل كيف يوفق بينها وبين مطاليب روحه بطريقة تجعل الحياة مترعة وصالحة . ان جذور هذا التوكيد الايجابى للحياة الانسانية انما توجد فى النظرة الاسلامية القائلة بأن الانسان مفطور على الخير .. وبخلاف الفكرة المسيحية القائلة بأن الانسان يولد مكسوا بالخطيئة الأولى أو العقيدة الهندوسية القائلة بأن الانسان منحط ونجس أصلا ويجب أن يتغير عبر سلسلة طويلة من التناسخ نحو الكمال بخلاف ذلك كله يقول القرآن الكريم :

« ولقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » .

أى فى حالة من الطهارة لا يمكن أن تفسر الا عن طريق السلوك السىء من بعد **« ثم رددناه أسفل سافلين ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .**

ويقول فى تصوره للاسلام والمسلمين :

لم يكن المسلمون هم الذين جعلوا الاسلام عظيما بل لقد كان الاسلام هو الذى جعل المسلمين عظماء ، الا أنهم ما ان اصبح ايمانهم عادة وانقطع عن أن يكون منهاجا فى الحياة حتى خبت تلك القوة الدافعة للخلافة التى كانت من وراء مدنيتهم وأفسحت المجال الى الاسترخاء والانحطاط الثقافى .

ويصور ليوبولد فايس موقفه من رحلة العبور بين الأديان :

فى السنوات السابقة عندما أصبحت قانطا من دين آبائى وأجدادى فكرت فى المسيحية بعض الشىء ، لقد كان مفهوم المسيحية عند الله فى نظرى اسمى وافضل الى حد لا نهاية له من مفهوم العقد القديم بيد أنه كان هناك عنصر واحد من النظرة الدينية المسيحية كان ينتقص من عالميته : هى تمييزه وتفريقه بين الروح والجسد بين عالم المعتقد وعالم الشئون العلمية وبسبب من افتراق المسيحية الباكر هذا عن جميع النزعات والميول التى تهدف الى

توكيد الحياة والمساعى الدنيوية فقد شعرت أنها كانت قد انقطعت منذ زمن طويل عن أن تقدم قوة أدبية أخلاقية دافعة الى المدنية الغربية فقد ألف اتباعها الفكرة القائلة بأنه لم يكن من شأن الدين أن يتدخل فى الحياة العملية ، لقد احتفوا بأن ينظروا الى المعتقد الدينى نظرتهم الى تقليد مسكن لم يقصد به أن يغذى أكثر من معنى غامض للفضيلة الشخصية وخاصة الفضيلة الجنسية فى الرجال والنساء افراديا ، وكان يساعدهم على هذا المعنى اتجاه قديم جدا اصطنعته الكنيسة لم يحدث اتباعا لمبدأ الفصل بين ما لله وما لقيصر فى حقل النشاطات الاجتماعية والاقتصادية أيما تغيير يذكر ، فقد كانت نتيجة ذلك أن السياسة والتجارة المسيحيتين قد تطورتا فى اتجاه مختلف كل الاختلاف عن ذلك الذى كان المسيح قد دعا اليه . لقد فشل الدين الذى اعتنقه الغرب بسبب من عدم تزويده أتباعه بارشاد ثابت مقرر فى شئونهم الدنيوية فى ما كان فى رأيى يبدو أنه رسالة المسيح الحقيقية وأنه فى الحق المهمة الرئيسية لكل دين أن يبين للانسان لا كيف يحس ويشعر احساسا وشعورا صالحين فقط بل كيف يحيا حياة صالحة أيضا وبشعور غريزى فان دينه قد خيب أمله ، وبطريقة ما فقد الانسان الغربى خلال القرون كل ايمانه بالمسيحية وبفقده هذا الايمان فقد الاقتناع بأن الكون انما كان تعبيرا لقوة واحدة منظمة وأنه لذلك كان يشكل كلا عضويا واحدا وبسبب منه أنه فقد هذا الاقتناع فهو يعيش الآن فى فراغ روحى وأخلاقى .

لقد رأيت فى ترك الغرب التدريجى للمسيحية وانصرافه عنها ثورة ضد ازدراء الحياة التى بشر بها بولس والتى ابهمت قديما جدا وتماما جدا تعاليم المسيح وكيف اذن يستطيع المجتمع الغربى أن يستمر فى ادعائه أنه مجتمع مسيحى وكيف يستطيع أن يرجو دونما ايمان ثابت أن يتغلب على أزمته الأدبية والأخلاقية الحاضرة .

لقد تبلور اقتناعى الفطرى بأنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، الى الاقتناع العقلى بأن (عبادة التقدم) لم تكن أكثر من عوض سقيم مبهم عن ايمان قديم بالقيم المجردة ، اخترعه اناس فقدوا جميع قدراتهم الداخلية على الايمان بالقيم المجردة . اننى لم أفهم كيف أن أيا من الأنظمة الاقتصادية الحديثة التى انبثقت من هذا الاعتقاد المضلل الخادع تستطيع أن تشكل أكثر من مسكن لبؤس المجتمع الغربى وشقائه .

هذا هو تحليل كاتب غربى عاش التجربة وهو يرى قومه صرعى قد هزمتهم محاولتهم الخروج عن الدين الحق وبناء حضارتهم على قواعد من الأهواء المادية والشهوات والمطامع ، وما يمكن لحضارة أن تقوم الا على الأساس الصحيح ، ولقد نسفت كل الحضارات السابقة بسبب معارضتها لنواميس الكون وسنن الأمم والحضارات . وليس أمام الحضارة من سبيل وأمام البشرية من طريق الا طريق الله : الى المجتمع الربانى القائم على الاخاء البشرى والرحمة والتوحيد والعدل المطلق : فهل آن للبشرية أن تعرف طريقها الحق الى مرفأ الأمان ، نرجو . .

(٢)

مستقبل الإسلام

« سيعيد التاريخ نفسه مبتدئا من الشرق ، عودا على بدء ، من المنطقة التى قامت فيها القوة العالمية فى الصدر الأول للاسلام . وستظهر هذه القوة التى تظهر فى تماسك الاسلام ووحدته العسكرية ، وستثبت هذه القوة وجودها اذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والاستفادة منها » .

هذا ما يقوله الكاتب الألمانى « باول شمتز » فى كتابه **(الاسلام : قوة الغد العالمية)** وقدكتب المؤلف كتابه هذا فى الثلاثينات ولكن حقائقه النافذة بدأت هذه الأيام تشكل واقعا حقيقيا فى مجتمع العالم الاسلامى من حيث علامات القوة التى أشار اليها ، وفى مقدمتها (التفوق البشرى) .

وكيفما يكن هدف الكاتب الذى ينبه قومه الى ما يجب عليهم ازاء تنامى قوة المسلمين فان المسلمين قد كشفوا عن صدق طويتهم فى مواجهة الأحداث ، فأعلنوا أنهم لا يستهدفون شرا أو نكرا للحضارة البشرية بل يعملون بروح الاسلام سماحة وكرما وأنهم عندما توكل اليهم مقاليد الأمور فانهم يضربون المثل على الخلق الرفيع والاخاء العالمى ..

كذلك فان المسلمين حين يملكون ارادتهم ، فسوف يكونون أداة أمن وأداة سلام واخاء ، فاذا أتيحت لهم فرصة العمل فى مجال التكنولوجيا والعلوم — وهم فى طريقهم الى ذلك — فسيوجهونها لخير البشرية كلها سماحة ورحمة ..

وقد بدأ المفكرون الغربيون فى الحديث عن مدى مساهمة العرب فى الحضارة العالمية المعاصرة . ويشير « جاك بيرك » الى مدى الجهد الذى تتطلع اليه البشرية من مشاركة العرب فيما أسماه « النواحى الابداعية فى النهضة الصناعية العالمية » ولا ريب أن عددا كبيرا من أبناء العرب والمسلمين هم الآن مشاركون فعلا فى أعظم انجازات التكنولوجيا والعلم فى العالم الغربى وعددهم كبير ، وهم من أذكى الباحثين وأعظمهم ايمانا بروح العلم الأصيل ، والخلق الرفيع .

وحين تنتقل التجارب العلمية الى الساحة العربية الاسلامية فسوف يرى الغرب نموذجا جديدا وفريدا فى الجمع بين المادة والروح ، والعلم والخلق والمثالى والواقعى ، وسوف يعيد المسلمون الى الوجود مفهوم الحضارة الاسلامية الصادق القائم على العدل والرحمة المتحرر من اذلال الشعوب او استعبادها ، أو تدميرها أو اغتصاب مقدراتها .

ويقول جاك بيرك : أن تعداد العرب سيصل بعد خمسين عاما الى ٢٢٠ مليون نسمة على الأقل . ويقول : ان ذلك سيحقق قوة كبرى للسلام والأمن والكرامة البشرية .. ويعرف المسلمون أن (عدو البشرية) اليوم الحاقد الذى يحاول أن يقف فى وجه الخير والرحمة والسلام انما هو « يهود » الطامع فى أن يحصل على تحقيق هدفه فى السيطرة على البشرية واذلالها ، ولكن ذلك بمقاييس التاريخ وبموازين العلم وبسنين الحضارات والأمم ، أمر لن يكون ، وسوف يصرع الحقّ باطل المبطلين .

ونحن نعرف أن القوى التلمودية الصهيونية تحاول تزييف ارادة المسلمين والعرب فى استعادة مكانهم الحقّ فى هذا العالم ، وهو مكان سلام ورحمة وأخلاق ، وأن هذه القوى تبث روح الاستسلام والسلبية والهروب من نضال الحياة وتعيدَ اثارة الشبهات القديمة فى وجه الفكر الاسلامى الأصيل القائم على التوحيد سواء بالفلسفات المادية أو الغنوصية أو ما اتصل بمذاهب الوجودية والهيبية وغيرها .. ولكن الفكر الاسلامى سيظل قادرا على المقاومة والدحض ، والتزييف لكل ما يلقى فى ساحته من شبهات وأوهام ، وقد أصبح واعيا منذ وقت لذلك الخطر ، مقاوما لتلك التيارات ، مؤمن بأن الاقتباس والأخذ منَ حضارات الأمم له ضوابط وقوانين تقوم على كلمة واحدة هى : المحافظة على الأصالة والتكامل فى النظرة .

يقول الأستاذ أحمد أبو طالب الابراهيمى فى تجربة الجزائر لمواجهة خطر الغزو الثقافى : « ان أصدقاءنا فى أوروبا يصعب عليهم أن يدركوا كيف يمكن للشخص الواحد عندنا أن يكون متمسكا بالتراث والتقاليد من جهة ومدفوعا بروح النهضة من جهة أخرى » .

وكأنهم يريدون أن نختار أحد الأمرين : اما أن نستوعب الحضارة التقنية مع التنكر لثقافتنا أو نتمسك بثقافتنا وحدها مع ما يترتب على ذلك من خطر الزوال أو الفناء .. والحقيقة أن أوروبا مخطئة بعدم تمييزها بين الحضارة العالمية والثقافة الأوروبية ، وهذا هو ما أشار اليه (بول ديكور) حين قال : ان الحضارة تنمى لدى الأفراد نوعا من الشعور بقيمة الزمان ، وهذا الشعور هو أساس التحصيل والتقدم . أما الطريقة التى تنمى بها الشعوب ثقافتها فلا تعتمد على قانون التحصيل والتقدم بل على قانون الوفاء للتراث من جهة والخلق والابداع من جهة أخرى » .

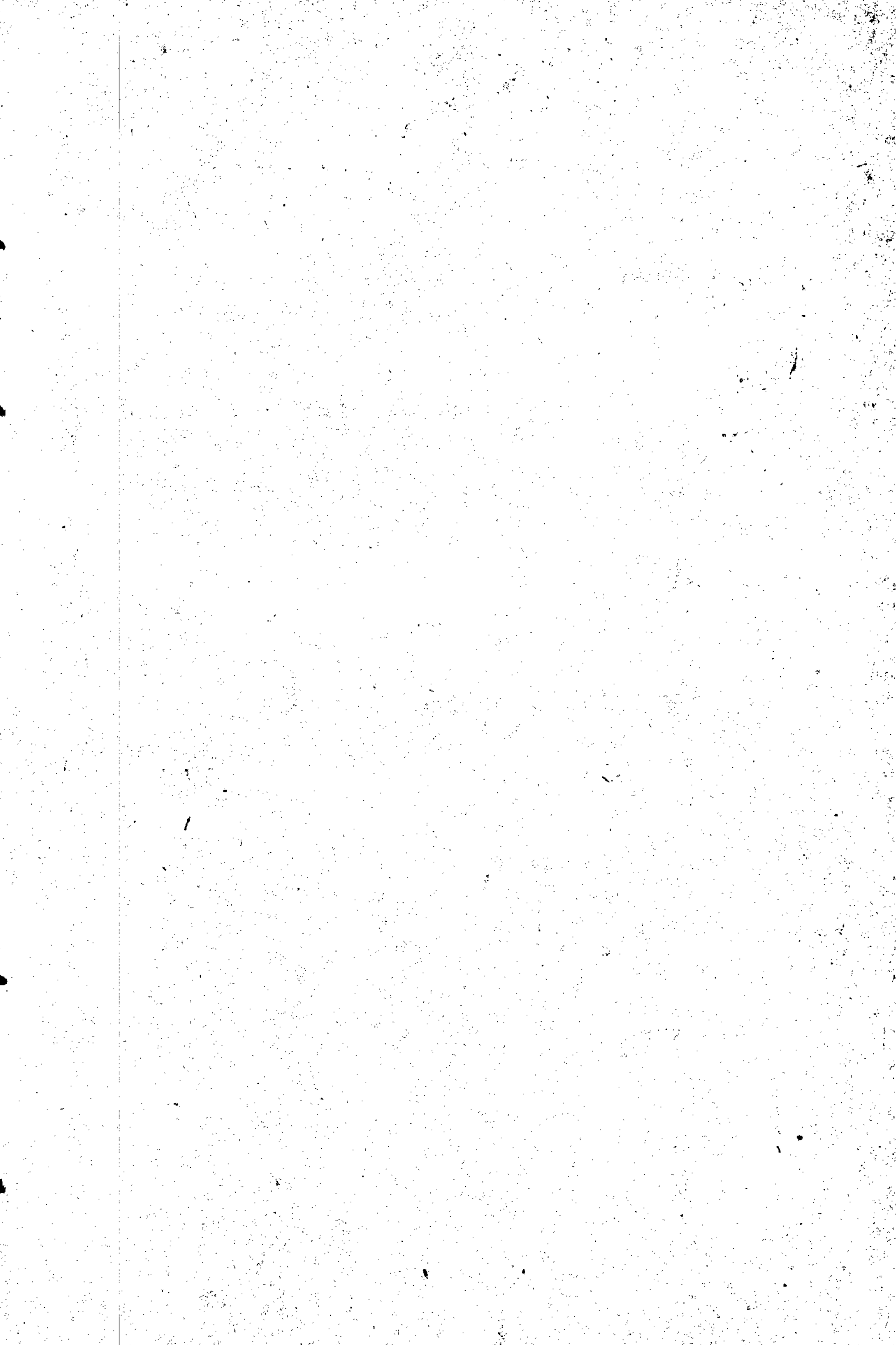
ولا ريب أن المسلمين يؤمنون بأعظم قاعدة فى فكرهم وهى التكامل بين القيم ، ولا يرون للعلم والتكنولوجيا سيطرة على الفكر ، بل ان العلوم يجب أن تطابق مفهوم الايمان والأخلاق والتقوى . ونحن نعرف مدى خطورة استعلاء النظرة العلمية أو العقلية على الحضارة الحديثة . وقد أصبح مقررا الآن فى نظر كثير من الباحثين سلامة هذا المفهوم الاسلامى المتكامل ..

ويندد (جاك بيرك) بقفزة البعد التكنولوجى عن الأبعاد الأخرى للمجتمعات الغربية : (البعد العقدى ، والخلقى ، والجمالى) ويقول : ان القاعدة الانسانية لتقدم المجتمعات تتضمن كل هذه الأبعاد . وانه حين يتم تطور بعد على حساب بعد آخر أو بمعزل من الأبعاد الأخرى يحصل التناقض الذى يؤدى الى الجمود او الى القلق والانقسام أو الازدواجية التى نلاحظها فى تصرف الانسان الغربى الحديث « لذلك فان التقدم الحقيقى هو التقدم الذى يتم فى نمو هذه الأبعاد مجتمعة بشكل متساو » ويقول : « وليس صحيحا أن التطور التكنولوجى هو الذى يؤثر على الأبعاد الأخرى ، فان كل بعد له ايقاعه الخاص وطريقه الخاص فى النمو » .

وهكذا نجد الغرب لا يجد مناصا اليوم من الاعتراف بمفهوم النظرة الاسلامية الجامعة . بعد أن ظلت روح الانشطارية وتمزيق القيم مسيطرة الى وقت طويل .

كذلك فان المسلمين يؤمنون بوحىَ من فكرهم الأصيل : أن التقدم يعنى جماع المعنويات والماديات ، وأن مفهوم التقدم المادى الغربى الذى يستعلى على النظرة المتكاملة لا يقره الاسلام حيث لا يضحى المسلم بمعنوية التقدم ازاء ماديته ولا يجعل للتقدم المادى قياد مجتمعه ونفسه .

* * *



(٣)

الرسالة الجامعة

من التصريحات الهامة التى صدرت فى العصر الحديث : ذلك التصريح الذى أعلنــه الدكتور بيرون فى المؤتمر الدولى للعــلوم التاريخية الخامس الذى عقده بمدينة (أوسلو) عاصمة النرويج فى ١٤ آب سنة ١٩٢٩ حين قال : ((أن ظهور الاسلام كان خاتمة العصور القديمة وبداية ايقاظ الانسانية فى أول عصورها المتوسطة حيث بدأت أوروبا الغربية مدنية جديدة وحياة جديدة يجب معها اعتبار هذا الحادث العظيم هو بداية عصر جديد)) .

ومع الأسف فما زال بعض مؤرخينا لا ينتبهون الى هذه العلامة المميزة على مفترق طرق التاريخ ويجرون وراء متعصبى الغرب الذين يتجاهلون ظهور الاسلام كأعظم حادثة تاريخية فى العالم ويتحدثون عن انقسام الدولة الرومانية الى شرقية وغربية .

لقد تقدم الاسلام بعد ذلك شرقا حتى فتح الهند والصين واسبانيا وقسما كبيرا من فرنسا فى سرعة مذهلة ادهشت علماء الغرب حتى أطلقوا على هذه الحادثة التاريخية « المعجزة العربية » ثم كان العلم هو أهم ما أهدت الحضارة الاسلامية وأن ما يدين به علمنا لعلم المسلمين ليس ما قدموه لنا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة بل يدين هذا العلم الى الثقافة الاسلامية بأكثر من هذا ، انه يدين لها بوجوده نفسه . لقد كان المسلم ايجابيا يؤمن بالقدر كقوة للاندفاع والعمل فلا يخشى الا الله ويثور على التواكل ، وينكر الجبر ، ويعتقد أنه مسئول وحر كما يعتقد أن الله سخر له ما فى السموات والأرض اذا هو قام بدوره بحق .

ثانيا ــ باب الاجتهاد مفتوح :

يقول الأستاذ تريتون أستاذ الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن : ان الاسلام يعطى كلا من العالمين ــ الدنيا والآخرة ــ حقهما وفى وسع المسلم أن يعيد النظر فى حياته دون أن ينقطع عن الماضى ، وله أن يراجع أحكام المعاملات والشريعة لأن باب الاجتهــاد مفتوح لا يزال . والمسلمون

يجتهدون اليوم ليثبتوا أن الانسانية الصادقة والآداب القديمة والعقل السليم تلقى أرفع تعبيراتها فى شريعة الاسلام وأحكامه ، ويسلمون على أن واقعهم اليوم ليس على ما يحبون ، وأن الاصلاح ضرورة لا محيص عنها ، لكنهم يصرون على أن الاسلام دون غيره هو الذى يصلح لمطالب النوع الانسانى .

ثالثا ــ الوفاء بمطالب البدن والروح :

يقول الشاعر الفرنسى لامرتين : فى الاسلام قوة كافية أصيلة فى الاسلام نابعة من هذا الدين ، هو وحده الذى استطاع أن يفى بمطالب البدن ومبادىء الروح معا ، دون أن يعرض المسلم لأن يعيش فى عذاب الضمير الذى يعيش فيه المسيحيون .. هذه عندى هى قوة الاسلام بالنسبة الى الأديان الأخرى ، لقد حدث تفتت فى المسيحية واختلاف الفرقة ، وحدث بعد قيام المسيحية تشتت حتى أطرحت اطراحا ولم يعد احد يلجأ اليها أو يعيش فيها ، انما المسلمون يعيشون بالقرآن وحده ، ان الاسلام فيه شىء يجعله يختلف لأنه لا يعبد الأشخاص : التوحيد والتنزيه هو موضع القوة فى الاسلام المؤمن .

رابعا ــ تاليف الأجناس البشرية :

يقول هاملتون جب : ان الاســلام ما زال فى قدرته أن يقدم للانسانية خدمة سامية جليلة ، فليست هناك اى هيئة سواه يمكن أن تنجح مثله نجاحا باهرا فى تأليف الأجناس البشرية المتنافرة فى جبهة واحدة أساسها المساواة .. فالجامعة الاسلامية العظمى فى افريقيا والهند واندونيسيا بل وتلك الجامعة الاسلامية الصغيرة فى الصين أو فى اليابان لتبين كلها أن الاسلام ما زال له القدرة على أن يسيطر كلية على امثال هذه العناصر المختلفة الأجناس والطبقات ، فاذا ما وضعت منازعات دول الشرق والغرب موضع الدرس فلابد من الالتجاء الى الاسلام لحسم النزاع .

خامسا ــ الانصاف فى دراسة الأديان الأخرى :

وفى مجال الكتابة فى الملل والأديان : اعترف الباحثون الغربيون للاسلام وأهله بالانصاف .

يقول جب : العرب هم أول من الف في الأديان والنحل لأنهم كانوا واسعى الصدر تجاه العقائد الأخرى وحاولوا أن يفهموها ويدحضوها بالحجة والبرهان ثم انهم اعترفوا بما أتى قبل الاسلام من ديانات توحيدية ويحظى ابن حزم هنا بالنصيب الأوفر .

سادسا — معطياتهم فى مجال القانون :

أما فى مجال القانون فقد اعترف علماء الغرب بفضل الاسلام . ففى مؤتمر لاهاى منذ سنوات أشار أحد الباحثين الأجانب أن الامام الشافعى هو أول من وضع نظرية التعايش السلمى وأن ما يقوم به علماء السياسة والاجتماع اليوم بدراسة فى ذلك المؤتمر عن التعايش السلمى الحديث لا يختلف فى الشكل والمضمون عما ذهب اليه الامام الشافعى ، كذلك أعلن أحد الباحثين الأجانب أن « الماوردى » هو أول من نادي بفكرة التأثير المتبادل بين الفرد والمجتمع والموازنة بين حقوق الأفراد وحقوق الجماعة من غير تضحية أحدهما لحساب الآخر وهو المنهج الذى يمثل مفهوم الاسلام من الراسمالية والماركسية .. كذلك أعلن فى مؤتمر علمى منذ سنوات أن « البيرونى » قدم فى كتابه (الجماهر فى معرفة الجواهر) نظرة الاسلام الاقتصادية فى الادخار واكتناز الأموال وانفاقها فيما يتصل بعدم تركها للتداول (وهذه النظرية هى أم الاقتصاد الحديث) . وقد بين البيرونى مدى الخطر الذى يترتب على عملية كنز الأموال وقال ان الحركة من ضرورات الحياة كذلك سبق الغزالى الفيلسوف الغربى « سبنسر » فى تصويره الدولة أو المدينة بجسم الانسان ، فقد شبه الغزالى الملك بالقلب وأصحاب المهن الحرة بأعضاء الجسم ، والشرطة بعصب الانسان .. والوزراء بحسن الادراك .. والقضاء بالشعور ، كذلك اعترف علماء الغرب بما قدم ابن القيم من اضافات خطيرة فى مجال القانون ، فقد قدم نظريات لم تعرفها الدوائر القانونية فى أوروبا الا فى العصر الحديث من أمثال حرية التعاقد ، ومنع الحيل فى الأحكام واحياء أعمال الفضولى المحسن والمحافظة على أموال الغرماء .

وهكذا نجد أن مطالع التاريخ ووقائع التاريخ كلها تشترك فى الاعتراف بالدور الخطير الذى قدمه الاسلام للبشرية مغيرا اياها وناقلا لها من عصر الى عصر ، من الجاهلية الى الرشد الفكرى ، ومن ظلمات البشرية الى أصالة الرسالة الجامعة من تاريخ انتهى جميعه فى صفحة واحدة الى صفحة اخرى .

والغرب الآن يعترف — لأول مرة فى تاريخه بعد أن أصر مئات السنوات على التجاهل وحجب الحقيقة وعلى مؤامرة الصمت .

تلك الحقيقة هى أن المنهج العلمى التجريبى الذى قامت عليه الحضارة الحديثة هو من صنع المسلمين وانه بالضرورة كان منهجا مخالفا للمنهج القياسى اليونانى ، وأن أحد هذين المنهجين قد صرع الآخر وقضى عليه وثبت فى الميدان حتى اليوم ، وذلك هو المنهج التجريبى الاسلامى وانه مهما قيل من أن ارسطو وفيثاغورس من قبل أو غيرهما قد تحدثوا فى العلوم فان كل تراث اليونان فى هذا الشأن وهو تراث نظرى قياسى — قد نقله المسلمون ، وراجعوه وصححوا ما فيه من اخطاء ثم انطلقوا منه الى منهج آخر هو منهج

التجريب الذى قامت عليه الحضارة الحديثة هذا المنهج قد انطلق به المسلمون من أصول القرآن ومن هنا كان اختلاف منهجه أساسا عن اتجاه اليونان .. وكان انتقاله هذه النقلة الواسعة من القياس النظرى الى التجربة العملية . وهذا شىء غير ما كان يقوله بعض كتاب الغرب من أن المسلمين لم يزيدوا عن أن حفظوا تراث اليونان ثم سلموه للأوروبيين من بعد ، وكانوا حفظة امنـــاء !.

ان هذا القول ليس هو كل الحقيقة ، فان العرب حين قادوا حركة العلم قلبوا موازينه ونقلوه نقلة واسعة من النظر الى التجريب ووضعوه على طريق جديد ، ومن حق شباب العرب والمسلمين أن يعرفوا ذلك وان يتأكدوا من صحته حتى لا تخدعهم تلك العبارات المغلوطـــة الموجودة فى كتب الدراسة والثقافة والتى تحاول أن تقلل من دورهم الكبير ، لقد ذهب بعض الفلاسفة المسلمين شوطا فى محاولة وضع المفاهيم اليونانية فى اطار الفكر الاسلامى أو فى وعاء التوحيد الاسلامى .. ولكن هذه المحاولات لم تحقق شيئا وفشلت فشلا ذريعـــا .. وتبين من بعـــد أن جهود ابن سينا والفارابى والكندى وابن رشد لم تكن الا امتدادا للفلسفة اليونانية وانها بعيدة كل البعد عن النهج الاسلامى الأصيل .

* * *

تبليغ الإسلام لأهل الغرب بلغاتهم

كان من أخطر مهام الدعوة الاسلامية فى العصر الحديث ، تبليغ الاسلام لأهل الغرب فى لغاتهم وبكتابات فرنسية وانجليزية فى الأغلب لأنهما اللغتان الساريتان فى العالم كله اليوم ، ولقد كانت كتابات أحمد غلوش ويوسف على ومحمد توفيق أحمد من أبرز ما انتفع به فى هذا المجال ، وكان على ما كتب غيرهم تحفظات تتعلق بانحراف أو نقص أو موالاة لمذهب غير مذهب أهل السنة والجماعة وقد كانت كتابات المرحوم محمود يوسف الشواربى من أهم هذه الأعمال فقد كتب ثلاث رسائل عن دعوة الاسلام وعن الاسلام فى مواجهة الشيوعية .

وقد جاءت هذه الرسائل باللغة الانجليزية انجازا طيبا ، فقد استطاع أن ينقل مفاهيم الاسلام فى بساطة ويسر الى النفس الغربية والعقل الغربى فكشف عن مفهوم السلام الذى يعبر عن العقيدة تحت مفهوم التسليم والرضوخ لحكم الله ، وكشف عن فساد اطلاق كلمة (المحمدية على الاسلام) فليس الاسلام مرتبطا بوطن أو عصر ، وأبان عن أن المصـــدر الأساسى للاســـلام هو القرآن وأن مفهوم التوحيد واحـــد فى الأديان كلها وهو ما كانت تحمله التوراة والانجيل قبل أن يدخـــل عليهما التحريف وانه لا اكراه فى الاســـلام بل اقتناع عن عقيدة ، تقوم على النظر والتفكر والتأمل لمزيد من الايمان بالله وكيف أن القرآن يقرر وحدانية الله تبارك وتعالى وكيف أن الديانات السابقة كانت تخص أقواما حسب متطلبات الزمن وقدراتهم الفكرية ولكن لما تقدم الفكر البشرى جاء القرآن فأتم الرسالة ووصل بالدين الى الكمال . وأشار الى أنه ليس فى الاسلام بحث فى طبيعة الاله (لا تفكروا فى ذات الله) والمسلمون يتكلمون فى الصفات ولا يتكلمون فى الذات .

وتحدثت رسالة الدكتور الشواربى عن موقف الاسلام من مشاكل العالم فقال : ان من أهم المشاكل اليوم مشكلة الثروة ومشكلة الجنس وقد قارن الاسلام بين تراكم المال وشيوع الملكية بصرف النظر عن العوامل المختلفة ، والتفرقة بين الكسول والمجد ، واحترام العمل والعمالة وأعطى الفقراء حقهم بالزكاة ، واحتفظ الاسلام بالتوازن بين الأنظمة الأوروبية وبين ستار النظام الحديدى فلم يتأثر بما تفرضه الحياة الاقتصادية فى أوروبا ولا بالنظرية المادية الروسية .

وكشف الدكتور الشواربى عن فساد الشيوعية لأنها تقوم على انكار وجود الله والايمان بمادية الحياة ، والغاء الملكية الخاصة وتأميم جميع مصادر

الثروة واستبدال التجارة بالبطاقات والتنكر لكل القيم المثالية والروحية مما يتنافى مع الاسلام الذى يؤمن بالله وبالانسان مستخلفا فى الأرض ، وكيف أن الشيوعية ترى فى الدنيا نهاية حياة بينما يرى فيها الاسلام بداية حياة .

واشار الى : كيف عالج الاسلام مشاكل المجتمعات ، وجعل من الزكاة مانعا يمنع الفرد من التحكم وجعل حق الارث عاملا هاما فى توزيع الثروة توزيعا عادلا . كما حفظ الاسلام الثروة من الضياع بحجزها عن السفهاء . وكيف أن الانسان ليس له حرية فى الشيوعية وأن الحكومات الشيوعية حكومات دكتاتورية وأن الانسان هناك مجبر ومكره أن ينسى شخصيته ، وكيف أن الاسلام درجات والشيوعية طبقات ، وأنه ليس فى الاسلام طبقات وفى الشيوعية ثلاث طبقات : قادة الشيوعية ، والطبقة الوسطى ، والطبقة الدنيا . وكيف أن الطبقة العليا طبقة مقفلة ولا يمكن الوصول اليها ، وكيف أن الفلسفة المادية المضادة للدين وجدت طريقا سهلا الى أوروبا المسيحية .

ويقرر الدكتور الشواربى أنه لم توجد فى البشرية حضارة بغير دين ، وانه اذا تخلفت الأديان بدأت الحضارة فى الزوال .

وانه لابد لأصحاب الأديان من الدفاع عن العالم ضد تهديد الالحاد واننا نحن المسلمين نؤمن بجميع الكتب المقدسة وبجميع الأنبياء ونؤمن بأن دين الله واحد .

ولقد أقام الاسلام العلاقات الخارجية مع اهل الأديان الأخرى على المودة وحسن المعاملة لمن لم يخرج المسلمين من ديارهم ، وقد نص ميثاق النبى الى أهل نجران فى السنة التاسعة من الهجرة على هذه المعانى وكذلك ميثاق عمر الى أهل ايلياء (بيت المقدس) وموقف عمر بعد فتح مصر .

وقد جعل الاسلام : « الانسان » هو القضية الكبرى .

وقد اشار كينس الى تأثير الاسلام فى المسيحية حين قال : ان الاسلام كان منذ بدايته متحديا ومعطيا للمسيحية فى آن واحد ، فالمعارف والطب قد بلغت اسهامات عالية فى قلب العصر الوسيط ، ذلك أن لدى المسلمين شيئا متميزا ايجابيا يقدمه للانسان ، وهم يطلبون من الغرب استجابة صحيحة لمواقفهم العالمية ، وان الاسلام فى مقدوره أن يهدى الى الناس من العقائد الصحيحة عن طبيعة الاله والانسان ما يكمل الفهم المسيحى ويكون عونا قيما لبناء السياسة العالمية بما ينبغى للعالم المسيحى أن يحمل هذه الرسالة اذا كان صادقا وفقا لمثله العليا ، والاسلام يتحدى المسيحية أن تغوص الى أعماق تراثها لكى تكتسب موارد أخلاقية وروحية تعينها على أن تحيا مع المسلمين لا من حيث أنهم أناس فحسب بل اخوة مؤمنون .

كذلك فان الاسلام الغى الادعاء بأن أمة بذاتها يمكن أن تكون شعب الله المختار ، وأن الاسلام شمل جميع المسائل الدنيوية : الأخلاق والمجتمع وتوزيع الثروة ، دون أى تفرقة فى الجنس أو اللون وكيف أن نظام الشورى فى الاسلام يختلف عن نظام الغرب الديمقراطى .

وكيف أن نظام الحكم فى الشيوعية هو ديكتاتورية مبنية على القوة والاضطهاد وأن الأولاد غير الشرعيين هم سبب كثرة الجرائم فى العالم وأن الشعب مسئول أمام الحكومة وليس العكس .

* * *

معجزة انتشار الاسلام
بعد معجزة الفتح

ان انتشار الاسلام كان معجزة أخرى أذهلت المؤرخين بالاضافة الى سرعة الفتح التى حققت وصول الاسلام من الصين الى غرب فرنسا فى أقل من ثمانين سنة ، يضيف الدكتور حسين مؤنس عن انتشار الاسلام على هذا النحو المثير :

لقد امتلأ قلب العربى بالايمان فنهض فى موجته الكبرى فهدم حائط الايرانيين الهائل فى سلسلة من الوقائع الضاربة من كاظمة الى نهاوند وهى فتح الفتوح ، وذهب أمر بنى ساسان ومرازبتهم وزال الحاجز بين الايرانى وعامة البشر ودخل الايرانى فى الاسلام والتقى مع العربى على بساط الولاء والعهد والمودة والاسلام .

ثم جاء قتيبة بن مسلم الباهلى العظيم وهدم الحائط الذى كان يحول بين الأتراك والايرانيين وزلزل كبرياء زنبيل وأحزابه فانساح العرب والايرانيون فى بلاد الترك ودخل الترك أرض الايرانيين والعرب وجمعهم الاسلام فى أسرته الواسعة .

ثم نهض العرب والايرانيون والأتراك وازالوا الحواجز التى كانت أمم المغول تتستر من ورائها وأدخلوهم فى الاسلام واجتمع الأربعة بعد ذلك فهدموا سور الجنس والاستعلاء الذى كان أهل الصين قد أداروه على أنفسهم ودخل قتيبة ورجاله مدينة كشغر وضربوا خيامهم على ضفاف نهر تاريم وسط سلاسل من الجبال كأنها الرواسى الشامخات وتهدمت الأسوار التى كان يعيش وراءها أهل العراق والشام ومصر وهبت عليهم مع الاسلام نسمات العدل والاخاء فأخذوا ينتسبون الى أمة العروبة والاسلام ثم سار العرب فى بأس شديد ودخلوا معارك طاحنة مع البربر ، دامت سبعين سنة وصل فيها العرب الى ساحل المحيط الأطلسى وأدخلوا مع البربر وعبروا الى الأندلس فأدخلوا شعبها الأيبيرى الأوروبى فى أسرتهم واصبح مضيق جبل طارق مجرد ممر مائى داخل عالم الاسلام الشاسع ، بعد أن كان حاجزا بين قارتين وعالمين ، وفعل المسلمون مثل ذلك بجبال البرت وهى البرانس الحاجزة بين أسبانيا وفرنسا واصبحت هذه أيضا مرتفعات داخل دار الاسلام والسلام ، وهكذا أتم الاسلام مرحلة كبرى من رسالته وهى ازالة الحواجز بين البشر وتحقيق التعارف بين الشعوب والقبائل الذى بشر به القرآن واجتمعت هذه الشعوب كلها فى اقامة صرح اسلامى واحد .

حركة اليقظة الاسلامية تكشف زيف الاستشراق

الفكر الاسلامى متفتح للأفكار البشرية من منطلق القوة والأصالة

لقد استطاعت حركة اليقظة الاسلامية أن تكشف كثيرا من زيف الاستشراق وخطل رأيه ، ومن أبرز ذلك عجز الاستشراق نفسه عن تصور النفس الاسلامية ، والعقل الاسلامى لأسباب عديدة منها عجز المستشرقين أنفسهم عن فهم البيان العربى لو خلصوا من تعصبهم ، فاذا اجتمعت الأهواء مع العجز عن الفهم بعدوا كثيرا عن الوصول الى فهم المسلمين والعرب .

اننا لن نغلق أبوابنا أمام الفكر البشرى ، فسمة فكرنا الأساسية أنه متفتح ، ولكنه قائم على قاعدته يأخذ ما يزيده قوة ويرد ما سوى ذلك ، ولقد كان المسلمون يؤمنون على مدى العصور : أن الفكر الوافد ما هو الا بمثابة (مواد خام) لهم الحق فى استعمالها وتشكيلها على النحو الذى يرونه نافعا لهم ، ولهم الحق أيضا فى ردها والاستغناء عنها .

اننا مطالبون أن نحمى تاريخنا من التزييف وتعليمنا من مادية الفكر ، ونحن فى حاجة دائمة الى التفرقة بين الأخلاق التى هى جزء من الدين وبين التقاليد التى هى من صناعة المجتمعات .

كذلك علينا التفرقة بين مفهوم الاسلام نفسه كما جاء به القرآن وبين التطبيق التاريخى الذى أصاب المسلمون فيه وأخطأوا حيث لا يعد خطأهم حجة على الاسلام نفسه ، بل عليهم أنفسهم .

علينا أن نفرق بين الأصيل والوافد ..

علينا أن نؤكد مفاهيمنا فى الثقافة والتربية والسياسة والاجتماع والأخلاق والقانون ، وأن نعرف مكان اللغة العربية منا ، لغة القرآن التى يجب أن نجرى بها على مستواه ولا ننزل عنه الى العاميات ، أو ما يسمى باللغة الوسطى ، فذلك كله من دعوات الغزو الثقافى ..

***

آخر العامود

عن أبى عمارة البراء بن عازب رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا فلان اذا آويت الى فراشك فقل : اللهم انى أسلمت نفسى اليك ووجهت وجهى **اليك وفوضت أمرى اليك** والجأت ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت .

فانك ان مت من ليلتك مت على الفطرة وان أصبحت أصبحت خيرا (متفق عليه) .

(٥)

اليوم أكملت لكم دينكم

ما يزال الاسلام فى مواجهة النحل والأيديولوجيات هو الأمل الوحيد للبشرية لتحقيق أشواقها الروحية وغاياتها المادية وفى مثلين من أخطر أمثلة مقارنات الأديان نجد الاسلام يتميز بالأصالة والانسانية لأنه ربانى المصدر وليس من الفكر البشرى . وفى عشرات من الصور والنماذج يتكشف ((تميز الاسلام)) عن الفلسفات والمناهج والأيديولوجيات والنحل الأخرى ، ولقد كان للاسلام مثله الأعلى القائم على التوحيد الخالص .

يقول الدكتور توفيق الطويل : لم يصور الاسلام المثل الأعلى فى انسان وانما صوره فى الله سبحانه وتعالى وفيه تعالى يجتمع من الكمالات المطلقة أقصى ما يستطيع عقل بشرى أن يتصوره ((**ولله المثل الأعلى**)) (النحل) ((**وله المثل الأعلى فى السموات والأرض**)) (الروم) ، بينما صورت المسيحية المثل الأعلى فى الانسان المتبتل الزاهد الورع .. وبينما صور نيتشه المثل الأعلى فى السوبرمان الطاغية الأنانى المتغطرس المتجبر ، واذا كانت الرحمة فى المسيحية رأس الكمالات واذا كانت القوة عند نيتشة قمة الفضائل .. فقد جمع الله تبارك وتعالى بين الرحمة والقوة فى تعادل وتوازن ، فالله تبارك وتعالى رحمن رحيم منعم محب ودود غفور ، وهو تعالى فى نفس الوقت قوى قادر منتقم قهار جبار شديد الحساب . وصفات الرحمة فى الله تبارك وتعالى لا تطغى على صفات القوة والجبروت كما أن صفات القوة والجبروت عنده تعالى لا تطغى على صفات الرحمة والمحبة والغفران ، ولكن أى قوة وأى رحمة تلك التى يتصف بها الله تبارك وتعالى ؟. انها ليست الرحمة الوادعة ، المستكينة ، المتخاذلة التى تصدر عن ضعف ، ولا قوة المتغطرس المتجبر الفتاك ، ولكنها قوة الجبار الرحيم الذى ينزل بالعصاة شديد عقابه ويوقع بالمعتدين والمفسدين صارم عذابه .

الله تبارك وتعالى هو المثل الأعلى لكل من آمن بالاسلام فمن اهتدى بهدى الاسلام حق عليه الاقتداء بالله ومحاولة التحلى بصفاته الحسنى ما تيسر له ذلك أو ما يقوله الصالحون : « تحقيق الكمالات الالهية على قدر الطاقة البشرية » الله يأمر عباده بمزاولة حياة القوة والبطش حينما يدعو الداعى الى القوة والبطش ومباشرة الرحمة فيه تعالى لا تطغى على صفات القوة والجبروت كما أن الرحمة والحنان حين تمس الحاجة الى الرحمة والحنان . وهو تعالى جبار قهار منتقم شديد العذاب وهو يصون عباده برد العدوان وان حرم عليهم أن يبدأوا بالاعتداء وبهذا ومثله قضى الاسلام على الاستكانة والخضوع والذلة والمسكنة .

ودعا الاسلام كذلك الى الرحمة والحنان والمحبة وبمقدار ما دعا الى القوة والفتك والاقتدار وحذر المؤمن من استخدام قوته فى الاعتداء على غيره وان أوجب عليه أن ينهض لرد العدوان والفتك بالأعداء » .

ولا ريب أن هذا المفهوم الذى تعرضه عبارات الدكتور توفيق الطويل قريب من مفهوم أهل السنة والجماعة ، وانه تصوير موائم لمفهوم التكامل والتوازن الذى عرف به الاســـلام . فالمسلمون لا يقبلون مناهج الغاندية والتولستوية التى تقول بالسلام الذى هو أشبه بالتسليم كما أنهم لا يرتضون بعض مفاهيم النازية والصهيونية التى تقوم بالحرب والابادة .. فالمسلمون يتمسكون باليقظة فى حماية وتعبئة الثغور والاعداد لكل خطر خارجى دون أن يعتدوا ، ويردون العدوان بقوة لكل من يفكر فى الغزو أو الاغارة ايمانا برسالة الانسان فى المحافظة على دين الله وأرض الله .

وهكذا نجد الاسلام يقدم المفهوم الربانى الاصيل الذى يختلف عن مفاهيم الفكر البشرى الزائف أو المحرف عن رسالة السماء الأصيلة .

يقول الدكتور محمد اقبال :

ان ميزة الاسلام الأولى والكبرى انه اكتمل فى عهد الرسول وقبل أن يختار صلى الله عليه وسلم الرفيق الاعلى « **اليوم أكملت لكم دينكم** » .. بينما الأديان الأخرى أضيف اليها وحذف منها بعد وفاة أنبيائها ، وقد تجمعت العقائد المسيحية بعد المؤتمرات التى عقدتها المجامع المسكونية ابتداء من القرن الرابع الميلادى حتى القرن السابع ، وذلك لتحـــديد طبيعة المسيح « **صلة اللاهوت والناسوت فيه** » ثم تحديد قانون الايمان المسيحى « **خطيئة آدم ــ صلب المسيح ــ عقيدة الفداء** » وكذلك سر الثالوث الأقدس وسر التجسد .

ويقول الدكتور اقبال :

ينبغى أن نوضح الفارق بين التجديد وبين الاصلاح الدينى فى أوربا ، ذلك أن أية محاولة تجديدية كى تبقى فى فلك الاسلام ولا تتجاوز حدوده فانها ينبغى الا تعدل من أصوله ما دام القرآن له صفة التأكيد فيما تناوله من تشريعات وما دام النص قد انتهى برسول الله . ان عدم التثبت فى رواية الانجيل أو الاتفاق على رواية واحدة له أتاح ثغرات عديدة فدخلت المسيحية آراء ومعتقدات أصبحت على مر الزمن جزءا من المسيحية ذاتهـــا كمبدأ الاعتراف وصكوك الغفران الامر الذى أتاح الفرصة لاصلاح لوثر . أما فى الاسلام فان ختم الرسالة الالهية واعلان اكتمال الدين يعنى أن الدين كامل ولا يمكن تغييره أو تبديله .

فالمسيحية ليست فيها صيغة واحدة بصدد الأناجيل الأربعة وليس الأمر كذلك فى الاسلام ، والمسيحية لم تكتمل عقائدها فى عهد المسيح بينما الاسلام قد اكتمل عقائد واركانا . ومن ثم فليس فى الاسلام مذهب دينى يعدل من أركانه تعديل البروتستانتية للكاثوليكية » .

هذه الحقائق يجب أن تكون واضحة أمام الدعاة المسلمين ليعرفوا الفارق العميق بين الاصلاح الدينى الأوربى وبين التجديد فى الاسلام ويكشفوا زيف هؤلاء الذين يقولون أن الاسلام يتطور وكيف يتطور دين الله الحق الموحى به وانما الذى تتطور هى المذاهب البشرية والأيدلوجيات التى تعجز عن الاستجابة لتغيرات الأزمنة والبيئات .. فقد جاء الاسلام قادرا على الاستجابة لكل البيئات والعصور لانه جاء قضايا كلية عامة لها اطر واسعة مستفيضة مرنة قابلة لكل تقدم وتغير ما دامت أصولها العامة ثابتة وقائمة .

كذلك فان الاسلام قدم نظرية المعرفة الاسلامية ذات الجناحين الجامعة بين الروح والمادة وقدم منهج الثوابت والمتغيرات وبذلك فاق كل دعوات الفلاسفة التى قصرت عند ارسطو على الثبات وقصرت عند هيجل على التغير ، وكان كل منهما عاجزا عن فهم التكامل الجامع فى عالم الكون والحياة والمجتمعات الذى هدى الحق تبارك وتعالى المسلمين اليه بالقرآن حين قدم لهم سنن الكون والمجتمعات والحضارات .

وهكذا نجد أن الفلسفات والنحل فى مفهوم المثل الأعلى وفى معنى بناء المجتمعات قاصرة عاجزة عن أن تعطى البشرية أشواقها الروحية المادية التى لا تجتمع الا فى الاسلام والتى تأكل فى الماركسية الحرية الفردية وتأكل فى الرأسمالية العدالة الاجتماعية ، وحيث لا تجتمع الحرية والعدل الاجتماعى الا فى الاسلام بعد ما تبين خداع دعوة العدالة الاجتماعية فى الماركسية واستهدافها اقامة رأسمالية الدولة ووضع كل الثروة فى يد الطبقة الديكتاتورية الحاكمة ، وسحق المجتمعات .

التراث والمستشرقون :

قام المستشرقون بدور ضخم فى تحقيق التراث .. هذا ما لا نريد أن نغمط المستشرقين حقهم فيه ، ولكن هل كان هذا العمل ذا قيمة علمية حقيقية ..

يقول الأستاذ أبو الوفا المراغى ، وهو من خبراء التراث الاسلامى :

ــ لقد اهتم المستشرقون فى تحقيق التراث بوضع الفهارس وفهرسة الألفاظ الغريبة .. وبجانب هذه الشكليات الكثيرة فى تحقيق المستشرقين نجدهم ازاء تحقيق النص ــ وهو المقصود الأهم فى التحقيق منصرفين عنه صامتين دونه لا يتعرضون له بشىء ، فلا تفسير لعبارة غامضة من عباراته ، ولا اشارة الى مرجع علمى للمؤلف ، ولا ترجيح لنص على آخر عند اختلاف النصوص .. وهكذا يبدو قصور المستشرقين فى التحقيق ، ولهم عذرهم المقبول فى ذلك ..

ولا ريب أن الفهارس تستغرق قدرا كبيرا من الكتاب وتثقله حجما وتكلفة ، ويكون بعضها لا فائدة فيه ، ونحو ذلك مما يعده بعض المفتونين بعمل الأجانب من مزاياهم ، وهو فى نظرنا تزايدات لا ضرورة لها ..

نقول : لا ريب أن هذا المعنى يكشف بوضوح عن زيف الادعاء بأهمية عمل المستشرقين فى التراث ، فاذا أضفنا الى ذلك أن المستشرقين لا ينشرون الا نوعا معينا من التراث هو الفرق القديمة أو الفكر الباطنى أو تراث الشعراء الماجنين أو الفلسفات الغنوصية أو فكر الفلسفة والتصوف الفلسفى ، واعلاء شخصيات منكورة فى تاريخ الفكر الاسلامى كالحلاج والسهروردى ، وابن عربى وابى نواس وبشار وغيرهم عرفنا أى هدف يستهدفونه ، وأى غرض يبيتونه ، لقد عاش ماسنيون ٤٠ سنة من عمره يجمع آثار الحلاج ويوردها فى رسائل ضخمة ليعيد هذا الفكر المسموم مرة أخرى الى أيدى المسلمين ليفسد مشاعرهم ويزيف فكرهم الاسلامى الأصيل ويبعث فيهم روحا من التحلل .. وكذلك كان عملهم فى نسبة ذلك الشعر الوثنى والخمرى وغيره الى عمر الخيام وهو منه براء لخلق روح الهزيمة والانهيار والتمزق فى النفس الاسلامية ..

والى جانب ذلك ، فان هناك قدرا كبيرا من التراث الاسلامى الذى نراه ممنوعا عن الباحثين المسلمين لا يستطيعون الحصول عليه أو الانتفاع به ، ذلك لان الغربيين سرقوا هذا التراث فى فترة من الفترات التى غفل فيها المسلمون عن تراثهم فاستفادوا منه وحجبوا هذه المعطيات عن أصحابها ..

* * *

منهج التحقيق العلمى الاسلامى
كما رسمه ابن تيمية

قال الامام ابن تيمية : ان أصح طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن فانما أجمل مكان قد فسر فى موضع آخر وما اختصر فى مكان قد بسط فى مكان آخر ، فان أعياك ذلك فعليك بالسنة فانها شارحة للقرآن وموضحة له .
بل لقد قال الامام الشافعى : كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو بما فيه من القرآن وحينئذ اذا لم نجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة رجعها فى ذلك الى أقوال الصحابة فانهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التى اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح لا سيما علماؤهم وكبراؤهم واذا لم تجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة ولا وجدته عند الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة فى ذلك الى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر فانه كان آية فى التفسير فأما تفسير القرآن بمجرد الرأى فحرام . عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار .

* * *

(٦)

لا تطلع الشمس كل يوم إلا على مسلم جديد

يقول الأستاذ مولود قاسم ان التحدى الذى يواجه العالم الاسلامى هو أن يبقى هو هو بأنيته كاملة . كيف يمكن الانسان أن يكون ابن عصره مع البقاء على أديم مصره ، ودون أن يصبح نسخة غيره دون أن يصبح مشوها ممسوخا عن ثقافته وعن هذه الأنية التى تكلم عنها ابن سينا وعن هـــذه الأصالة وعن تقاليده وعن تراثه وعن عناصر شخصيته ومكونات ذاتيته . كيف يمكن هذا ؟ هذا هو المشكل المطروح الآن على البشرية كلها ، على العالم كله ، هـــذه هى الأزمة وهذا هو العلاج لأزمة الحضارة وأزمة القيم كما يسميها الأوربيون .

ما هو حلها : « حلها هو هذا ، أن يكون الانسان ابن عصره ، أى أن يأخذ بآخر اكتشافات العلم . بآخر ابداعات الفن ، بآخر اختراعات الصناعة ، بآخر انجازات الزراعة ، ومختلف انواع النشاط البشرى . وفى نفس الوقت يحافظ على عناصر شخصيته ويبقى متمسكا بجذوره ملتصقا بأعماق أعماق عروقه » .

وتلك هى قضية العصر فى كل العالم الاسلامى ، التشبث بالجـــذور والتمسك بالأصول . ولكن دون استعلاء أو عنصرية كأن يقول أحدهم أنا ابن حضارة سبعة آلاف سنة كما يقول الدكتور زكى نجيب محمود وانما يقول أنا ابن الحنيفية السمحة التى أقامها ابراهيم عليه السلام على أساس التوحيد . وأن يكون هذا النسب عقائديا فكريا لا عرقيا ودمويا .

ان هذا النسب القديم هو الأساس الذى قامت عليه الحضارة الاسلامية واستمدت منه الحضارة الانسانية أصول العدل والرحمة والتجريب .

اننا نحن المسلمين لا نخضع لمفاهيم الاقليميات الضيقة ، أو القوميات الوافدة ، ذلك أن لنا مفهوما أصيلا جامعا يربطنا بأهل اللسان (العرب) وبأهل الوطن والأرض وبأهل العقيدة والفكر دون أن يحدث صدام أو صراع بين هذه الحلقات الثلاث ، بل ان هذه الثلاث تتكامل وتترابط بحيث تحول بيننا وبين العنصرية ، وبين الصراع ، وبين الخلاف ، فان هذه الأرض قد ربطتها منذ دعوة ابراهيم عليه السلام فكرة التوحيد ومنها امتدت فى الأديان السماوية ثم ختمت فى رسالة الاسلام الجامعة التى أرسلها الحق تبارك وتعالى للبشرية بعد أن أصبحت مستعدة للرشد الفكرى .

ونحن نجد الاسلام اليوم على مشارف القرن الخامس عشر نجد الاسلام يدخل كل قرية وكل قطر وكل بلد وكل أمة ، ويصل فى تعداده الى الف مليون نسمة ، ونجد فى أوروبا جاليات اسلامية ضخمة فى انجلترا وفرنسا والمانيا تكاد تكون فى الدرجة الثانية بعد سكانها الأصليين ، وحين يصبح تعداد العالم اربعة مليارات نجد أن المسلمين هم ربع سكان العالم عدداً وهم يأخذون من الأرض ما يعادل نصفها تقريبا . وحين كان المسلمون ٢٥٠ مليونا كانت المسيحية ٦٠٠ مليون والبوذية ٥٠٠ مليون ثم ظهرت الشيوعية عام ١٩١٧ ونجحت على حساب المسيحية ، ولكن اعداداً ضخمة من الوثنيين دخلت فى الاسلام خلال السنوات الخمسين الأخيرة فى جنوب شرق آسـيا ووسط وشرق وغرب أفريقيا حتى قفز رقم المسلمين الى ربع سكان العالم ، بينما توقف تعداد أجناس وعقائد أخرى بل وانخفض ..

فالبوذية قضى عليهـا ، والمجوسية انتهت ، والبرهمية كذلك انتهت كدين وان بقيت كتراث ، اما الكنيسة الغربية فقد خالفت رسالة الدين وأصبح اهلها علمانيير ماديين على دين الوثنية الاغريقية القديمة .

ونجد ان اليهودية الصهيونية الماسونية تحاول أن تجتاح المسيحية فى الغرب وتحتويها فلم تبق لله تبارك وتعالى كلمة خالصة الا ((لا اله الا الله)) التى يحمل لواءها المسلمون . وعلى طول الخريطة الاسلامية نجد الاسلام يكسب كل يوم معتنقين جددا بالمئات وبالألوف فى شرق الأرض وغربها وفى أوربا وفى أمريكا وفى اليابان وما تزال البرقيات ترد من أطراف الكرة تكشف هذه الحقيقة ، وهناك اسلام المتازين من مثقفين وقسس وممثلين وعلماء وفلاسفة لا تتوقف قصصهم . وفى العـالم الجـديد يقول الدكتور محمد عبد الرؤوف ان الشمس لا تطلع يوما الا على مسلم جديد ..

وفى العالم الاسلامى تتجدد القوى وتزداد الثروة ويتم التفوق البشرى ، ويلتمس المسلمون الطاقة والتكنولوجيا بينما يتناقص غيرهم وتغيض الأرحام فى الغرب وما يزال خطر الشيوعية فى انحدار وخطر الوجودية فى هزيمة .

ويواجه العالم الغربى محنة الانسان وازمة النفس والقلب ودمار التمزق والغربة والقلق الذى يحاصر الحضارة الغربية من كل مكان .

وما تزال النظريات البشرية والأيدلوجيات المادية تصيبها قارعة أو تحل قريبا من دارها وتكشف حقائق العلم عن طريق الفلك والتكنولوجيا وتكشف دراسات الحفريات والآثار عن فساد دعوات التطور والنسبية والفرويدية والماركسية والقـانون الوضعى وتضرب الفطرة الانسانية ضربات متوالية لتوقظها لتعرف انه ليس هناك غير ناموس الله وقانونه وسننه فى الكون والأمم والحضارة وانه ليس هناك غير الدين الحق هو وحده القادر على العطاء للنفوس والعقول والأمم والاستجابة لحاجات كل عصر وبيئة .

ويكتب الغربيون اليوم عن عبقرية الحضارة العربية (وهى حضارة الاسلام) فالعرب لم تكن لهم حضارة الا بالاسلام الذى مكنهم بالقرآن من

تقديم المنهج العلمى التجريبى للبشرية كلها والاسهام فى ميادين الثقافة والعلوم من القرن السابع الميلادى حتى السادس عشر مما استفادت به حضارة الغرب وقامت فى شمال البحر الأبيض المتوسط على النحو المادى الذى قامت به وحين توقفت حضارة الاسلام عن العطاء ثم هى تعود اليوم لتصحح للبشرية طريقها بعد أن انحرف بها مؤذنا بجولة جديدة سلمية من الدعوة الى كلمة الله الحق يدخل فى اثرها ملايين جديدة .

وما تزال الجولة الأولى موضع دهشة المؤرخين وهى جولة الفتح ولكن الجولة السلمية الجديدة ستكون موضع دهشة الأجيال القادمة .. وخاصة وقد زحف الاسلام الى قارتى أوروبا وأمريكا . ومنذ ظهور تلك الموجة من الدراسات الجادة التى يقدمها علماء غربيون منصفون يرون أن الاسلام وحده هو القادر على اعطاء البشرية انسانيتها وروحها وأمنها .

هؤلاء علماء الاجتماع الذين يرون أن النظام الاسلامى الاجتماعى هو حلم المصلحين .

هؤلاء علماء النفس الذين يرون منهج الاسلام النفسى هو مصدر السكينة والأمل .

فقد أعلن عدد من علماء الاجتماع منذ وقت ليس ببعيد أن « الاسلام : بوصفه دينا ومنهج حياة ونظام مجتمع يمثل الحل الأمثل للمشاكل التى تواجه هذا العالم المضطرب . ومنذ شهور أعلن عدد من الأطباء أن الاسلام هو الوقاية الحقيقية من عدد كبير من الأمراض التى تصيب الانسان والتى سببها متاعب الحياة والانفعال والقلق . وان الأخذ بعدد من هذه المبادىء يجعل الانسان صحيحا وسليما حتى يأتى أجله .

وان القلق هو آفة العصر ، وهو الذى يملأ الانسان بالأمراض وهى السكر والضغط وأمراض القلب وأمراض المعدة ويقلق الانسان خوفا من المستقبل ومن الفقر ومن الخوف من الحياة وأول أسباب الخوف هو عبادة الفرد وان يحس الانسان بأن هناك انسانا مثله يستطيع أن يضر وينفع وان يعطى ويمنع فى غيبة ارادة الله ومن هنا ينشأ الخوف .

أما المسلم الحق فانه لا يخشى الغد لانه يعمل ويعلم ان الله هو الذى يتولى أمره كله وما يزال الاسلام وأهله حديث المؤلفين والباحثين يكتشفون كل يوم جديدا . وتقول المؤلفة (كاريس ودى) الاسترالية فى مقدمة كتابها (العقل الاسلامى) عن ذلك المسجد الصغير عند ساحل استراليا الجنوبى المجابه للقطب الجنوبى وعن العرب والأفغان الذين استهوتهم صحراء استراليا فأتوا اليها بجمالهم قبل نيف ومائة عام فقدموا لاستراليا أفضل خدمات النقل عبر الصحارى المقفرة حتى ظهرت سيارات الشحن والقاطرات فلم يجد الجمالون بدأ من أن يتركوا جمالهم تهيم على وجهها فى الصحراء ويعودوا الى بلادهم . على أن هذه الجمال بقيت تتناسل فى الصحراء الشمالية على ما يبدو فمن سلالتها اختير أربعة قدمتها الحكومة هدية لجلالة الملك خالد .

وتتحدث (كاريس ودى) عن وجود أكثرية فى ست واربعين دولة مستقلة فى العالم وقد قفز عدد سكانها من ستمائة وسبعة وأربعين مليون نسمة عام ١٩٦٤ الى ٩٠٠ مليون عام ١٩٧٥ . وفى هذا الكتاب بلغ بها الاعجاب بالاسلام الى حد بعيد ..

هذا الوجه من الثقة التى تراود الانسانية اليوم بأن الاسلام قادر فى يوم قريب على الطب لادوائها منذ أطلق برنارد شو قبل خمسين عاما كلمته المعروفة ، ربما كان بعيد الأثر فى عنف المؤامرات التى تحاك اليوم للاسلام والمسلمين حتى تحصرهم فى وجودهم وتمزق وحدتهم وتبدد ثرواتهم وتحول بينهم وبين تطبيق شرع الله فى مجتمعهم ليقدموا نموذج المجتمع الربانى الى البشرية ، هـذه المؤامرة التى يقودها التغريب والغزو الثقـافى ممثلا فى الاستعمار والشيوعية والصهيونية ، وما تزال قوى الغزو الفكرى مسيطرة على التعليم والثقافة والصحافة ، حائلة دون تطبيق نظام الاقتصاد الاسلامى أو التربية الاسلامية أو الشريعـة الاسلامية بديلا للنظام الربوى ومناهج العلمانية والقانون الوضعى .

ولعـل من أخطر المحـاولات التى تجرى : محاولة ضرب الاسـلام بالمسلمين ، أى ضرب الاسلام الأصيل ببعض الفرق الضـالة والطوائف الدخيلة مثل القاديانية والبهائية والباطنية وكلها تتلقى التوجيه والمعونة من القوى الكبرى وهم يعدونها لمـا يسمونه (حرب الاسلام بالاسلام) هذه الطوائف تقدس زعماءها وترفعهم فوق مرتبـة البشر وتشرع لاتباعها من الدين ما لم يأذن به الله مستغلة اسم الاسلام لهدم الاسلام وما تزال الأحمدية فى افريقيا والقاديانية فى الباكستان رغم قرار الحكومة باعتبارها أقلية غير اسلامية تمثلان قمة التحدى الخطير . ولقد خدع بعض كتاب المسلمين بهذه الفرق — حينا — فاعتبروها دعوات للتجديد وتابعوا فى ذلك دعادى المستشرقين والمبشرين .

وما تزال عقبات كبرى فى طريق الاسـلام تحول بينه وبين حمل لواء دعوته الحقة الى البشرية أجملها الدكتور محمد البهى فى سبعة عناصر :

أولا : تقسيم الأمة الاسلامية .

ثانيا : الفصل بين الدين والدولة فى ممارسة شئون الحكم (العلمانية) .

ثالثا : الفصل بين الدين والعلم (ليس فى الاسلام خصومة بين الدين والعلم) .

رابعا : وسائل الاعلام وسخريتها من اللغة الفصحى ومن القيم .

خامسا : تطلع المرأة المسلمة الى حياة المرأة الغربية واسلوب عملها .

سادسا : التكتل بين القوى المسيطرة فى مواجهة الاسلام .

سابعا : الفصل بين الحكم والدعوة الاسلامية .

وبعد ، فانه لا خلاص للانسانية الا بكلمة التوحيد ، فعلى المسلمين ان يحملوا لواء دعوتها ويرفعوها عاليا ليكشفوا للبشرية عن هذا النور ، الذى تتطلع اليه العيون الكليلة فى كل مكان ، ان المسلمين الذين يبلغون الف مليون من البشر فى مطلع القرن الخامس عشر الهجرى عليهم مسئولية ضخمة ليقدموا للبشرية عقيدة التوحيد بمنهاجها الاجتماعى الجامع بعد أن تحطمت تلك العقائد والنظم والأيدلوجيات القلقة المضطربة العاجزة عن تقديم الأمن النفسى وسكينة القلب .

* * *

أعطيناهم التجريب وأعطونا أرسطو

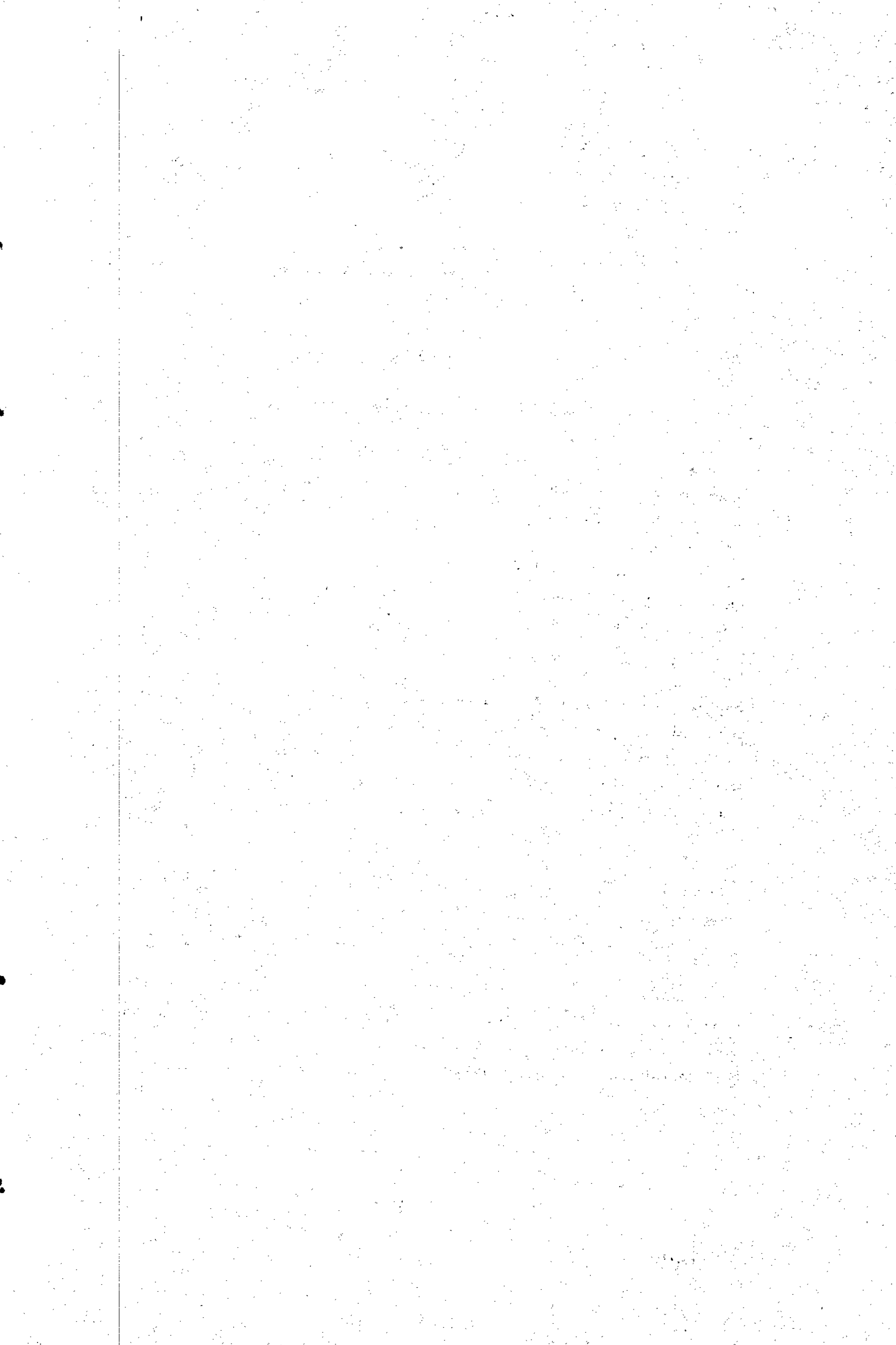
ان المسلمين اليوم حين يطلبون العلم التجريبى وصولا الى التكنولوجيا انما يطلبون شيئا شاركوا فى صناعته وساهموا فى بنائه وانمائه وهم اليوم حين ينقلونه الى محيطهم والى لغتهم انما يحققون للعلم رسالته الربانية الأصيلة . فان الاسلام له مفاهيمه الخاصة فى استعمال العلم وفى صناعته فهو يجعله لله خالصا مبرأ من الظلم ، عادلا شاملا للبشرية كلها لا يعرض به الحياة للأخطار أو يهددها بالدمار وانما يؤدى بها الى الأمن ، فالعلم فى مفهوم الاسلام من أجل الانسانية كلها أخوة ورحمة ، والتقدم هو بمفهومه الجامع معنويا وماديا وهو مكفول بأمانة الله ووجهته الى الخير والسلام .

وليذكر المسلمون أنهم أعطوا أوروبا المنهج التجريبى الاسلامى ليحييها فلما عادت أوروبا أعطت المسلمين المنهج الأرسطى لتميتهم ، فلما أخذ المسلمون (بنصيحة طه حسين ولطفى السيد) عزلهم عن حقيقة الاسلام التى أقامها المنهج التجريبى حين رفض المسلمون منهج أرسطو وحين لم يجد الغربيون الطريق الى العلم الا حين حملوا ارجانون أرسطو ونقدوه بما لم يزد عما نقده به المسلمون .

ولم يتبين المسلمون هذه الحقيقة الا منذ وقت قريب فقد كان الكيد يدبر لهم حتى لا يصلوا الى الجذور التى كانوا هم أصحابها وبناتها وحملة الويتها والتى صنعت للبشرية نهضة فى اطار الايمان بالله والأخلاق والرحمة .

ومن هنا علا صوت الدعوة الكريمة التى حملها مؤتمر العلم والتكنولوجيا الى المسلمين جميعا باعادة صياغة العلوم التجريبية صياغة اسلامية تربطها بالعقيدة وتعمق الوجدان الدينى عند الدارسين وتشعرهم بعظمة الخالق وقدرة المعجزة بما يحقق قوله تعالى : ((**انما يخشى الله من عباده العلماء**)) ويزيل تلك التفرقة المصطنعة بين الدراسات الشرعية عند البعض من ناحية والعلوم البحتة من ناحية أخرى ، تلك الفرقة التى سرت الينا من اتخاذ المناهج الغربية فى تدريس تلك المواد بمعزل عن الدين .

* * *



الباب السابع

رواد فى كل الميادين

١ — لماذا كان الخليل بن أحمد هدفا للتغريب والغزو الثقافى ؟.

٢ — الادريسى : أستاذ الجغرافيا وليس بطليموس .

٣ — البيرونى : حقق مسألة علمية وهو على فراش الموت .

٤ — ابن ماجد : هو الذى دخل الهند وليس فاسكودى جاما .

٥ — طارق بن زياد .

٦ — عباس بن فرناس : العربى الأول الذى حلق فى الفضاء .

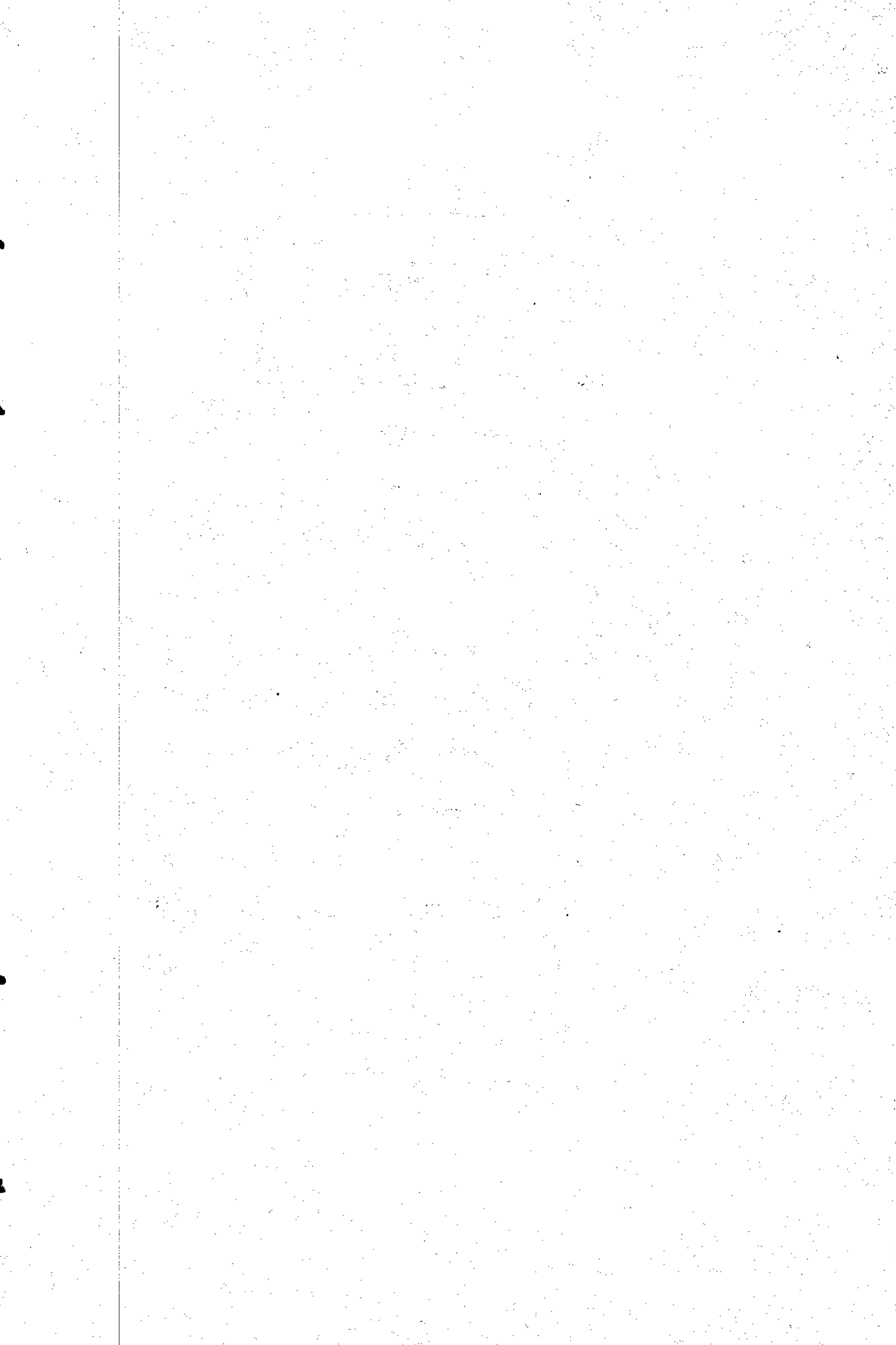
٧ — الدورة الدموية : عرفها العرب قبل اوروبا .

٨ — المسلمون رواد الكيمياء (والطاقة الذرية) .

٩ — المسلمون هم مخترعو الكسور العشرية .

١٠ — عروبة دون كيشوت .

١١ — المسلمون أول من أطلق الصواريخ .



(١)

لماذا كان الخليل بن أحمد هدفاً للتغريب

لماذا نجد الخليل بن أحمد اليوم هدفاً من أهداف التغريب والغزو الثقافى توجه اليه السهام وتوجه الى عاموده الشعرى ؟ ذلك لأن الخليل أعطى الشعر وأعطى النحو وأعطى الموسيقى قانونا عجيبا ما زال موضع كراهية وحقد خصوم اللغة العربية الذين يدعون الى ما يسمونه كسر النص ، فهم من أجل ذلك يحملون عليه ويسخرون منه وهو سامق المكانة لا تهزه هذه الكتابات المنحرفة .

وليس هذا شأن الخليل بن أحمد وحده ولكن سهام التغريب والغزو الثقافى لم تدع أديبا صحيحا أو شخصية ممتازة فى الفكر الاسلامى والأدب العربى الا حاولت النيل منه ، فعلت ذلك فى المتنبى وفى الغزالى وفى ابن تيمية .. فى نفس الوقت الذى حاولت فيه أن تعلى من شأن الشعوبيين والمارقين أمثال بشار بن برد والحلاج وأبى نواس وابن الراوندى . وكذلك فهى قد نسبت الى عمر الخيام العلامة التجريبى الكبير شعرا يحض على الفساد والخمر ..

ومن أجل هذا فان علينا أن نكون حريصين أشد الحرص على حماية هذه الشخصيات الكريمة من هذا الاتهام ، وأن نحرر فكرها وحياتها ونكشف عن وجه الحق فيه .

ان الخليل بن أحمد عمرو بن تميم الفراهيدى أخرجته البصرة كما أخرجت عددا كبيرا من أعلام الفكر الاسلامى ، درس الفقه واللغة على أبى أيوب السجستانى ورأى الفرزدق فى صباه كما تلقى على عاصم الأحول والعوام ابن حوشب ولقد ذهب فى شبابه الى بلاد الروم مجاهدا للدفاع عن ثغور الاسلام .. وقد أحب علماء العربية والنحو وأمضى ثلاث سنوات يجلس اليهم فيسمع منهم ولا يشترك معهم فى الجدل والمناظرة . وقد عاصر شيخ العربية عمرو بن العلاء ، وحضر مجلسه وكان قد مضى على عمرو أكثر من خمسين سنة يدرس اللغة ، وقد أغراه بعض أصحابه أن يجادله وينتصر عليه فيتحدث عنه الناس ويرتفع اسمه ، ولكنه رفض ذلك وآثر أن يظل بمنزلة التلميذ مهما بلغ به العلم . وكان الخليل محبا للوحدة راغبا فى الصحراء يخرج من المدينة اليها حيث ينفرد بنفسه ويدير فى عقله أفكارا ومعانى كانت إرهاصات لانشائه قواعد النحو وضوابطه .

ذلك أنه بدأ يضع « قواعد جديدة » فيه لم يكتشفها أصحاب العربية ، ولم يلبث أن انقطع عن الناس كلية ، يخرج فى الصباح الى الصحراء فلا يعود الا فى الغسق ، يسير على غير هدى وهو من خلال ذلك يدون شيئا فى صحيفة معه . ولم تلبث التهويمات أن تكشفت له عن شىء واضح ناصع وصفه فى قوله :

« أن أبا الأسود الدؤلى ضبط حركات الحروف من فتح وضم وسكون بوضع نقاط بأعلى الحروف أو أسفل منها أو عن يمينها أو شمالها وقد اختلطت النقاط المميزة للحروف بالنقاط المميزة للكلمات وقد أردت أن أسهل على الناس بأن أوجد ما يضبط به الناس الكلمات دون الحاجة الى تغيير الحروف ودون أن يضطربوا من كثرة النقاط واستعمالها ، والأمر الذى خطر فى بالى هو أن أرسم فوق كل حرف صورة حركة المد التى تقابل حركته فان كانت حركة الفتح وضعنا ألفا صغيرة ، وان كانت الضم وضعنا واوا صغيرة وان كانت الكسر وضعنا ياء صغيرة . فلما أذاع الخليل طريقته استقبلها الناس — كعادتهم دائما عند استقبال كل جديد — بوجوم بالغ ، وقالوا : هذه بدعة وخروج عما ألف الناس .

وقد دافع الخليل عن طريقته حتى اقتنع الكثير من مخالفيه وكانوا قد خافوا على نص القرآن أن يتغير بهذه البدعة . ومضت فترة من الزمن فاذا الخليل يخرج على الناس بشىء جديد . ذلك أنه بينما كان يسير فى السوق سمع أصوات المطارق على الطشوت .. هنالك اكتشف سر الموسيقى وأصلها ، ولم يقف عند هذا بل قاده ذلك الى وضع أصول علم العروض ..

قال الخليل — ان هناك ثلاث نقرات :

الأولى : دقه وسكون (تن) .

الثانية : دقتان وسكون (تتن) .

الثالثة : ثلاث دقات وسكون (تتتن) .

وقال ان هذه النقرات اذا تتابعت وتداخلت كونت الموسيقى ، وأن اختلاف تداخلها وتتابعها هو الذى يولد اختلاف النغمات .

ومضى الخليل يتصل بأهل الغناء واستاذهم أبو رافع ، ومضى يعيش فى الحانهم ويغشى مجالسهم ومعه لوح يكتب فيه رموزا لا يفهمها أحد سواه ، ولم يلبث أن قال كلمته الخالدة (السكون فى الشعر هو السكون فى الموسيقى) .

واداه ذلك الى أن يصل الى العروض ، فقد كان الشعر العربى قبله لا ضابط له فمضى يحصر أصول الانغام والتواقيع موقنا بأنه سيستطيع

وضع مقاييس الشعر ، وكان فى خلال تأملاته تلك يعكف فى منزله على بئر وقالوا انهم كانوا يدخلون عليه الدار فلا يرون منه الا قامته . أما رأسه فقد أخفاها فى فوهة البئر ، ويسمعونه يخرج أقوالا لا معنى لها يكررها ، ويقتربون منه فيرون رأسه وقد تدلى فى البئر منفوش الشعر . فلما سئل فى ذلك قال : ان مقاطع الشعر تظهر واضحة فى الصدى الذى يحدثه البئر . وانتقل بعد ذلك الى مرحلة اخرى من عمله هذا ، حيث رجع الى أشعار العرب ، فأخذ يقطعها معتبرا الحرف الساكن آخر المقطع ، وقابل بين المقاطع وانتهى من ذلك بوضع أصول الشعر والنظم ..

« حصرت الانغام ومقاديرها ، وأنواعها فضممت كلا الى نوعه ثم حصرت أوزان الشعر العربى بتوفيق الله فمالى لا أفكر فى حصر الفاظ اللغة العربية بشكل علمى تام كامل لا يغادر منها فيه لفظ » .

هذه هى الفكرة البارقة التي كانت تملأ نفسه والخواطر التى تدور فى أعماقه وهو فى طريقه من البصرة الى خراسان ليعيش فى ظل صداقة حبيبة لنفسه فى شخص « الليث بن مظفر بن سيار » .

ثم لم يلبث أن وضع مقومات هذا العمل الضخم ورسم خطوطه وترك أمره الى الليث الذى اتمه وهو كتاب « العين » الذى يعد دائرة معارف ضخمة وضع مقدمتها الخليل .

فلما أتم بحثه قصد المسجد الجامع وعرضه على الناس : ذلك هو « علم العروض » الذى انهال الناس عليه لتعلمه فوقف نفسه على افهامه للناس .

ومن قوله فى ذلك ان العرب قد استخدموا التفاعيل الثمانى عشرة بحرا مع انها تعطى اكثر من ذلك حين تجمع وتركب .

ومضى الخليل يركب بحورا جديدة ويخرج بها شعرا من أوزان جديدة .. هذا العمل الضخم ينظر اليه الماركسيون ودعاة التغريب فى سخرية ، وهو دليل على عجزها عن فهم أصالة هذا الفكر أو تقدير عمل العاملين فى مجال البحث ، وهذا شأن التافهين الزائفين . ولما كان قولهم ينافى الأصالة والفطرة وتقدير العلماء وفهم حقائق الامور فانه فاسد تضرب به وجوههم ويرد عليهم ولا يستمع لهم فيه الا التافهون الفارغون .

أما حياة الخليل فلم تكن صفوا كلها ، كانت حياة قصيرة يملؤها ورع عجيب لا يقبل عطاء احد مهما كان ولا يريد أن يكون خادما للسلاطين والأمراء حتى قالوا : « انه اقام فى خص من اخصاص البصرة لا يقدر على فلسين » !! وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال ، وآية خلقه انه رفض ان يكسب سنوات يستمع فى حلقات العلم دون ان يشارك فى الجدل .. يقول سفيان الثورى : من أحب أن ينظر الى رجل خلق من الذهب والمسك فلينظر الى الخليل بن أحمد .

كما وصفه أبو حاتم بقوله :

قـــد صاغــه الله من تبر ومن ذهب
وصـــاغ راحتـــه من عارض هطـــل

وقد كان سمح الوجه ، صافى الذهن ، عبقريا ، لا يعادى احدا ولا يتشفى بل يتغاضى دائما ويتسامى عن صغائر الأمور .

كانت آية ذهنه اللماح ، انه يحاول أن يستخرج من الظواهر أصولا تجمع فى قانون واحد . وبلغ من ورعه وزهده وقناعته عما فى أيدى الناس قوله : نى لأغلق على بابى فما يجاوزه همى .

رفض دعوة أمير الأهواز وفارس « الأمير سليمان بن حبيب المهلبى » الذى بعث اليه بهدية فى مائة الف درهم ويدعوه الى أن يقدم اليه فيلازمه وينادمه ويؤدب أولاده .

رفض الخليل الفقير الذى لم يكن فى بيته ثمن كسرة من الخبز هذا العرض وقال لرسول الأمير :

أرى هذه الكسرة من الخبز ، انها زادى الوحيد ولكنها كافية لسد رمقى ، وما دام عندى منها فلست بحاجة الى سليمان .. أما هذه الدراهم الكثيرة فعند الأمير من الشعراء من هم فى حاجة اليها .

وكان لهذا التصرف اثره البعيد فى نفوس طلابه ، وتحدث به الى الناس فى البصرة ولكنه لم يكن لينظر الى ذلك بل كان يربأ بنفسه أن يكون عبدا لأمير ، ويرفض أن يبيع علمه وعزته وعقله بالمال .

كانت نظرته الى الحياة أعمق من أن يكون عبدا للمال ، وكان يحتقر الظواهر ويمتهن التجمل . ومن شعره قوله :

الرزق عن قـــدر لا الضعف ينقصه
ولا يزيدك فيـــه حـــول محتـــال

والفقر فى النفس لا فى المـــال تعرفه
ومثـــل ذاك الغنى فى النفس لا المال

ويقول :

« أكمل ما يكون الانسان عقلا وذهنا ، اذا بلغ ثلاثا وستين سنة . وأصفى ما يكون ذهن الانسان فى وقت السحر » .

ولقد خرج الخليـــل فى ايامه الأخيرة من البصرة الى خراســـان بدعوة من تلميذه الليث بن المظفر أمير خراسان يشيعه ثلاثة آلاف رجل ساروا معه حتى بلغوا « المربد » فأوقفهم وخطب فيهم بما يشبه الاعتذار عن خروجه .

قال :

« كانت هذه أيام سد فيها باب المعاش ، وتضرر الأهل والولد ، وكثر اللوم فلم يثنني عن عزمي الا دعوة رجل صالح عالم قصد أن يوفر لى الراحة فى الشيخوخة بأجر أتقاضاه على علمى ، فيسهل العيش على الأهل » .

وكان الليث بن المظفر كاتبا وعالما ، وقد تلقى الخليل بالحفاوة والتكريم ، ولكن الخليل كان مشغولا بحصر تراكيب اللغة والفاظهـا فيما عرف بعد بكتاب (العين) الذى كتب مقدمته ومنهاجه وتركه الليث بعد أن قال له : لقد شخت يا بنى ولم يعد عندى من الحيل والقوة ، وأبدى استعداده لقراءة كل ما يحرره ويجيب على كل سؤال ، وقد أهداه الخليل مذكراته وملاحظاته وتقييداته من اللغة ليستفيد بها .

وقد حصر فى كتاب العين لغة العرب ثم لم يلبث أن هتف به هاتف الحج ، فسافر الى مكة وقصد منها الى البصرة التى استقبلته مكرمة اياه .. حيث أقام بقية أيامه .

وفى هذه الفترة التقى بتلميذه « سيبويه » الذى كان يكتب كل ما يقوله والذى كثر تردده على مجالس الخليل حتى أحبه وقال له : « مرحبا بزائر لا يمل » .

وكان يسأل الخليل ويسأل ، ويكتب فى الواحه ، وقد وجد فيه ما لم يجده فى تلاميذه حتى قيل أن الأمر بلغ بينهما الى حد أن كانا يتكلمان فلا يفهم أحد ما يقولان ، وقد جمع سيبويه أقوال استاذه فى النحو وأخرج مصنفا هاما ..

ومن تصانيفه : العين فى اللغة والعروض والشواهد والنقط والشكل والنغم .

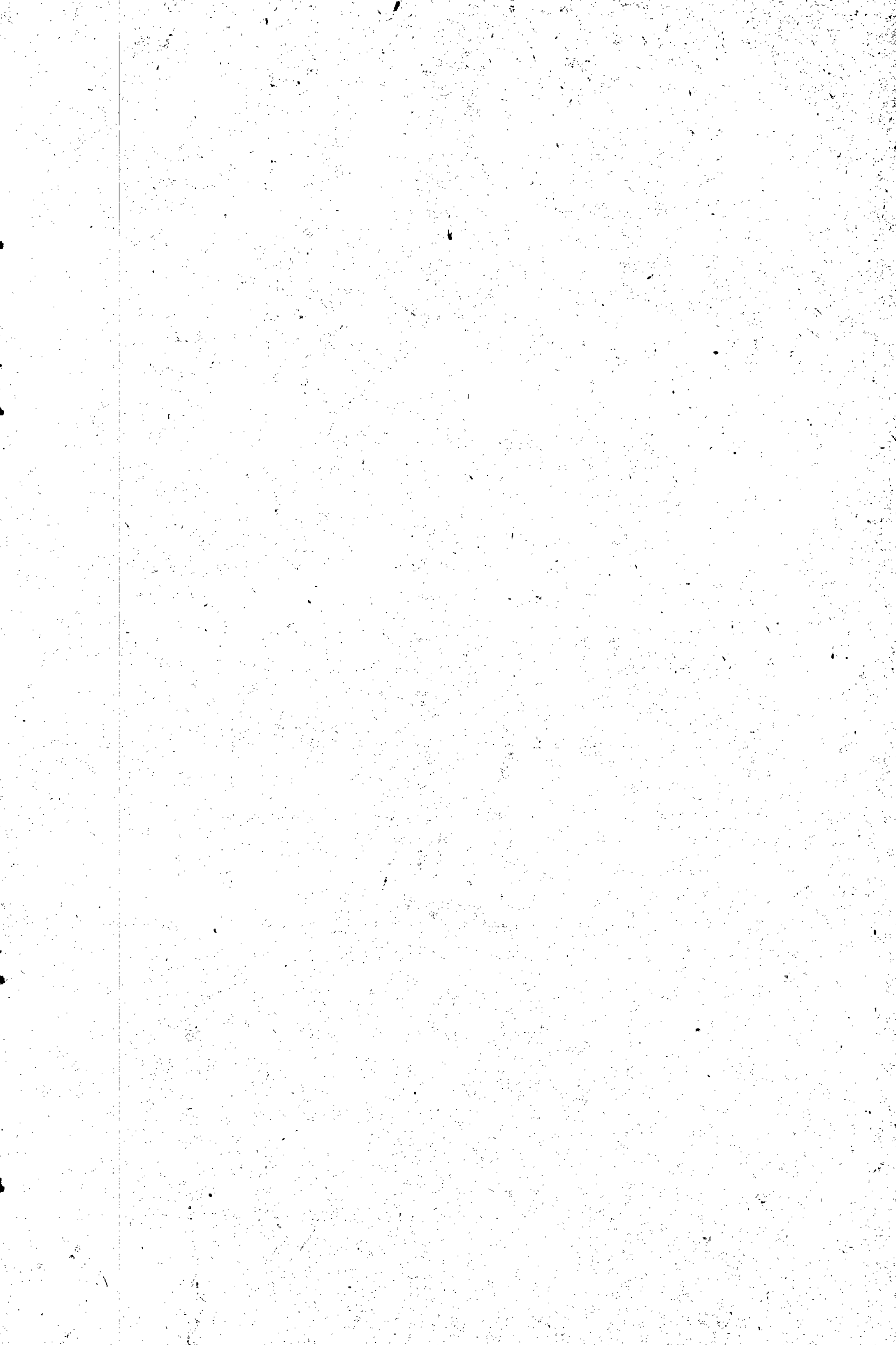
ثم جاء ختام حياته متسقا مع طبيعته العالمية الحاذقة ، المندفعة الى البحث والى تجميع الأصول : ذلك أنه رأى الجارية تخاصم البائع وهى تطالبـه بدراهم أخذها منها بمغالطته اياها ، فأراد أن يقرب نوعا من الحساب تمضى به الجارية الى البائع فلا يمكنه ظلمها ودخل المسجد وهو يعمل فكره فى ذلك فاصطدم رأسه بالسارية الضخمة فوقع وأحدث صوتا شديدا وانقلب على ظهره وتدحرج الى الأرض مضرجا بالدماء .

وكانت هذه نهاية الرأس المفكر الذى أخرج للناس علما وفكرا سيظل أثره باقيا ما بقيت العربية .

فلما اجتمع الناس حوله قال عبارته الأخيرة :

« لا تبكوا فوالله ما فعلت فعلا أخاف على نفسى منه .. وكان لى فضل فكر صرفته الى وجهه وددت بعد ذلك انى كنت صرفته الى غيرها وما علمت أنى كذبت متعمدا قط وأرجو أن يغفر لى التأول » .

توفى عام ١٦٠ هـ ، بعد أن عاش حياة خصبة عريضة .



(٢)

الإدريسى : أستاذ الجغرافيا وليس بطليموس

نصف مليون درهم مغربى + ثلاث سنوات + ١٥٠٠ صفحة عن الشريف الادريسى : اول عمل موسوعى كبير : فى كتابين احدهما للأستاذ محمد بهيجة الأثرى والثانى الدكتور احمد سوسة :

قدمت خارطة الادريسى فى اكثر من الف صفحة وتتضمن زهاء (٣ آلاف مادة) وذلك فى صورة معجم جغرافى تاريخى . حرر الأستاذ الأثرى أسماء الاقاليم والمدن والجبال والبحار والبحيرات والأنهار من التحريف الموجود فى الخارطة ووضع كل اسم فى مكانه الصحيح ونطقه الصريح فضلا عن عرض ما طرأ على المدن من ازدهار واندثار مع ذكر ما كانت عليه قبل الادريسى وبعـــده .

اعربت نقابة المهندسين العراقيين التي قدمت هذا العمل عن اغتباطها بنشر هذه الدراسة عن الجغرافى العربى الأشهر الشريف الادريسى الذى رفع أسم العرب عاليا بكتابه (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) وكان من مصادر اكبار الغرب والشرق للمكانة العلمية التى احرزتها امتنا العظيمة فى مضمار المعرفة وكان الشريف الادريسى قد طبع خارطة العالم التى وضعها للملك النورماندى (ريتشارد الثانى) فى العصر الوسيط وفرقها فى كتابه (نزهة المشتاق) سبعين قطعة وشرح ما فيها من اعلام الأقاليم والمدن والجبال والأنهار والبحيرات والبحار واصفا وذاكرا للمسافات بين مدن العالم المعروف يومئذ من اوروبا وآسيا وأفريقيا .

ثم قام المستشرق الألمانى (كونداد ملر) فاستخرج هذه القطع السبعين من كتاب الادريسي ووحـــدها فى شكلها المجمـــوع ونشرها ملونة ومكتوبة بالحروف اللاتينية حتى نقلها الى العربية الأستاذ محمد بهجة الأثرى والدكتور جواد على الى اللغة العربية محققين لأعلامها مستدركين على المستشرق الألمانى وتولى مجمع بغداد طبعها عام ١٩٥٠ ثم اعيدت اليوم بشكل اجمل وأروع .

وهذا العمل يكشف عن مدى قدرة هذه الأمة على العطاء وعلى طاقتها الحيوية الهائلة والدور الفريد الضخم الذى قامت به هـــذه الأمة فى بنـــاء الحضارة العالمية ، فهذا الشريف الادريسى الذى أرسل بعثات من عدد من الخبراء الموثوق بهم الى الشرق والغـــرب والشمال والجنـــوب فيعود

كل مبعوث بوصف ورواية لما سمع وتصوير لكل الأقاليم التى مر بها وتدوم هذه الأعمال التمهيدية حوالى خمسة عشر عاما واستنادا اليها يضع الادريسى لوحة الترسيم والكرة الفضية للعالم ومرتسمات وخارطات تفصيلية كثيرة بحيث يجىء كتابه آية فى الكمال بالنسبة الى عصره بفضل الإدريسى ومن سبقه ومن تبعه من العلماء . فكان هذا العمل هو المستند الأول لعلوم العصر الحاضر فى هذين المجالين .

والشريف الادريسى بهذا العمل كان أستاذ الجغرافيا الذى علم اوروبا هذا العلم وليس بطليموس (شأنه فى ذلك شأن ابن خلدون فى التاريخ والاجتماع) وقد دام الشريف الادريسى معلما لأوروبا ثلاثة قرون لم يكن لأوروبا مصورا للعالم الا ما رسمه الادريسى . هذا ما يقوله البحاثة الفرنسى جوتيه . ولد الادريسى بمدينة سبته المغربية عام ٤٩٣ هـ — ١١٠٠ م ورحل الى قرطبة ليتلقى العلم فيها وقام بعدها برحلاته الجغرافية وغيرها شمال افريقيا وغيرها من البلدان .

ودخل الادريسى صقلية حوالى ٥٣٣ هـ — ١١٣٨ م بدعوة من الملك روجر الثانى الذى طلب منه تأليف كتاب نزهة المشتاق فظل الادريسى خمسة عشر عاما فى جهد متواصل لكى يكمل تأليف موسوعته الجغرافية وليرسم خارطة مرفقة بالكتاب مع صياغة كرة أرضية من الفضة .

بالاضافة الى هذا العمل الضخم : الف الادريسى كتاب (روض الأنس ونزهة النفس) وألف كتاب (الجامع لصفات أشتات النبات) وأورد فيه ذكر أنواع المفردات من الأشجار والحيوانات والمعادن .

***

آخر العامود

يقول محمد قطب :

على الانسان أن يزكى نفسه ولا يدنسها بأن يجلو فطرتها فتهتدى الى الله خالقها وتستمد منه التوجيه ، وحين يحدث ذلك تصبح هذه الذرة الضعيفة التائهة الغائبة اقوى عنصر على الأرض وأضخم طاقة .. هذه النفحة الالهية فى الانسان تهتدى الى الله بالفطرة ما دامت سليمة ، والانسان هو الذى يوكسها ويغشها فلا ترى سبيلها اليه .. وحينئذ تنحرف وتضل وتحدث كل أنواع الظلم لنفسه وللآخرين وكل أنواع الفحش وكل ألوان الفساد ..

***

(٣)

البيرونى : حقق مسألة علمية وهو على فراش الموت

ما تزال صور التاريخ الاسلامى تكشف عن عظمة هــذه الأمة وتقدم قدرات عالية من هذه النماذج : هذا الرجل العظيم هو البيرونى .

روى ياقوت بن النيسابورى أن قاضيا من أصحاب أبى الريحان البيرونى قال : دخلت على أبى الريحان وهو يجود بنفسه وقد حشرج نفسه وضاق صدره فقال لى فى تلك الحال :

ــ كيف قلت لى يوما شيئا عن حساب الميراث الفاسدة .

قلت له اشفاقا عليه : أفى هذه الحالة ؟.

قال لى : يا هذا ، أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة . الا يكون خيرا من أن أخليها وأنا جاهل بها ؟.

فأعدت ذلك عليه وحفظه وعلمنى ما وعد .

وخرجت من عنده وأنا فى الطريق سمعت الصراخ .

ذلك هو البيرونى العالم المسلم الذى عرف بأثره الضخم الذى تركه فى علم النظائر والذى ما زال حتى اليوم باقيا فضــلا عن كتابه عن الهند الذى ظل مرجعا يستقى منه الكتاب والمؤرخون أكثر من ثلاثمائة عام .

كان طبيبــا وفلكيا ورياضيا وجغرافيــا ومؤرخا وعالمــا بالطبيعيــات وله مشاركة فعالة فى الفلسفة والعلوم اللغوية والأدب والشعر والفقه .

كما عرف بتعدد فنون العلم وبالمساهمة فى تقدم هذه العلوم .

عاش للعلم منصرفا الى التصنيف ، قيل أنه كان لا يكاد يفارق القلم يده والنظر عينيه والفكر قلبه ، وقــد حرص على قراءة ثقافات الأمم الأخرى من مصادرها الأصلية دون الاعتماد على الترجمات . ولذلك درس السريانية والعبرية والسنسكريتية يقول ياقوت انه ذكره فى الأدباء لأن الرجل كان أديبا لغويا له تصانيف فى ذلك . أما سائر كتبه فى علوم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فانها تفوق الحصر ، رأيت فهرسها فى وقف الجامع فى نحو الستين

ورقة وبخط مكتنز . وقد عرف من بعد أن كتبه تبلغ بين مطبوع ومخطوط مائة وثمانين كتابا .

ويقول عنه لويس ماسنيون :

لقد فهم البيرونى تمام الفهم الدور العالمى للغة العربية بوصفها بين اللغات السامية — اهم لغة حضارة — وادرك مقدرتها على التركيز والتجربة وتراكيبها عن طريق الاشتقاق بدلا من الزوائد وقيمتها فى توحيد المتكلمين بها .

ويقول عنه آرثر ايهام بوب :

البيرونى من ابرز العقول المفكرة فى جميع العصور ، يتميز بالصفات الجوهرية التى تخلق العالم ، وانه لفى الامكان تجميع عدد كبير من الاقتباسات عن مؤلفات البيرونى كتبها منذ الف سنة وهى تسبق كثيرا من المناهج والمواقف العقلية التى تفترض اليوم انها حديثة .

هذا شىء من رأى العلماء والباحثين فى هذا العلامة الاسلامى الكبير الذى ظل تاريخه وفضله محجوبا الى عهد قريب حتى كشف عنه الباحثون الأوروبيون : ولد فى ضواحى خوارزم — سبتمبر ٩٧٣ م — ورحل الى جرجان فى شبابه والتحق ببلاط اميرها قابوس بن وشمكير الملقب بشمس المعالى وقد اتصل الود بينه وبين ابن سينا .

الف كتابه (الآثار الباقية من القرون الخالية) واهداه الى شمس المعالى : الكتاب يبحث فى تقاويم الأمم القديمة واعيادها ومواسمها ومقارنة ذلك بعصر المؤلف .

عاد الى خوارزم فعاش فى بلاط اميرها ابو العباس المأمون بن محمد ، ثم لما استولى محمود سبكتكين على خوارزم اخذ فى الأسرى ثم استبقاه السلطان لعلمه واخذه معه الى بلاده . ودخل ابو الريحان الهند مع السلطان فى فتوحه فى تلك البلاد التى استمرت الى عام ١٢٠٤ وكانت فترة اقامة البيرونى فى بلاط غزنة ابرز فترات نشاطه العلمى واكثرها انتاجا .

بحث فى كتابه (الآثار الباقية) الذى ترجم للانجليزية عام ١٨٨٧ عن الشهر واليوم والسنة عند مختلف الشعوب والأمم القديمة من اشوريين ويونانيين الى وقت البيرونى وهو اول مبحث للأشهر الفارسية والعبرية والهندية والتركية بين كيفية استخراج التواريخ بعضها من بعض .

وله كتابه الخالد : « تحقيق ما للهند من مقولة معقولة فى العقل او مرذولة » اهداه للسلطان مسعود بن محمود الغزنوى فكافأه نظير كتابه حمل فيل مع راكبه من الفضة الخالصة ، ولكن البيرونى اعتذر عن قبول الهدية فى شمم واباء وقال انه لا يحتاج الى شىء فى الدنيا بعد كتابه هذا .
ويعد من اكبر اعمال البيرونى : ما قام به من تعديل فى رسم الأرقام الحسابية العربية وهى الأرقام الهندية التى ادخلها الى العربية وهو صاحب الفضل

الأول فى ابتكار الكسر العشرى فضلا عن ابتكاراته الأخرى وهو أول من وضع أصول الرسم على سطح الكرة وان أحدا لم يعرف ذلك قبله .

وكانت له فى تقسيم الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية وعلم المثلثات وفى علم الضوء قواعد هامة ، وله معادلة مشهورة باسم (قاعدة البيرونى) توصل اليها باستخراج مقدار محيط الأرض وسجلها فى كتابه (الاسطرلاب) .

والف كتابا ضخما فى الحجارة ، وصف فيه عددا من الأحجار والمعادن وشرح قيمتها التجارية والطبية ووضع القاعدة التى تنص على ان الكثافة النوعية للجسم تتناسب مع حجم الماء الذى يرفعه . وتوصل الى طريقة لحساب تكرار لضعف العدد دون الالتجاء الى عمليات الضرب والجمع الطويلة الشاقة . ووضع، قاعدة لأسباب خروج الماء من العيون الطبيعية والآبار الارتوازية بطريقة الأوانى المستطرقة ، وقال ان وادى نهر السند ربما كان فى وقت ما قاع بحر .

وهذا أيضا حديث الى الشباب عن امجاد تاريخهم وعظمة تراثهم وفضل الاسلام على الحضارة الانسانية .

* * *

فشـــل نابليون
ونجح خالد بن الوليـــد

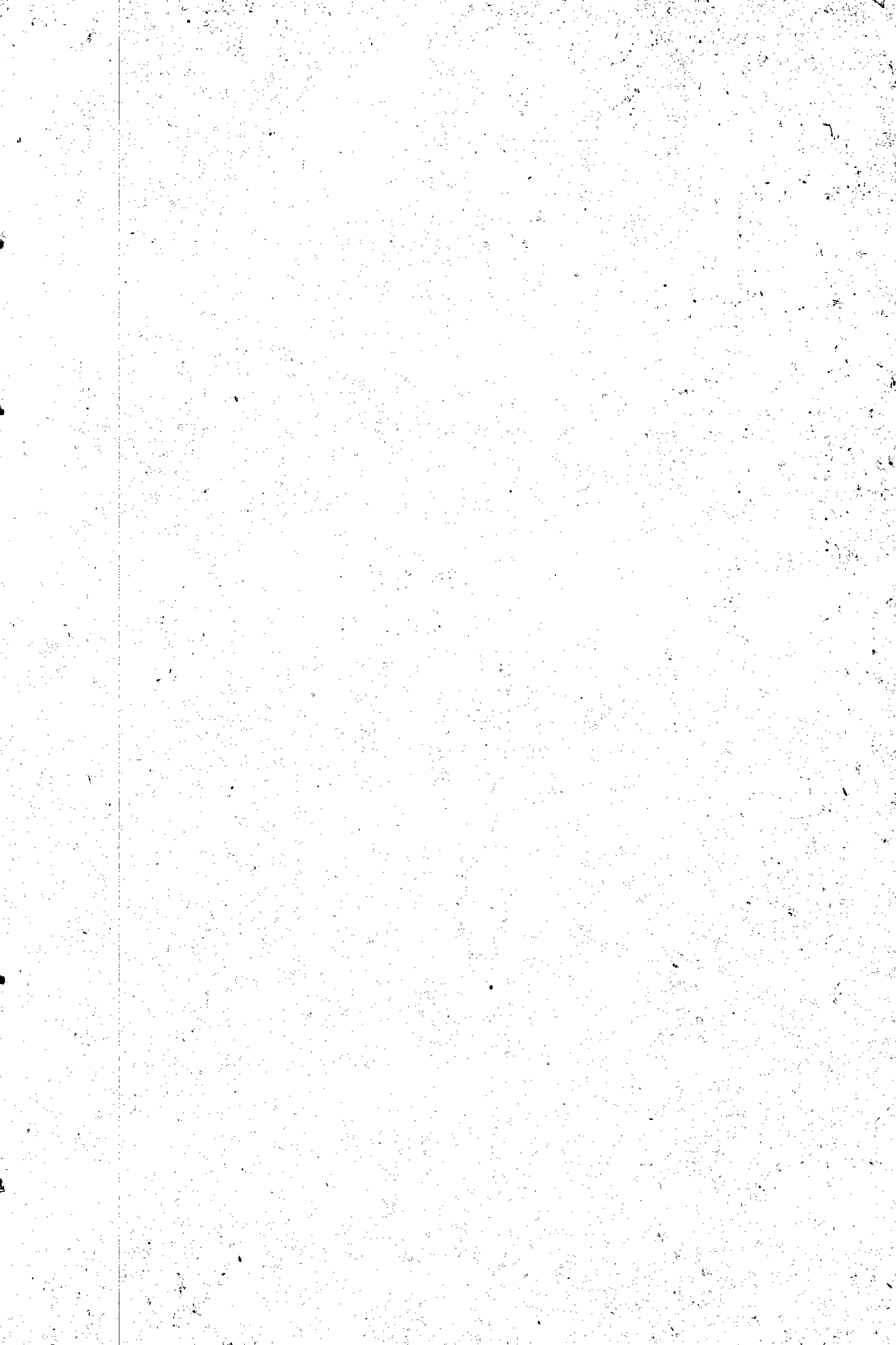
درست معاهد الاستراتيجية العسكرية العالمية وجه المقارنة بين قائدين بينهما أكثر من ألف عام : بين خالد بن الوليد ، ونابليون بونابرت ، وكانت النتيجة لصالح خالد بن الوليد ..

كان مجال الدراسة حرب الصحراء ، فقد سارت قوات خالد من الحيرة الى وادى اليرموك فى الشام فقطعت ٥٦٠ ميـــلا فى ثمانية عشر يوما .. بينما قطع نابليون المسافة بين القنطرة وغزة وهى لا تزيد عن ١٥٠ ميلا فى مدة خمسة وعشرين يوما . ونجح خالد فى مهمته وانتصر فى معركة اليرموك نصرا حاسما وقضى على أركان الدولة الرومانية . وفشل نابليون فلم يستطع فتح اسوار عكا .

قالت الدراسة : أن ذلك يرجع الى صلابة جنود خالد الذين كانوا يقاتلون عن ايمان وعقيدة بينما لم يكن لجنود نابليون هدف أو ايمان ، كذلك نجح خالد لتمسك جنوده بالنظام (الضبط والربط) بينما سرت الفوضى فى جيش نابليـــون .

وقد اتخذ روميل بعد ١٢٠٠ سنة نفس القرار الذى اتخذه خالد بن الوليد فى اختراق الصحراء بالقوات الميكانيكية .

وأشاد مونتجمرى ببطولة خالد وصلاح الدين وفشل نابليون لأنه لم يفطن الى المعانى التى حققت نجاح خالد بن الوليد .



(٤)

ابن ماجد : هو الذى دخل الهند وليس فاسكودى جاما

« لا تتركن الحزم ، والحذر كل الحذر من قول الجهال والبجامين .. وربما اتاك المغرب وانت فى اثناء الأسود مفترضا على أول الفته طول الليل بريح طيب ومجراك الواقع ويعتب السماك بالكوس فالحذر الحذر من مثل ذلك وهما ستون باعا على رأس دائرهما فلا تدخلن فى اقل من ذلك الا عند ريح النبات .. وكل غبة أحسب حساب ريحها وموسمها فان المرء عدو ما جهله ولا تخف من الريح والموسم ولا تنزعج من كلام الركاب والبحارة » .

هكذا كتب شهاب الدين أحمد بن ماجد « أسد البحر » فى كتابه الفوائد بعد أن طوف بالبحار وبلغ ستين سنة ، ولكن ، هل توقف عن العمل ؟ لقد وصل فاسكودى جاما الى ملندى باحثا عنه ثم اصطحبه فكان دليله الى اكتشاف الهند .. ولولا أحمد بن ماجد ما استطاع دى جاما أن يقطع هذه البحار الغامضة . كان أبوه وجده ملاحين شهيرين فى مياه البحر الأحمر والمحيط الهندى .

يقول فى مذكراته : « .. ان جدى كان نادرة فى البحر وقد أخذت علم الرجلين مع كثرة التجربة » وقال ان بحر القلزم — قلزم العرب — وهو البحر الأحمر ، فيه نوادر وحكمة لم يذكرها الا من جربها لأنه على طريق الحاج وقد كان جدى محققا ومدققا ولم يقر لأحد فيه » ..

وقد ولد ابن ماجد فى (نجد) وجرى تلقيبه بأسد البحر ، وينسب اليه اختراع الابرة المغناطيسية ، وقد اعتمد عليه الأسطول البرتغالى حيث سير هذا الأسطول من ملندة على ساحل أفريقية الشرقية الى قاليقوط على ساحل الشاطىء الغربى لشبه جزيرة الهند ، وقد أشار فى مذكراته : ان من اختراعه فى علم البحر : (تركيب المغناطيس على الحك بنفسه) . وقال : ولنا فيه حكمة كبيرة لم تودع فى كتاب . وقال المؤرخون ان وصفه للبحر الأحمر لم يسبقه اليه سابق ، ولم يجاره فيه أحد من مؤلفى علم الملاحة من الأوروبيين الذين كانوا يزاولون الملاحة الشراعية ..

ويقول ابن ماجد فى مذكراته : ان أول من ركب البحر نوح عليه السلام وسفينته اسمها (هيراب) . وقد تكلم عن الطوفان وموضعه والمكان الذى رست فيه السفينة ووصف السفن فى جميع سواحل البحر فى جميع الأقاليم التى قسمها نوح بين أولاده .

ويقول : ان كل فن من فنون البحر له اصل : أما المغناطيس الذى عليه المعتمد ولا تتم هذه الصنعة الا به وهو دليل على القطبين فهو استخراج داود ، اما منازل القمر وبروجه فهى من تصنيف دانيال عليه السلام .

ويسكب أحمد بن ماجد تجاربه فى توجيهـات ، يقول : على الربان أن يعرف المنازل والأخنان والمسافات والباشيات والقياس والاشارات ، وحلول الشمس والقمر ، والرياح ومواسمها ، ومواسم البحر وآلات السفن ومطالع النجوم ومغاربها وطولها وعرضها ، وممرها ، كما ينبغى أن يعلم جميع البرور واشاراتها كالطين والحشيش والحيات والحيتان ، والأرياح وتغيير الأمواه ، ومد البحر وجزره ، ولا يطلع فى مركب لا يطـاع فيـه ، ولا مركبا بغير إعتداد ولا فى موسم ضيق . وينبغى للمعلم أن يعرف الصبر على التوانى ويفرق بين العجلة والحركة عارفا عالما بالأشياء عزاما فتاكا لينا فى قوله ، عادلا لا يظلم احدا ، مقيما على الطاعة ، متقيا الله تعالى ، لا يغضب التجار على حقوقه الا على شىء وقع فيه القول . كثير الاحتمال ، عالى الهمة » أ. هـ

ولد حوالى ١٤٣٢ م وفى عام ١٤٩٨ م اكتشف الهند مع فاسكو دى جاما ، تعد كتاباته أعظم ابحاث علم البحر التى اعتمد عليها الغرب الحديث .

يقول الأستاذ بترتون الانجليزى انه وجد البحارة فى عدن عام ١٨٥٤ يترحمون على ابن ماجد مخترع الابرة المغناطيسية .

ويقول جيمس برنسيت : ان ذكرى ابن ماجد ما زالت حية فى الهند وفى جزر مالديف فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وهم يعتمدون على القواعد الـ (٥) التى وضعها فى علم الملاحة .

ان فاسكو دى جاما الرحالة البرتغالى قد عمل هو وجماعته على استهواء الربان العربى (ابن ماجد) ليرشدهم الى الهند عن طريق البحر .. وقد توصلوا معه الى هذه الغاية بأن اسكروه المعتق من المدام (ويعتقد أنهم سقوه الخمر خدعة) فقد كان أحمد بن ماجد مثـلا عاليا من أمثلة الخلق الاسلامى الرفيع ..

يقول زكى باشا : وصل البرتغاليون الى الهند عن طريق رجل من العرب عليم بتلك البحار وله فى هذا العلم تآليف قيمة « ابن ماجد » .. وكان ذلك كله غير معروف الى أهل أوروبا حتى أتاح لى الحظ أن اكتشف عن هذه المسألة الخطيرة فى محاضرة القيتها علم ١٩١٢ ونشرتها فى المقتطف ..

لم يصل دى جاما الى الهند بطريق الصدفة بل الحقيقة أنه اهتدى بمعلومات ذلك الربان البحرى العربى بعد أن أسكروه بالمعتق .. وقد استغاث أهل الهند بالغورى سلطان مصر فصنع المراكب الحربية فى بولاق ، وارسلها قطعا على متون الجمال الى السويس وهناك ركبها أهل الدراية البحرية من المصريين ثم قام الأسطول المصرى فدفع اسطول البرتغال عن مدينة عدن

وكان له فى بحار الهند وقائع مع الأسطول البرتغالى نال فيها الظفر وكل الفخار ... الخ .

وفى هذا ما يدفع القول بأن العرب لم يكونوا يعرفون آخر حدود أفريقيا .. ذلك أن فاسكو دى جاما اعتمد على ملاح عربى فى الالتفاف حول رأس الرجاء الصالح ، فقد غادر فاسكو دى جاما لشبونة فى ٨ يوليو ١٤٩٧ وطاف حول الرأس فى ديسمبر ، ثم أخذ فى ارتياد شرق أفريقيا فرست سفينته فى موزامبيق عام ١٤٩٨ واسرب من زنجبار ليس ذلك عن طريق الصدفة ، ويقول زكى باشا : كان أكبر ما اندهش له البرتغاليون هو تلك الحضارة الاسلامية الزاهرة التى كانت سائدة فى غرب أفريقيا ، وقد كان هذا الأمر موضع غرابة لأنهم كانوا يعتقدون انهم سوف يقابلون شعوبا متوحشة ، وأكواخا حقيرة من الطين وزنوجا يرتدون قطعا من القماش تستر عوراتهم » .

ولقد واجهت أفريقيا بعد ذلك مؤامرة التمزيق حين سيطر عليها الأوروبيون من كل لون وملة .. وحاولوا القضاء على حضارتها العربية الاسلامية العريقة ونشروا دعاتهم المبشرين تحت اسم الكشوف الجغرافية كذبا وضلالا ومع ذلك بقيت أفريقيا علما على الاسلام ولم تتوقف عن الدخول فى دين الله أفواجا ، حتى قال أحد المستشرقين :

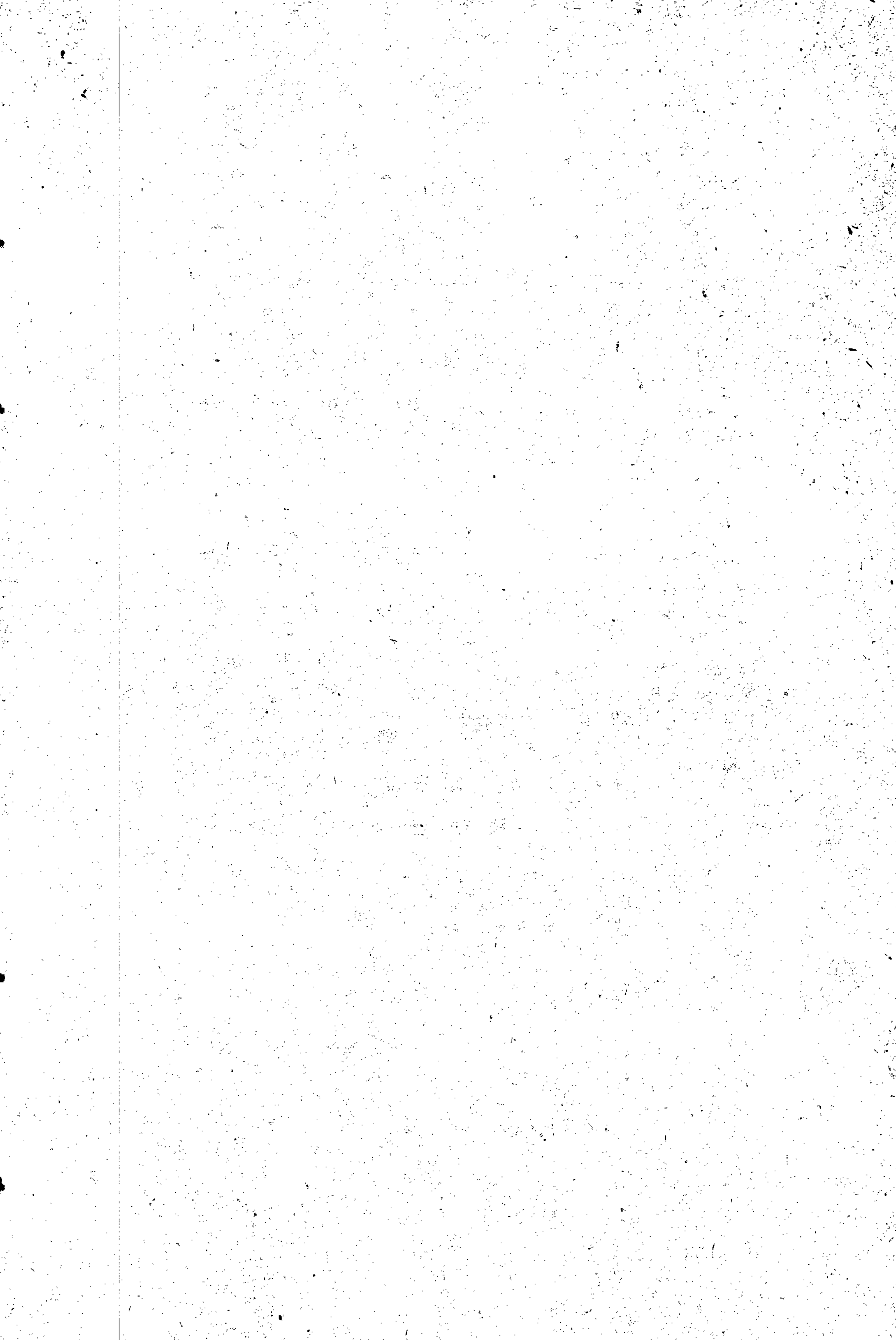
« متى دخلت قبيلة من السودان فى الاسلام اختفت عنها فى الحين الوثنية وعبادة الشيطان ، وعبادة البشر وأكل لحم الانسان ، وتقديم الضحايا البشرية وقتل الأولاد والسحر ، وصاروا يرتدون الثياب ، وحلت فيهم النظافة وشعروا بالعظمة ، واحترام النفس ، وصار قرى الضيوف عندهم من الواجبات الدينية وندر شرب المسكرات وحرم القمار والرقص المنافى للعفة وفوضى اختلاط الجنسين وصارت طهارة العرض من أعظم الفرائض ، وذهبت البطالة والكسل ، وحل العمل والكد محلهما وتغلب النظام والرزانة على الشقاق وحرمت القسوة على الحيوان والعبيد وتعلموا الشعور بالانسانية .

* * *

الشعر فى سيرة ابن هشام

كشف الدكتور سامى مكى العانى فى بحثه عن الشعر فى سيرة ابن هشام عن حقيقة خطيرة طالما أخفاها طه حسين والمستشرقون ومن لف لفهم من أن المسلمين حجبوا شعر الجاهلية أو شعر خصوم الاسلام ووأدوه ، وتدل الدراسة أن سيرة ابن هشام ضمت مجموعة كبيرة من الشعر ما لا يقل عن أربعة آلاف بيت معظمها من الشعر الاسلامى .. هذه الأشعار موزعة بين ١٨٦ شاعرا لا يزيد عدد الجاهليين فيهم على العشرين شاعرا ..

وقد تجاوزت أشعار بعض الشعراء الاسلاميين مئات الأبيات ، فتبوأ حسان بن ثابت المكانة الأولى فى كثرة شعره فأوردت له ٧٣٠ بيتا ، وكعب بن مالك ٤٣٢ بيتا ، والعباس بن مرداس السلمى ٢٠٠ بيت وأورد لأبى قيس بن الأسلت وبجير بن زهير والنابغة الجعدى كذلك أورد من الأشعار الجاهلية لامرؤ القيس والأعشى وأمية بن الصلت ، وقد أورد ابن اسحق فى سيرته كثيرا من الشعر المعارض للاسلام والذى يقال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان قد أهمله ابن اسحق فى سيرته ..



(٥)

طارق بن زياد

أجرى الباحثون مساجلات واسعة فى الأيام الأخيرة حول طارق بن زياد فاتح الأندلس وتاريخه وانصبت هـذه المساجلات حول عدة موضوعات اهمهـا :

١ ــ الخطبـة .

٢ ــ أحراق طارق للأسطول .

أولا : مجمل القول أن الواقدى (المتوفى ٢٠٧ هـ) والبلاذرى (المتوفى ٢٧٩ هـ) وابن الحكم (المتوفى ٢٥٧) والطبرى (المتوفى ٣١٠) وابن الغوطية الأندلسى (المتوفى ٣٦٧) لم يذكروا شـيئا عن احراق طارق للأسـطول ولا عن الخطبة .

أما المراجع التى تعرضت لاحراق الأسطول والخطبة فهى نفح الطيب للمقرى ، وقد عاش المقرى بعد فتح الأندلس بتسعة قرون فى حين أن المؤرخ التونسى المعاصر له ابن دينار فى كتابه (المؤنس فى اخبار أفريقية وتونس) لم يتعرض لذكرهما .

ثانيا : اكد ابن الحكم مدى يقظة طارق وحذره قبل مهاجمة الأندلس وانه كان يولى خط الرجعة اهتماما خاصا فيما لو حصل ما لا تحمد عقباه حتى أنه حين مر بجزيرة فى البحر خلف فيها نفرا من جنده .

كما تجمع المصادر على أن طارق بعد انتصاره الأول قد ارسل فى طلب النجدة (جنوب قرطبة) فأمده موسى بن نصير بقوات قوامها خمسة آلاف مجاهد تمكن بها طارق من خوض المعركة الثانية باقليم أشبيلية فبلغ الخبر (لذريق) فزحف اليهم من طليطلة فالتقوا به فى موضـع يقال له شذرونة فقتل لذريق ومن معه .

ثالثا : الذين يرون أن الخطبة منتحلة يقولون ان المراجع التى ذكرتها تختلف فى رواياتها لنص الخطبة وأن ما جاء فيها مخالف للأهداف الحقيقية للفتوحات الاسلامية مثل قول الخطبة .

(واعلموا أنكم أن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا

وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات يونان الرافلات فى الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات) .

وان هذه العبارات تتعارض مع مفاهيم الاسلام .

رابعا : يرد الآخرون بأن من المراجع التى تعرضت لاحراق الأسطول والخطبة غير المقرى فى نفح الطيب : صاحب الامامة والسياسة وهو من القرن الثالث الهجرى ، وريحانة الألباب للمراغى — القرن السادس — واستفتاح الأندلس لعبد الله بن حبيب وابن خلطان — القرن السابع — وتحفة الأندلس لابن هذيل — القرن الثامن .

خامسا : ان خطبة طارق شك فيها كبار الباحثين أمثال شكيب ارسلان وعبد الله عنان والدكتور أحمد هيكل كما شك فيها الدكتور عبد الكريم كريم ، قال شكيب أرسلان : تلك الخطبة الطنانة التى لو حاول مثلها قس بن ساعدة أو سحبان بن وائل لم يأت بأفصح ولا بأبلغ منها . ولقد بت أفكر مليا فى أمر هذه الخطبة وأقول فى نفسى : هذا لغز من ألغاز التاريخ . وقد بنى الأمير شكيب شكه على أن طارق بربرى والخطبة عربية وقال الأستاذ عبد الله كنون : ان انطباع البربر بالطابع العربى أمر واضح ففى وقتنا هذا نجد الأهازيج شعراء وأدباء انطبعوا بالطابع المغربى العربى .

وقال الدكتور أحمد هيكل : ان أسلوب الخطبة من أساليب العصر العباسى .

***

(٦)

عباس بن فرناس : العربى الأول الذى حلق فى الفضاء

أحسنت بلاد المغرب عندما أحيت ذكرى ((عباس بن فرناس)) بمناسبة مرور مائة عام بعد الألف على وفاته بوصفه الرائد الأول فى عالم الطيران ، هذا الرائد المسلم العربى المغربى الذى التحق بالاندلس .

ومن الحق للمغرب وللعرب أن يفخروا بهذا الرجل الذى فتح الطريق الى هذه الانتصارات الرائعة التى بلغها علم الطيران التى كانت تجربة عباس بن فرناس هى المحاولة الأولى التى عكف عليها علماء الفضاء أواخر القرن التاسع عشر عندما بدأوا فكرة الطيران الى الفضاء ومنها كان معرفة الخطأ والصواب .

يقول الدكتور عبد الهادى التازى ان شخصية عباس بن فرناس ذات جوانب عديدة من الصفات والأخلاق الحميدة التى جعلته يتبوأ مكانة سامية فى المجتمع الذى كان يعيش فيه ، وقد التحق بالبلاط الأموى فى قرطبة فعايش ثلاثة من الخلفاء (الحكم بن هشام وولده عبد الرحمن وحفيده محمد) حيث شارك فى مجالس العلماء والشعراء والادباء ، كما شارك فى المعارك التى وجهت لمقاومة التمرد والتواطؤ على الدولة الاسلامية بالأندلس .

وقد كان له شعر حفلت به عيون الأدب العربى ، منها ما وصف به قصر الرصافة عندما جدده الأمير محمد عبد الرحمن وقصيدته الرائعة هى تلك التى حيا بها الملك محمد بن عبد الرحمن حين انتصر على أوديتو ملك ليون حفيد الفرنسو الثانى الذى شجع المتمردين فى طليطلة وانتصر المسلمون عليها عام ٢٩٠ هجرية فى معركة أطلق عليها وادى سليط ومن ذلك قوله :

ومختلف الأصوات مؤتلف الزحف ... لهوم الفلا ، عبل القبائل ملتف
اذا أومضت فيه الصوارم خلتها ... بروقا تراءى فى الجهام وتستخفى
كأن ذرى الأعلام فى سيلانه ... فراقد يم قد عجزن عن القذف
وان طحنت أركانها كان قطبها ... مجى ملك نجد شمائله عف
سمى ختام الأنبياء محمد ... اذا وصف الاملاك جل عن الوصف
فمن أجله يوم الثلاثاء غزوة ... وقد نقص الاصباح حل عرى السجف
بكى جبلا وادى سليط فأعولا ... على النفر العيدان والعصبة الغلف

هذا عباس بن فرناس صاحب التجربة الأولى فى الطيران ، الذى لم ينسه

الباحثون العرب وفى مقدمتهم العلامة أحمد تيمور باشا الذى كتب منذ مطالع هذا القرن فى مجلة المقتبس يقول :

مهما نسينا فلن ينسى التاريخ أبا القاسم عباس بن فرناس حكيم الأندلس كلما ذكر زبلن وسنجر واضرابهما فان من يرجع البصر فى صفحاته يجد بين من خصهم الله بمواهب فى استخراج العلوم واستنباطها اسم هذا الحكيم معروفا بالغرائب والمدهشات فهو أول من استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة ، وصنع الآلة التى تعرف بها الأوقات على غير رسم ومثال ومثل فى بيته السماء بنجومها وغيومها وبروقها ورعودها تمثيلا يخيل للناظر أنه حقيقة فقال مؤمن بن سعيد الشاعر يداعبه :

سماء عباس الأديب أبى القاسم ناهيك حسن رائقها . وهو الذى احتال فى تطيير جثمانه فكسا نفسه الريش ومد جناحين طار بهما فى الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتياط فى وقوعه فتأذى فى ظهره لانه لم يعمل له ذنبا ولم يدر ان الطائر انما يقع على زمكه . وفيه يقول الشاعر المؤمن بن سعيد :

تطم على العنقاء فى طيرانها ... اذا ما كسا جثمانه ريش قشعم

فيرى من ذلك ان الرجل كان من أسبق الفائزين بالطيران من بنى الانسان ولا يغض من اختراعه لقصره فى الشأو البعيد فذلك شأن كل مشروع فى بدايته وحسبنا أن منتحلى هذه الصناعة مع ما مر عليهم من القرون لم يزالوا دون الغاية المطلوبة منها الى اليوم أفلا يكون من الانصاف التنويه بذكر هذا النوع .

وهكذا فان احياء ذكرى عباس بن فرناس فى المغرب يجد صدى فى نفوس مفكرى العرب والمسلمين جميعا فهم لم ينسوه وقد كتبوا عنه فى أكثر من مناسبة .

اذا كنا نذكر من المغرب القديم ابن فرناس فاننا نذكر من المغرب الحديث عبد العزيز الثعالبى الرجل الذى كان من أول الناهضين بالفكر والوطنية فى تونس الخضراء حتى مات شهيدا على اثرها .

* * *

(٧)

الدورة الدموية : عرفها العرب قبل أوربا

يقول العلامة جورج سارطون فى كتابه مقدمة تاريخ العلم أن ابن النفيس قد اكتشف الدورة الدموية الصغرى قبل ان يعرف ذلك (ميخائيل سرفيت) الأسبانى بمائتين وخمسين عاما ، وقد عرف العرب لابن النفيس فضله فى ذلك بينما سرفيت الألمانى أحرق علنا فى جنيف بأمر المصلح الدينى (كلفن) .

وابن النفيس (على بن حزم القرشي) هو كبير أطباء مصر فى مستهل القرن السابع ولد فى دمشق (٦٠٧ هـ — ١٢٦٠ م) ودرس الطب على مهذب الدين الدخوار ثم رحل الى القاهرة وتولى ادارة أكبر مستشفياتها (البيمارستان المنصورى) الذى انشأه قلاوون .. وصار عميدا لمدرسة الطب ، ورجع فجأة الى الشام حيث توفى عام ٦٨٧ هـ ، الموافق ١٢٨٨ م ، وقد راجع ما كتب فى القانون لابن سينا ، وقد عارض ما أشاعه (جالينوس) من أن الدم ينتقل الى الجانب الايسر عن طريق ثقوب دقيقة لا تراها العين ، فبين ابن النفيس فى كتابه شرح تشريح القانون ، ان الدم ينتقل من الجانب الايمن للقلب الى الرئتين أولا ، وهناك يخالط الهواء فى الحويصلات الرئوية الدقيقة ، فتصلح أمره ويعود الى الجانب الأيسر من القلب بعد ذلك .

فيعتبر ابن النفيس اول مكتشف للدورة الدموية الصغرى ، وأول من عرف وظائف الرئتين والاوعية الدموية التى تصلهما بالقلب ، وبالشعيرات الدموية التى بين الشرايين والأوردة الرئوية ، وهو الاصل الذى ترجم عنه حرفيا ونسبه الى نفسه بعد ذلك بثلاثة قرون ميشيل سرفيه فى ايطاليا والأصل الذى تجاهله وليم هارفى الانجليزى عندما أعلن اكتشاف الدورة الدموية عام ١٦٢٨ . ولابن النفيس مؤلفات كثيرة فى الطب هما شرح تشريح القانون والكتاب الشامل فى الطب الذى أتم فيه » .

وقد اشار الدكتور عمر فروخ الى أن جورج سارطون : عندما بدأ كتابة مؤلفه الضخم مقدمة تاريخ العلم عام ١٩٢٧ . كان يعتقد أن كل تراث العالم موروث عن اليونان غير انه لما ولج باب البحث والتنقيب تجلت أمامه حقيقة حدته الى تعديل راية فسارع الى تغيير تصميم الكتاب وانبرى لدراسة العربية فأقام مكبا على دراستها عدة سنوات ثم أعلن ان العالم مدين للعرب بالمحافظة على التراث اليونانى أولا وبما أضافوه عليه من مبتكرات علمية ونظرية ثانيا . وبنقله مع تلك الزيارات المبكرة الى الغرب ثالثا . وقد بين أن اللغة العربية كانت دون جدال : لغة العلم والفلسفة والتجارة من القرن التاسع الى القرن

الثانى عشر . وحفظت هذه اللغة تراث العالم العلمى وحافظت عليه ونقلته حتى الصين شرقا الى الاندلس ..

ويقول جورج سارطون فى كتابه مقدمة لتاريخ العلم :

« نحن نعلم أن أصول العلم الغربى — لا أصول الدين والفن فحسب — شرقية مصرية وبابلية وايرانية ، ولقد برهنت أن ثلاثة قرون على الأقل (من القرن التاسع الى القرن الحادى عشر) شهدت تفوق العلوم عند العرب .

وقد ظل امام العرب والمسلمين مجال متسع الاكناف ليجرى فى ميدان العلوم الرياضية والطبيعية وعلى الأخص فى البصريات .. ومع أن علماء الاسلام والنصرانية واليهود قد استووا فى هذا الميدان وتشابهت جهودهم الا أنهم كلهم قد شربوا من معين واحد هو كتاب : « المناظر » لابن على بن محمد الحسن البصرى المعروف باسم (ابن الهيثم) .

أما أعظم جغرافيى هذا العصر بين المسلمين وغير المسلمين على السواء فقد كان الملك المؤيد (أبا الفداء) صاحب حماة فقد وصف فى كتابه : تقويم البلدان ، خطوط الطول وخطوط العرض على وجه الدقة أو على وجه التقريب وكذلك كثر المؤلفون من المسلمين فى التاريخ الطبيعى وتفوقوا على غيرهم ثم اهتموا بالتطور خاصة حتى قادهم الى البحث فى طبقات الأرض فأصابوا فى كثير من الملاحظات كالمسعودى والبيرونى . ومثل ذلك كان شأن العرب فى الطب والتشريح وعلم وظائف الأعضاء . أما أبرز الاكتشافات فى علم وظائف الأعضاء خاصة ، فقد قام بها المسلمون فى سورية أو فى مصر .

أما التشريح فقد كان فى أوروبا النصرانية ممنوعا البتة ، فاذا جئنا الى الاسلام رأينا أن صناعة التشريح قد بلغت الذروة وخصوصا فى المغرب ، وما يقال عن الطب والتشريح عامة يقال عن أمراض العين خاصة ، فان المسلمين كانوا لا يزالون حتى القرن الثالث عشر قادة العالم فى أمراض العين . وكان المؤرخون المسلمون فى ذلك العصر كثارا فى مقدمتهم القلقشندى والمقريزى وأبو الفداء والنويرى وسواهم ممن كانوا على جانب عظيم من الأهمية والشهرة مع كثرة عددهم .

***

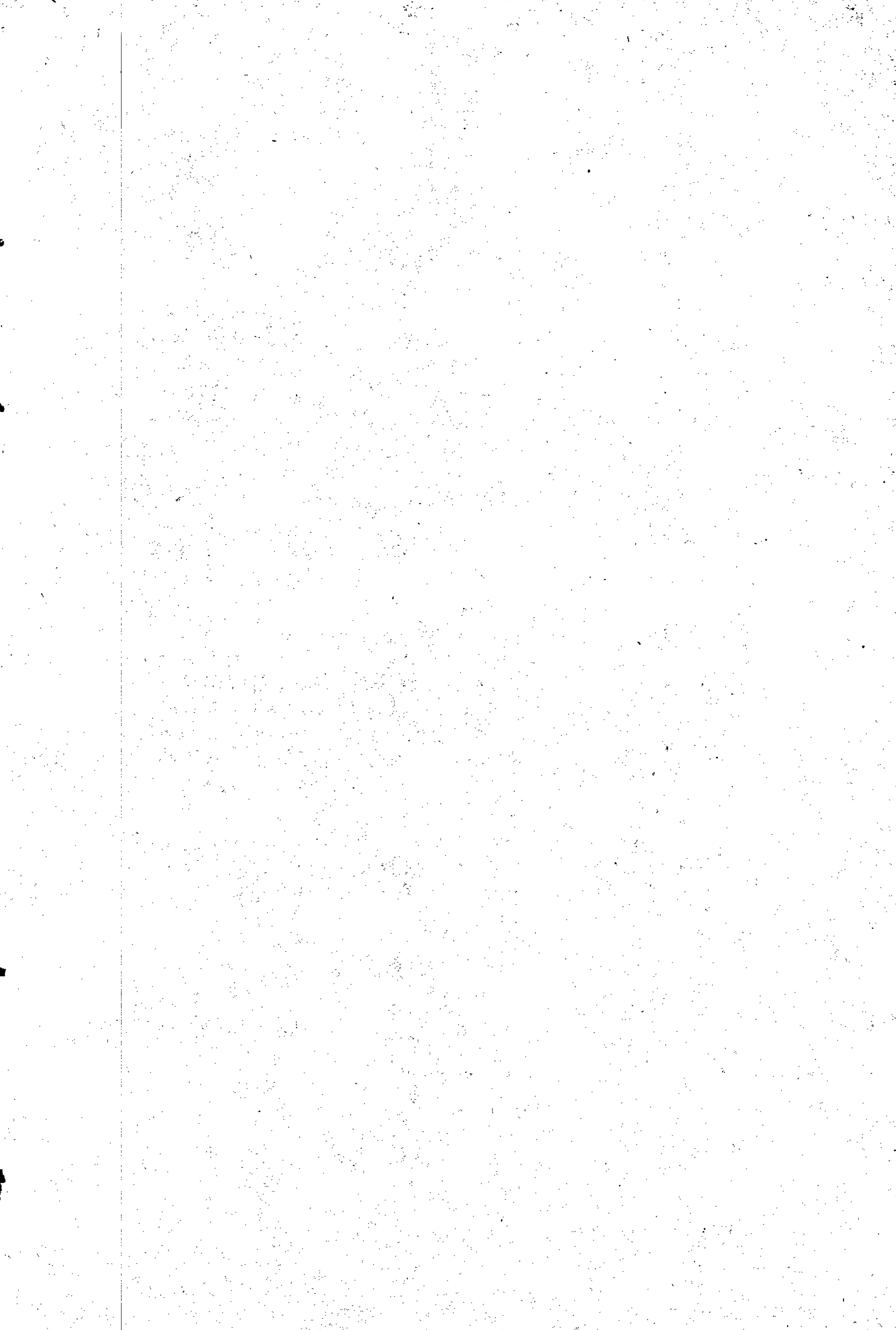
(٨)

المسلمون رواد الكيمياء : والطاقة الذرية

احتفل العالم المتمدين بمرور مائة عام على وفاة اسكندر فون هومبولدت العالم صاحب كتاب (كوسموس) أو الكون الكبير .. وقد أشار فى كتابه الى دور المسلمين فى العلوم فقال : ان جملة تأثير العرب فى العالم المتمدن فى حقل العلوم الطبيعية كان فى تقدم الكيمياء فبظهور العرب على مسرح التاريخ بدا حقل جديد فى العلم ، فى عالم الغرب الا وهو الكيمياء .

ويقول الدكتور محمد يحيى الهاشمى معلقا : تطورت الكيمياء العربية وكان لها أبطال مشهورون : كالرازى والطغرائى والجلدكى ، وغيرهم .. كما يحدثنا ليو الافريقى ، فقد بقيت الكيمياء فى أسبانيا تحت قيادة العرب حتى سقوط غرناطة وانتقلت بعد ذلك الى فارس وعلى طريق اسبانيا وايطاليا وخاصة صقلية التى حفظت التراث العربى مدة طويلة ولجت هذه الصناعة أوربا حيث نشأت نواة الكيمياء الحديث عندما أهدته من تراث فكرى قيم كان مصدرا لانتاج أدبى وفنى وروح ديناميكية وحركة تهدف للسيطرة على الكون وقلبجوهر المادة حيث نجد آثارها اليوم فى الطاقة الذرية والصورايخ الموجهة عبر القارات والكواكب الاصطناعية ونفاجأ اليوم بأن عالم النفس الشهير (يونج) يرى فى جملة اكتشافاته تفسيره الكيمياء القديمة بأنها (اللاوعى البشرى) من نواحى الشخصية والهدف الأسمى الانسانى فى تكريم جوهر الانسان ورفع شأنه فى هذا الكون .. هذه الحقيقة قد عرفها علماؤنا من قبل فقد ألف الغزالى كتابا بعنوان : « كيمياء السعادة » وكلمة الكبريت الأحمر أى الاكسير كانت معروفة فى القرنين ١١ و ١٢ الميلادى .. وقد جاء ذكر ذلك فى كتاب فتوح الغيب لعبد القادر الجيلى المعروف بالكيلانى بأنه كان يستعمل فى مواعظه الكبريت الأحمر كرمز معروف على مدلوله الكيميائى وانتقاله الى النفس البشرية .

* * *



(٩)

المسلمون هم مخترعو الكسـور العشـرية

كان هناك شبه اجماع على تظليل الحقيقة ، فقد أعلنوا وأذاعوا مرات ومرات وسنوات بعد سنوات ان (سيمون ستيفن) هو الذى اخترع الكسور العشرية وقال جورج سارجوان : لم يسبق سيمون ستيفن احد الى اختراع الكسور. كان لاختراع الكسور العشرية أثر بعيد فى تقدم الرياضيات . وسيمون ستيفن عالم رياضى أوروبى توفى ١٦٢٠ م غير ان الحقيقة لا بد ان تنكشف ولو طال الزمان . فقـد اعلن بول كولى الالمـانى عام ١٦٤٨ ان اختراع الكسور يجب ان ينسب الى العالم الرياضى :

غياث الدين جمشيد الكاشى :

الذى عاش حوالى ١٦٠ سنة قبل (سيمون ستيفن) وتوفى ١٤٣٠ وله مجموعة من الرسائل منها رسالة الوتر والجيب واستخراج ثلث القوس وكتاب الزيج الخاقانى وزيج التسهيلات والرسالة الكاملة أو سلم السماء الذى يبحث فى اجرام وأبعاد الكواكب والسيارات وله الرسالة المحيطة التى حدد فيها النسبة بين محيط الدائرة وقطرها والمسماة بالحرف (ط) ثم له كتابه هذا الذى كشف فيه عن عمله فى اختراع الكسور العشرية واسمه (مفتاح الحساب) وقال الباحث الغربى ان الكتاب موجود فى ثلاث مكاتب فى أوروبا : ليدن ، لندن ، جامعة بريستون فى الولايات المتحدة .

وهى الرسالة التى اطلع عليها بول كولى ، وقد ذكر الكاشى فى مقدمة رسالته أنه قد اخترع الكسور العشرية ليسهل الحساب للاشخاص الذين يجهلون الطريقة الستينية . ويذكر فى المقدمة أيضا اختراعه للكسور الاعشارية وطريقة تحويل الكسور الاعشارية الى الستينية وبالعكس . وقد أشار الاستاذ رضا ايرانى الذى نقل هذا البحث الى العرب ان الباب السادس فى كتاب الكاشى هذا قد توج بهذه العبارات :

فى تحويل الأرقام الستينية الى الهنـدية وبالعكس صحاحا وكسورا وتحويل كسورها الى مخرج آخر ، ومعرفة الكسور التى وضعناها على قياس الكسور الستينية ولنقدم هذا لمـا استخرجنا نسبة المحيط الى القطر فى رسالتنا المسماة بالمحيطية وبلغنا الكسور الى التاسعة واردنا أن نحولها الى الرقوم الهندية لئلا يعجز المحاسب الذى لم يعرف حساب المنجمين اخذنا

كسر المحيط من مخرج عشرة آلاف مكررة خمس مرات — وهذا عدد مجرد — فكلما قسمنا الواحد الصحيح عشرة أقسام ثم كل قسم منها عشرة أقسام وهكذا بالغا ما بلغ قسمنا الأقسام الأولى أعشارا لكونها كذلك والثانية ثانى الأعشار والثالثة ثالث الأعشار وهكذا بالغا ما بلغ ليكون مراتب الكسور والصحاح على نسبة واحدة على قياس حساب المنجمين وسميناها بالكسور الاعشارى .

طبق الأصل من صفحة ٨٥ من مخطوطه جامعة برنستون.
ومن هنا يستنتج أن غياث الدين الكاشى قد اخترع الكسور العشرية قبل ستيفن بأكثر من ١٧٥ سنة وبين فوائد استعمالها وطرق الحساب بها .

* * *

كتاب جديد أثار ضجة الصهيونية العالمية وكشف زيفها

الكتاب اسمه « تلفيق الخديعة » .

المؤلف : آرثر بوتز .

يقول المؤلف فى كتابه انه لم تكن هناك سياسة المانيـة تستهدف افناء اليهود وان ملايين اليهود الأوروبيين لم يتعرضوا لذبح متعمد فى معسكرات الاعتقال النازية وانما مات كثير منهم من جراء الأمراض والجوع أو جرى نقلهم نحو المشرق .

يقول : ان تأكيدات اليهود بحدوث تلك المذابح المزعومة كانت من وضع زعماء الصهيونية العالمية سعيا للتعاطف مع سياسة نقل اليهود الى فلسطين .

احدث الكتاب عاصفة كبيرة لأنه كشف زيف الصهيونية العالمية واحتجت الجالية اليهودية على ادارة الجامعة وعلى المؤلف ذاك لأن هذه الخديعة كانت ولا تزال من دعائم الحركة اليهودية العالمية التى تبنى عليها مقرراتها التى تستلب بها الأموال الألمانية وليس هذا الكتاب بأول كتاب من نوعه فقد صدر أكثر من بحث فى هذا الصدد مؤيدا بالوثائق والأسانيد .

* * *

سكان العـالم

يقول تقرير جديد لاحصاء سكان العـالم : بلغ سـكان الكرة الأرضية فى مارس ١٩٧٧ حوالى اربعة آلاف مليون نسمة .

من المتوقع أن يرتفع هذا الرقم الى ستة آلاف و ٩٣٧ مليون نسمة بحلول عام ٢٠٠٠ ، ذكر التقرير أن قارة آسـيا هى أكثر المناطق اكتظاظا بالسكان فى العالم حيث بلغ عدد سكانها حوالى ٢٢٠٦ ملايين نسمة عام ١٩٧٤ وهو رقم يمثل أكثر من نصف المجموع الكلى للسكان فى العالم ، أشار التقرير الى أن قارتى أريكا الشمالية والجنوبية تأتيان بعد آسيا فى عدد السكان حيث بلغ عدد سكانهما ٥٥٠ مليون نسمة ، ثم أوروبا ٤٧٠ مليون نسمة ، وافريقيا ٣٩١ مليون نسمة .

(١٠)

عروبة دون كيشوت

دون كيشوت من أصل عربى :

أشارت الصحف العالمية أن الرواية الاسبانية دون كيشوت لها أصول عربية اسلامية ويرجع ذلك الى أن مؤلفها (سرفنتيس) أشار أنها من تأليف مؤرخ عربى ذكر اسمه ولقبه بالاسبانية (سيدى هميثى بننجيلى) الذى رأى فيه الكثيرون اسمه العربى (سيدى حمادة بن انجيلى) .

وتقول الدراسات انه من غير المستبعد أن يكون سرفنتس قد عثر على الأصول العربية التى حملها العرب معهم الى أسبانيا مع فتوحاتهم لهـا بالحرب والهجرة منذ أقدم العصور الى وقت الهجرات الفينيقية اليها والى قرطاجة فى تونس منذ منتصف الألف الثانى قبل الميلاد لحين اكتمال الفتح العربى لها فى القرن التاسع الميلادى . وما صاحب هذا الفتح الأخير من هجرة شاملة للتراث والمؤثرات العربية .

وتقول هـذه الدراسات أن رواية دون كيشوت تعد الى اليوم أوسع الكتب طبعا فى الغرب بعد الانجيل ، كتبها سرفنتس المولود بمدينة قشتالة العربية عام ١٥٤٧ عن أصل ذكر انه عثر عليه مكتوبا بالعربية فاسند الى أحد الموريسكين أو الخليط العربى من أبناء المسلمين الذين بقوا فى أسبانيا بعد انتهاء الحكم العربى ترجمة الرواية من العربية الى الأسبانية ثم أعاد هو صياغتها بعد أن وضع يده بحق على فكرة لها جذورها الضارية فى الفكر الأسبانى وهى فكرة ذلك القروى النحيل الذى تخطى الخمسين يعكف على قراءة الكتب الصفراء التى تسرد وقائع الأبطـال الجوالين المغامرين من الفرسان الذين يخرجون مستهدفين الدفاع عن الضعفاء ونشر العدل .

ولا ريب أن الأدب العربى قـد ترك آثارا بعيـدة المدى على الأدب وخاصة على الأدب الأسبانى وأن جماعة (التروبادور) التى ظهرت بعـد خروج المسلمين من الاندلس لتكشف بوضوح عن ذلك الطابع ــ الرقيق ــ الذى تركه الأدب العربى فى النفس الاوربية وفى الكتابات الاوربية ... روح الوفاء والحنان كما شهد بذلك مؤرخو الأدب . ومن هنا كانت رواية سرفنتيس دون كيشوت مثلا على ذلك الرجل الرحيم الشهم الكريم الذى يعطى دون أن يأخذ ، والذى يسارع الى النجدة ويبذل كل ما يملك فى سبيل عطاء المحتاجين والفقراء : ذلك هو طابع رواية ــ دون كيشوت ــ التى هى فى صميم روحها عربية اسلامية ، حتى ولو لم تثبت صلتها بكاتب عربى فان

سرفيتس يكون قد تقمص تلك الروح العربية الاسلامية وكتب بها هـذه القطعة .

ولقد كان أثر الأدب العربى واضحا فى أشياء كثيرة ونتاج كثير فى هذه الفترة وما بعـدها مثل جحيم دانتى التى ثبت أن مؤلفهـا قرأ ــ رسالة الغفران ــ لأبى العلاء المعرى .

ولم يقتصر أثر الاسلام والثقافة الاسلامية على الأدب بل امتد الى كل العلوم التجريبية والاسبانية وهذه شهادة بريفولت العالم الانجليزى المعاصر فى كتابه (بنـاء الانسانية) لقد كان العـلم أهم ما جادت به الحضـارة العربية على العالم الحديث ولكن ثماره كانت بطيئة النضج . ان العبقرية التى ولدتها ثقافة العرب فى أسبانيا لم تنهض فى عنفوانها الا بعد مضى وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سحب الظلام . ولم يكن العلم وحده هو الذى أعاد الى أوربا الحيـاة بل ان مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الاسلامية بعثت بلكورة أشعتها الى الحياة الأدبية ، فانه على الرغم من أنه ليس ثمة ناحية من مؤثرات الثقافة الاسلامية بصورة قاطعة فان هذه المؤثرات توجد أوضح ما تكون وأهم ما تكون فى نشأة تلك الطاقة التى تكون ما للعلم الحديث من قوة ممتازة ثابتة وفى المصدر القوى لازدهاره أى فى العلوم الطبيعية وروح البحث العلمى .

* * *

اسطول صـلاح الدين

من اهم مواقع الحروب الصليبية : معركة بحر عيذاب ، وقد اهتم المؤرخون وأوردوها فى تفاصيل واسعة ، أوردها ابن جبير ، وابن الأثير ، وابن شداد وسبط وابن الجوزى وابو شامة وابو الفـداء وابن الوردى وابن خلدون والمقريزى . وخلاصتها أن صاحب الكرك الافرنجى انشأ أسطولا قسمه الى فرقتين ، فرقة اقامت على حصن ايلة تحاصره وتمنـع أهـله من الوصول الى الماء ، وفرقة سارت الى عيذاب تقطع الطريق وتهاجم السفن الاسلامية المتجهة الى الأراضى المقدسة ، وقد ندب صلاح الدين قائده المبرز (حسام الدين لؤلؤ) فتحرك على رأس أسطول ضخم وهاجم الفرنجة فتوجه أولا الى الفرقة التى تحاصر ايلة وهزمها ثم قصد الى الفرقة الثانية التى كانت عازمة على دخول مكة والمدينة فهاجمهم وانتصر عليهم ولما هربوا الى البر منعهم وقتل قسما كبيرا منهم وأسر قسما آخر .

هامش اليوميات

قال عبد الكريم ابن أبى العوجاء عندما قتله محمد بن سليمان والى مكة :

أما والله لئن قتلتمونى لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال واحلل بها الحرام ، ولقد فطرتكم يوم صومكم وصومتكم يوم فطركم .

وكان عبد الكريم ابن أبى العوجاء مانويا يؤمن بالتناسخ ويميل الى مذهب الرافضة . (البيرونى : الآثار الباقية)

(١١)

المسلمون أَول من أَطلق الصواريخ

فى كل يوم يتبين للمسلمين فضل جـديد فى قصة العـلم والتجريب . وما زلنا نذكر الكلمة التى القاها الدكتور محمد عبده اليمانى وزير الاعلام السعودى أمام رواد الفضاء وهى أصدق رد اعتبار للعلم الاسلامى فى مجال السبق والريادة التى قام بها علمـاء المسلمين فى مجالى الفلك والكواكب وصولا الى القمر .

وتجىء الدكتورة سجريد هونكه فتكشف هذا السر : سر الريادة الاسلامية للصواريخ فتكشف عن أول مرة استعملت هذه الصواريخ حين استعملها المغول فى الانتصار على الصينيين عام ١٢٣٣ م وتسجل أن المهندس المسلم هو الذى استعان به المغول فى صنع هذه الصواريخ وكسب هذه الحرب تقول :

لقد ثبت ان الفكرة الخاصة باطلاق قنابل على طريق قوة متفجرة من البارود هى فكرة صينية ، وقد نفذت عام ١٢٣٣ م فى معركة نشبت حـول (بيين كينج) بين الجيشين الصينى والمغولى . وهو عبارة عن سهام تطلق مادة محترقة تحتوى على ملح البارود وحوالى ١٢٧٠ م استخدم المغول نفس السلاح مستعينين بقوة التفجير الناتجة عن ملح البارود وللمرة الأولى فى تاريخ الحروب نجد هذه الصواريخ تلعب دورا هاما فى كسب المعارك او فك الحصار المضروب كما وقع فعلا عند القضاء على الحصار المضروب حول مدينة ــ فان تشينج ــ وبفضل هذه الصواريخ انتصر المغولى ــ كوبلاى خان ــ على الصينيين وقضى على مقاومتهم . لكن هل انتصر المغول على الصينيين دون اى مساعدة أجنبية أو كان للمغول حليف فمن هو هذا الحليف الذى استغاث به ــ كوبلاى خان ــ واجابة الى رجاله وأعانه على القضاء على الصينيين ؟ يحدثنا المؤرخ رشيد الدين حديثا يثير دهشتنا فهو يذكر فى سياق كلامه عن السلطان العربى فى بغداد انه علم من حاشيته ان السلطان استجاب الى طلب ــ كوبلاى خان ــ وامر أن يرسل اليه المهندس الذى حضر من بعلبك ودمشق وأبناء هذا المهندس وهم ــ أبو بكر وابراهيم ومحمد ــ بنوا بمساعدة الفنيين الذين رافقوهم سبع آلات كبيرة وتوجهوا بها الى المدينة المحاصرة فهل سـبق أن ساهم المهندسون العرب فى فك الحصار المضروب حول مدينة (بيين كينج) عام ١٣٣٢ أيضـا وهل هذا السلاح العجيب الذى استخدم هو بعينه الذى استخدمه القـائد المصرى فخر الدين صديق فردريك الثانى عند ضرب جيش الافرنج وملكهم لويس

عام ١٢٤٩ حيث دارت رحى المعركة الصليبية للحملة الخامسة واستخدم فيها القائد المصرى فخر الدين نيرانا عربية جديدة .. وقد آثار هذا السلاح الجديد الخوف والفزع فى صفوف الصليبيين ، حتى أن المؤرخين الأوروبيين يذكرون أن كل مرة كان يطلق فيها الصاروخ المصرى يشعر ملك فرنسا بخيبة عظيمة . رب ضارة نافعة . فقد تكتلت أوروبا ضد العرب المسلمين وشن المسيحيون حربا لا هوادة فيها مما اضطر سلاطين الاسلام الى تجنيد العلماء العرب فى القرن الثانى عشر الميلادى وبخاصة أولئك الذين يهتمون بالدراسات الكيماوية وارسلوهم الى مصانع المفرقعات حيث نجحوا فى ايجاد مادة مفرقعة كاوية حارقة وفى النصف الثانى من القرن الثالث عشر تمكنوا من خلق مادة مفرقعة دافعة للصواريخ واستخدموها فى حرب المسلمين ضد الصليبيين .

ففى كتاب الحرب لحسن الرماح وبعض المؤلفات الأخرى الخاصة بالحروب فى ذلك نجد ذكر كثير من المواد المفرقعة والاسلحة النارية وهى نبض يندفع تلقائيا ويحرق . وهى تطير نافثة اللهب . وهى تحدث صوتا مثل الرعد وهكذا : فالعرب هم أول من صنع لغما تقذفه الصواريخ .. وان هذه المعلومات قد وصلت الى بعض علماء أوربا وفى مقدمتهم روجربيكون ، البرتوس مجنوس ، فومر بولشتدت ، وقد يكون الأخير هو الذى اتصل أثناء تجوله بذلك الذى يدعى أنه مخترع البارود ، وهو برتولو سيفرز وأخبره عن ذلك الاختراع العربى ثم انتقلت النظرية الى التجارب العملية التى هزت كيان العالم .

هذا ما أوردته الدكتورة سجريد هونكه فى كتابها شمس الله تشرق على الغرب فى هذا المجال ، ولما كانت — الصواريخ — اليوم هى أخطر تقدم علمى تكنولوجى فقد لزم أن يعرف الدور الذى قام به المسلمون فى هذا المجال .

كلمات مضيئة :

كتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن البصرى يقول :

اجمع لى أمر الدنيا وصف لى أمر الآخرة :

فكتب اليه يقول : انما الدنيا حلم والآخرة يقظة والموت متوسط بينهما ونحن أضغاث أحلام ، من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر فى العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل ، ومن حلم غنم ، ومن خاف سلم ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم ، ومن علم عمل ، فاذا زللت فارجع واذا ندمت فاقلع ، واذا جهلت فاسأل : واذا غضبت فامسك ، واعلم أن أفضل الأعمال ما اكرهت النفوس عليه .

* * *

الباب الثامن

رجال على طريق الأصالة

١ ــ رجل من مكة .

٢ ــ رجل من الهند .

٣ ــ أبو الطيب المتنبى .

٤ ــ عبد المحسن الكاظمى .

٥ ــ أنا عضو فى جامعة المسلمين : أحمد تيمور .

٦ ــ رجلان آمنا بمسئولية الكلمة .

٧ ــ رجلان من الدعاة .

٨ ــ الرافعى والرافعيون : شهداء الكلمة .

٩ ــ الرافعى واعجاز القرآن .

١٠ ــ الرافعيون .

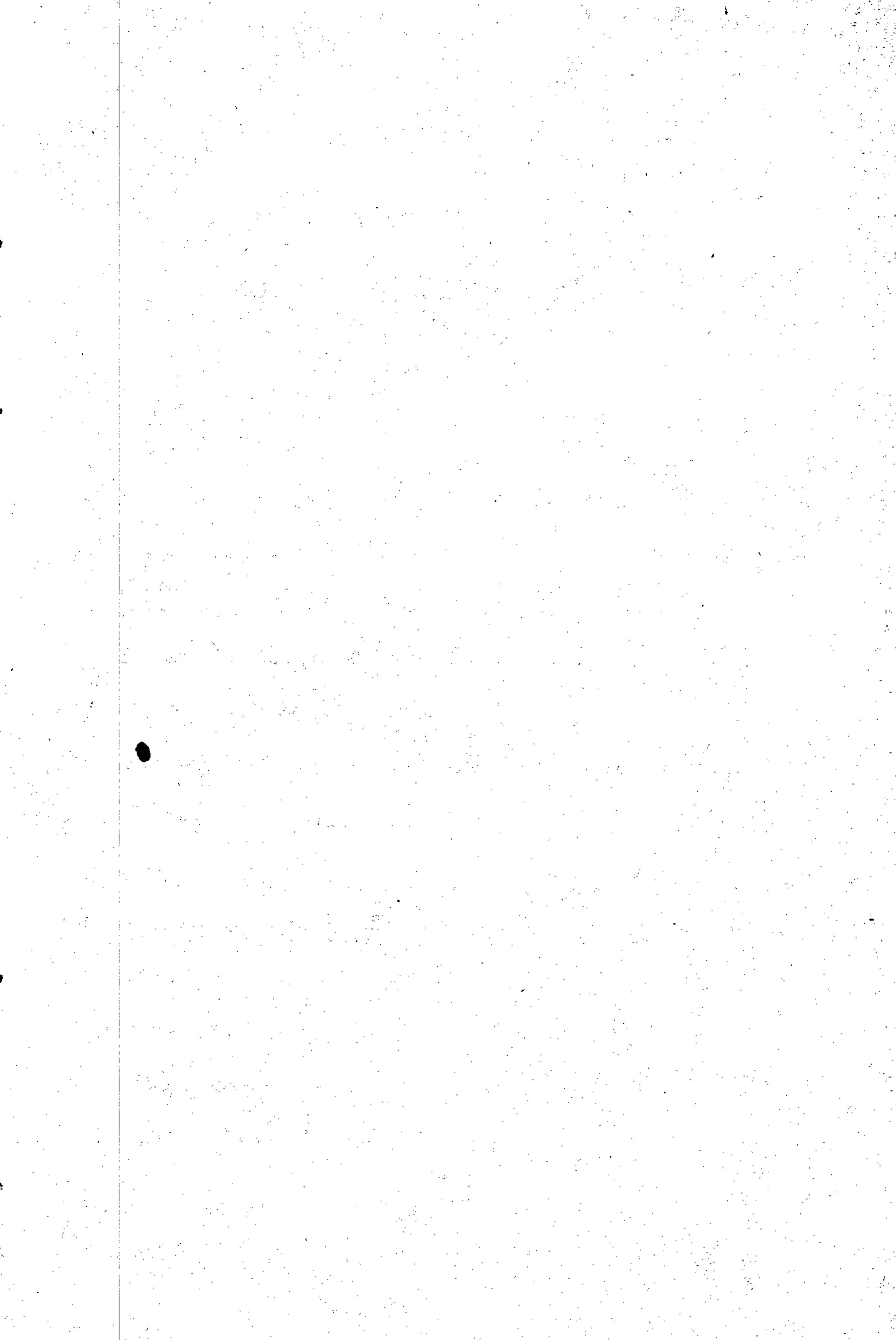
١١ ــ حقائق عشر فى حياة اقبال .

١٢ ــ وأنت أيضا : فهمت خطأ عن الاسلام .

١٣ ــ الدكتور محمد حسين هيكل .

١٤ ــ فتى الأحقاف .

١٥ ــ الرافعى : مدرة الاسلام .



(١)

رجل من مكة

رجل من مكة المكرمة قاوم المؤامرة ضد القرآن الكريم .. ونجح ، ذلك هو عبد العزيز بن يحيى الكنانى الذى هزته المؤامرة ضـــد القـــرآن فى بغداد أبان حكم المأمون فترك بلده واندفع مجاهدا فى سبيل الله ليخاصم هؤلاء المدعين بخلق القرآن ، ولم يخف أن تتخطفه الأحداث قال : اتصل بى وأنا فى مكة ما ابتلى به الناس فى بغداد ، وكيف استطال عليهم بشر المريسى وليس على المأمون وخواص مملكته فأطال همى هذا الخبر وأطار نومى فخرجت من مكة متوجها الى ربى أسأله سلامتى حتى قدمت بغداد ..

وخطر لى أن أقف بعد صلاة الجمعة فى جامع الرصافة وأرفع صوتى بمخالفة المعتزلة وتسفيه آرائهم ، وطلب محاجتهم ، فان اشهارى نفسى على هذه الصورة يحول دون البطش بى قبل مناظرتى واستماع أقوالى ولم يكد ينتهى الامام من الصلاة حتى سمع الناس من الصف الأول حيال المنبر صوت رجل مكى الزى وحجازى اللهجة واقف على قدميه ينادى بأعلى صوته وابنه ، وكان قد أقامه عند الاسطوانة الأخرى .

الأب ــ ما تقول فى القرآن يا بنى ؟

الابن ــ كلام الله منزل غير مخلوق يا أبت .

فارتاع الناس لهذه المحاولة وهربوا على وجوههم خارجين من المسجد فأسرعت الشرطة فاحتملوا عبد العزيز وابنه ، احتملهما الشرطة وجعلوا يعـــدون بهما عدوا شديدا وأيديهما فى أيديهم يمنة ويسرة حتى وصلوا به .

قيل : يا عبد العزيز ، ما حملك على ما صنعت بنفسك .

قال : طلبت القربة الى الله ورجوت الزلفى لديه ، ما أردت الا الوصول الى أمير المؤمنين والمناظرة بين يديه رجاء تأدية حق الله فيما استودعنى من العلم والفهم فى كتابه وما أخذه على وعلى العلماء من البيان .

قال عبد العزيز : فاخرجونى انا وابنى بين يدى الخليفة وجعلوا يعدون بنا فى شوارع بغداد على وجوهنا حتى وصلنا قصر الخلافة فدخل رئيس

الشرطة على المأمون وبقيت أنا وابنى فى الدهليز واقفين على أرجلنا ، فأطال ثم خرج الى حجرة له ، وأمر أعوانه باحضارى .

وحدد له يوم الاثنين فحمل الى دار الخلافة ..

وسئل عما اذا كان لم يزل مقيما على رأيه ..

فقال عبد العزيز انه ما خرج من بلده مكة الا لاقامة الحق . وكان قد صدر أمر الخليفة الى أقاربه من أشـــياخ بنى هاشم أن يركبوا الى قصر الخلافة يوم الأثنين لشهود المناظرة والى الفقهاء والقضاة الموافقين للمعتزلة على مذهبهم والى سائر المتكلمين والمناظرين أن يحضروا والى القواد والأولياء أيضا لاحـــداث الهيبة فى نفس عبد العزيز ، قال عبد العزيز : ثم أذن لى بالدخول الى الخليفة فدخلت ، ثم لم أزل أنقل من دهليز الى دهليز حتى وصلت الى الحاجب صاحب الستر الذى على صـــحن دار الخـــلافة ثم أزاح الستر وتقدم الى خدام القصر فأخذوا بيدى وعضدى وجعل جماعة منهم أيديهم فى ظهرى وعلى رقبتى وطفقوا يعدون بى عدوا شديدا فى صحن الدار فنظرنى الخليفة المأمون من بعيد فسمعت صوته يقول : خلوا عنه ، خلوا عنه ..

فخلوا عنى وقد كاد يتغير عقلى من شدة الفزع ومن كثرة ما رأيت من انواع السلاح الذى ملأ صحن القصر ، وكنت قليل الخبرة بدار الخلافة وما رأيتها قبل ذلك ولا دخلتها .

قال المأمون : ادخلوه وقربوه .

قلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

قال : وعليك السلام ورحمته وبركاته .

ثم قال : ادن منى .

فدنوت منه ، وكرر حتى وصلت الى الموضع الذى يجلس فيه المتناظرون ويسمع كلامهم ..

وقد لاحظ المأمون ما أنا عليه من الخوف والرعدة وما قد نزل بى من الهول . فجعل ينظر الى من طرف عينه وأنا انتفض وارتعد .. فأحب أن يؤنسنى ويسكن روعى فتكلم بأشياء كثيرة وهو يريد ايناسى وتسكين اضطرابى .. وحدثنى وأراد ايناسى وازالة الوحشة عنى ، فأنشط للكلام والمناظرة . وبالفعل ذهب ما كنت فيه من الجزع .

وجاءت المعونة من الله :

فقوى بها ظهرى واشتد قلبى واجتمع فهمى .

قال : يا عبد العزيز : أنه قد بلغنى ما كان منك وقيـامك فى المسجد الجامع وقولك : « ان القرآن كلام الله غير مخلوق » بحضرة النّاس وعلى رؤوس الخلائق ، وما كان من مساءلتك أن يجمـع بينك وبين مخالفيك لتناظرهم فى مجلسى ، ثم أستمع منك ومنهم .. وهأنذا قد جمعت المخالفين لك لتناظرهم بين يدى وأكون أنا الحكم بينكم ، فان ظهر الحق أتبعناك وان تكن لهم الحجة عليك والحق معهم عاقبناك ، وان استقلت واستعفيت أقلناك وأعفيناك ، ثم أقبل بوجهـه على بشر المريسى ، وقال له : يا بشر قم الى عبد العزيز فناظره وأنصفه . فوثب بشر من موضعه كالأسد يثب الى الفريسة فرحا فانحط على ووضع ركبته وفخذه الأيسر على فخذى الأيمن فكاد يحطمه وغمر على بقوته كلها .

فقلت له : مهلا ، ان أمير المؤمنين لم يأمرك بقتلى ولا بلطمى وانما أمرك بمناظرتى وانصافى ، فصاح به المأمون وقال : تنح عنه يا بشر ، وكرر ذلك عليه حتى باعده عنى . ثم أقبل المأمون على وقال : يا عبد العزيز : ناظره على ما تريده واحتج عليه ويحتج عليك وتسأله ويسألك وتناصفا فى كلامكما وتحفظا الفاظكما ..

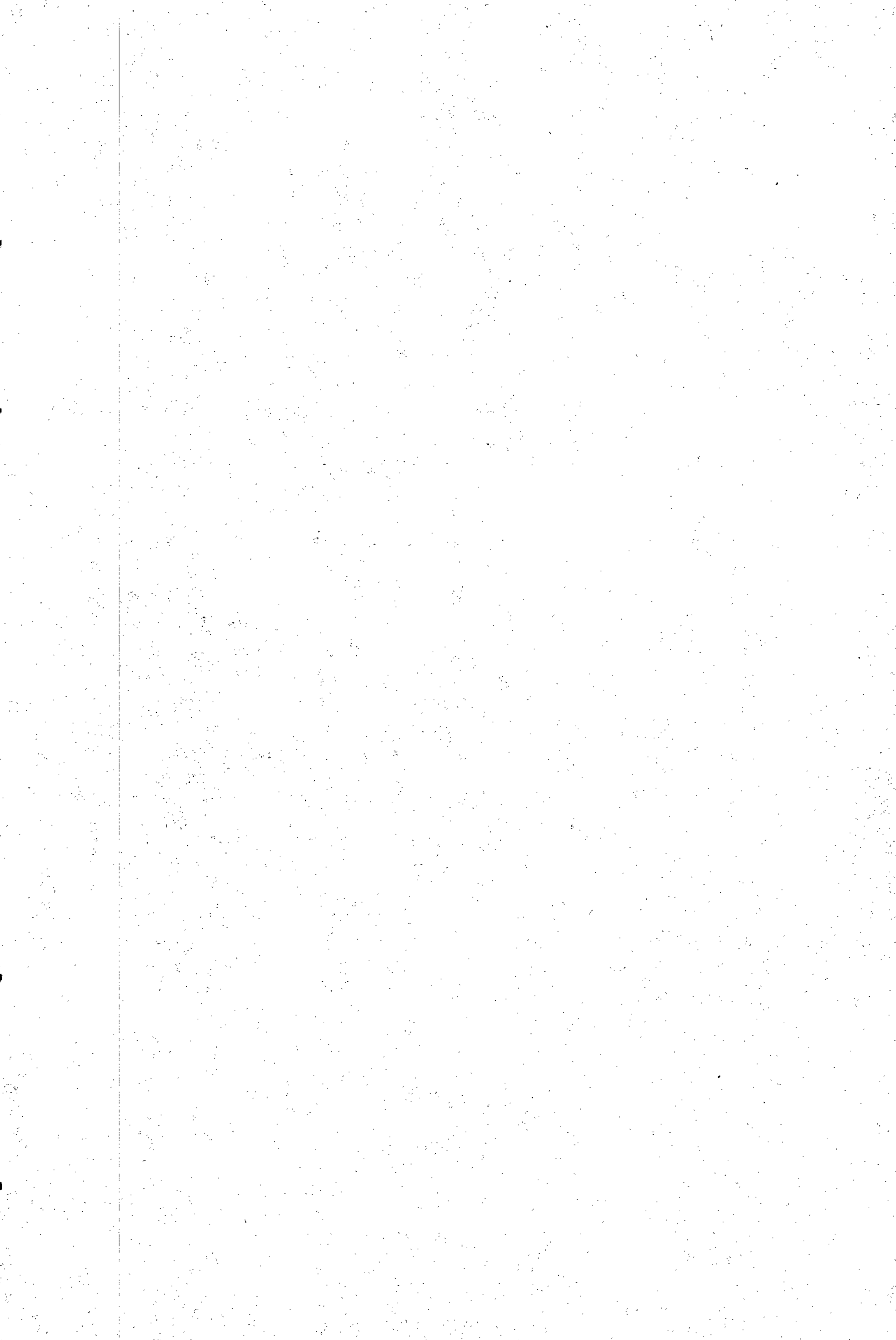
ودخلا فى الجدل وافاض عبد العزيز بن يحيى الكنانى ، وأبلغ وهز نفس المأمون وأزعج بشرا بحجته القوية ، وأخذ يسرد النصوص استدلالا على مذهبه وما فتح له بشر بابا الا سده ، وما أثار له مسألة الا دحضها وما قدم له بيانا الا كشف زيفه ثم انقلب سائلا بعد أن كان مسؤولا فأوقف بشر وأعجزه ، وعاود مساءلته وعاود اخراجه وفتح الله له من النور والقوة والقدرة ما هز نفس المأمون حتى أوقفه .

قال عبد العزيز : قد جئت بالحجج ورضى بشر وأصحابه بالضجيج وقطع المجلس ومحاولة التملص والخلاص ولا خلاص من الله حتى يظهر الحق ويزهق الباطل .

وكلما دكر بشر دليلا نقضه عبد العزيز بأدلة من القرآن حتى كأنما كانت آيات القرآن كلها مرسومة تحت عينيه ..

وظل كذلك حتى قال له المأمون : احسنت يا عبد العزيز . وامر له بعشرة آلاف درهم فحملت بين يديه وانصرف فوزعها واخذ ولده وعاد الى مكة وقد أدى حق الله عليه .

* * *



(٢)

رجل من الهند

منذ قرن ونصف استشهد الامام أحمد بن عرفان مجدد دعوة الاسلام فى الهند

عندما زحفت قوى الاستعمار على العالم الاسلامى كانت تظن أن هذا العالم قد همد وضعف ولم يعد قادرا على المقاومة وان الأمر لا يعدو سنوات طويلة حتى ينتهى الاســلام وقد أشار الى ذلك عديد من كتاب الغرب الذين أشاروا الى أن السر فى بقاء الاسلام هو عزلته وزعموا أنه عندما يصطدم بالحضارة الغربية فانه سينطوى وينهار ويزول . بل لقد حدد البعض أن ذلك سوف لا يتجاوز قرنا من الزمان . وقد جاءت الأحداث لتثبت زيف هذا الادعاء فان الاسلام عندما واجه الأزمة ودخل فى مرحلة الصراع سرعان ما استيقظ وقاوم وجدد نفسه وحارب بالاجساد المتراصة عندما عدم السلاح والحديد بل وأخذ هذه القوى من أعدائه وضربهم بها .

* لقد واجهت الجمــاعة المؤمنة التى رباها السيد أحمد بن عرفان فأحسن تربيتها ، واجهت الاستعمار البريطانى فى قوته ونفوذه بأن أقامت دولة اسلامية على منهاج الكتاب والسنة فى الحدود الهندية الشمالية الغربية تشتمل على بشاور وما جاورها من البلدان والقرى وما لبثوا أن نفـذوا الحدود الشرعية وطبقوا النظام الاسلامى ، ومن ثم ألب عليهم الاستعمار القبائل المجاورة من غير المسلمين فاصطدما فى معركة حامية استشهد فيها الامام احمد وصاحبه الشــيخ اسماعيل وكبار رجالها ـ ٢٤ ذى القعدة سنة ١٢٤٦ هـ ..

* وكان هذا صورة من صور كثيرة لمــا قام به المسلمون فى سبيل تحرير الهند وكان مقدمة لثورة ١٨٥٧ م التى تزعمها المسلمون وجاهد فيها رجال الامام احمد بن عرفان الذين ظلوا قائمين على الحق باذلين النفس والنفيس بالرغم من مطاردة الاستعمار البريطانى بقسوة ، فصادر أموالهم وأملاكهم وحاكموهم محاكمات طويلة عريضة .

* ولكنهم صمدوا حتى كانت ثورة ١٨٥٧ م التى قدم فيها المسلمون أرواحهم فداء لكلمة الحق ، والتى هزت الاستعمار البريطانى .

* ولا يزال الامام أحمد بن عرفان مثــلا عاليا للبطولة الاسلامية ، والزعامة القادرة ، فقد حمل لواء التربية الايمانية ـ على حد تعبير حفيده العلامة

السيد أبو الحسن الندوى ــ التى ما زالت قائمة بالحق بين المسلمين خلال قرن كامل ، وما تزال هذه النماذج الكريمة التى نراها اليوم هى من اعداد هذا الامام الجليل الذى وضع أصول التربية الاسلامية وبناء شخصية المجاهد المسلم والمثقف المسلم .. وما تزال هذه الشخصية مضيئة للشباب المسلم فى الهند وباكستان فهى بحق كانت تستمد خطوها من شخصية الرسول الأعظم متأسية به راغبة فى أن تسلك منهجه وتستن سنته .

* وما يزال المجددون فى كل دور ، والمربون فى كل جيل والمصلحون فى كل بلد رشحا من رشحات هذه التربية والدعوة وظلا من ظلالها الفيحاء .

* ولد فى صفر سنة احدى ومائتين والف ببلدة (رائى) فى زاوية جده السيد علم الله النقشبندى البريلدى ، نشأ عابدا مؤمنا قواما ذاكرا الله تعالى ولم يكن ايمانه هذا بالله واقباله على الآخرة الا مصدر شوقه الى الجهاد فى سبيل الله والعمل فى سبيل احقاق الحق .

ــ ولما قصد الى الحجاز سنة سبع وثلاثين ومائتين والف كان ذلك بمثابة الشرارة ، انه لم يلبث أن دوى بنفير الجهاد وخرج فى أصحابه سنة احدى وارنعين الى افغانستان يحرض المؤمنين على الجهاد وقد بعث أصحابه الى كابل وكاشغر وبخارى ليحرضوا ملوكها على الشركة والاعانة فبايعه الناس على الجهاد وولوه عليهم واجتمع تحت لوائه الوف من الرجال وزحف على بتجاب .. ففتح الله سبحانه على يده بلادا فأحيا السنة وأمات الشرك ، فأزعج ذلك خصوم الاسلام وحاولوا أن ينالوا من دعوته بنسبته الى دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب .. فما زالوا يؤلبون عليه حتى كانت معركة (بالاكوت) فنال فيها الشهادة هو واخوانه فى الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة ست وأربعين ومائتين والف .

* أما الصورة التى حفظها التاريخ فهى صورة المؤمنين بوعد الله ، المستشهدين فى سبيل اعلاء كلمته ، المضحين بأنفسهم لينالوا نعمة الاستشهاد فى سبيل الله ، فما زالت قصتهم وأعمالهم حديثا يروى وصفحة لم تطو وروحا عاليا يرف حول أولئك الأنصار الذين ثبتوا من بعد حتى اشتركوا فى المعركة الكبرى ، وما زالوا قائمين على الحق جيلا بعد جيل .

* ذلك أن ما أدخله الامام أحمد بن عرفان وأحياه هو روح الجهاد الذى قد زوى لونه وخفت صوته ، يقول فى ذلك العلامة السيد أبو الحسن الندوى :

* كان السيد قد ملكته فكرة الجهاد فى سبيل الله وتحرير المسلمين من المغتصبين واعلاء كلمة الله واعادة مجد الاسلام واستولت على مشاعره وأعصابه ، وأصبحت له الشغل الشاغل ، والهم الوحيد فكان أكثر حديثه عنه وأكبر اهتمامه به وأعظم اعتنائه بما يعينه على ذلك .

* وشغف بالتربية الحربية والرياضات البدنية منذ ريعان الشباب ، كان أكثر لعبه وتسليته بالمعارك الحربية التي كان يقيمها مع اقرانه واترابه ، من غلمان قريته ، ودخل في جيش القائد المسلم الشهير نواب مير خان مؤسس امارة تونك الاسلامية وخاض معه معارك فاصلة ، ليتمرن على قيادة الجيوش ، وليحقق أمنيته في اجلاء الغاصبين .. واقامة حكومة اسلامية شرعية .. ثم كان لابد أن يدخل الامام في مرحلة العمل : **((انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله))** ، وقد ربى اخوانه ورجاله على الجهاد فتسابق الناس اليه ، ونفخ في بوق الجهاد والهب جذوة الايمان والشوق الى الشهادة وقد تواتر عن سوء حال المسلمين في بنجاب فبدأ بها على أن يتقدم منها الى الهند التي أصبحت مطية ذلولا للانجليز ، وكانت هذه المنطقة هي الحدود الشمالية بين افغانستان وبنجاب .

* ولم يلبث أن اقام دولة اسلامية جدد فيها صورة العصر الأول وطبق فيها أحكام القرآن وبدات صورة مجتمع كريم ، يقوم على البر والحب والرحمة .

فأخاف الاستعمار ذلك واضطرب له ، وكان حفيا أن يزيل هذه الصورة خوفا من تكرارها واستمرارها .

ودافع الامام عرفان وأصحابه عما قاموا عليه ايمانا بحق دينهم عليهم ، ولم يكن موتهم واستشهادهم الا حياة طويلة لفكرهم ودعما عميقا لدعوتهم :

((احرص على الموت توهب لك الحياة)) ..

* * *

كلمات مضيئة

روى معن بن زائدة قال :

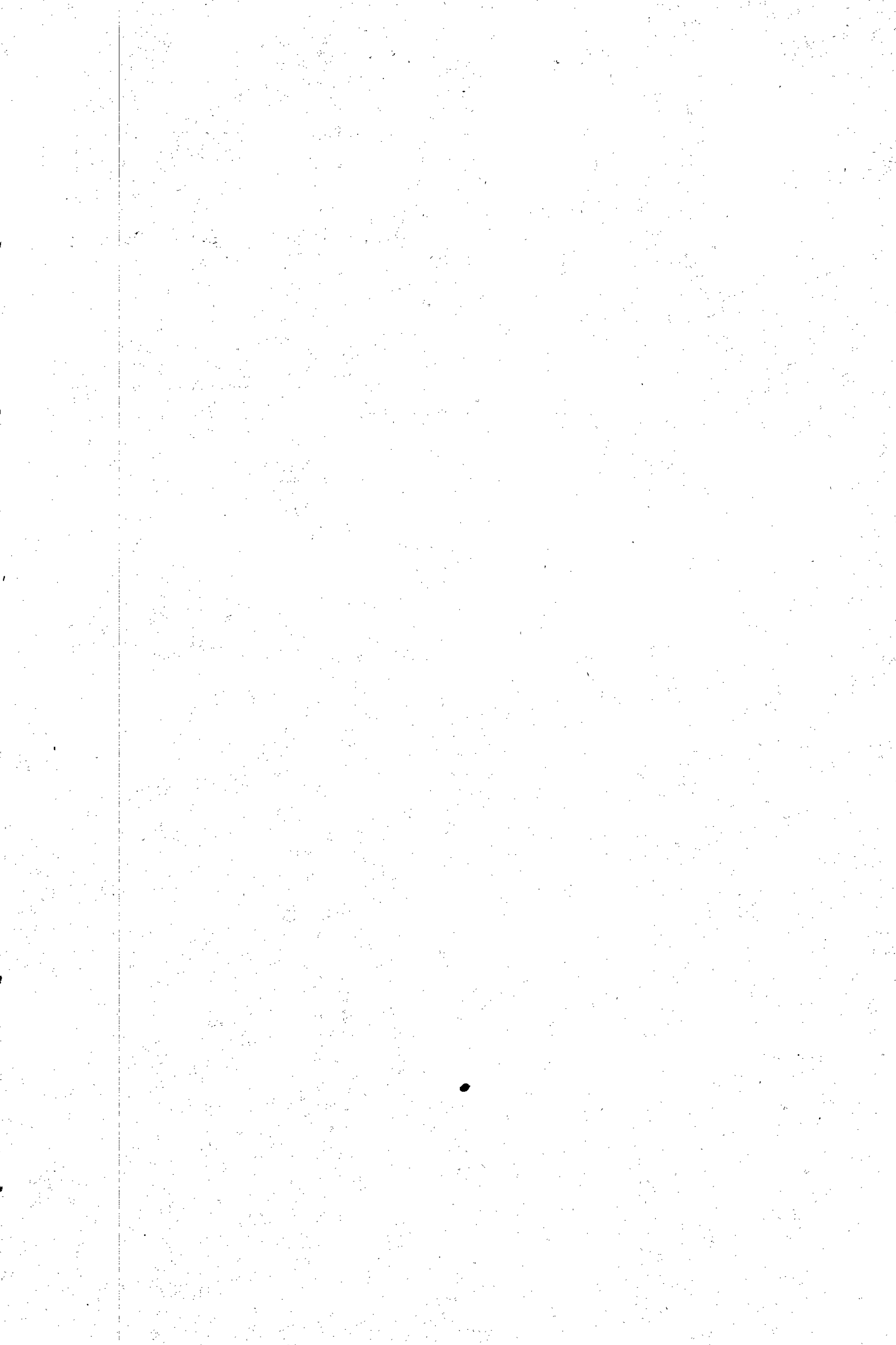
لما هربت من المنصور خرجت من باب حرب ، بعد أن اقمت أياما ، وخففت لحيتي ، وعارضي ، ولبست جبة صوف غليظة قال فتبعني أسود متقلد سيفا حتى اذا غبت عن الحي ، قبض على خطام الجمل فأناخه ، وقبض علي وقال :

ــ أنت معن بن زائدة ؟ قلت : يا هذا اتق الله ، أين أنا من معن ، قال : دع هذا فأنا والله أعرف بك .

قلت :

هذا جوهر حملته معي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاء بي فخذه ولا تسفك دمي . قال : هاته ، فنظر اليه ساعة ثم قال :

ان الناس قد وصفوك بالجود فاخبرني ، هل وهبت قط مالك كله .. قلت لا ، قال : فنصفه ، قلت : لا ، قال : فثلثه ، قلت لا . حتى بلغ العشر فاستحييت ، فقال : ما ذاك بعظيم ، أنا والله رجل ورزقي عشرون درهما ، وهذا الجوهر قيمته ألف دينار وقد وهبته لك ووهبتك نفسك لجودك المأثور بين الناس ولتعلم أن هناك من هو أكثر جودا منك .



(٣)

أبو الطيب المتنبّي

قالوا عن المتنبى : انه رجل ملأ الدنيا وشغل الناس .

وقد كان واحدا من شعراء العصر الأول الذين تجدد ذكرهم فى العصر الحديث ، أمثال : المعرى وابن الرومى ، وقد احرز المتنبى القدح المعلى فى تجديد ذكره فقد كتب عنه (شروحا ودراسات) بطرس البستانى وناصيف اليازجي وابراهيم اليازجي وعبد الرحمن البرقوقى .

وقد ظهر نص ديوان المتنبى فى القاهرة سنة ١٢٨٣ هـ ــ ١٨٦٦ مع شرح العكبرى والواحدى والبديعى وذلك بعد أن طبع ديوان المتنبى قبل ذلك فى الهند (كلكتا) ١٢٣٠ هـ ١٨٢٤ وتوالت الطبعات هناك ودخل ديوان أبى الطيب جميع نواحى العالم الاسلامى الذى أصبح معروفا من المغرب الى الجزيرة العربية والهند ، ثم جمع الأستاذ الراجكوتى بكلية عليكرة مقاطع للمتنبى غير موجودة فى طبعات الديوان الأخيرة .

وقد قام الشاعر المصرى المجدد للشعر الحديث (محمود سامى البارودى) فاستشهد فى مجموعته (المختارات) بنحو ثلاثمائة بيت للمتنبى ولم يلبث توفيق البكرى أن كتب بحثا عنوانه (مناقب المتنبى ومعايبه) ونشره سنة ١٨٩٣ فى مجلة المقتطف .

وتوالت بعد ذلك طبعة أخرى ترجمت للمتنبى : محمد المرصفى ، وجرجى زيدان ، وأحمد السكندرى ، وأحمد حسن الزيات .

وقد قال شوقى فى مقدمة الطبعة الأولى للشوقيات سنة ١٨٩٨ .

« معجز المتنبى لا يزال يرفع الشعر ويعليه ويغرى الناس فيجدده ويحييه وحسبك أن المشتغلين بالقرض عموما والمطبوعين منهم خصوصا لا يتطلعون الا الى غباره ولا يجدون الهدى الا على مناره » .

وقال حافظ ابراهيم : واكثرت التأمل فى شعر أبى الطيب ، فاذا شعره حى يتقزز ولم أر فى الشعراء نفسا أعلى من نفسه ، ولا طريقا الى المعالى أقصر من طريقه وخير شعره ما كان فى الحكم والأمثال ولو سلمت أقواله من ذلك التفاوت ولم يكن أسلوبه عاقاً لأساليب اللغة العربية لكان أشعر شاعر فى الاسلام .

وكتب عن المتنبى : أحمد ضيف وجاءت مقالات كامل كيلانى تصور علاقة أبى الطيب بابن خالويه وأبى فراس فى حلب ، ثم جاء ما أشار اليه زكى مبارك فى النثر الفنى وكتب فؤاد افرام البستانى : أبو الطيب المتنبى : الرجل والشاعر ، وكتب درينى خشبة : أشعر شعراء العرب .

وجاءت كتابات محمد كمال حلمى : حياته وخلقه وشعره وأسلوبه . ومقالات العقاد التى نشرها من بعد فى كتابه مطالعات وكتب المازنى عن ديوان أبى الطيب وأخلاقه نشرت فى كتابه : حصاد الهشيم وكتب شفيق جبرى : كتابه (المتنبى) وكتب محمد الأسمر فصولا فى مجلة السياسة الأسبوعية سنة ١٩٣٠ كان هذا الفيض فى تقدير شخصية المتنبى دليلا على سمو هذا الشاعر وأصالته وصدق مفاهيمه وخاصة فيما يتصل بمقاومة الغزو الذى كانت تقوم به الدولة الرومانية على حدود بلاد الاسلام ولذلك فقد فاز بالقدح المعلى بالنسبة للشاعرين : المعرى وابن الرومى .

لقد كانت ميزة ابن الرومى فى آرائه الدقيقة للمعانى وأسلوبه المحكم ، وكان المعرى قد برز بمفاهيم الفلسفة وبما حاول أمثال طه حسين وغيره أن يصوره بصورة الشاك فى الالوهية وقد تضارب شعره فى مجال العقيدة وكانت هذه احدى المحاولات لابراز الشعراء والكتاب الذين يمكن أن تفيد آثارهم الأجيال الجديدة المسلمة .

أما المتنبى فقد أعطى العرب والمسلمين مفهوما كريما ، مفهوم الأصالة ومفهوم الشهامة والاباء والخلق ، ومن هنا كان لابد أن يهاجمه الاستشراق بعنف وأن يدعو رجالهم من دعاة التغريب الى تدمير هذه الشخصية فتقدم أولا بلاشير فأصدر كتابه عن المتنبى سنة ١٩٣٥ هاجم فيه بعنف هؤلاء الذين كتبوا عن أبى الطيب وهاجم المتنبى نفسه فقال : « أن شهرة المتنبى فى الأوساط الأدبية فى دمشق والقاهرة وتونس صادرة عن ينبوع آخر ، هى تلك المؤثرات القومية والعربية الشاملة التى تحمل المسلمين على أن ينقبوا فى « شرق » القرون الوسطى عن رجال يقابلون بهم رجال الغرب يجعل من « مادح » أمراء سورية ومصر وفارس ممثلا للعبقرية العربية منتصبا تجاه العبقرية الأجنبية أو غير العربية وهكذا يظهر المتنبى بمظهر (فينى) أو جوتة بل بمظهر نيتشة شرقى يبرهن بمقدرة باهرة عن المساواة الثقافية فى بلاد هى اليوم تحت وصاية أوروبا الفكرية والسياسية .

وتكشف هـــذه العبارات ذلك الحقـــد الغربى الاستشراقى المستعلى الذى يكره أن تنبعث النهضة فى العالم الاسلامى من جديد عن طريق شاعر كالمتنبى أو عالم كابن تيمية .

وكانت دعوة بلاشير الى كتابهم فى العـــالم الاســـلامى لذبح المتنبى ، وتقدم الدكتور طه حسين فذبح المتنبى فى كتابه مع المتنبى . كيف ذبحه ، لقد أعلن أن المتنبى لقيط وليس له اب .

وكبرت كلمة تخرج من فمه . فما أقسى هذا الاتهام وهذا الشك . ولم يمت

طه حسين الا بعد أن ظهرت براءة المتنبى بصدور عدد من الدراسات كشفت عن أن المتنبى هو ابن امام عظيم .

لقد تكشفت الدراسات المتعددة التى ظهرت أخيرا وكان ابراهيم العريض أول من كشف هذه الصفحة ثم (محمود الملاح ، وعبد الجبار البصرى) .

ولكن لماذا أخفى المتنبى نسبه ؟ !.

يقول عبد الجبار البصرى : لعل الظروف السياسية وتقلبات الحكم والصراع الرهيب الذى عاشه المتنبى رافضا أو مؤيدا عن غير اقتناع . وغربته عن أرض الوطن كما عاشها أبوه كانت وراء ابهام هذا النسب عن قصد وحذر تحت ضغط الظروف التاريخيــة التي أحاطت به وبالحركة الشيعية التى ارتبط بموقفها السياسى المعارض والرافض للحكم . والذين يتتبعون سيرة المتنبى فى آلاف الدواوين والمجلدات التى وضعت عنه لا يستبعدون شيئا فى هذا النطاق ، فقد كانت حياة المتنبى هروبا دائما متواصلا ، ومنفى متنقلا بين بلاط سيف الدولة الحمدانى فى حلب ، وقصور كافور الأخشيدى فى مصر ، وعنـــد ابن العميق وعضد الدولة فى بلاد فارس الخيـــل والليل والبيداء : وفى حله وترحاله الطويلين ورغم مئات الحاسدين الذين تصدى لهم وهجاهم فاستغالوه ولم ينجح أحـــد من النيل من مكانته الشعرية الفـــذة وما فرضه من شهرة وخلود .

ذلك أن أبا الطيب ولد وعاش فى العصر الذهبى للحضــــارة الاسلامية العربية واستطاع فى ذلك العصر الذى شهد قمما فى الأدب والشعر أن يبنى لنفسه قمة تفرد عليها وشمخ وأجبر خلانه وأعداءه وكل الأجيال التى جاءت من بعده ، على الاعتراف بعظمته وانشاده والتغنى بأبياته كما لم تنشر أو تغن أبيات شعر من قبل .

غير أن هذه الآيات الخالدة والتى الهت الناس عن تتبع أصله ونسبه لم تمنع الضباب الذى تطاول على محتده من أن يلف نهاية حياته ويغلفها بالكثير من الغموض .

وأكثر الأسئلة الحاحا فى هذا المجال : مقتل المتنبى . يقول ابن خلكان : مقتل (المتنبى) وابنه محمد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية فى موضع يقال له الصافية وقيل حيال الصافية من الجانب الغربى من سواد بغداد وبينهما مسافة ميلين وقال اليازجى بالقرب من دير العاقول فى الجانب الغربى من سواد بغداد وفى ديوان المتنبى المخطوط (١١٠٢) فخرج عليه بحد جرجريا من سواد بغـــداد .

وقد تعددت الأقوال والأماكن .

ويروى قصة مصرعه صديقه ابن نصر محمد الجبلى قال : كان أبو الطيب قد هجا « ضبة » بن يزيد العتيبى بقصيدة أولها (ما أنصف القوم ضبة وأمه

القرطبة) فغضب لذلك فاتك بن ابن جهل الأسدى خال ضبة وتوعد بقتل المتنبى . وحدث أبو نصر بذلك وكان المتنبي قد انصرف من بلاد فارس متوجها الى العراق يقول أبو نصر : وافى المتنبى ومعه بغال موقرة بكل شيء من الذهب والطيب والتجملات النفسية والكتب الثمينة فتلقيته وانزلته دارى ولما امسينا قلت له :

يا أبا الطيب على أي شيء انت مجمع .

قال لى : انى مجمع على أن اتخذ الليل مركبا لأن السير فيه يخف على . قلت له والرأى أن يكون معك من رجال هذا البلد الذين يعرفون المواضع جماعة يمشون بين يديك الى بغداد . فقطب وجهه وقال : لم قلت هذا القول ؟ قلت : لتأنس بهم ؟ قال : أما والجراز فى عنقى فما بى الى مؤنس غيره . قلت : الأمر كما تقول والرأى فى الذى اشرت به عليك .

فقال : تلويحك ينبىء عن تعريض وتعريضك ينبىء عن تصريح فعرفنى الأمر وبين لى الخطب .. قلت : ان هذا الجاهل فاتكا الأسدي كان عندى منذ ثلاثة أيام وهو غير راض عنك لأنك هجوت ابن اخته (ضبة) وقد تكلم بأشياء توجب الاحتراز والتيقظ ومعه نحو العشرين من بنى عمه قولهم مثل قوله .

قال : والله لا أرضى أن يتحدث الناس بأنى سرت فى خفارة أحد غير سيفى . ثم ركب فكان آخر العهد به ولما صح عندى خبر قتله وجهت من دفنه ودفن ابنه وغلمانه وذهبت دماؤهم هدرا ..

* * *

(٤)

عبد المحسن الكاظمى

ما رايت كاتبا وصف الكاظمى رحمه الله كما وصفه ابراهيم عبد القادر المازنى حين قال : ظل الكاظمى رحمه الله يقول الشعر نصف قرن أو يزيد والناس يقرعونه ويكبرونه ويعجبون به ، ويقولون هذا شاعر العرب وبقية السلف الأول ولا يخطر لهم أن الانسان ــ ولو كان شاعرا ــ يقتات بشىء آخر غير الثناء . وقد أقيمت فى مصر وحدها مائة حفلة وحفلة لتقديم زيد أو عمرو من رجال السياسة أو الحرب ممن سيمضون وينسون ويبقى ذكر الكاظمى ، وكان الكاظمى يدعى اليها ، ويستدرج فيها الى الكلام فيقول ويستحث فيفيض ويستزاد فيهضب ويسح ثم ينقلب الى بيته ناشف الريق ، جاف اللسان موجع القلب مطوى الأضالع على الكمد الوحيد الذى تغنيه العبارة عنه ويفترضه اباؤه اذا هم بالجهر به . وقد كان هو أولى بالتكريم وأحق بالتعظيم ، وأخلق بالمؤازرة والاسعاف وانه لمن الغريب أن ينهض الشرق الآن ينعى الكاظمى ويعظم ذكراه بعد موته وفى حياته ما أولاه اللفتة المسعفة ، وماذا يبالى الكاظمى الآن ، ما احتفاله بما يعرو ذكراه ومن مات فقد استغنى عن الدنيا والانصاف أيضا .

والحق أن عبد المحسن الكاظمى نموذج رائع من شعراء العرب فى فترة الثلاثينات من هذا القرن وقد عنى به الأستاذ عبد القدوس الأنصارى صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل حين الف عنه كتابه المشهور ولقد قمت بدراسة هذه المرحلة من الأدب العربى المعاصر فى مختلف أجزاء الوطن العربى فما رأيت شاعراً شدنى حقيقة وهز نفسى على النحو الذى فعله الكاظمى الذى ترك وطنه العراق وأقام فى مصر عزوفا عن المطامع حتى ما استطاع أحد أن يخدعه ورفض أن يذل لكى ينال أعطية ما ، وعاش مع ابنته ــ رباب الكاظمى ــ حريصا على الاباء والكرامة والشرف ، ولكنه ما يتمنع عن أن يشترك فى أى مهرجان ، فهو حاهز ، ما أن يدعى ويقف حتى ينفض ذراعاه جنبه ثم يمضى الى المائة من الأبيات فما فوقها دون أن يتوقف ، وهو فى شعره مثل رائع للبيان والبلاغة وحسن الأداء .

وتحدث الكاظمى يحكى عن تلك المقدرة الخارقة فى الشعر يقول : بدأت المطارحة وسنى ستة عشر عاما نظمت قصيدة عربية عدد أبياتها خمسة وخمسون بيتا وقد بلغ من الأمر أننى عندما نشرت أول قصيدة لى لم ينسبوها الى ونسبوها الى أديب كبير ولكن لم تمض مدة حتى ظهر اسمى وانقلبت الآية فصار الناس ينسبون الى كل ما يستحسنونه من الشعر الذى لم يعرفوا قائله . ومن شعره الرائع قوله :

أرق اذا قيـــل العـــراق وانحنى
واشـــهق ان قيـــل الشـــام وأزفر

واطرق ان قيـــل الحجـــاز على جـــوى
وأعجب اذا ما قيـــل مصر وأبهـــر

منى النفس أن يلقى العـــراق وغـــيره
من الخـــير ما يهـــوى وما يتخـــير

اذا نحـــن وحـــدنا القـــلوب فلم ينـــل
اذا ما غـــدت أجسامنـــا تتعثر

وما نزعات العـــرب مـــرئى حـــالم
يعـــبر فيهـــا ما يشـــاء المعبر

ولكنهـــا آمال قـــوم تضـــامنوا
بنصر ومن يمشى مـــع اللـــه ينصر

***

صلاح الدين فى تقدير قادة العرب

تحـدث كثيرون من كتاب الغـرب عن صـلاح الدين الأيوبى وبالرغم من كل أساليب الكراهية والخلاف التى نشروها عنه فان صلاح الدين استطاع بعمله الذى استمد أسلوبه من جوهر الاسلام أن يكون موضع تقدير المؤرخين والباحثين غير أن القائد العسكرى البريطانى (مونتجمرى) عندما يتحدث عن صلاح الدين الأيوبى فانه انما يعنى حنكة صلاح الدين العسكرية والحربية بصفة أساسية يقول : كان صـلاح الدين حاكما قـديرا ومسلما ورعا واستراتيجيا بارعا . انه بنى قوته بانتظام وعن طريق المواعظ الذكية وأعد رعاياه للجهاد أى الحرب المقدسة ضد الصليبيين مما جعل الصليبيين فى خطر دائم لم يشعروا به من قبل .

ان صلاح الدين هو الذى يحكم سوريا ومصر فى عام ١١٧٤ م وهكذا كان رجاله فى الشمال والجنوب يعملون وفقا لخطة واحدة مشتركة ، وتعرضت خطوط الامدادات التابعة للصليبيين لتهديد الأسطول المصري وكان ثمة خلافات بين قادة الصليبيين الذين نهبوا احدى قوافله . وزحف صلاح الدين عبر الأردن حيث أباد قوة تضم ١٣٠ رجلا من فرسان الصليبيين وفرض حصارا على قلعة طبرية ، ودعا بعض القـادة الصليبيين الى التقدم والزحف لفك الحصار المفروض علي القلعة ولكن القـائد الصليبى ريمون قدم نصيحته التى كانت تتلخص فى أن مثل هذا الزحف سيؤدى الى الوقوع فى الكمين الذى نصبه صلاح الدين الذى تتفوق قواته في العدد كما أن الجنود الصليبيين سيعانون العطش لأن الحرارة شديدة ولم يستمع بقية القادة الى نصيحته بالتزام موقف دفاعى وفى يوم ٣ يولية ١١١٧ قاد (جى دى لوسيجنان) القوات الصليبية الى أبشع كارثة وهى (معركة حطين) عند التلال الغربية لبحيرة طبرية .

(٥)

أنا عضو فى جامعة المسلمين

عندما يؤرخ لحركة اليقظة الاسلامية فى العصر الحديث : يأخذ ((أحمد تيمور)) حيزا كبيرا فى هذا التاريخ فقـد استطاع بنفوذه وجاهه أن يعين على انشاء الجماعات الاسلامية التى قاومت التبشير والاستشراق ونفوذ التغريب والغزو الثقافى بعد سقوط الخلافة العثمانية فى مصر . واستطاع أن يمكن للسيد محب الدين الخطيب فى اصـــدار مجلة اسلامية أسبوعية هى مجلة الفتح فى وقت لم يكن ذلك ميسورا ، فى نفس الوقت الذى استطال فيه دعاة التغريب وظهر كتاب الشعر الجاهلى لطه حسين والاسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق وفتحت صفحات جريدة السياسة ومجلة الهــلال والمصور لسلامة موسى ، محمود عزمى ، واسماعيل مظهر وغيرهم للدعوة للبهائيين والتغريب ومحاربة اللغة العربية والاسلام . لم يجد أمثال مصطفى صادق الرافعى والخضر حسين وعبد العزيز جاويش مجالا للدفاع عن الاسلام لولا ذلك الجهد الذى بذله هذا الرجل لذى كان ينكر ذاته ويعمل فى صمت من أجل الدفاع عن الاسلام .

وكانت جمعية الشبان المسلمين هى الركيزة الأولى للعمل الاسلامى الكبير الذى جمع الشباب المسلم تحت لواء لا اله الا الله محمد رسول الله هذا الرجل الذى كان ينفق كل ما يحصل عليه من أطيانه وأرضه فى سبيل الله ، ينفقه على الأسر المحتاجة الفقيرة وعلى شراء كتب التراث الاسلامى واعادة طبعها وتصويرها بعد أن سرقت وهجرت أرضها ، فهو دائب على تصويرها ودفع المبالغ الطائلة فى سبيل ذلك وقد حملت اليه نوادر المخطوطات من الآستانة والمغرب والحجاز واليمن والشام والعراق وظل النساخ ينقلون أندر كتب التاريخ والأدب واللغة والجغرافيا من المكتبة الظاهرية فى دمشق والخالدية فى بيت المقدس ، كما استنسخ بالفوتغراف مجموعة عظيمة من الخزائن الكبرى فى باريس وروما وفيينا والآستانة وغيرها حتى من خزائن الفاتيكان نفســـها .

ذلك هو أحمد تيمور :

أنا مسلم عربى اللسان

عندما عرض عليه الاشتراك فى الجمعية الطورانية قال : أنا عربى اللسان . عاش حياته محافظا على تأريخ رسائله ومؤلفاته بالتاريخ العربى وشجع كل دعوة للدفاع عن العربية والاسلام وقاوم التيار العدائى الذى واجه لغة الضاد وأنفق وقته فى العمل النافع للثقافة والاسلام فاستنسخ عددا من الكتب فى خزائن مكتبات أوروبا والقسطنطينية بالتصوير الشمسى . واستقال من الرابطة الشرقية بعد ظهور كتاب الاسلام وأصول الحكم ومؤلفه من أعضائها ، تتلمذ فى مطلع شبابه على العلامة حسن الطويل وقرأ عليه طرفا من الفلسفة القديمة وصحب الشيخ الشنقيطى فقرأ عليه المعلقات السبع ودواوين العروض وبعض الرسائل اللغوية وأجرى تحقيقا علميا فى التاريخ الاسلامى والخطط المصرية والمدنية والعمران عند العرب وله مؤلفات فى أعيان القرن الثالث والرابع عشر . كما صحح لسان العـــرب والقاموس المحيط وعنى بفن التصوير عند العرب ولعب العرب . وأعد معجم اللغة العامية والأمثال العلميـــة وتراجم المهندسين العرب وأعـــد فهرسا لخزانة الأدب التى ألفها البغدادى .

حرص على اقتناء نوادر الكتب وخاصة المخطوط منها حتى بلغت مكتبته ١٧ ألف مجلد منها ٣٥٠٠ مخطوط . وكان ينفق كل ما يصل الى يده من المال فى شراء هذه النوادر من مختلف مكتبات العالم .

وكان يعقد حلقته فى درب ســـعادة وعين شمس والحلمية أو ذهبيته فى النيل ومنزله فى قويسنا ، تضم البارودى واسماعيل صبرى ومحمد عبده وطاهر الجزائرى ومحمد كرد على وعبد المحسن الكاظمى .

صور شارع الخليج المصرى قبل ردمه وصوره من جميع جهاته .

كما زار بقايا دار ابن لقمان التى سجن فيها لويس التاسع ملك فرنسا بحراسة الطواشى صبيح فى اغارته على مصر المعروفة بالحرب الصليبية السابعة . استقدم الكتب من الآستانة وسوريا والعراق والمغرب . وكلما وقع فى يده كتاب مخطوط عمل له فهرسا يبين أبوابه وفصوله ويبين الغريب والنادر منه .

قال : اننى لا أعرف من السياسة الا مادة ساس يسوس التى أراها فى المعاجم فاذا ذكرت الحكم بخير أو بشر فانما أذكرها من الوجهة العلمية فقط .

يقول : اننا فى حاجة كبيرة لألفاظ عربية تغنينا عن الدخيل لهذا نرحب

بكل لفظة فصيحة ترادف أقرب لفظة دخيلة بل ان النظر فى وضع هذه الألفاظ من أهم ما يجب أن تشغل به المجامع اللغوية ان لم يكن أهمها كلها .

وفى كتابه (التذكرة التيمورية) اتخذ تيمور أكثر من سبعمائة موضوع رءوس مباحث لهـذه المسائل .

يقول : خرجت من المدارس بعد تلقى العلم وأنا فى سن العشرين وقد علق بالعقيدة شىء من آثار التربية بهذه المدارس . الا انى كنت مولعا منذ الصغر بالاسلام ومحاسنه ومطالعة السيرة النبوية ومناقب الخلفاء .

فكان ينشرح صـدرى لأشياء وينقبض لأشـياء ، تقع فيهـا شبهات ثم كنت أعرض ما يظهر لى من مكارم الشريعة ومقاصدها على ما عليه الناس من البدع والمحدثات التى تمسكوا بها وجعلوها من الأصول الدينية فأجد التناقض والتصادم فصرت أتردد على كثير من علماء الأزهر وغيرهم لعلى أجد عندهم مخرجا فأراهم أحرص من العامة على هذه الخزعبلات حتى كدت أحكم بأنها من الدين حتى أرشدنى بعض الأصحاب الى حسن الطـويل فأخـذت فى السـؤال عنـه فكانوا ينفروننى منـه حتى بالغ بعضهم ، ثم سعيت فى الاجتماع به وسألته القراءة عليه والتعلم من علمه فقرأت عليه العلوم العربية والمنطق وأعدت عليه الصرف بتوسـع وعلوم البلاغة ولما رآنى مجدا قرر لى درسا ثانيا بعد العشاء كنا نقرأ فيه كتب الأدب ونحوها وأنا فى كل هذه المدة أستوضح ما أشـكل على فيحله لى فكان اجتماعى به ومصـاحبتى اياه من أكبر نعـم الله على فى دينى وكثيرا ما كان يغضب منى ويؤنبنى اذا رأى منى تهاونا فى الصلاة ، وكنا نذهب الى ضيعتنا فى قويسنا أو الى حلوان نقضى الوقت فى مطالعة واشتغال حتى فى حالة المشى والتنزه كنت أحمل الكتاب معى وأسمعه فيـه فيقرر فى المسائل ونحن سائران .

وهكذا جدد أحمد تيمور فكره وفق مفهوم الاسلام بعد أن تعلم فى صباه فى المدارس الفرنسية والارساليات . وكان له اتصال بالأستاذ طاهر الجزائرى علامة دمشق وانستاس الكرملى علامة العراق والشنقيطى علامة شنقيط — موريتانيا الآن — يتلقى منهم ويستفيد وظل مثابرا على ذلك حتى أصبح الحجة فى اللغة والأثريات والتاريخ .

وقد كتب فى صحف عصره فصولا مطولة : كتب فى المؤيد والضياء والمقتبس والمقطم والأهرام والهلال والزهراء والهداية الاسلامية ، كتب عن السفن الاسلامية ، المهندسون الاسلاميون ، التصوير عند العرب ، المدافع والمكاحل عند العرب ، لعب العرب ، ساعة عربيـة فى زمن المستنصر العبـاسى ، الطربوش ، صحح لسان العرب والقاموس المحيط ، الكرات العربية والأرضية

والفلكية ، أسماء الكلاب عند العرب ، الرتب والألقاب ، نوادر المخطوطات وأماكن وجودها . كما كتب عن أعيان القرن ١٣ و ١٤ .

وقد تسلمت دار الكتب المصرية مكتبته بعد وفاته : ١٧ الف مجلد منها ٢٣٩٠ لغة و ٢٦٧٥ أدب و ٤٩٥٦ دين ورحلات و ٣٩٧٤ لغات ومعاجم و ٤٢٧٣ تاريخ وبلدان واجتماع . ومجموعة من المؤلفات والوثائق بخط مشهورى العلماء من القرن السادس الى القرن العاشر الهجرى . بالاضافة الى الآلات الفلكية والأوانى الصينية والخزفية ومحابر المشاهير وأقلامهم وصور صلاح الدين والجزائرى والأفغانى وحسن الطويل . وما من كتاب من هذه الكتب الا وله عليه تعليقات .

وهو الذى اكتشف أن نابليون حمل معه من المصاحف الكوفية المخطوطة على الرق ما يبلغ ٢٢٧ مصحفا ما تزال حتى الآن فى دار الكتب الأهلية فى باريس .

وقد فكر نور الدين مصطفى فى تاليف الجمعية الطورانية من غير المصريين من أرناءوط وجركس وترك وكرد فلما عرض عليه قال : أنا عضو فى جامعة المسلمين وانى ولدت عربى اللسان وتأدبت بآداب القرآن لأن الأرناءوطى ليس بطورانى والجركسى ليس بطورانى بل انهم كلهم نشأوا فى مصر عربا مسلمين لا يعرفون غير العربية لغة والاسلام دينا .

* * *

(٦)

رجلان آمنا بمسئولية الكلمة

يمثل المرحوم أمين الرافعى قمة الايمان بالحق والصلابة فى أدائه ازاء جائحات الظلم والعدوان وهو فى سبيل أن يقول الكلمة خالصة لله دون مواربة أو مداجاة دفع الثمن غاليا من صحته وصحيفته وحياته ولكنه بقى رمزا عاليا من رموز التضحية الحقة فقد اضطر ان يعارض ((سعد زغلول)) وسعد فى قمة عظمته السياسية ونفوذه الأدبى على الجماهير ولكن ذلك لم يرد أمين الرافعى عن كلمة الحق يجهر بها ويصدع دون أن يخشى ذلك السيل الدافق من المظاهرات المعادية التى سلطت عليه تحطم جريدته حتى دخلت هـذه القوى الكاسحة فاذا هى ازاء رجل واقف فى محراب الصلاة لا يخاف غير ربه فاضطرت هذه الجحافل الى التراجع لانها وجدت رجلا لا يباع ولا يخوف ولا يغرى بالقليل من لماعة الدنيا .

يقول الدكتور محمد حسين هيكل : كنت عند أمين فى مكتبه أيام كان مختلفا مع سعد باشا فى نظرية المفاوضات وفيما نتحدث اقبل جماعة من الطلبة تقدم اليه أحدهم قائلا :

انا قد جئناك لتبين لنا ما يضر البلاد من هذا الخلاف الذى بينك وبين سعد فالناس جميعا يعرفون فيك الاخلاص والصدق وفى الانقسام مضرة ..

قال أمين الرافعى : ان الذى وهبنى قلمى وعقلى أوجب على ان لا اقول الا الحق ، وما أصدق أن الحـق يمكن أن يضر ، وانما الضرر كل الضرر فى الدعوة الى ما ليس بحق واتباعه وسأتابع السير فى خطتى أيا كانت النتائج وما اتراجع عنها حتى يفصل رأسى عن جسمى ..

* * *

وقع الخلاف بين سعد زغلول وأمين الرافعى واشتد منذ خطب سعد زغلول خطبته التى أعلن فيها أنه أصبح يقبل استئناف المفاوضات مع بريطانيا دون أن يفكر فى (تعديل الأساس) الذى ينبغى أن تقوم عليه المفاوضات ، وهو الغاء الحماية البريطانية ورفع الأحكام العرفية وقبول الانجليز للتحفظات المصرية وكلها أمور قال بها سعد قبل تولى الحكم ثم رجع عنها بعد ذلك ..

وقد تعرض أمين الرافعى من أجـل ذلك للأخطار الشديدة فى حياته

وشخصه وجريدته ، وقد آثر الفقر والاضطهاد فى سبيل كلمة الحق ورفض فى سبيل ذلك الكثير من رغبات الساسة الذين كانوا يحاولون اغراءه بأن يضعوا تحت تصرفاته ما يشاء من الأموال فى سبيل مسايرتهم فى مبادئهم .. وكان سعد بالرغم من خلافه معه يرجع اليه كفقيه وقانونى ضليع وهو بالرغم من خلافه مع سعد كان أول من طالب باعادته من منفاه حين نفى ..

ولم يكن هذا هو موقفه الوحيد ولكنه كان موقفه الذى ختم به حياته ، ولقد كان خلال حياته كلها مصرا على موقف الرجولة والايمان دون أن يضع فى تقديره اى خسارة مادية .. ولما قامت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ كان أمين الرافعى يصدر جريدة الشعب ولما علم أن الانجليز يعدون اعلانا لاقرار الحماية على مصر بدعوى زوال السيادة التركية ولأن هذا الاعلان سيفرض على كل الصحف أن تنشره لأنها واقعة تحت الأحكام العرفية . ولما كان أمين الرافعى لا يقبل أن ينشر فى جريدته مثل هذا القرار الأسود ، ولذلك فانه عمد الى جريدته فأغلقها حتى لا يضطر الى نشر هذا الاعلان وما يتبعه من قرارات عسكرية وبلاغات حربية . أغلق جريدته وهى فى أوج عظمتها وفى قمة الصحف ذيوعا ، لذلك لم يلبث الانجليز قليلا حتى اعتقلوه وزجوا به فى السجن احد عشر شهرا ولم ينل كل ذلك من ايمانه وعقيدته وما كادت الحرب العالمية تنتهى حتى أصدر جريدة الأخبار وكان موضع تقدير رجال السياسة العالمية وكانت له مواقف غير معروفة للناس ، لم يقبل ان يشير اليها ولم تعرف الا بعد وفاته ، وقد أشار الدكتور فارس نمر الى حادث وقع له يدل على اعتداده وتواضعه عن ذكر ما أسداه لوطنه من فضل ذلك أنه لما قامت الحركة الوطنية عام ١٩١٩ ندبت صحيفة التيمس صحفيا كبيرا من شيوخ الصحافة الانجليزية الكاتب المعروف لدى المصريين اذ ذاك (السير فالنتين شيرول) لبحث المسألة المصرية ومطالب الوطنيين وكان صديقا للدكتور نمر رئيس تحرير المقطم ، وطلب اليه أن يعرفه بثلاثة من المصريين المشتغلين بالحركة الوطنية لأنه يريد أن يحادثهم حتى اذا اقتنع بحجتهم ووجاهة مطالبهم سعى فى بلاده الى قبولها فكان المصرى الأول الذى خطر ببال الدكتور نمر هو المرحوم أمين الرافعى فخاطبه فى ذلك ورجاه أن يختار الاسمين الآخرين ليذهب معهما الى السير شيرول بفندق الكونتننتال وقد ذكر الكاتب الأجنبى ما لقى من أمين الرافعى من ذكاء وقوة حجة واقناع وانه لذلك سيؤيد المطالب المصرية .

وهكذا كما وصفه المازنى بأنه كان من أصحاب الأمانة الصحفية وكانت الأمانة فى الصحافة عنده الا يقبل فيها اغراء ولا يراعى الا ولا نسبا ولا كسبا ولا مغنما فلم يخدعه زخرف الدنيا ولا مالها ولطالما عرضت عليه المناصب فكان يقول : ان مهمتى الوحيدة فى هذه الأمة ان اقول ما اعتقد وأن أقوله فى الصحافة ، وعاش صحفيا لا يعرف فى الصحافة غير الدعاية ولا يعرف فى الدعاية الا الطريق القويم بلا مواربة ولا غموض ولا ابهام ولا مجاملة ، وكان يحرر ويصحح وينقد ويراجع كل ما يكتب فى جريدته حتى الاعلانات اتقاء كلمة واحدة لا تنطبق على يقينه ومعتقده والمرض ينحت فى جسمه نحتا ، والسقم يزيد فيه يوما فيوما .

وصفه محمد توفيق دياب بأنه وقف من حصن مبادئه على صخرة صلبة عالية لا ترتفع اليها مجريات الحوادث الواقعة ولا يجذبه عنها ما يجرى به الوادى الخصيب على العمليين من خيرات ونعم ، كلا ولا يزحزحه خطب ملم أو عاصفة كاسحة .

أما عبد العزيز جاويش فهو نموذج رائع للأصالة الاسلامية والتصميم والصمود فى الاستمساك بكلمة الحق لا يخاف ولا يخشى الا الله .. كان عنيفا اذا أحب وعنيفا اذا أبغض ، لم يكن رجلا سياسيا فيه مكر السياسة ودهاؤها بل كان صادق الايمان مع نفسه قوى العاطفة يرى أن الدين والوطن فوق كل شيء ، مات وليس عليه غير جبته وليس فى بيته قرش ، لقد كان الطريق مفتوحا أمامه لأن يكون علما ومثريا ولقد بلغ أرقى المناصب وتركها غير أسف ليعمل فى مجال الصحافة المليء بالمتاعب والأشواك بينما يلتمس الطامعون الطريق المفروش بالورود فلا يعادون الانجليز ولا يقاومون الاستعمار ، أما هو فقد عاش خصما لبريطانيا عنيف الخصومة .. وقد تعلم بها وأمضى فى أرضها سبع سنوات ، واذا به يتجه لعنفه يمضى فى الأرض مهاجرا طريدا ، كانت خصومته لبريطانيا بالغة . وكان يرى أنها تخدع العرب والمصريين جميعا .. وأن وعودها لهم كاذبة . وقد صدقت الأيام بعد الحرب الأولى نبوءته فقسمت بريطانيا البلاد العربية بعد أن أعطت مواثيقها ابان الحرب باقامة الدولة العربية ، وقد واجه الشيخ جاويش خصومه بروح الاستعلاء على الحقد والارتفاع عن الكيد .. فاذا كانوا قد حقدوا عليه فقد ساعد أسرهم بعد عودته وكانوا يضمرون خصومتهم له ويظهرون تلقهم .. ولكنه كان اذا خاصم صارح ، وهاجم ، وكان ظاهره كباطنه ، كتاب مفتوح ، يؤمن بأنه حارس لا يغمد سلاحه وخفير لا ينام ..

ولقد كان مفتشا للغة الانجليزية فى مدارسنا وهو معمم ، ولقد ألف كتاب مترجم المترجم : أول كتاب اهتدى به المدرسون للترجمة بين العربية والانجليزية ، ولقد دخل فصلا من الفصول مرة فظننه المدرس قد أخطأ الطريق وقال له : هذه حصة اللغة الانجليزية ، فأمسك الكتاب وقرأ القطعة الانجليزية فى فصاحة وترجمهـــا وسأل التلاميذ والمدرس حتى دهشوا ، فلما سئل قال : أنا مؤلف هذا الكتاب الذى تعلمونه وتتعلمونه ..

وعندما رموه بالدعوة الى الجامعة الاسلامية صحح مفاهيمهم وقال : لو كان الذين رمونى بهذه التهمة ممن يعقلون لعرفوا أن الشرق برمته كتلة واحدة لا يسلم منه جزء الا بتماسكه هو وغيره ولا يمكن لأمة مهما بلغ عددها أن تفوز الا اذا اعتصمت بأختها المشاركة لها فى خصائصها .. وفى كل ما اتهم به كانت الحقيقة تكشف عن نفس كريمة حتى وصفه صـــادق عنبر بحق أنه كان كالحصن المنيع ترتد عنه حملات خصومه قبل أن تبلغه لأن بينه وبينها سدا من نبالة قصده .. رفض الوظيفة ورفض أن يرسل من سجنه خطاب اعتذار ليفرجوا عنه ، وقبل وسام الشعب ، لم يكن تابعا لأحـــد غير معتمد على أحد سوى الله تبارك وتعالى ، وكان لهذا غريبا ومستغربا ولا يتقبله الناس بالبساطة .

***

ويقول الاستاذ المازنى اتصلت اسبابى به وعرفت أن اكثر ما تصل اليه يده يذهب فى سبيل المعوزين ، وان دائرة جهاده لا يحدها القطر المصرى ، وليس من حقى أن أنشر ما طواه الموت مما عرفته عنه بعد أن خلطتنى به الأيام ، الشيخ الشاويش انه كان امرءا لو شاء أن ينعم بالثراء ويقضى حياته فى ترف لين لكان له ذلك فقد كان فى تركيا صاحب حول وطول وكانت له كلمة مسموعة ورأى مطاع وكانت أمامه خزانة الدولة ينفق منها كيف يشاء ومع ذلك رحل الى المانيا وليس معه قرش واحد ، واضطر فى جملة ما اضطر أن يحتطب فى الغابات ليكسب رزقه ويقتات كأجهل عامل فقير .. وكان رجلا لا تهده المتاعب ولا توئسه الدسائس فكان فى تركيا ينام على ظهر جواده بين الثلوج المتراكمة بلا كلل وكان ربما نجحت الوشاية به فيضطر أن يختفى فى بدروم بيت أياما عديدة لا يذوق فيها اكثر من اللبن ودارت الايام ففر من تركيا فقيرا معدما لا يملك قوت يومه وكان فى مصر لا يفتأ ينتقل بين السجن والبيت واحتفل به الشعب مرة وجر مركبته بدلا من الجياد فلما آب من تركيا للمرة الأخيرة ورشح نفسه لمجلس النواب حصبه العامة فى الاسكندرية بالحجارة والجأوه الى المسجد العباسى ، عمل فى جريدة الاخبار يدفع بالمقال الى مثلى وأنا فى مرتبة أبنائه قبل أن يبعث به الى أمين الرافعى فيبدو لى وجه اعتراض أفضى به اليه فيبتسم ويقول :

صدقت .. ان عذرى انى كالغريب .

ويمزق الورقات غير آسف ولا مستنكف . وكان تواضعه هذا يروعنى ويسحرنى لأنه أدل على سمو النفس وبساطتها وسعة الروح وسماحتها ..

وكان عقله لا يكف عن التفكير فى عمل صالح . ولم يكن يصرفه عن ذلك الا انه لا يكاد يجد القوت الا كفافا ، وانه عائش لا يدرى كيف ؟ سألته : هل تعرف كم قرشا فى جيبك .. فضحك وقال : لا والله .

قلت : جرب لترى ، قال وهو يبتسم : لا تفضحنى ..

قلت : لست خيرا منك ..

حذرته يوما من رجل سوء رأيته يطمئن اليه ويأتمنه فلم يحذر لان الاسترابة بالناس لم تكن من خلائقه فقلت له مشفقا من عواقب هذه البساطة : انك سريع التصديق وأطيب قلبا مما ينبغى وعندك ان فى نفس كل انسان عنصرا ملائكيا وان العطف والثقة تظهرانه .

كان بطبيعته رجلا حالما وبارادته رجلا عمليا ، وكان تعادل هاتين القوتين هو الذى يبقيه متزنا ، وكانت تغلب ارادته أحلامه فيعمل بسرعة واحكام وقد تظفر طبيعته بارادته فتراه انقلب أشبه شىء بالشاعر يفكر فى عطف وحنو .. وعاش عمره موزعا بين طبيعته وارادته ، احلامه احلام نفس شفافة حساسة تعرف الدنيا وتزهد فيها ولاترى الفرد الا فى الجماعة ..

* * *

(٧)

رجلان من الدعاة إلى الله

من هؤلاء الدعاة الى الله الذين ذهبوا الى أقصى الأرض رجلان لا ينساهما تاريخ الدعوة الاسلامية .

كم من الدعاة الذين يحملون لواء (لا اله الا الله) ويذهبون به بعيدا فى آفاق الأرض يحملون الى النـــاس كلمة التوحيد ما أكثرهم فى القـــديم وما أكثرهم فى هذه العصور ، وما الصديقي وعبد الرشيد الا نموذجا لهؤلاء الأبرار الذين وهبوا حياتهم فى سبيل كلمة الحق .

أما « عبد العليم الصديقى » فقد كان ثريا له تجارة ضخمة وله أرباح وافرة ينفقها كلها فى سبيل الله وكان ينفق ماله ووقته فى منطقة جنوب شرق آسيا يدعو أهلها الى الاسلام وتمضى السنوات الطوال على هذا العمل ويرسل من يدخلون فى دين الله الى مكة المكرمة فى موسم الحج حتى يثبت قلوبهم برؤية الكعبة ولقاء المسلمين من كل مكان .

ولقد ذهب الى الصين واليابان داعيا الله مبشرا غير متكل ـــ كما يقول ـــ فى مهمتى الا على الله الذى وفقنى لهذا العمل غـــير مبال بأعدائى الذين يتربصون بى ويقيمون العراقيل فى سبيلى . يقول : غادرت الهند وطفت بالبلاد الصينية مبشرا بالاسلام ثم سافرت الى الجزائر اليابانية وقد هدى الله على يدى ولله الحمد عددا من اليابانيين الذين قالوا لى ان الدعوة الاسلامية لم تصل اليهم وان منهم من لا يعرف ان الاسلام دين الهى وما كانوا يعرفون الا المسلمين المنتشرين بينهم وكانت له رحلات الى شرق أفريقية وجزائرها : دار السلام وموزنبيق ومدغشقر وجزائر القمر وسيشل حيث يعمل دعاة النصرانية هناك بنشاط عظيم وبيدهم المغريات والأموال ينفقونها على الأهالى لسحبهم الى المسيحية .

أما الشيخ عبد الرشـــيد ابراهيم فقـــد ذهب الى سيبريا ثم توغل فى قلب آسيا ، ومنها الى الاستانة والمانيا ولتوانيا وموسكو يقول : رأيت موسكو عبارة عن جسد بلا روح ، وجدت أحد الاصحاب فى موسكو ونزلنا بداره ثم حققت أحوال المسلمين فوجدتهم سحقوا بشكل رهيب حيث قتل جميع أغنيائهم وجميع عائلاتهم كما أغار البولشفيك على جميع الكنائس وسلبوا منها كل شىء .

وزار فى سيديا مدينة اوفا ومدينة ثارا ثم هبط الى التركستان الصينى حيث يوجد ١٢ مليونا من المسلمين الأتراك . ثم يقول : وتوغلت فى بلاد الصين

ووصلت بكين بعد أن قطعت ٦٤٠٠ كيلو مترا وتقدمت منها الى لارى دستوق وعدت الى موسكو ، أما أحوال المسلمين فى الروسيا فهى أفظع ما يكون واذا استمروا على هذا المنوال خمسة عشرة عاما فلا مشاحة انه يزول الاسلام من الروسيا تمام الزوال وقد جمع الروس ٨٠ الف طفل من أطفال المسلمين وأرسلوهم الى ولاية (المورجون) التى لا يوجد بها مسلم واحد ليربوا هناك تربية بولشفية .

هكذا كان دعاة الاسلام يقطعون الارض جيئة وذهابا يبلغون رسالة ربهم لا يخافون شيئا . كان عبد العليم الصديقى ينطلق من الهنـد الى اليابان وعبد الرشيد ينطلق من استانبول الى روسيا الى سبيريا ولقد جاء الرجلان الى الحجاز والى مصر ورآهم أهل جيلنا وتحدث اليهم ، رأيت الصديقى فى المدينة المنورة عام ١٩٤٦ يحكى للاستاذ حسن البنا مشاقه ومتاعبه فى الدعوة ويحاول أن يجد حلا لهؤلاء الذين يسلمون ويقدمون الى الأراضى المقدسة . أما عبد الرشيد فقد قام برحلاته بعد ١٩٠٥ الى البلاد الاسلامية واليابانية وكان قد التقى بجمال الدين الافغانى قبل ذلك ولبث نحو نصف قرن فى نشر الدين الاسلامى . واشترك مع أنور باشا فى حرب طرابلس ، ولمـا قامت الحـرب الأولى ١٩١٤ ذهب الى جبهة القوقاز مع الجيش العثمانى ثم أرسل الى ألمانيا للاتصال بالأسرى المسلمين فيها كما ذهب أيضا الى اليابان وبنى مسجدين فى مدينة من مدنها وصدقت له توقعات جمال الدين الذى توقع بسقوط دولة القيـاصرة . يقول : توغلت فى بلاد الصين ووصلت بكين بعد أن قطعت ٦٤٠٠ كيلو متر وتقدمت منها الى لارى دستوق . وكان قبل ذلك قاضيا فى سيبريا فى محكمة لاطلاعه على نيات القياصرة الخفية ضد المسلمين فسافر الى استانبول وطبع رسالة فى نقد السياسة الروسية على المسلمين . ومن اليابان ذهب الى قوريا والصين وسنغافورة وجزائر ما وراء الهند ولمـا عاد الى الاستانة من أسفاره ١٩٠٩ نشر رحلاته فى مجلدين كبيرين وكان فى أحاديثه عجبا فقد جمع عشرات التجارب والرؤى والقصص والأحداث . كان يتحدث باستفاضة عن جماعات المسلمين ويصف أدواءهم وأدويتهم ، وله عجائب الأسفار وغرائب الأوطار وصفه الشاعر التركى محمد عاكف فى شعره فقال :

كان ينبض قلبه فى جبينه تحيط لحيته الطاهرة الناصعة وعمامته البيضاء الشاهقة بجبهته الواسعة ووجهه الذى يرف عليه ضوء المصباح كما تحيط الهالة بالبدر . سبحان الخالق المعبود ما هذه الصباحة وهذه المهابة ما هاتان العينان ، بل الشهابان السماويان اللذان يحرقان الادراك بشعاع واحد منهما واها لهذه الحزمة النورانية الجائشة من عينيك .

تلك لمحات عن الدعاة الى الله الذين قدموا حياتهم وأموالهم لله فما أحب الينا أن نرى اليوم هذه الصورة مجددة .

المستشرق وآية واحدة من القرآن :

يقول الأسـتاذ كامل كيلانى فيما روى لى من ذكريـاته .. كنت مع الأستاذ فنكل وهو من المستشرقين وكانت بينى وبينه صلات أدبية وثيقة

وكان يأخذ برأيى فى كل المشاكل التى تقابله فى الأدب لما يعتقده فى من الصراحة ، ففى ذات يوم همس فى أذنى ، قال خبرنى عن رأيك بصراحتك المعهودة ، أممن يعتقدون اعجاز القرآن أنت أم لعلك تجارى جمهور المسلمين الذين يتلقنون ذلك كابرا عن كابر . وابتسم ابتسامة كل معانيها لا تخفى على أحد . وهو يحسب أنه قد القى سهما لا سبيل الى دفعه فابتسمت له : كما ابتسم لى . يقول الأستاذ الكيلانى : وقلت : لكى نحكم على بلاغة أسلوب بعينه يجب أن نحاول أن نكتب مثله أو نقلده فلنحاول ليظهر لنا أنحن قادرون أم عاجزون عن محاكاته وقلت : فلنجرب مثلا أن نعبر عن سعة جهنم فما نحن قائلون : فأمسك بالقلم وامسكت به فكتبنا نحو عشرين جملة متغيرة الأسلوب يعبر بها عن هذا المعنى .

فقلت له مبتسما ابتسامة الظافر الواثق :

الآن تتجلى لك بلاغة القرآن بعد أن حاولنا جهدنا أن نحاكيه فى هذا المعنى .

فقال : هل أدى القرآن هذا المعنى بأبلغ مما اديناه فقلت : لقد كنا أطفالا فى تأديته : فقال مدهوشا : وماذا قال ؟ قلت :

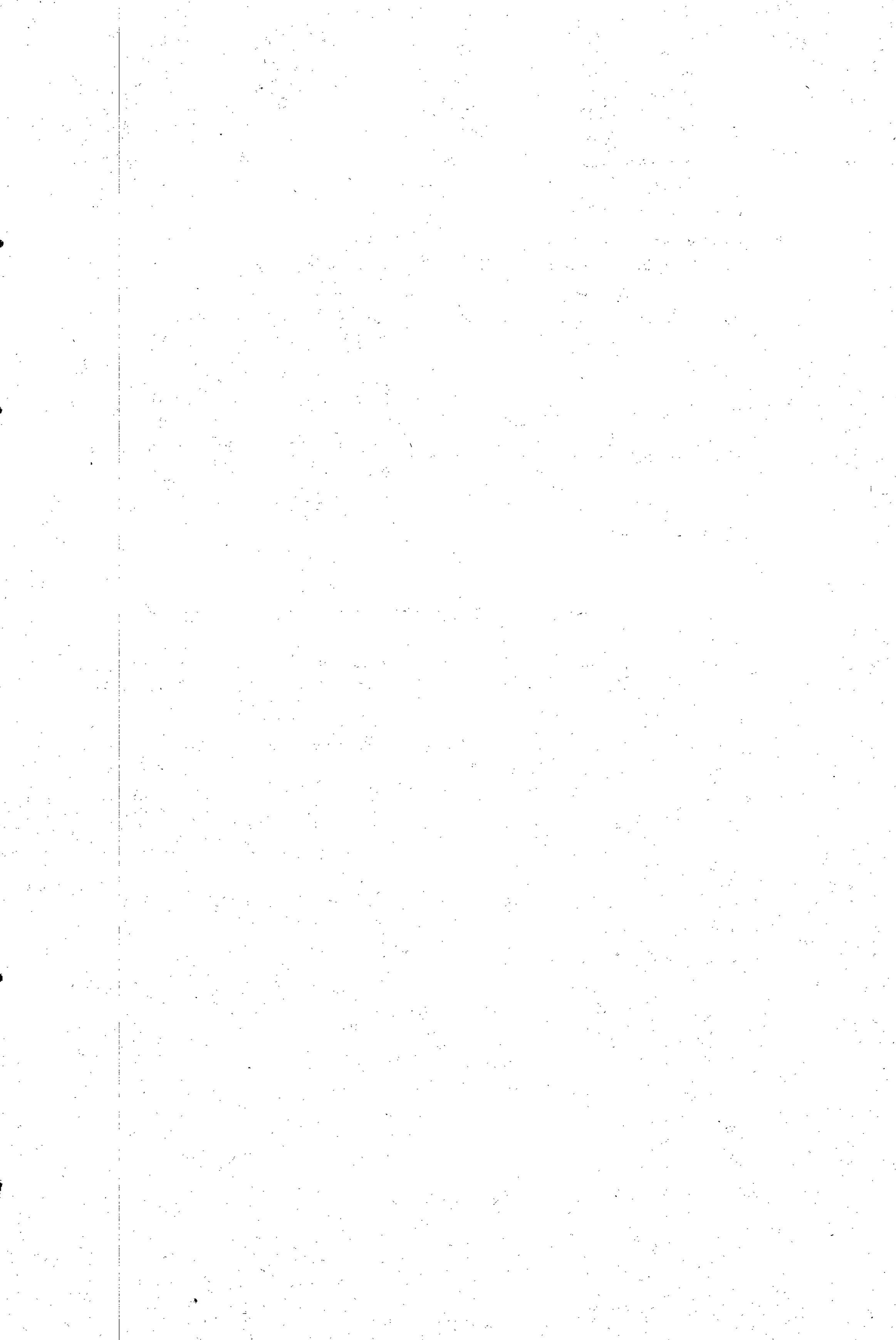
« يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد » .

فصعق أو كاد وفتح فاه كالابله أمام هذه البلاغة المعجزة وقال : صدقت نعم صدقت .

كان كامل كيلانى صغير الحجم ، وافر العبقرية حتى أطلق عليه أحمد شوقى أمير الشعراء عبارة « عقرب الثوانى » وقد اعتبر كامل كيلانى رائد أدب الأطفال فى الأدب العربى المعاصر ، وقد بدأ فى انشاء (مكتبة الأطفال) عام ١٩٢٩ ودأب على اتمامها حتى أكمل منها نحو الف قصة لم يطبع منها فى حياته سوى مائتى قصة .

ولد بحى القلعة بالقاهرة فى ٢٠ أكتوبر ١٨٩٧ وحفظ القرآن فى الكتاب ثم التحق بمدرسة أم عباس وانتقل منها الى المدرسة الوطنية وكان من طلاب الجامعة ابان الفترة الشعبية قبل أن تصبح رسمية . وكان على وشك أن يسافر الى أوربا كما سافر طه حسين وزكى مبارك وغيرهما وقد التحق بالأزهر بعد انتسابه للجامعة المصرية واشتغل بالتدريس فى المدرسة التحضيرية ليعلم الانجليزية والترجمة ، وعمل فى وزارة الأوقاف وسكرتيرا لرابطة الأدب العربى وأمضى الكيلانى وقتا طويلا من حياته فى التأليف والترجمة وتحقيق النصوص الادبية وشرحها فألف ملوك الطوائف ، ومصارع الخلفاء وشرح ديوانى ابن الرومى وابن زيدون وأبو العلاء ثم انصرف الى ادب الطفل حتى وفاته ١٩٥٩ .

***



(٨)

الرافعى والرافعيون : شهداءُ الكلمة

كان الرافعى يرى أن عليه واجبا هو عليه اقدر وبه أجدر أن يكون للدين الاسلامى حارسا ونصيرا وللغة القرآن حاميا وظهيرا ينفث فيها روحا من روحه ويرد اليها مكانتها ويذود عنها أعداءها فلم يجترىء مجترىء من أهل الزيغ والضلال على لغة القرآن أو دين الاسلام الا وتصدى له وكشف عن خبيئة نفسه ونقد مفترياته وأبطل ادعاءاته ببراهينه الدامغة وعباراته اللاذعة واسلوبه العربى الرصين ..

واذا ذكر الرافعى ورد على الذهن توا : اشهر الرافعيين : مصطفى صادق الرافعى صاحب وحى القلم ومدرة الاسلام الذى جاهد خصوم القرآن واللغة العربية ، ووقف كالطود الراسخ أمام تلك المحاولات الخطيرة التى كانت تستهدف حرب الكلمة .

ولكنا لا ننسى فى هذا المجال امين الرافعى صاحب الاخبار والصحفى المسلم المجاهد الذى مات وهو يحتضن اللواء حتى لا يسقط من يده ، وعبد الرحمن الرافعى مؤرخ الحركة الوطنية فى مصر .

أما مصطفى فكان علما على درء تلك المحاولات الخطيرة التى استهدفت لغة القرآن ، وهو الرجل الاعزل الذى وقف فى وجه طه حسين عاما بعد عام ومرحلة بعد مرحلة دون أن يتوقف وكتابه (تحت راية القرآن) خير شاهد على مقاومته لحملة طه حسين الظالمة على القرآن وتلك الحملات التى فجرها لطفى السيد الذى كانوا يطلقون عليه (أستاذ الجيل) على اللغة العربية ، ومن عجب أنه قاد هذه الحملات وهو فى مطالع الشباب عام ١٩١٣ على صفحات البيان التى كان يصدرها عبد الرحمن البرقوقى وكانت كلمته فى مواجهة لطفى السيد ودعوته الى العامية من أقوى ما عرف عن الرافعى من كلمات ومن أصدق ما وجه الى هذه الدعوة المبطلة الضالة .

ولقد كان الرافعى اماما فى اللغة وأميرا للبيان حتى غدا أمثال الأب انستاس الكرملى يوجهون اليه الرسائل فيقول الكرملى فى رسالته :

الى فخر بلغاء المصريين الأستاذ الجليل مصطفى صادق الرافعى رفعه الله الى أعلى مقام .

أبدأ كلمتى هذه بتأدية عبارات الشكر الصادق للهدية التى أطرفتنى

بها وأنت نابغة بلغاء مصر على ما اعتقده من صميم القلب وأحسن دليل لذلك انى اقتنيت جميع مؤلفاتك وزينت بها خزانتى ، فأرنو الى مطالعتها الفينة بعد الفينة ، كلما أردت أن أنزه نفسى وأطربها وأريحها من متاعب الحيـــاة ، اذ حل عندى (وحى القلم) محلا رفيعا لما حوى من مختلف الموضوعات التى جاءت بأفصح عبارة وابلغها ، بل تتحدى كل كاتب أن يأتى بضرعها لا سيما أن اغلبها لم تمر على خاطر من سبقنا فى الكلام ، لهذا اعتبرت دائما الاستاذ الرافعى ــ جاحظ العصر ، وابن مقفعة أو بديع زمانه ، وقد نصحت للكثير من ابناء العراق أن يطالعوا ما كتبته أو ذكتبه ، اذا ما أرادوا الجرى ، فالسبق فى ميدان الفصاحة والبلاغة ورفيع الانشاء (١٩٣٧) .

وليست العبرة فى أن تكون هذه معركة صامتة بين العقاد والرافعى ولكنها تمثل تيارا فيه من الأصالة والتكامل والايمان العميق لمفهوم الاسلام فى هذه السنوات الباكرة من العقد الثالث الميـــلادى لهذا القرن وقبل أن يشتغل العقاد بالدراســـات الاسلامية التى بداها بعد وفاة الرافعى بسنوات .

ومن عجب أن نرى العقاد ينشر فى المقتطف رسالة (أومن بالأدب) فينبرى له الرافعى فى العدد التالى لينشر رسالة تحت عنوان (أومن بالدين) فيقول : لا ثقة لى بمتخلق لا دين له ، فان الخلق يصله بحظ نفسه أكثر مما يصله بواجبات الناس ، ولا بفيلسوف ملحد لان الفلسفة تمزجه بالمادة أكثر مما تمزجه بالانسانية ، ولا بعالم جاحد لأن علمه لا يغفر جحده ولا بمصلح ينسلخ من الدين لأن اصلاحه صورة من غروره ، اولئك لا يدرون أنهم لا يرون ولا يستطيعون الا أن يروا العالم فى حدود أغراضهم الصغيرة الفانية ، اذ كان كل منهم يتناول الكون من حيث يحب هو لا من حيث يجب عليه . ثم يفسر الأشياء فى جزء منها لا فى مجموعها ، ويعتبر الزمن عمرا كعمر الفرد وهو تاريخ الوجود كانها داخلة فى الحد مع انها لو حدث لبطلت أن تكون غاية ذلك أنه لا تسمو حياة الفرد الا اذا كان جزءا من كل ، ولا يجتمع الكل الا اذا كان تاما فيما هو كل به فهو لا يموت ولا ينظر الى الغاية ، وفكرة الكل هذه لا يصدرها ولا يستوفى معانيها الى الخارج حدوده الذاتية الا ــ الدين الصحيح ــ اذ هو خروج بالفرد أبدا الى خارج حدوده الذاتية الصغيرة ، خروج بالفرد من شهواته التى تفصله عن غيره الى واجباته التى تصله بغيره ، وانتزاع له من ذاتيته الى انسانيته ، ودفع بالانسانية نفسها الى الكل الذى هو أسمى .

لن تطاق الحياة الا اذا تبدلت فاتخذت لها اسلوبا غير أسلوبها الآتى من تركيب المادة . وانما صراع الأرض كله حول اقامة هذا الأسلوب الجديد أو هدمه وترميمه ، اسلوب الاخلاق والطباع الشـــديدة التى لا تطيقها الحيوانية فتسميها الايمان ، كل ما يراد انسانية ، وأكبر هذه الانسانية أن تســـد فى الانســـان مسد الدين ويعنى به ، فانما هو فى رايى كطعام أهل الجحيم ، « لا يسمن ولا يغنى من جوع » والطبيعة نفسها تهيىء الانسان للدين بأسلوب غريب هو هذا الحب الذى يخلق فطرة ، ذات أنواع مختلفة متعددة حتى لا يخلو منه أحد فلا معدل عنه ولا محيص .

ويبدو الرافعى فى اهابه : داعية اسلاميا مؤمنًا بالله والوطن فى نشيده الذى يهز القلوب :

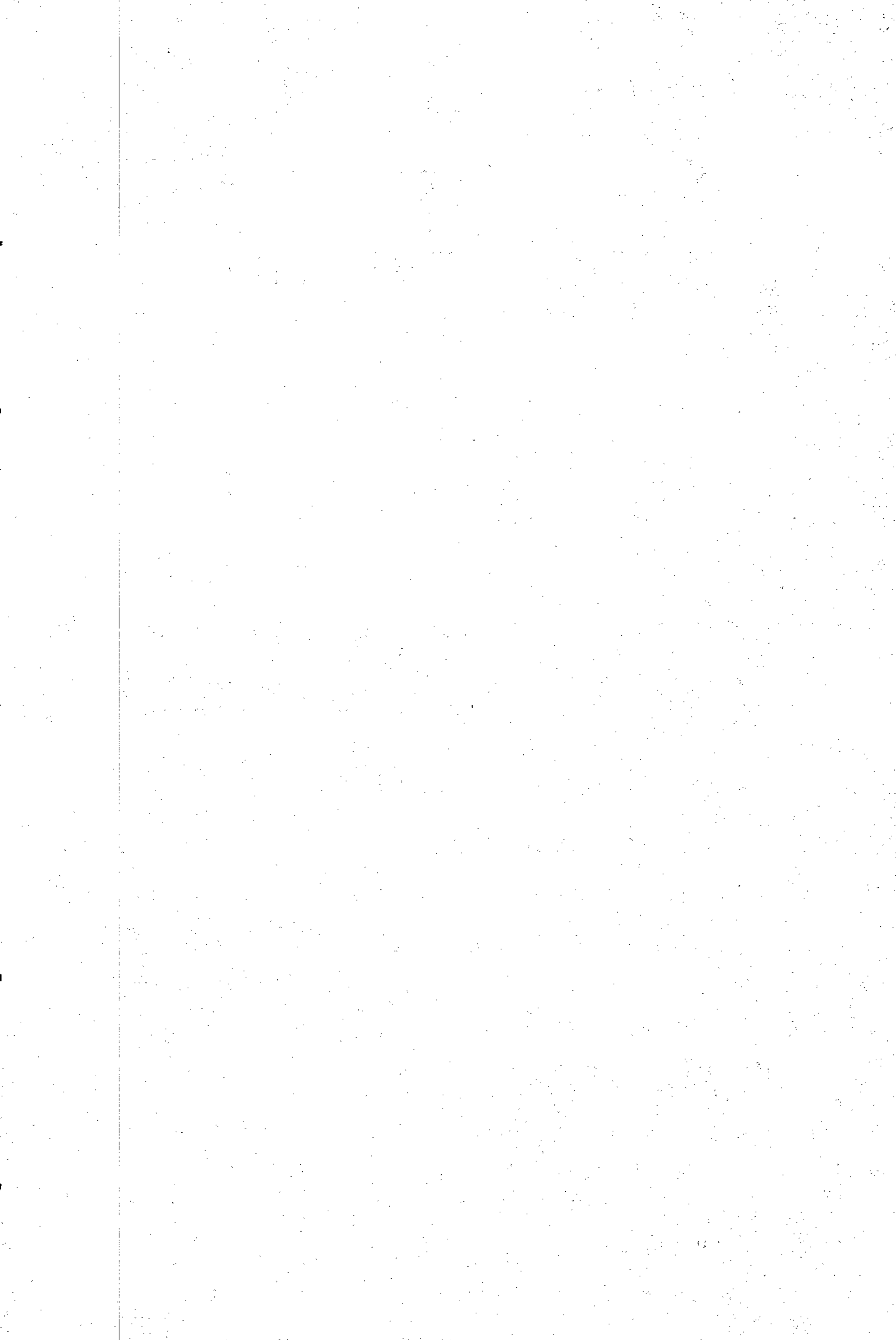
فى ضـــميرى دائمـــا صــوت النبى
آمــــرا : جاهــــد وكابد واتعب
صائحـــــا : غالب وطالب وادأب
صــــارخا : كن أبدا حــــرا أبى
كن ســــواء ما اختــفى وما علن
كن قــويا بالضـــمير والبـــدن
كن عـــزيزا بالعشــــير والوطن
كن عظيمـــا فى الخطـــوب والزمن
رب بالاســـــلام قـــد هديتنـــا
رب من نـــورك قــــد أتيتنـــا
فعــــلى عهـــدك ما أحييتنــــا
أحـــرس الـــكنز الذى وهبتنـــا
أو أمـــوت دونه مـــوت البطـــل
جانبــا أحيـــا بقلب من جبـــل
نـــيرا أحيـــا بروح من شـــغل
جاهـــدا أحيـــا بجســـم من عمـــل

ولقد كان للرافعى شعره الرصين الذى عاش به مع شوقى وحافظ وغيرهم فى عصر واحـــد ، ولكنه رأى أن النثر يستجيب فى أداء رسالته الخالصة للاسلام واللغة العربية والقرآن فانتقل الى ميدان النثر يحلق فيه ويعلو ويتصدر .

يقول الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى : لست أظن أن هناك من لا يعرف الرافعى بشعره الشاعر النابغ وقد أدى رسالته كشاعر كما أداها غيره من فحول شعراء هذا الجيل الذين أحبوا الشعر العربى وأعادوا اليه ماءه ورونقه وبهاءه ونبيه أغراضه وسرى معانيه .

ولقد أخرج الرافعى قديما دواوينه الشعرية المنوعة المبتكرة البديعة حتى اذا رأى أن المنظوم بطبيعته لا يتسع لتأدية رسالته الشاملة عمـد الى أخيه المنثور ، وكان المتوقع أن يكون الرافعى شاعرا فحسب ، ولكنه خالف المعروف عند جمهرة شـــعراء العربية وأظهر بطلان تلك النظرية المتعارفة بيننا والتى قدها المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون من أن الشاعر قلما ينبغ فى المنظوم وقد اختلف الناس فى شأن أديبنا الرافعى فمن راض عنه كل الرضى ومن ساخط عليه كل السخط وأنت اذا حاولت أن تستشف ما وراء هذا السخط رأيت الاعجاب البـــالغ يتلامح لك ، ولكنه القصور والكسل يحمل هذا الفريق على أن يثور ويسخط .

وللحديث عن الرافعيين بقية وما يزال اسم (أمين الرافعى) وحديثه يرسم نموذجا حيا لخلق الاسلام ولكرامة صاحب القلم .



(٩)

الرافعي وإعجاز القرآن

مصطفى صادق الرافعي : امام من ائمة البيان وقلم مجاهد مشروع كالسنان في وجه التغريب والغزو الفكري سنوات طويلة منذ بدأ لطفي السيد (أستاذ الجيل) عام ١٩١٢ يهاجم الفصحى — الى أن مات عام ١٩٣٧ وهو يقاوم مصطفى كمال أتاتورك وطه حسين وسلامة موسى ويدافع عن الاسلام ، في البيان والرسالة وعلى صفحات البلاغ وكوكب الشرق وذلك تاريخ طويل على شبابنا أن يتابعه في كتب المعارك الأدبية ويعنينا منه هنا ذلك الموقف الذي وقفه حينما دعا سلامة موسى الى فكرته المسمومة حول ميراث المراة ، فنرى له هذا الرأى الحاسم الذي يقف فيه الرافعي موقف المؤمن الذي يستلهم القرآن فيلهمه ، يقول :

ان ميراث البنت في الشريعة الاسلامية لم يقصد لذاته بل هو مرتب على نظام الزواج منها وهو كعملية الطرح بعد عملية الجمع لاخراج نتيجة صحيحة من العمليتين معا ، فاذا وجب للمراة ان تأخذ من ناحية وجب عليها أن تدع من ناحية تقابلها ، وهذا الدين يقوم في أساسه على تربية اخلاقية عالية ينشيء بها طباعا ويعدل بها طباعا اخرى فهو يربأ بالرجل ان يطمع في مال المرأة أو يكون عالة عليها فمن ثم أوجب عليه أن يمهرها وأن ينفق عليها وعلى أولادها وأن يدع لها رأيها وعملها في أموالها ، لا تحد ارادتها بعمله ولا بأطماعه ولا بأهوائه وكل ذلك لا يقصد منه الا أن ينشأ الرجل عاملا كاسبا معتمدا على نفسه مشاركا في محيطه الذي يعيش فيه قويا في أمانته منزها عن مطامعه متهيئا لمعالي الأمور .

فان قلت كما يقول (سلامة موسى) ان في الحق ان تنفق المراة على الرجل وأن تقدم له المهر ثم تساويه في الميراث قلنا : اذا تقرر هذا واصبح يعمل به بطل زواج كل الفقيرات وهن سواد النسوة اذ لا يملكن ما يمهرن به ولا ما ينفقن منه وهذا ما يتحاماه الاسلام لأن فيه فساد المجتمع وضياع الجنين جميعا ، وهو مقصد بطبيعته القاهرة الى جعل الزواج للساعة واليوم وللوقت المحدد ، ولايجاد لقطاء الشوارع بدلا من ان يكون الزواج للعمر وللواجب ولتربية الرجل على احتمال المسئولية الاجتماعية بايجاد الأسرة وانشائها والقيام عليها والسعي في مصالحها .

ومن هنا وجب أن ينعكس القياس اذا أريد أن تستقيم النتيجة الاجتماعية

التى هى فى الغاية لا من حق الرجل ولا من حق المرأة بل من حق الأمة ، وما نساء الشوارع ونساء المعامل فى أوروبا الا من نتائج ذلك النظام الذى جاء مقلوبا فهن غلطات البيوت المتخربة والمسئولية المتهدمة وهن الواجبات التى القاها الرجال عن أنفسهم فوقعت حيث وقعت . ثم ان هناك حكمة سامية وهى أن المرأة لا تدع نصف حقها فى الميراث لأخيها يفضلها فيه ، بعد الأصل الذى نبهنا اليه الا لتعين بهذا العمل فى البناء الاجتماعى اذ تترك ما تتركه على أنه لامرأة أخرى هى زوج أخيها فتكون قد أعانت أخاها على القيام بواجبه للأمة وأسدت للامة عملا آخر أسمى منه بتيسير زواج امرأة من النساء . فأنت ترى أن مسألة الميراث هذه متغلغلة فى مسائل كثيرة لا منفردة بنفسها وانها أحكم الحكمة اذا أريد بالرجل رجل أمته وبالمرأة امرأة أمتها ، فأما اذا أريد رجل نفسه وامرأة نفسها وتقرر أن الاجماع فى نفسه حماقة ، وأن الحكومة خرافة ، وأن الأمة ضلالة فحينئذ لا تنقلب آية الميراث وحدها بل تنقلب الحقيقة .

ويصل الرافعى الى القمة حين يقول :

للمرأة حق واجب فى مال زوجها وليس للرجل مثل هذا الحق فى مال زوجه . والاسلام يحث على الزواج بل يفرضه فهو بهذا يضيف الى المرأة رجلا ويعطيها حقا جديدا فان هى ساوت أخاها فى الميراث مع هذه الميزة التى انفردت بها انعدمت المساواة فى الحقيقة فتزيد وتنقص اذ لها حق الميراث وحق النفقة وليس له الا مثل حقها فى الميراث اذ تساويا . ثم يقول : انه لا يجوز أن يتكلم فى حكمة الدين الاسلامى الا اذا كان قوى الخلق فان من لا يكون الشىء فى طبعه لا يفهم الا فهم جدال لا فهم اقتناع .

* * *

آخر العمود :

ان الرجـــوع الى الدين والى تاريخنا يولد الثقة بالنفس ويدفع الى الشجاعة والتضحية وقـــد فتح العرب الدنيـــا بفضل ايمانهم وان قوات الكوماندوز العربية فى حرب ١٩٤٨ وكان عددها لا يتجاوز ١٥٠٠ جندى يقودهم عدد محدود من الضباط لا يتجاوز العشرة وعلى رأسهم الشهيد أحمد عبد العزيز لم ينهزم فى أى معركة خاضها ضد القوات الصهيونية بفضل تمسكها بالدين وايمانها . ان عامل التطور فى نوعية السلاح عامل هام لا يمكن اغفاله ولكن الايمان هو العامل الحاسم الذى يحدد نتيجة أى معركة ، ذلك أن الايمان هو الروح ، وهو الحافز وهو الامل للمقاتل واذا غاب الايمان تحول المقاتل الى جسد بلا روح والى آلة بلا أمل .

عبد الرحمن عزام

(١٠)

الرافعيون

فى مدينة طرابلس الشام وقبل قرن من الزمان عرف تاريخ الاسلام تلك الأسرة الرافعية التى كانت تتصدر مجالس القضاء : وعلى رأسها عبد الغنى الرافعى الذى وصفه صاحب كتاب (نفحة البشام فى رحلة الشام) بأنه مفرد عصره ووحيد دهره العلم المفرد والكوكب الأزهر المنير شيخ العلماء بطرابلس وهو من سلالة الشيخ عبد الرازق الرافعى وقد انتشر فضل هذا البيت الكريم الى آفاق البلاد الاسلامية والعربية وحظيت منه مصر بثمرة فى مجال الفكر والتاريخ والسياسة والصحافة تمثلت فى مصطفى صادق الرافعى أمير البيان وأمين الرافعى أصدق من كتب فى الصحافة وعبد الرحمن الرافعى صاحب سلسلة تاريخ مصر القومى وفى مقدمتها مصطفى كامل ومحمد فريد . وقد عرف المثقفون العرب والمسلمون كثيرا عن مصطفى وعبد الرحمن ولكنهم لم يعرفوا الا قليلا عن ذلك الرجل الصامد الذى واجه القوى المختلفة أعزل الا من قلمه وايمانه ووقف يدافع عن الحق دون أن يخشى شيئا وقد وصفه محمد توفيق دياب صاحب الجهاد بأنه وقف من حصن مبادئه على صخرة صلبة عالية لا ترتفع اليها مجريات الحوادث الواقعة ولا يجذبه عنها ما يجرى به الوادى الخصيب على العمليين من خيرات ونعم ، كلا ولا يزحزحه خطب ملم أو عاصفة كاسحة .. وصفه عارفوه بأنه كان طريقة وحدة اداء الأمانة الصحفية وكانت الأمانة فى الصحافة الا يقبل فيها اغراء ولا يراعى نسبا ولا كسبا ولا غنما فلم يخدعه زخرف الدنيا ولا مالها ولطالما عرضت عليه المناصب فكان يقول ان مهمتى فى هذه الأمة أن أقول ما أعتقد وان أقوله فى الصحافة وقد أدى رسالة الصحافة بكل أمانة سواء فى اللواء أو الشعب أو العلم أو الأخبار أو على صفحات الصحف الوطنية خلال عشرين عاما (١٩٠٧ — ١٩٢٧) يقول أنطون الجميل : من رأى أمينا مكبا على مكتبه من الصباح الى المساء يطالع جميع الصحف الوطنية والأجنبية ويأخذ عنها ما يؤيد عقيدته وايمانه ويطالع كل مؤلف حديث لهذا الغرض وحده ويحرر ويصحح وينقد ويراجع كل ما يكتب فى جريدته حتى الاعلانات اتقاء كلمة واحدة لا تنطبق على يقينه ومعتقده والمرض ينحت جسمه نحتا والسقم فيه يزيد يوما بعد يوم .

وقد كان من أكبر أحداث حياته أنه أغلق صحيفة الشعب حتى لا ينشر بنفسه وفى صحيفته اعلان الحماية على مصر ١٩١٤ وقبل أن يئد جريدته وأن يعرض نفسه للسجن خلال الحرب العالمية الأولى والبريطانيون محتلون

لمصر ومتحكمون فى كل أمورها أغلق جريدته الشعب وهى فى أوج عظمتها وفى قمة الصحف ذيوعا وعندما أعلن الانجليز (الحماية على مصر) بدعوى زوال السيادة التركية لم يلبث أن أغلق صحيفته حتى لا ينشر ما لا يؤمن به مما فرضته السلطة المحتلة على الصحف . وقد اعتقله الانجليز وزجوا به فى السجن أحد عشر شهرا لم تنل من عقيدته ، وعاد بعد ثورة ١٩١٩ لينشىء جريدة جديدة هى جريدة الأخبار وفى هذه المرحلة دخل فى أخطر مصارعاته مع السياسة فقد اختلف مع سعد زغلول وهو فى قمة زعامته وعارض اسلوبه فى المفاوضات مع الانجليز وذكره بعهود ومواثيق كان سعد قد أعلنها من قبل ووضع بها ضوابط للاتصال بالانجليز ثم خرج عنها وكان أمين يعلم مغبة خصومته لسعد ولكنه لم يبال الا أن يقول كلمة الحق مهما كلفه ذلك من مسئولية .

يقول الدكتور محمد حسين هيكل : كنت عند أمين الرافعى فى مكتبه أيام كان يختلف مع سعد باشا فى نظرية المفاوضات وفيما نتحدث أقبل جماعة من الطلبة تقدم اليه أحدهم قائلا : اننا قد جئناك لتبين لنا ما يضر البلاد من هذا الخلاف الذى بينك وبين سعد فالناس جميعا يعرفون فيك الاخلاص والصدق فكان جوابه :

ان الذى وهبنى قلمى وعقلى أوجب على أن لا أقول الا الحق ولا أصدق بأن الحق يمكن أن يضير . انما الضرر كل الضرر فى الدعوة الى ما ليس بحق واتباعه وسأتابع السير فى خطتى أيا كانت النتائج وما أنا براجع عن السير حتى ينفصل رأسى عن جسمى ..

وقد ظلت الاخبار تخرج كل يوم تحمل لواء هذا الرأى حتى اضطرت آخر الأمر الى الاحتجاب ولكنها لم تحتجب الا بعد شهور طوال كان أمين يعمل كل جهده لسبب واحد ذلك انه كان يفزع لفكرة احتجاب الأخبار .

وكان ذلك مقدمة للنهاية فقد سقط الرجل صريع كلمة الحق ..

وقد كتب فى مذكراته يصور هذا الموقف فقال :

اعتقدنا صحة هذا الرأى فأصبح من واجبنا المقدس أن نصرح به وندافع عنه الى النهاية لأن من الخيانة أن نكتم عقيدة وطنية ندين بها بل نحن نعلن اننا مستعدون للاستشهاد فى سبيلها وسفك اخر نقطة فى دمنا من أجل الدفاع عنها . لقد قمنا بواجبنا الوطنى يوم أن استطعنا الى ذلك سبيلا وكنا عالمين حق العلم اننا سنلاقى فى هذا السبيل عقبات شديدة تسلبنا راحتنا وهناءنا وقد تودى بحياتنا نفسها كنا عالمين بذلك فلم نتردد ولم ننكص على أعقابنا بل آلينا على أنفسنا أن نقدم بالارتياح التام كل تضحية لأن الواجب بطبيعته يقتضى هذه التضحية ولما قررت الحكومة الانجليزية بسط الحماية على مصر أبينا كل الاباء أن نكتب كلمة تحت هذا النظام الجديد الا بالاحتجاج عليها وآثرنا اغلاق جريدتنا وعارض الشعب فى ذلك وهددنا اذا نحن اقفلناها وطلب منا أن نستمر فى اصدارها وان نسكت على النظام الجديد ان لم

نحبذه . هددنا بأشد أنواع التهديد هددنا بالنفى وهددنا بالمشانق وهددنا باستخدام كل أنواع القوة ضدنا فلم يتزعزع ايماننا والحمد لله ، بل قلنا لمهددينا انهم يملكون روحنا ينتزعونها من بين جنوبنا ولكنهم لا يملكون أن ينتزعوا منا مبدأنا الذى نلقى الله عليه .

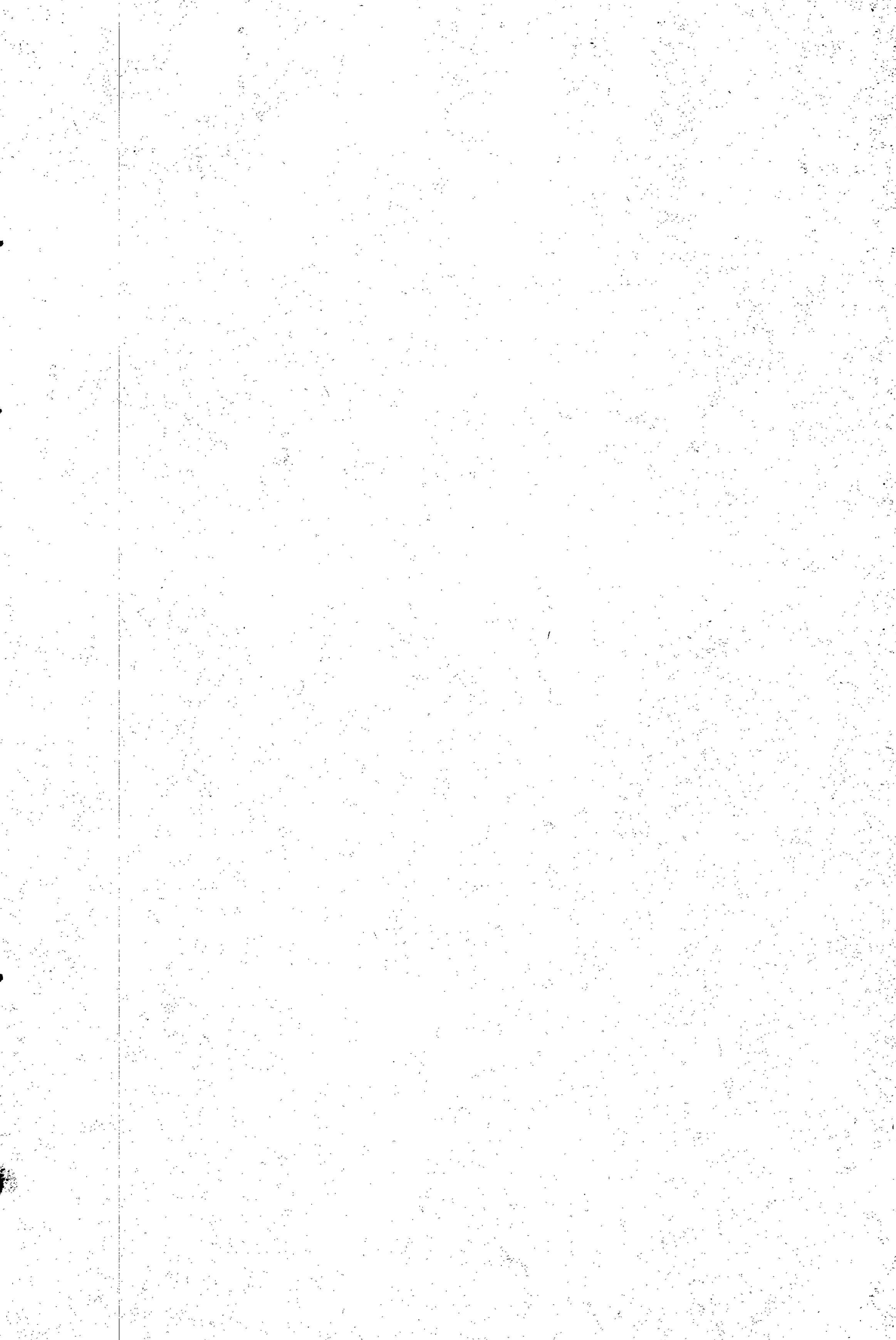
وقد ظللنا مضطهدين أعواما متعددة وأدى احتفاظنا بمبدئنا الى تحمل متاعب الاعتقال أشهرا طوالا كل ذلك بقصد التأثير فينا وزعزعة عقيدتنا الوطنية فلم ينالوا منا مأربا ولم يزحزحونا قيد شعرة عن موقفنا .

ولما كان هذا موقفنا بالأمس فسيكون هذا موقفنا اليوم وغدا وبعد غد حتى تنقطع صلتنا بهذه الحياة طالت أيامنا أو قصرت فاننا لا نعبأ بحياة نحياها الا اذا وقفناها على خدمة الوطن وفى سبيل الوطن ولا نعبأ بحياة الا اذا كان قلمنا حرا يكتب ما يمليه عليه الضمير وما يرسمه القلب .

فنحن لا نعبد الا الله ولا نخضع الا لضميرنا ، أما اذا كان معنى الحياة ان الغير يسيرنا واننا نكون آلة فى يد كائن من كان فاننا نرفض هذه الحياة ونحتقرها لأننا ما عشنا الا للحرية وما وهبنا حياتنا الا أن نكون احرارا فى عقائدنا أحرارا فى أفكارنا أحرارا فى آرائنا أحرارا فى خططنا .

نقول هذا لأن فريقا من حضرات الطلبة جاءوا الينا واراد بعضهم أن نحطم القلم فلا نكتب الا ما يمليه عليه ضميرنا واراد البعض الآخر ان نكتب ما نشاء ولكن لا ننشر لغيرنا ممن يؤيدون رأينا وكل هذا ضغط على حرية الرأى لم نقبله منهم ولن نقبله ولو تألب علينا العالم بأسره لأننا لو سلمنا تحت تأثير تهديد أو وعيد فقد حكمنا على أنفسنا بأننا عبيد لفكرة غيرنا ومتى كنا عبيدا لفكرة الغير فان التهديد اذا جاء الينا من الأجانب خضعنا له وبذلك نصبح أبواقا لغيرنا ولقد كنا ولا نزال وسنبقى الى الأبد معبرين عن ضميرنا وحده ولا نقبل أن نشرك احدا فى الضمير الذى به نحيا وبصوته نسترشد وبأمره نهتدى وفى سبيله نموت » .

هذه صفحة مشرقة من المفهوم الوطنى القائم فى اطار الاسلام فى مرحلة واجه فيها النفوذ الأجنبى من تلك الأقلام المؤمنة بالله الصامدة فى سبيل كلمة الحق التى ما كانت لتتراجع أبدا أمام صولة الظلم والاستعمار ومن هؤلاء كان ذلك الجيل العجيب : مصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاويش . وكان الرافعيون قادة هذه المدرسة وهذا الاتجاه .



(١١)

حقائق عشر فى حياة « إقبال »

ما يزال « اقبال » علما على خط واضح فى الفكر الاسلامى الجديث لا يمكن تجاهله . وهو خط أصيل مستمد من حركة اليقظة الاسلامية التى بدأتها حركة التوحيد فى الجزيرة العربية ، والتى كانت تحاول أن تعالج أكبر المشكلات النفسية والاجتماعية فى قارة المسلمين الهندية وهى غلبة الجبرية والتواكل والعجز عن مواجهة الغزو الفكرى الغربى وتلك قضية عالجها اقبال عن بلاده الهند الاسلامية ولكنها كانت فى الواقع ولا تزال قضية العالم الاسلامى كله . وما تزال كلمات اقبال حية نابضة تستثير المشاعر وتهز النفوس حتى الآن . لقد اختار (اقبال) اسلوب الشعر للتعبير عن رايه ولطرح مفهومه فى هذه القضية . لقد درس اقبال الاسلام وفهمه فهما عميقا ، وعاش حياة أمته ، وسافر الى الغرب واستوعب الفكر الغربى وأفاد من دراسات الاقتصاد والفلسفة فى المانيا وانجلترا ، ووقف من حضارة الغرب موقف الأصالة والتحرر فهى لم تستوعبه أو تحتوه ولكنه كان قادرا لعمق خلفيته الاسلامية وفهمه لوجود أمته الاسلامية وكيانها الذى له طابعه الذاتى — كان قادرا على دحض فكرة التبعية الغربية بل انه كشف عن فساد الحضارة الغربية وعجزها عن العطاء للمجتمع الاسلامى .

وبالرغم من كل ما يؤخذ على اقبال من انه اتخذ اسلوبا فلسفيا فى تقديم مفهومه للاسلام ، الا أنه لا يؤخذ عليه انه خرج عن مفهوم اهل السنة والجماعة بحال .

ويمكن القول ان اقبال كشف عددا من الحقائق الهامة :

أولا — كشف عن الدور الضخم الذى حققه الاسلام وحضارته فى تقديم المنهج العلمى التجريبى الذى أقامت عليه أوروبا الحضارة الجديدة وقد عاب على العرب تجاهل هذه الحقيقة أو انكارها زمنا .. يقول : لقد كانت أوروبا بطيئة يوما ما فى ادراك الأصل الاسلامى لمنهجها العلمى وليس ثمة ناحية واحدة من نواحى الازدهار الأوروبى الا ويمكن ارجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة الاسلامية والعقلية العربية بصورة قاطعة . وتتبدى كل هذه النواحى فى كل فروع العلم والبحث العلمى وظروف التجربة والملاحظة والمقاييس التى أدخلها العرب الى العالم الأوروبى .

ثانيا — كان شديد الانكار على الأفكار الاعجمية التى تسربت الى الفكر

الاسلامى من الفكر الوافد وخاصة فى مجال التصوف الفلسفى والتى تغلغلت فى أحشاء الجسم الاسلامى على نحو دفع المسلمين الى الانسحاب من ميدان الحياة وانطووا على أنفسهم وآثروا العزلة على الحياة الاجتماعية بينما الاسلام دين الجهاد والكفاح والاصطدام بالاوضاع الفاسدة فقد كانوا بالليل رهبانا وبالنهار فرسانا بينما عاد الشرقى المسلم فى بعض جهات الشرق الى الاستكانة مع تصوف البوذية والعجم من جديد .

ويقول : لقد قصد الرسول صلى الله عليه وسلم الى انشاء أمة صاحية .

ويقرر اقبال ان الأمة الاسلامية لم تتأخر ولم تتراجع الى السلبية القاتلة (تصوف البوذية والعجم من جديد) الا بعد انهيار سلطانها السياسى ودخول القيادات الترمطية الفارسية بمختلف أفكارها الهاربة الداعية الى الهرب من الحياة والداعية الى قتل الذات وافنائها ، وكل أمة يصيبها ضعف كالأمة الاسلامية تتبدل أفكارها وتجمل الاستكانة فى أعينها وتركن الى ترك الدنيا وفى ترك الدنيا تخفى ضعفها وهزيمتها فى تنازع البقاء . وان تلك النظريات التشاؤمية فى مختلف الدوائر المنحرفة قد استمدت زادها من الفلسفات اليهودية والمسيحية .

ثالثا ـ كشف اقبال عن أخطاء التفسيرات التى قدمها الأحبار والرهبان بشأن خطيئة آدم أو افتداء السيد المسيح لخطيئة البشر . ويقول اقبال : اذا درسنا القرآن نجد انه صحح المفاهيم التى أخطأ النظر فيها قارئو العهد القديم والجديد حين أوضح ان الله سبحانه جعل الأرض مستقرا ومتاعا ومكانا للسعى وتمكينا للمعاش ولم يجعلها لعنة أو ساحة تعذيب سجنت فيها البشرية الشريرة العنصر بسبب ارتكابها الخطيئة . ولقد تاب الله تبارك وتعالى على آدم وغفر له . ثم ان عمل الخير لا يمكن أن يكون قسرا بل هو خضوع عن طواعية واختيار للمثل الأخلاقى الأعلى خضوعا ينشأ عن تعاون الذوات الحرة الممتازة عن رغبة ورضى والكائن الذى قدرت على حركاته ميكانيكية الجبرية هو كالالة لا يقدر على فعل الخير .

رابعا ـ هدم اقبال نظرية وحدة الوجود بكل مفهوماتها المنفصلة عن روح التوحيد وقال ان محى الدين ابن عربى فسر آيات القرآن الكريم على أساس مذهب وحدة الوجود اى جعل مسألة وحدة الوجود عنصرا هاما فى الفكر الاسلامى اصطبغ به كل شعراء العجم فى القرن السادس الهجرى وان هذه الافكار دخيلة على الاسلام ومأخوذة من الجيتا الهندية وان شعراء الفرس حين خاطبوا القلب فى اثبات وتوكيد وحدة الوجود كانوا اشد خطرا واعنف أثرا حتى شاعت هذه المسألة بين العامة فسلبوا الأمة الاسلامية الرغبة فى العمل ، وهذا ما دعا اليه سبنوزا .

ومن هنا كانت دعوة اقبال فى مواجهة فساد المفاهيم الفلسفية الصوفية التى اذاعها ابن عربى والحلاج وغيره لتحرير المسلم من اليأس والتواكل ودفع المسلمين الى العمل . فقد حاول أن يبعث فى شعره روحا جديدة

فى العالم الاسلامى ليخرج الشرق العربى والهندى والفارسى من الظلمات الى النور ومن الضعف الى القوة وهو فى دعوته يضع العلاج الناجح لمرضى العزيمة وضحايا القنوط واليأس وقد كان من أعداء اليأس والتواكل .

خامسا — كان يرى فى القرآن الكريم أعمالا وحقائق لا أفكارا ، وكان يرى القرآن أوامر ونواهى ، ويعتقد أن كل آية تنطوى على حركة وحياة تدفع المسلمين الى الأمام عن طريق الفتح وأن الاسلام كشف القناع عن أسرار الكون .

سادسا — يرى اقبال ان الاسلام ليس وطنية ولا هو امبراطورية وانما عصبة أمم فهو يعترف بالجنسيات ويعترف بالحدود والحواجز الجغرافية وسواها من باب العلم بالشىء فقط وليس لتضييق الأفق الاجتماعي وتحديده وكان يقول : ان أخطر ما يهدد حياة العالم الاسلامى هى الوطنية المنفصلة عن الدين .

سابعا — دعا اقبال الى وجوب دعم الذات التى تقوى وتعد نفسها لكفاح دائم متواصل لا يعرف أناة ولا هدوءا . ويقول أن الجهـــاد الدائب هو حافظ الحياة وأن الجهاد فى سبيل المقصد أعظم لذة من بلوغه . ان الأقوام المغلوبة هى التى خدعت الأقوام الغالبة عن نفسها وزينت لها فكرة نفى الذات ، على الانسان أن يقدر نفسه حق قدرها وأن يجعلها فى المحل الأسمى اذ الانسان أعلى الخليقة والعالم كله مسخر له .

وقد استمد اقبال مفاهيمه من كلمات الله تبارك وتعالى : ((**ولقد كرمنا بنى آدم**)) وان الانسان مستخلف لله فى الأرض وقد سخر له تبارك وتعالى قوى الكون . ويقول : ان حرية الانسان تتركز فى أمور ثلاثة : (الايمان — التفكير — العرفان) والفرد يجتاز كل مرحلة منهـــا حسب قدرته وارادته ويتقمص الايمان بالطاعة والرضي بأحكامه ومبادئه وهذه الطاعة مع الانقياد لا تمنع المرء عن السير فى جادة ارتقائه الذاتى .

ثامنا — يرى اقبال أن الخطر العظيم الذى يهدد الاســـلام هو روح العصبية فى الشعوب : تلك الروح التى لها دلائل كثيرة فى معظم البـــلاد الاسلامية ، وأن أمما مسلمة دعتها العصبية الى الانحراف عن جمهور المسلمين وأخذوا يفخرون بما كان لهم من تاريخ قبل الاسلام ، وقد اشتد الشعور الجنسى فى تركيا ومصر حيث أخذ الناس يفخرون بتاريخهم الوثنى القديم بخواقينه وفراعنته .

ويقول : ليس فى الاسلام قوميات ولا هو نزعة امبراطورية ، بل هو جمعية أمم .

تاسعا — يرى اقبال أن الرأسمالية والشيوعية هما فرعان من دوحة المادية وأسرتان للحضارة الغربية ، احداهما شرقية والأخرى غربية ، يلتقيان فى النسب المادى والتفكير المادى والنظر المحدود الى الانسان ..

أن الرأسمالية والشيوعية يلتقيان على الشره والنهامة والقلق والسآمة والجهل بالله والخداع للانسانية . الحياة عند الشيوعية « خروج » وعند الرأسمالية « خراج » والانسان البائس بين هذين الحجرين قارورة زجاج . ان الشيوعية تقضى على العلم والدين والفن ، والراسمالية تنزع الروح عن أجسام الأحياء ، وتسلب القوت من أيدى العاملين والفقراء . لقد رأيت كلتيهما غارقتين فى المادة جسمهما قوى ناضر وقلبهما مظلم فاجر .

عاشرا — يقرر اقبال أن الحضارة المعاصرة غير قادرة على اسعاد البلاد الاسلامية واعادة الحياة اليها . هذه الحضارة التى اشرفت على الموت لا تستطيع أن تحيى غيرها . فقد جزت من احسان هذه البلاد الشرقية اساءة من جانبيها وكافأت خيرها بشر ، فقد منحها الشام نبيا رسالته العفة والمواساة والرحمة ومقابلة الشر بالخير ، والظلم بالعفو وقد منحته اوروبا — بدورها ومقابل ذلك — الخمر والقمار والفجور وهجوم المؤسسات . ويرى اقبال أن الحضارة ملوثة غير عفيفة .. وقد جردها تلوث الروح من الضمير الطاهر والفكر السامى والذوق السليم فتسلط عليها القلق الدائم ، وهي غير متهيئة لفتح جديد فى الفكر واشراق من عالم الغيب وهى حضارة شابة بحداثة سنها ولكنها محتضرة تعانى سكرات الموت وان لم تمت حتف انفها فستنتحر وتقتل نفسها بخنجرها .

آخر العامود :

لا تزين مقامك على الشاطىء لأن هناك فى الأعماق صوت الحياة ، فغص فى البحر وصارع الأمواج ، فان خلود الحياة فى الجهاد ، انا صوت شاعر الغد وفاكهتى ليست لهذه السوق ، وان هذا الصوت لقافلة أخرى أنا العاشق والصراخ ايمانى وضجيج الحشر معشوقى ، انظر الى نفسك فان قوة الطوفان كامنة فيك . اجعل أشعارك فى كل زمان ، لا تخلف الميعاد لأنك لو غيرت نظرتك فالعالم يتغير لك .. ان المسلم ليس يتعبد لأحد سوى الله وهامته لا تنحنى لأى فرعون على الأرض . ان نسبك أيها المسلم هو الدين فان لم تثبت عليه طرت انت من هذا العالم مثل غبار الطريق .

« اقبال »

* * *

(١٢)

وأَنت أَيضًا : فهمت خطأً عن الإِسلام

كانت الأغنية المشهورة فى مختلف اجزاء هذه المنطقة الطويلة الممتدة بين المانيا وايطاليا تقول : ((أوخدوا)) او ما معناه (وانت ايضا) .

فلما اراد المهندس محمد توفيق احمد ان يتحدث مع الناس عن الاسلام ، اشترى عشرين أو ثلاثين لوحة من الساج وكتب عليها هـذه العبارة : (وانت ايضا : فهمت خطا عن الاسلام) .

وكان المسافر فى قطار الشرق لا يخطىء بصره هذه اللوحات المنثورة فى المحطات على طول الطريق ، من النمسا الى زيورخ الى بادن وغيرها فيعجب لهذه اللوحات التى استهل بها هذا الرجل عمله قبل خمسين عاما يدعو الناس الى الاسلام والذى ما زال ممسكا بزمامه وقد ارتفع فوق السبعين من العمر يعمل فى صمت واخلاص قاصدا وجه الله وحده .

وظلت اللوحات معلقة بعد أن عاد الى مصر سنوات طويلة ، يرسل باشتراك بقائها فى المحطات ، وقد وضع عنوانه ليكتب له الناس ، وكانت سمعته خلال السنوات التى اقامها هناك قد امتدت الى كل مكان ، فقد كان يعقد الندوات ويلقى المحاضرات ويكتب فى الصحف ويطبع الرسائل .

لقد علمت خطأ عن الاسلام : ان كنت تريد أن تعرف الحقيقة فاكتب الى فلان فاذا ارسلت اليـه أرسل لك كتبا صغيرة موجزة وقال لك : ارسل لى أسماء خمسة من أصدقائك ما يلبث أن يرسل لهم بطاقاته وكتبه .

وقد امتد عمله فى النمسا والسويد والنرويج وفرنسا ، واليوم نسأل فنقول انه وصل الى أمريكا الشمالية والجنوبية وأمريكا اللاتينية .

نما هذا العمل الصامت الخالص لوجه الله وفى سبيل التعريف بالاسلام وتحرير مفاهيمه حتى جاءت بطاقات الدخول فى الاسـلام تحمل ٢٦٥٠ وقد كتب الى مائة الف من البشر بلغهم حكم التوحيد فكسب منهم أصدقاء وكسب منهم مسلمين ونشأ من خلال ذلك فى هذه الأقطار مجتمعات اسلامية صغيرة ، وما تزال الرسائل تحمل له كل يوم مئات يرد عليها ويعالج امور اهلها ويحل لهم مشاكلهم .

يتحدث المهندس محمد توفيق احمد فيقول : اسست دار تبليغ الاسلام عام ١٩٢٦ لاعطاء الأجانب فكرة صحيحة عن الدين الاسلامى بلغاتهم الانجليزية والفرنسية واليونانية ورسائلها مترجمة الى اللغات الحية والاسبرانتو والتشيكوسلوفاكية والألمانية والايطالية والاسبانية وهى تنشر مجانا فى جميع بقاع الأرض ، وقد حققت أحسن النتائج فان الوف المثقفين فى أنحاء العالم قد اقتنعوا برسالة الاسلام الحقة ، وفى النية اصدار دليل المسلم مترجما الى جميع اللغات الحية ليستعين به الأجانب على معرفة تفاصيل الاسلام ودقائقه ، كما أصدر بطاقات فى حجم تذاكر البريد تحمل رسومات ذات معنى سام : ومنها بطاقة ذكرى فتح الأندلس وفتح القسطنطينية وبطاقة بيت المقدس .

بدأ المهندس محمد توفيق أحمد عمله هذا فى أوروبا نفسها ، حين ذهب اليها طالبا للدراسة فاتصل بالناس واحس بشوق الناس هناك الى معرفة هذا الحق وكان الناس يتحدثون اليه متسائلين مستفهمين . هنالك شعر بالمسئولية ، واخذ يعمل ، يستأجر أحيانا قاعات للاجتماعات ، ويعلن عن ذلك فى الصحف فيجتمع الناس له من كل مكان ويظل يتحدث بالألمانية عن الاسلام ومفاهيمه الاجتماعية ويجيب على الأسئلة ثم يتصل بالصحف التى تنشر له محاضراته كاملة أمثال الدكتور أ. ف. بلو رئيس تحرير جريدة سويسرا الحرة التى كانت تصدر فى — بادن — وكان ذلك هو منطلقه الأول الذى عاش له خمسين عاما وما زال يواصله حتى الآن ، قصة طويلة وذكريات عزيزة تكشف عن صدق وايمان عميق وعمل متصل ، خالص لوجه الله دون دعاية واضحة .

يقول : مهمتنا الأساسية هى تبليغ دعوة الاسلام ليأخذ العالم بأسره فكرة صحيحة عن تعاليمه السامية . ويتحدث عن بعض ما صادفه من قضايا كان من اهمها تزويج بنات المسلم المقيم فى أوروبا الخمس ، فقد ارسل الى تلاميذه الذين آمنوا بالله يدعوهم الى زيارة أخيهم المسلم وخطبة بناته وسرعان ما تحقق تزويج بناته الخمس من هؤلاء المسلمين الأوروبيين ، كذلك فقد كتب الى مدير السجن يرجوه أن يغير نظام طعام المسجون المسلم الذى يحرم عليه دينه أكل لحم الخنزير بعد أن أضرب عن الطعام وكتب الى شيخه .

كتب اليه أحد تلاميذه يقول انه نقل الى مكان بعيد لا يستطيع فيه أداء صلاة الجمعة الجامعة فكتب الى رئيسه يشرح له هذه القضية ويطلب اليه باسم الايمان بالله أن يمكن هذا الرجل من البقاء فى مدينة يستطيع فيها الصلاة وتعددت الرسائل بينه وبين هذا الرئيس الذى كان قاسيا فاذا به يطلب اليه فى ختام المرحلة أن يرسل له رسائل الاسلام ثم فاجأه بأن أعلن اسلامه هو بينما نقل ذلك المسلم الأول الى مدينة بها مسجد جامع وكانت فرحة مزدوجة .

والمهندس محمد توفيق أحمد صديق قديم للأستاذ العلامة محمد فريد وجدى ، ويقول : عرفته وأنا حدث اذ كان والدى يحكى لنا عن — وجدياته —

مما جعلنا نتعلق بوجدى ونحبه ونقدره ، كان ذلك عام ١٩٥٩ ، وقد عرفت وجدى كاتبا وصحفيا ومؤلفا وباحثا ، وكان أول لقاء معه عام ١٩١٩ ، وكان ذلك امنية غالية منذ سن الحداثة فى منزله ، ورأيت مطبعة دائرة المعارف التى كان يعمل فى هذا الوقت على اصدارها ، وكان رحمه الله يعتقد أن الأمم لا يستقيم أمرها الا بشكائم أدبية تنزل من عقولها ، وتتحكم فى أهوائها ، فقد أثبت العلم أن الاباحة كانت دائما السبب الرئيسى لكل انحلال طرأ على المدنيات القائمة .

فلما أصدرنا مجلة البريد الاسلامى بدأ يكتب افتتاحيتها منذ ظهورها حتى قبيل وفاته .

للأستاذ توفيق تجربة واسعة فى مجال النباتات وأثرها النافع من متاعب الهضم وامراض المعدة .

ويقول الأستاذ محمد توفيق أحمد انه تأثر فى القديم بالامام الغزالى وفى الحديث بالمرحوم فريد وجدى ، ويقول : مع ذلك اشعر باستقلال تفكيرى فيما اقرأ لهما أو لغيرهما . ويحكى المترجم له كيف أنه عندما قرأ اعلان فريد وجدى عن دائرة المعارف أخذ يجمع مصروفه ويدخره حتى يتمكن من ارسال ثمن الدائرة بالبريد ، وكان رجاؤه الى وجدى أن يرسل له بعض أجزاء الدائرة مجلدة وحجز بعضها حتى يرسل له جنيهـا آخر هو فرق التجليد ، ولكن سرعان ما وصلت اليه دائرة المعارف كاملة الأجزاء مجلدة ، مع خطاب رقيق من وجدى يحيى فيه رغبته فى المعرفة وحرصه على اقتناء الكتب المجلدة حفظا لها من التلف .

وقال له فى ختام خطابه : ارجو ان تعتبر الثمن كله قد تسدد ، ويقول : ان هذه الروح المرتفعة عن الماديات قد زادتنى تعلقا بشخص هذا الرائد العظيم رحمه الله .

وقد أصدر الأستـاذ محمد توفيق أحمد مجلة (البريد الاسلامى) عام ١٩٤٣ وقد جعل أساسها التقوى التى شارك فيها منذ أكثر من عشر سنوات قبل ذلك . واذا كنا اليوم فى عام ١٩٧٧ فان هذا الداعية المسلم الصامت يكون قد أمضى أكثر من خمسين عاما فى مجال الدعوة الاسلامية فى مجالات عجز الكثيرون عن العمل فيها وتحاموها لكثرة متاعبها ومشقتها ، لكن هذا الرجل بطبيعة تركيبه النفسى والروحى كان معدا اعدادا ربانيا لمثل هذا العمل ، بما عرف عنه من صبر وسماحة وايمان فضلا عن ذكائه وقدرته على مخاطبة العقول والقلوب .

وعندما كتبت دراستى عن فريد وجدى لم أجد من يساعدنى على استكمال الفجوات الواسعة فى حياته وفكره بعد أن بحثت وطال بحثى فى آثاره ، ولذلك فقد وجهت اليه أكثر من سبعين سؤالا تفضل حفظه الله وأطال عمره بالرد عليها وحقق لى ما لم استطع أن أحصل عليه وكأننى عاشرت فريد وجدى وتحدثت اليه وعرفت جوانب حياته الداخلية والخارجية وانى لأرجو أن أنشر هذه الأسئلة واجاباتها كما تفضل بها كاتبها .

ولم يقف امر الأستاذ محمد توفيق احمد عند هذا بل انه تفضل بالبحث عن رسالة محمد فريد وجدى التى كتبها الى مؤتمر الأديان الذى عقـد فى اليابان عام ١٣٢٣ هـ وقد استطاع الحصول عليها من صديقه الشيخ مصطفى حسن الجنيدى ثم يقدم هذه الاجابات الرائعة فى أسلوب من التواضع فيقول :

هذه دردشة على السجية فخذوا منها ما شئتم . وهذبوها على منهجكم .

ومن اعجب ما يمثل هذا الرجل الكريم هو انه لا يدخل احدا فى الاسلام الا بعد أن يترك له الفرصة مرة ومرة حتى يصل الى ذلك برضاه وباقتناعه وبعد ان يعمق فى نفسه ويصل الى القرار .

يقول : طلبوني بالتليفون ان هناك سيدة أوروبية قد جاءت الى البلاد وقرأت وسمعت ورأت ثم فكرت فى الاسلام فهى تريد ان تقدم من أجل ذلك قال : قولوا لها : اننا نريد ان نراها فى لقاء حر أولا ، فلما جاءت تحدث اليها واعطاها مجموعة من الكتب وقال لها : اقرئى وتمهلى وفكرى كثيرا قبل أن تقطعى برأى قد ترجعين عنه من بعد أو تظنينه شعورا عاطفيا سريعا ، وترك لها فرصة أخرى استمرت وقتا حتى قالت هى : الآن وقد تم الاقتناع عقلا وقلبا . هنالك جاءت مصرة على ان تعلن اسلامها . وتلك حنكة الخبير وبراعة الداعية الذى يلتمس فى طريق عمره روح الاسلام مقتديا بالرسول الـكريم .

* * *

(١٣)

الدكتور محمد حسين هيكل

اجاب الدكتور محمد حسين هيكل مؤلف كتاب حياة محمد عن تساؤل ردده الكتاب عن الأسباب والدواعى التى دفعت هذا الكاتب السياسى الذى كان غارقا فى الصحافة السياسية سنوات طويلة رئيسا لتحرير جريدة السياسة والذى كان أحد دعاة الأدب الغربى والحضارة الغربية كيف أمكن أن يفلت من هذا النطاق المحكم : نطاق التغريب فيحمل لواء الدعوة الى الحضارة الاسلامية ولا يرى سبيلا لنهضة هذه الأمة الا عن طريق الاسلام .

وقبل أن نورد الاجابة التى قدمها الدكتور هيكل نقول ان هذا الرجل كان قد نشأ فى اطار (الجريدة) التى كان يصدرها قريبه (لطفى السيد) وانه تشكل فى جو الاستعمار البريطانى والاقطاع والتبعية التى كان يعيشها كبار الملاك للنفوذ الأجنبى وأنه عمل منذ عاد من أوروبا مع أحد الأحزاب السياسية التى كانت توصف بأنها من الأقليات والتى كانت معروفة بولائها للنفوذ الأجنبى .

ولكن : كان الدكتور هيكل يتميز بالرغم من كل هذا الجو بأن له شخصية خاصة كان متطلعا الى مثل أعلى بالنسبة للنهضة فى الشرق وكان يدعو الى الأقتباس من الغرب ولكنه لم يكن تابعا أو داعيا الى تبعية .

ولذلك نجد له تلك المواقف العديدة التى تجعله متميزا عن تلك الجماعة التى كانت تحمل لواء التغريب وتمعن فى التبعية أمثال طه حسين ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق .

نجده مثلا يرفض أن يقوم ناد دولى للفكر يتبع فيه الكتاب العرب والمسلمون كتاب الغرب ، يقول : ان النتيجة المنطقية من تأليف هذا النادى انما هى أن يصبح الأجانب مسيطرين على الأدب العربى وليس هذا الا صورة من النوادى الأخرى التى سعى لانشائها بعض الأجانب المقيمين فى مصر بحجة توثيق العلاقات وكانت النتيجة أن أصبح دارا للاحتفاء بالغربيين وتكريمهم دون غيرهم من أدباء البلاد الشرقية . انما أفهم أن يكون هناك ناد للقلم أكثريته من الأدباء الشرقيين وأن يكون الجميع ممن يكتبون أو يؤلفون باللغة العربية ولو كانت جنسية بعضهم ليست الجنسية العربية .

وهو فى هذا يخالف طه حسين صاحب فكرة النادى الدولى ، كذلك فهو يخالفــه فى موقعين آخرين : فى آراء المستشرقين ووجهــة نظرهم فى الاسلام والعرب ، وفى أثرهم فى شئون السيطرة الاستعمارية .

ولقد انزعج طه حسين اشد انزعاج عندما اخذ صديق عمره (هيكل) يتجه اتجاها آخر وخاصة عندما هاجم هيكل اتجاه طه حسين فى كتابة السيرة ووصفه بأنه اتجاه خاطىء حين قال : انه يعلم أن كثيرا من هذه الأساطير التى يرويها انما هى بعض الاسرائيليات التى روجها اليهود بعد عصر النبى متأثرين بحقدهم على محمد لأنه حاربهم وأجلى الكثيرين منهم عن بلاد العرب ومهد بذلك لاجلاء البقية الباقية بعد زمن قصير من وفاته متأثرين بحفيظتهم على المسلمين حفيظة جعلتهم يروجون الألوف من الأحاديث المكذوبة على النبى ومن القصص التى تنافى تعاليمه منافاة صريحة .

ثم تساءل : ماذا يكون هذا الدافع القوى الذى دفع طه حسين الى هذا ؟.

وبعــد .. فنعود الى اجابة الدكتور هيــكل على التساؤل عن السر فى كتابته « حياة محمد » ، يقول :

فكرت فى وضع كتاب عن حياة النبى العربى منذ صيف ١٩٣١ وانما دعانى الى هذا التفكير اننى كنت عظيم الثقة بالعلم والطريقة العلمية الغربية وانها ستؤدى بالانسانية الى معرفة حقيقة الكون معرفة هى ملاك سعادة الانسانية وظلت ثقتى هذه قائمة حتى أعلنت الحرب الكبرى وكان أكبر رجائى أثناء ذلك أن أسبغ فى حياتنا فى الشرق صورة من ثقافة الغرب وأدبه وفنه .

فلما وضعت الحرب أوزارها لبثت أنتظر نتائجها العالمية فى الســلام العام وحرية الشعوب وحقها فى تقرير مصيرها وكانت السنون كلما توالت بعد الصلح تفتح عينى على حقيقة بدأت تقوى صورتها عندى حتى بلغت غاية القوة فى عام ١٩٢٠ : هذه الحقيقة أن العالم يعانى قبــل كل شىء (أزمة روحية) دفعت كتاب الغرب وفلاسفته الى التماس العلاج لهــا فى فلسفة الهند الروحية والى جانب هذه الحقيقة لاحظت فى اتجاه السياسة الأوروبية ظاهرة غريبة تلك هى نشاط التبشير المسيحى فى الأمم الاسلامية وتأييد السياسة الغربية فى ذلك الوقت لأنصار الجمود . اذ ذاك رأيت أن أدرس لعلى أجد فى حياة النبى الوسيلة لعلاج أزمة العــالم الروحية ولانهاض الشرق نهضة تبعث فيه حياة جديدة لحياة الغرب بعــد القرن الخامس عشر .

وبدأت دراستى لكتاب السيرة لابن هشام ثم اطلعت على مؤلف بالفرنسية لأميل درمنجم ثم قرأت عدة كتب أخرى اقتنعت بعد قراءتها بأن هذه الدراسة جديرة بأن تهدى العالم كله سبيلا جديدا للحق اذا هى تمت بروح علمى وقــد انتهى الكتاب على الصــورة التى رجوتهــا وان كان نطاق البحث قد ازداد وترامى الى أبعد مما كنت أتوقع اننى وجدت فى دراسة النبى العربى ودينه وتعاليمه والحضارة التى وضع أساسها ما خلق أمامى عالما جديدا

من عوالم التفكير لم يكن ذهنى متجها اليه من قبل وأعتقد أنى لن أستطيع التحول عن فكرة قائمة عندى وهى بحث الحضارة الاسلامية بما يمكن للباحث استنباطها من الكتاب الكريم ومن الحديث ومن عهد النبى نفسه .

هذا ما كتبه الدكتور هيكل عن هذا التحول الخطير الذى وقع له ونستطيع أن نضيف اليه ما أورده فى صـــدر كتابه (فى منزل الوحى) وهو اعتراف مكتوب بأنه وجد أن أى أسلوب غير الأسلوب الاسلامى فى بناء هذه الأمة لا يؤدى وأنه جرب أسلوب العودة الى الفرعونية ووجدها عملا فاشلا باعترافه وجرب أسلوب التبعية الغربية ووجده كالبذر تلقيه فى الأرض فلا ينبت .

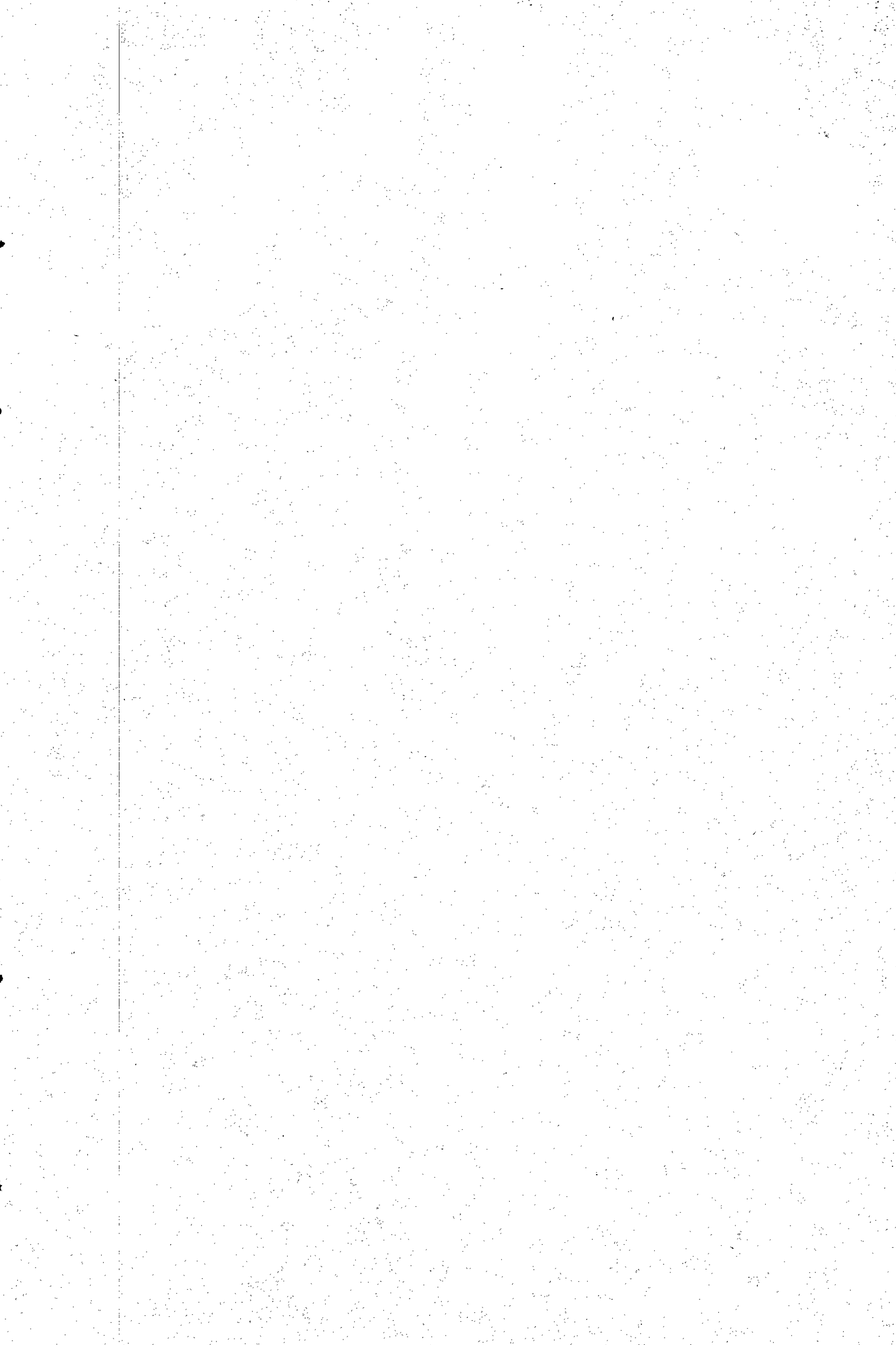
والحق أن هيكل هو واحد من هذه المدرسة التى عادت الى الأصالة بعد أن تبين لها فساد الطريق الذى سارت فيه وأنهم لم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . عاد منصور فهمى واسماعيل مظهر وهيكل ولم يبق على الاصرار غير الدكتور طه حسين .

يقول الأستاذ المازنى : كنت أتصور الدكتور هيكل أجنبيا طاب له المقام فأقام ولكنه بقى محتفظا بخصائصه التى جاء بها ولم يتأقلم ولكنى كنت أعود الى ما يكتبه فى السياسة فاستغرب ، ذلك أن روحه هى روح المؤمن عميق الايمان . ومضت الأيام فعرفته وكتب لى الحظ أن اعمل معه وان أكون احد اعوانه فى السياسة فلما شرع ونحن فى غمرة ثقيلة من المشاغل السياسية (حياة محمد) كنت واحدا من القليلين الذين لم يستغربوا هـــذا الاتجاه ولم يقع منهم موقع المفاجأة بل كنت على يقين جازم بأنّه ــ بفضل استيلاء روح الايمان على نفسه ــ أقدر من يكتب عن حياة محمّد ، لقد اغتبطت لأن نظرتى لم تخطىء حين اعتقدت من قبل أن فى هذا الرجل كنزا من الايمان .

وصدق المازنى ولقد كان الدكتور هيكل حقا صادقا مع نفسه فانه سرعان ما اتجه وجهة الأصالة وفارق معسكر التغريب واختلف مع طه وغيره . ولم يضر منه ذلك شيئا .

غير أن هناك ملاحظة صغيرة نوردها (للتاريخ) : ان المنهج الذى اتخذه الدكتور هيكل فى كتابه (حياة محمد) بالرغم من أنه كان فى ذلك الوقت ضربة للتغريب وفرحـــة للمؤمنين الا أنه لم يخلص خلوصـــا كاملا من التبعية فقد وقف هيكل عند الإسراء وعند المعجزات موقفا غامضا وكان بدؤه الدراسة من كتاب أميل درمنجم قد أوقعه فى مزالق كشف عنها الكتاب المسلمون فى هذه اللحظة ومن بعد .

* * *



على أَحمد باكثير فتى الأَحقاف

كان نموذجا رائعـا من نماذج الشخصية المسلمة فى مجال العقـل وفى مجال الخلق ، بدأ حياته كما اتمها : قوى الذاتية عالى الصوت عميق الايمان ، مليئا بالصمود ، جهيرا بالحق واضح العبارة ، يعيش فى الضوء والوضوح ، ويقول كلمته فى صدق الواثق واصرار صاحب العقيـدة . وهو الى ذلك : الرقيق الدمث ، حلو الحديث الملىء سماحة وملاحية وعذوبة ، البارع النكتة الطلى الفكاهة ، فهو شخصية جامعة عقلها آية فى الذكاء والفهم وقلمها آية فى البراعة فى صناعة الفن الأدبى الذى أحبه وتخصص فيه ، فيه أصالة العربى وايمان المسلم وفيه تلك اللوذعية الصادقة التى تصدر عن الفة بالنفس وحب للناس ، وصمود فى مواجهة خصوم العربية والاسلام بالكلمة الصادقة والقلم القادر والفن الأصيل .

ذلك هو فتى الأحقاف : على أحمد باكثير الشاعر الأديب الذى ودع عالمنا بعد حياة قصيرة لم تتجاوز الستين ، غير أنها عريضة خصبة بما قدم خلالها من نتاج أدبى بارع منوع فى ذلك المجال الذى اختاره لنفسه وعمل فيه منذ مطالع شبابه مجودا مؤمنا بأنه فى سبيل كلمة الله العليا ، ومن ثم كانت أمانته منذ يومه الأول لمواجهة التحدى الخطير : تحدى الصهيونية بالمسرحية التى كانت لأول مرة تسير فى طريق المفهوم الاسلامى الأصيل فنا ومادة ، أسلوبا ومضمونا .

يقول : على أثر حرب فلسطين التى انتهت بانتصار اليهود على الجيوش العربية مجتمعة : انتابنى اذ ذاك شعور باليأس والقنوط من مستقبل الأمة العربية وبالخزى والهوان مما أصابها ، أحسست كأن كل كرامة لها قد ديست بالأقدام فلم تبق لها كرامة تصان ، وظللت زمنا أرزخ تحت هذا الألم المض الثقيل ولا أدرى كيف أنفس عنه . ولعل ذهنى فى خلال ذلك كان يبحث عن الموضوع دون أن أشعر ثم اهتدى اليه ذات يوم اذ تذكرت فجأة تلك الأسطورة اليونانية التى خلدها سوفكليس فى مسرحيته الرائعة (أوديب ملكا) فأحسست أن فيها لا فى غيرها المتنفس الذى أنشده ولعلكم تعجبون . اذ أى صلة بين نكبة العرب فى فلسطين وبين هذه الأسطورة اليونانية ، غير أنى أدركت بعد ذلك سر هذا الإختيار ، ذلك أننى كنت أحس من أعماق نفسى كأن الذنب الذى ارتكبه العرب فى فلسطين والخزى الذى لحقهم من جرائه لا يوازيه فى البشاعة غير ذلك الذنب الذى ارتكبه (أوديب) فى حق **أبيه وأمه والخزى الذى لحقه من ذلك .**

وهكذا عبر باكثير عن نفسه وأحاسيسه بهذه القصة العربية التى كتبها ثم مضى فكتب عددا من المسرحيات التى عبر فيها عن وجهة نظره وفى نفس الطريق كتب مسمار جحا عن الاحتلال البريطانى وشغل نفسه بالتحديات التى تواجه أمته العربية الاسلامية على أعلى مستوى من الالتزام ، فلم يعرف باكثير الفن للفن أو اصطناع اللهو فى كتابة مسرحيات تدغدغ العواطف أو تثير المشاعر أو ترضى الجماهير ، وانما كان أمينا على الرسالة والغاية والهدف الصحيح .

وهو يصور مفاهيمه هذه وأمانته لقلمه حين يقول :

« ان فى التاريخ العربى مواقف عظيمة رائعة ينبغى أن يعيها الجيل العربى الحاضر حين تصور فى صورة درامية مؤثرة ، وشكسبير كتب كثيرا من المسرحيات التاريخية التى استلهم فيها بلاده والمعروف أن التاريخ يربط حاضر الأمة بماضيها ولا حياة لأمة مبتورة الصلة بماضيها .

والأسطورة عندى أهم من التاريخ لأنها أقدم من التاريخ وأشد امتلاء بالتراث القومى والشعبى من التاريخ ، ولهذا ألجأ الى الأسطورة كثيرا لأعالج من خلالها مشاكل عصرنا الحاضر : مشاكل الصدام وعصر الفضاء فى (هاروت وماروت) ومشكلة الطموح الانسانى والقلق لدى الانسان المعاصر فى (فاوست الجديد) ان الانسان العربى يشترك مع غيره فى جميع المظاهر الانسانية ومنها ذلك القلق النفسى الذى يجتاح العالم ، أعالج هذه المشاكل من خلال الذات العربية ، من خلال وجهة النظر العربية أيضا .

ويقول عالجت القضايا العربية كلها وخاصة قضية فلسطين لأنها قضية العرب الكبرى وكتبت أول مسرحية عن فلسطين ١٩٤٤ شيلوك الجديد قبل النكبة وبعدها (شعب الله المختار) واله اسرائيل وأخيرا التوراة الضائعة بعد نكسة ٥ حزيران .

ومازالت قضية فلسطين تنتظر العمل الادبى الذى يتكافأ مع خطرها وأهميتها .

ويقول : أنا لا أومن بالفصل بين العاطفة والعقل حين نتحدث عن الاعمال الأدبية . فالعمل الأدبى بالضرورة مزيج منهما معا ولا يستطيع الأديب ذاته أن يتحكم فى مقدار العاطفة أو العقل فى أدبه .

ومن الطبيعى أن تركز الأعمال الشعرية فى قضية فلسطين على العاطفة لأن أولئك الشعراء يصفون الجراح الغائرة التى فى قلوبهم والرسالة التى يحملها هؤلاء الشعراء هى أن يعمقوا احساس الأمة بالمأساة ويذكروها بأنها قضية حياة أو موت وقضية مصير . الكتاب والسياسيون يستندون الى العقل والمنطق والشعراء يستندون الى العاطفة والوجدان .

هكذا نجد فتى الأحقاف يسير فى طريقه : فاذا نظرنا الى مطالع حياته

وجدناه قد نشأ فى (حضرموت) وبدأ ينظم الشعر فى الثامنة عشرة وكان جل اهتمامه بالشعر ، لم يدع ديوانا من دواوين الاقدمين والمحدثين مما وقع فى يده الا قرأه :

مثله الأعلى فى الاقدمين « المتنبى » وفى المحدثين شوقى .

وكانت مسرحيات شوقى هى أول ما عرف من الفن المسرحى يقول :

« وكان لذلك أثر كبير فى نفسى فقد هزنى من الأعماق وارانى لأول مرة كيف يمكن للشعر أن يكون ذا مجال واسع فى الحياة حين يخرج عن نطاق ذاتية قائله الى عالم فسيح يتسع لكل قصة فى التاريخ أو حدث من الأحداث .. ووجدت رغبة جامحة فى محاكاة هذا اللون من الشعر الذى وجدته عند شوقى فكتبت مسرحية شعرية اسمها « همام » أو فى عاصمة الاحقاف .

أقام فترة فى الحجاز ، ثم قدم الى مصر ١٩٢٢ قادما من اندونيسيا عن طريق حضرموت موطنه الأصلى ، جاء فى طلب العلم فسكن فى (بركة الفيل) والتحق بالجامعة المصرية واختار القسم الانجليزى فلما أحرز الليسانس التحق بمعهد التربية العالى فحاز شهادته وأصبح اذ ذلك مؤهلا للعمل مدرسا للغة الانجليزية فاختيرت له المنصورة فأمضى بها أعواما ثم عاد الى القاهرة فأقام فيها يعمل بين مجالات التدريس والثقافة . يقول :

« غيرت الدراسة مفهومى للأدب كله فأخذت اعيد النظر فى المقاييس الأدبية التى كانت عندى من أثر ثقافتى ، واتجهت الى المسرحية أكثر من اتجاهى الى القصة والاقصوصة والملاحم .

واتصل باكثير بأوساط الدعوة الاسلامية والثقافة الاسلامية فاتصل بالسيد محب الدين الخطيب والأستاذ حسن البنا ومجلة الفتح وجريدة الاخوان ومضى يكتب فى الفتح وينشر شعره فى ابولو ومسرحياته فى جريدة الاخوان .

وكان لالتحاق باكثير بالقسم الانجليزى فى كلية الآداب نتائجه ومحاذيره فهو قد اختار القسم الانجليزى بالذات دعما لهوايته وتاكيدا لذاتيته الشعرية اذ أراد دعم ثقافته العربية وكان اختياره للأدب الانجليزى لما بلغه أنه غنى بالشعر الرفيع أو على حد قوله « كانت غايتى أن أصقل مواهبى وأعد نفسى لأكون شاعرا كبيرا . غير أن باكثير لم يلبث أن وقع فى أزمة فكرية اذ أخذ يقارن بين اسلوبه فى الشعر الذى ينظمه وبين مناهج الشعر التى يتلقاها مما كانت نتيجته ان غيرت الدراسة نظرته لمفهوم الأدب كله فأخذ يعيد النظر فى المقاييس الأدبية القديمة ومن هنا كانت تنقلاته السريعة بين الشعر المرسل والشعر المسرحى وبين المسرحية النثرية التى استقر عندها أخيرا وارتضاها اسلوبا للتعبير عن مشاعره وارائه وقد واجه التحدى الذى فرضه عليه أحد الأساتذة الانجليز عندما أشار الى أن العربية لم تعرف

الشعر المرسل فتصدى له باكثير وقال : أما أنه لا وجود لهــذا الشعر فى العربية فهذا صحيح ، لأن لكل أمة تقاليدها الفنية وقد كان من تقاليد الشعر العربى التزام القافيه ولكن ليس ما يحول دون إيجاده فى اللغة العربية فهى لغة طيعة تتسع لكل شكل من أشكال الأدب والشعر . فأعرض الأستاذ عنه واحس هو بأن عليه أن يدحض زعم الإستاذ بالبرهان العملى ومن ثم ينظم شعرا فى هذا المجال وهكذا مضى باكثير يبنى اتجاهه الأدبى ووجوده الفــكرى فى أصالة وعمق ليكون كما أصبح من بعد بحق : أهلا لحمل رسالة أمته فى مجال الافضاء فى هذا النهر الجديد الذى ما عرف طريق الاصالة الا على يدى باكثير .

لقد استطاع باكثير أن يقبل التحدى من أستاذه الانجليزى ويثبت قدرة اللغة العربية على أدائه فترجم فصلا من شكسبير على هذه الطريقة (من رواية روميو وجوليت) .

وفى الشعر : نظم مسرحية اخناتون وثورته على كهنة آمون على بحر (المتدارك) وان كان هذا الشعر لم يقابل بالاستحسان مما دفعه لان يقطع بأن (النثر) هو الأداة المثلى للمسرحية الواقعية وأن (الشعر) لا يصلح الا للمسرحية الغنائية ، وأن أصلح الشــعر للمسرحية الشــعرية هو (الشعر المرسل) المستند الى (التفعيلة) لا البيت كوحدة نغمية .

ويؤمن باكثير بأن اللغة الفصحى هى وحدها القادرة على أن تمد الكاتب بالامكانيات الواسعة للتصرف وايجاد الألوان المنوعة من التعبير الذى يناسب الشخصيات المختلفة التى يرسمها . وأن مثل اللغة الفصيحة مثل الماء الصافى الذى يمكن تلوينه بأى لون تريد ، أما العامية فمثلها كمثل الماء الملون الذى لا يمكن أن يظهر اى لون جديد على حقيقته .

ويذكر باكثير فى اشارات من ذكرياته : صديقه وصديقنا الشيخ حسن محمد كتبى (الذى ننتهز هذه الفرصة فنرسل له أصدق عبــارات المودة والاعزاز) يقول انه كان يطلعه فى مكة على كتب المسرحية دون المام سابق بفن المسرحيــة بل بأصــول التأليف المسرحى وان ذلك كان له أثره فى تكوينه .

ولقد عايش (باكثير) أزمات أمته وتحدياتها المختلفة : سواء الاستعمار او الغزو الفكرى أو الصهيونية ■

وفى الأعوام الأخيرة من حياته اتجه الى تاريخ الاســلام بقوة وأنشأ « ملحمة عمر » فى عدة أجزاء وكان له تبريزه وظهوره فى مسابقات وزارة المعارف او الهيئات الثقافية ، كان يدخلها فيفوز بالجائزة مع طبع مؤلفه ، وبلغ من نبوغه المثالى ان وزارة الشئون الاجتماعية طلبت عام ١٩٤٧ ست روايات فى مواضيع معينة واقامت مسابقة لذلك مصحوبة بمكافأة باهظة فتلقت الوزارة خمسمائة رواية ولمــا فحصت اللجنة المختصة ذلك القدر من الروايات اختارت ســتا ولما فتحت غلاف الأسماء ظهر أن باكثير قد

فاز بروايتين من الروايات الست فداعبته احدى الصحف طالبة من الحكومة منع (باكثير) من دخول المسابقات .

ولما أظل الفكر ظل الماركسية وصار الجو خانقا ، لم يستسلم باكثير ولكنه حاربهم وهاجمهم فى مسرحيات منها مسرحية « حبل الغسيل » التى نشرت فصول منها فى الصحف ثم توقفت بعد أن انكشف هدفها وقد عامله هؤلاء معاملة سيئة أزعجته ازعاجا شديدا وخاصة حين سيطروا على مجال المسرح والقصة ومنعوا انتاجه ومسرحياته .

ولا ريب أن باكثير ذهب ضحية هـــذا الجو الخانق الذى قضى على محمد عبد الحليم عبد الله ، والذى انزوى عنـــه كثيرون نتيجة لاستشراء هذا الطابع الدخيل ، معتصمين بالله حتى انكشفت الغمة .

ومن ذلك شعره :

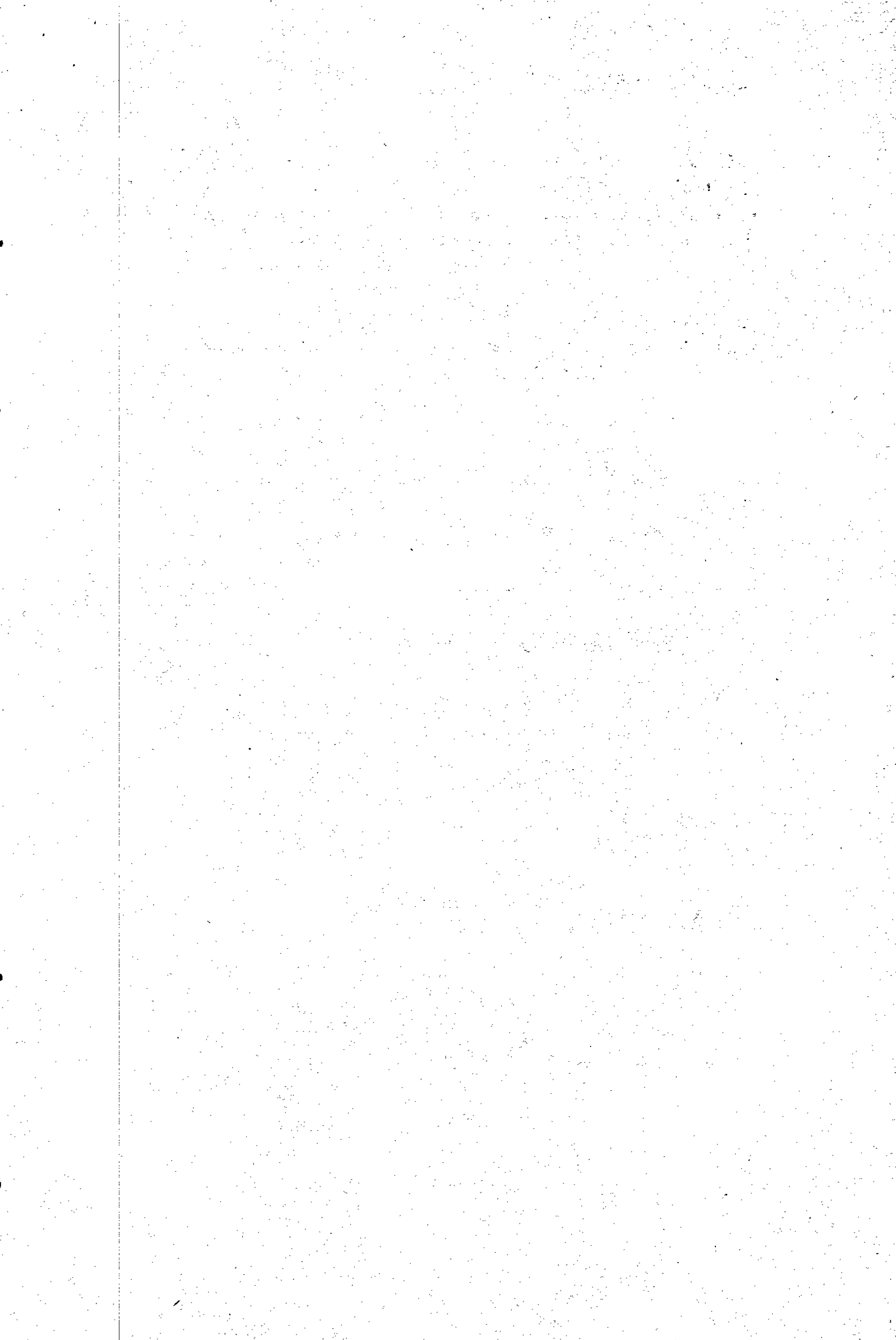
فـــلا سلمت كتب الجـــامدين ولا فاز قارئهـــا بالوطر

صحائف لا روح فيهـــا ولا يلوح بهـــا ذكر خـــير البشر

تصـــور فيهـــا محال الأمور ويترك فيهـــا مهم الصـــور

فتلك الجواهر ، أين الرمال فيها ، وأين خسيس الحجر

* * *



(١٥)

الرافعي مدره الاسلام

عقـــد مهرجان ضخم للاحتفال بذكرى الأســـتاذ مصطفى الرافعى فى مدينة طنطا (١٩٧٧) : وقد تحدث فى هذا المهرجان عدد من الباحثين والكتاب كما أعد كاتب هذه السطور كلمة ضافية كشف فيها عن الدور الذى قام به ذلك الرائد العظيم وأشار الى أن انعقاد هذا المهرجان الكبير بعـــد مرور أربعين عاما على وفاة الرافعي فى هذه الارض الطيبة التى شهدت غدوه ورواحه وهذا الحصن العتيد الذى اعتصم به فى معركته الضخمة ليكشف بوضوح عن حقيقة أصيلة هى أن الفكرة المؤمنة التى تقوم على الأصالة لا يمكن أن تموت مهما طال بها الزمن فما يزال الرافعى حيا فى النفوس بفكره ، وما تزال الآراء التى قدمها فى مجال الفكر الاسلامى والأدب العربى حية متألقة ، بل ما تزال المعضلات والتحديات التى واجهها الرافعى وكشف عن وجهة النظر الاسلامية العربية فيها قائمة متجددة وما تزال آراؤه وكلماته ذات الأصالة والعمق بمثابة الضوء الكاشف أمام الباحثين والمفكرين والأدباء ازاء هذه القضايا .

لقد كان الرافعى فى مقدمة أهل جيله قدرة على التنبيه مبكرا الى التحديات والأخطار التى واجهت الفكر الاسلامي والثقافة العربية تحت أسماء متعددة كالغزو الثقافى والتغريب والشعوبية فى صورة تلك الحملات التى وجهت الى اللغة العربية الفصحى والى القرآن الكريم والى تاريخ الاسلام وخاصة تلك التى حاولت أن تفرض على النقد الأدبى اسلوبا وافدا يستمد مقوماته من المنهج الغربى الذى يقوم على أساس أن الانسان أسير المعدة والجنس مع تجاهل تكامله فى اطار الروح والمادة ، والقلب والعقل والدين والعلم والدنيا والآخرة وكذلك نجد الأستاذ الرافعى رحمة الله عليه من أوائل من تنبهوا للدعوة التى حمل لواءها صاحب الجريدة فى محاولة لاعلاء شأن اللهجات العامية والكلمات العامية ودفعها لتكون لغة الكتابة وكان هذا العمل خطوة تالية لما قام به ولكوكس وولمور وغيرهم من الدعاة الى احلال العامية مكان الفصحى . فقد كشف الرافعى فى هذا الوقت المبكر ، هدف هذه المحاولة الخطيرة وأشار الى أنها تستهدف القرآن الكريم نفسه ، وتعمل على الفصل بين الأداء العربى فى الأسلوب الحديث وبين مستوى البيان القرآنى من أجل تعميق الفوارق بينهما على النحو الذى يقضى على أسلوب البيان القرآنى ويمزق اللغة العربية الى لهجات اقليمية . كان ذلك عام ١٩١١ م عنـــدما انتفض الرافعى انتفاضته القوية فى وجه هذه المحاولة فكتب مقاله الخطير فى مجلة البيان التى كان يصدرها الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى والتى كان يتولى هو الاشراف على اصدارها واقرار ما ينشر فيها مما كان يقدمه اليها

أمثال المازنى والعقاد والسباعى وغيرهم . ومنذ ذلك الوقت لم يتوقف الرافعى عن متابعة هذه القضية والوقوف فى جانبها على هذا النحو الواضح الصريح : بل لعله فيما نعلم أول من ربط بين القرآن وبين اللغة العربية فى هذا العصر ، وفهم هذا الهدف الخطير الذى طواه النفوذ الأجنبى وراء الدعوة الى النهضة والحضارة والتقدم حين دعا ولكوكس المصريين الى اتخاذ العامية لغة لهم ، مقدما لهم تجربة اللغة الانجليزية التى انفصلت عن اللغة اللاتينية فى دعوى عريضة لفصل اللهجة المصرية عن اللغة العربية سواء بسواء ، وهى خدعة كبرى امتدت مع الاحتلال البريطانى حين دعا خبراء الاحتلال الى التخلص من العربية الفصحى ومن القرآن وأعدوا مناهج الدراسة على هذا الأساس ولقد كان للرافعى من بعد وقفته الواضحة ازاء كل من هاجم اللغة العربية من أمثال جبران خليل جبران وسلامة موسى وغيرهم .

هذا هو الأمر الأول الذى سبق به فى مجال مواجهة التحديات التى طرحتها خطط التغريب والغزو الثقافى وجاء العاملون فى هذا الحقل من بعده ، أما الأمر الثانى فهو القرآن نفسه فقد تناثرت أقوال حول اعجاز القرآن وتردد قول من كان يثير الشكوك حول هذا الاعجاز سواء فى الندوات الخاصة أو فى كتابات غامضة .

ومن هنا كان هذا العمل الضخم الذى قام به الرافعى وهو انشاء كتابه الرصين ــ اعجاز القرآن ــ الذى قال عنه سعد زغلول :

(كأنه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم) وقد وجد هذا الكتاب فى ابان ظهوره محاولة خطيرة لتجاهله تحت لواء ما كان يطلق عليه ــ مؤامرة الصمت ــ ولكن الأجيال التى تلت من بعد عرفت قدر هذا العمل وعرفت هدفه وغايته ، واستطاع هذا العمل العظيم أن يكشف للأجيال الجديدة عظمة القرآن الخالد ويبين مدى اتساع وعمق وكمال هذا الاعجاز . وفى ميدان ثالث كان سبق الرافعى لأهل جيله من كتاب وأدباء ، ذلك هو عمله الذى يطلق عليه ــ تأديب التاريخ ــ فقد قدم فصولا من التاريخ الاسلامى فى أسلوب رائع وبيان خصب ، كشف بها عن عظمة الاسلام وبطولة رجاله ، جدد بهذه الصورة الرائعة من حياة الاسلام وتراثه مواقف وأبطالا ومواقع ، وذلك قبل أن يكتب العقاد وتوفيق الحكيم وطه وهيكل ما كتبوه عن الرسول وصحابته ، وقد ظل ما كتبه الرافعى متميزا بذلك الايمان العميق الذى صاغه فى أسلوب العصر بينما وجهت الى كتابات العقاد وهيكل الكثير من النقد حول بعض الجزئيات فكان الرافعى رائدا فى هذا المجال . وكان أشد أصالة ومن ثم وفى ضوء هذا كله كان الرافعى هو أول من تصدى لكل المحاولات التى حاولت أن تصيب من اللغة العربية أو القرآن أو تاريخ الاسلام أو ادخال مناهج غربية على الأدب العربى ، وكان من بين المدافعين أقوى لسانا وأعلى صوتا من كل العاملين فى هذا الحقل ، ذلك لانه كان بطبيعة تكوينه أقدر على ذلك فهو قد كون نفسه فى اطار الاسلام . لقد تعمق فى القرآن والسنة والبلاغة النبوية منذ صباه وجرد نفسه للعمل الخالص لله وهو قبل ذلك وبعد ذلك قد حرر نفسه من القيود التى

قد تحول بينه وبين أداء هذه الرسالة فقد قبل أن يحتجب وراء عمله المحدود واجره القليل فى محكمة طنطا ليكون قادرا على اداء هذه الرسالة وكان فى مقدوره أن يعمل فى محيط الصحافة فى القاهرة وأن ينافس هذه الأسماء اللامعة فى صحف الاهرام والبلاغ والسياسة وكوكب الشرق ، وغيرها ، وأن يحصل على المكانة اللامعة والأجر المضاعف ولكنه عزف عن هذا كله لأنه لن يستطيع اذا فعل ذلك أن يقول ما يؤمن به ، لن يستطيع اذا فعل ذلك أن يقول كلمة حرة طليقة خالصة لوجه الله والحق ، بل سيكون مقيدا بحزب أو هيئة أو جهة أو مفهوم ، قد يعوقه عن امانة التبليغ ويلزمه بشيء من اللباقة أو المجاملة ، وكان يرى ان هذا كله خطر على صاحب الرسالة الذى يقول ما يريد هو لا ما يفرض عليه . ولذلك فقد كان يهاجم خصوم الاسلام واللغة العربية فى الصحف المعارضة لهم فاذا انتقلوا الى تلك الصحف أو غيروا أحزابهم ، هاجمهم فى الصحف الأخرى المقابلة لهـــا ، وقد كان على كل حال متمكنا من أن يقول كلمته حرة خالصة لله كاشفة لوجه الحق ، دون خشية لأى حائل أو معطل ومن هنا كان موقفه واضحا ازاء مؤامرة الشعر الجاهلى فقد عرف أبعادها وحمل لواء الدفاع عن القرآن وكشف عن تلك الزيوف والشبهات التى وجهها خصوم الاســـلام والعربية اليهما وكان كتابه ــ تحت راية القرآن ــ هو أقوى تلك المدافعات التى حمل لواءها فريد وجدى ولطفى جمعة والخضر حسين والدكتور الغمراوى .

ولقد كان اسلوبه فى الأدب العربى متميزا بخواصه التى يعرف بها فى الأداء ومعالمه التى لا يشابهه فيها أسلوب آخر فى المضمون . وقد عاش على رأس مدرسة جمعت العريان وكامل محمود حبيب ومحمد محمود شاكر ومخلوف ، عرفت بالرصانة فى البيان والأصالة فى الأداء . وهى مدرسة ما تزال حية قوية ممتدة ابرز معالمها الايمان بأخلاقية الأدب واسلامية الفكرة والارتفاع فوق أساليب الانحلال والنفاق . وقد كشف عن المذهب الاسلامى الذى يقرر أن الفنون والآداب لا تخالف الفطرة فاذا خالفتهـــا فدعت الى رذيلة من الرذائل التى جاء الدين لمحاربتها فهى بالصورة التى تخالف بها الدين فنون باطلة .

وكشف عن أن هناك فريقا يريد هدم تلك المقومات الأخلاقية ليقيموا حياتهم على أســـاس الكشف والاباحة . وبذلك فصل الرافعى بين أدب الأصالة وأدب الانحلال . هذا هو مفهوم الرافعى للأدب الذى عاش يدافع عنه ويؤمن به .

وهكذا وضع الرافعى أساس مدرسة الاصالة فى الأدب العربى المعاصر ، وربط الأدب بالفكر الاسلامى باعتباره حلقة من حلقاته وحماه من النزعة الوافدة الداعية الى الكشف والاباحة التى اخذت تتفشى وتفسد القصـــة والقصيدة والمقالة جميعا . وكانت المرحلة الخاتمة من حياته ما كتب فى الرسالة فى تلك السنوات القليلة خصبة وعامرة وقد اختصرت منهجه كله الذى أصبح بين يدى الشباب من بعد ضياء كاشفا وكأنه ضوء من هدى القرآن ولذلك سمعنا أن الأيدى المتوضئة كانت تحرص على الرافعى وتقرؤه من وراء

الأسوار وخلف القضبان ولقد عايشنا هذا التاريخ منذ قرأنا الرافعى فى مطالع الصبا وحين غدا مبكرا الى ربه فترك مكانه خاليا وحين حاول العريان التأريخ له ثم أفسد هذا التاريخ وحاول أن يفسر حياة الرافعى وتاريخه تفسيرا ماديا ، ثم جاء مصطفى نعمان البدرى فحصل على درجة العالمية — الدكتوراه — باطروحـة ضخمة عن الرافعى — بعـد أن حصـل على الماجستير عنه أيضا — فاستقصى هذه الحياة وهذا الفكر حتى لم يدع شـاردة ولا واردة ، وكنت رفيق رحلتـه تلك أتابع معه عمـل الرافعى الضخم الواسع العميق ، فأرى كيف جاهد فى سبيل ارساء قيم الأصالة فى الأدب العربى فى مرحلة من أدق المراحل حين جاءت رياح التغريب والغزو الثقافى على أيدى أساطين الصحافة وقادة الجامعة واستطاع الرافعى — الفرد المعتزل — الذى كان ما يزال مقيمـا فى طنطـا وليس فى يده من النفوذ والسلطان الا قلمه وايمانه أن يواجه ذلك كله وأن يترك بصماته على حركة الأدب فى هذه المرحلة وأن ينمى مدرسة مازالت تكافح فى سبيل ارساء قيم الايمان والأصالة والحق .

لقد ودع الرافعى دنيا الأدب مبكرا . ودعها قبل عدد من أعلام جيله : سبق المازنى وهيكل والعقاد والزيات وبقى بعض هؤلاء بعده عقدا أو عقدين من السنين يكتبون وتتعرف اليهم الأجيال . ومع ذلك فان أصالة الرافعى استطاعت أن تقاوم النسيان وظلت آثاره وما تزال تطبع وتقرأ وتتحـدى تلك الدعوات المادية الملحدة التى تنكرت للفكرة الاسلامية والأدب العربى والفصحى لغة القرآن وما زالت كتابات الرافعى هى طلائع هذا المجـال بالسبق الى كشف الشبهات ومواجهة التحديات ، وبالعطاء الذى قدمته للباحثين السائرين على الطريق فما تزال القضايا التى واجهها الرافعى قائمة بالتحدى وما تزال المعركة مستمرة وما يزال الرافعى قمة فى التعرف على هذا الخطر وكشفه وتقديم الردود الحاسمة فى دحض هذه الشبهات وكشف زيفها . وسيظل فى أدبه وحياته كالمنار يهتدى به كل سائر على هذا الطريق الى الحق .

رحم الله الرافعى رحمة واسعة واجزل مثوبته .

* * *

الباب التاسع

عندما دخلوا الإسلام كانوا صادقين

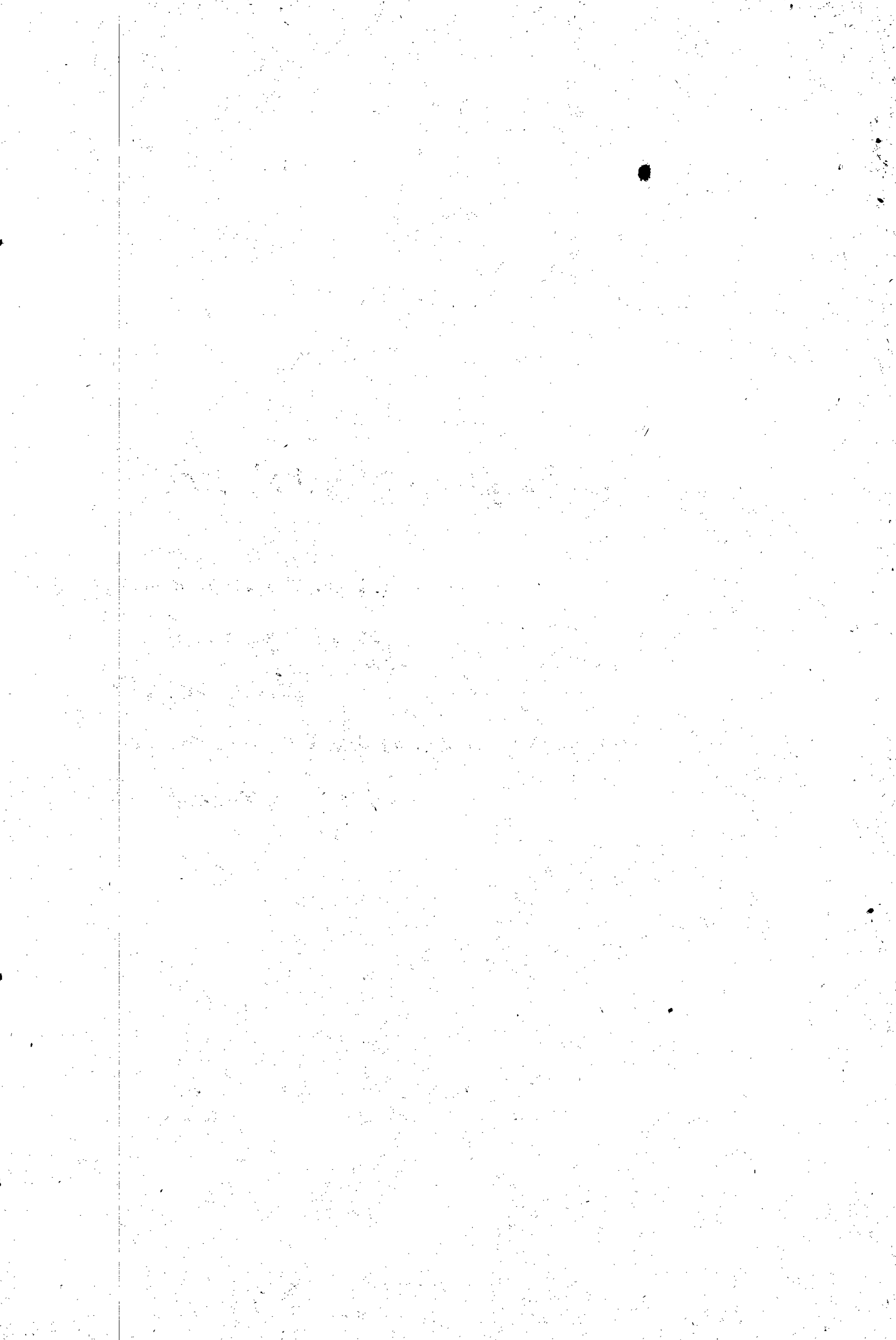
١ ــ عندما دخلوا الاسلام كانوا صادقين .

٢ ــ تجربة اعتناق الغرب للاســـلام .

٣ ــ واجب كل مسلم .

٤ ــ ماذا يحدث عندما تدخل المرأة الغربية فى الاسلام

٥ ــ الغرب يكتشف عظمة الاسلام .



(١)

عندما دخلوا الإسلام كانوا صادقين

كثيرون دخلوا الاسلام من مفكرى الغرب وكانوا صادقين .

من ابرز هؤلاء دكتور عبد الكريم جرمانوس ودكتور خالد شلدريك . وقد كتبوا تجاربهم ومذكراتهم فأشاروا الى أبعاد صورة المجتمع الاسلامى على نحو نجدنا فى حاجة الى التعرف اليه وفهمه ، لانه ولا ريب يعطينا شعورا بالحق الذى نؤمن به والطريق الذى نسعى اليه والأمانة الموكولة الينا .

يقول عبد الكريم جرمانوس الذى جاء عالم الاسلام مشركا وعاد الى بلاده مؤمنا « الفيت فى قلوب اخوانى المسلمين كنوزا تفوق فى قيمتها الذهب والأحجار الكريمة ، فقد عاشرت مسلمين فقراء ، كانوا لا يحجمون عن أن يقاسموا رفاقهم اخر كسرة يملكونها من الخبز . كم استضافونى فى بيوتهم المتواضعة وأعطونى أعظم شىء فى الوجود انهم منحونى احساس الحب والتآخى ، ولقنونى عمل الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وان أنس لا أنسى الظروف التى لاقيت فيهـا كثيرا من فقراء المسلمين الهنود ، وهم يعيشون فى بطـون أكواخهم المشـيدة من القش ويستضيئون بأنوار الاسلام فتحول تلك الأكواخ فى أنظارهم الى قصور وجنات بحيث يحتقرون مظاهر الجاه والثروة ويطأونها تحت أقدامهم » .

ويتحدث عن القرآن فيقول : ان القرآن الكريم هو المثل الأعلى لتوجيه الانسان الى الطريق السوى الذى يتحتم على كل مسلم غيور الا يحيد عنه قيد شـعرة . والمسلم الذى لم يفقه تعاليم دينه فقها صحيحا ، يرى أن القبس الروحى يتأرجح فى قلوب المسلمين جميعا ممن لا ينكصون عن التضحية وبذل الواجب .

والذين ينفون ذواتهم فى ذات الغرض الأسمى ويأخذون على عواتقهم التغلب على كل أمر والتجول فى أنحاء العالم لنشر الدعوة واظهار فضائل دينه ومحاسنه .

ويقول خالد شلدريك : اننى اتخذت الاسلام دينا بعد بحث وتنقيب .. لم أتلق هذا الدين فى أول الأمر من كتبه ، ولكنى تلقيته من كتابات الطاعنين عليه . فقد حملنى البحث والتأمل ودرس الديانات الأخرى على البحث فى دور الكتب العامة بانجلترا حيث وجدت بها بحوثا عن كل دين ما عـدا الاسلام ، فان الكتب التى الفت عنه مملوءه بالتحامل والمطاعن والغرض

الظاهر .. وزعموا أن الاسلام ليس دينا مستقلا ، ولكنه أقوال محرفة عن كتب المسيحيين ، وقد ساءلت نفسى :

اذا كان الاسلام لا أهمية له الى هذا الحد . فلماذا هم يبذلون كل هذه الجهود للتحامل عليه ومقاومته وتوجيه المطاعن اليه . وقد وقر فى نفسى أنه لولا أن الاسلام دين يخشاه هؤلاء الناس ويحسبون له حسابا كبيرا لما فيه من القوة والحيوية لما بذلوا كل هذه الجهود لمقاومته والطعن فيه وتشويه سمعته .. لذلك عزمت على قراءة هذه الكتب التى كتبت عنه واحدا واحدا .. ولا ريب أن الاسلام لا يخفيه انتقاد منتقديه .. فمنتقدو الاسلام انما يظهرون وجهة نظر خصومه ، وفى هذا مصلحة له وقوة لدعوة والحق يعلو مهما يحاول المبطلون اخفاءه .

وليس عندى ريب فى أن الاسلام سيكون يوما ما الدين الذى يسود العالم أجمع ، وهذا يتوقف على سبب جوهرى ، هو أن يكون المسلم مثالا حسنا يعلن عن الاسلام ويعرف الأمم به عمليا .

ولما شرعت أدرس عقائد الاسلام بعد أن انتهيت من الوقوف على حقائقه السابقة الذكر وجدت جميع عقائده مقبولة عقلا ، فعقيدة التوحيد الخالص التى امتاز بها الدين الاسلامى هى أصح العقائد التى عرفها البشر وهى كاملة فى توحيد الالوهية وتوحيد الربوبية واعلان صفات الكمال لبارىء الكون والاعتراف بجميع أنبياء الله ورسله .

ويقول : اننى كلما ازددت علما بالاسلام ازددت اجلالا له وتمسكا به ، ولا أدعى اننى درست الديانات كلها ولكنى بلا شك وقفت منها على ما فيه مقنع لمثلى .

* * *

(٢)

تجربة اعتناق الغرب للإسلام

ما تزال « تجربة اعتناق الاسلام » عند الغربيين تكشف حقائق هامة على المسلمين أن يتدبروها ليعرفوا الى أى مدى استطاع دينهم الحق أن يعطى للبشرية .

والواقع أنه قد صدرت فى السنوات الأخيرة أكثر من مجموعة لمفكرين ومثقفين غربيين أسلموا . وما تزال هذه التجارب والشهادات تترى وهى فى كل مرة تقدم شيئا جديدا . وقد أصبح من الضرورى دراسة هذه الشهادات واستخراج مفهوم كامل منها يكشف عن مدى (النقص) الواضح فى الفكر الغربى ومدى حاجة النفس الانسانية بفطرتها وفى ضوء ما يكشفه العلم كل يوم من حاجتها الى الاصالة فى معرفة الله الحق .

يقول الدكتور روبرت بير جوزاف أستاذ الفلسفة بالجامعات الفرنسية الذى ألف أكثر من عشرين كتابا فى الفلسفة والتوحيد .

اعتنقت الاسلام لأنه هو وحده الدين الذى يجد الانسان فيه روحه وأشواقه ومستقبله ، وهو دين المعرفة يدعو معتنقيه الى التزود بالعلم والعمل به ولا غرو فى ذلك فان أول آية من القرآن الكريم (اقرأ) هى التى جعلت الرسول يقول : « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » ويقول : لم أكتف بدراستى الخاصة فى الفلسفة بل كتبت فى شتى أنواع المعرفة وخاصة فى اثبات وحدانية الله خالق كل شىء ومدبر كل شىء فى الكون الذى يواجه الحضارة المادية الالحادية التى تكاد تقضى على ما توارثته الأجيال الماضية والحاضرة من تقدم وازدهار . فسلاح العلم وحداه على شرط أن يستعمل فى الخير والبناء لا فى الدماء والتخريب . كما بين القرآن الكريم — ولذلك كان الاسـلام هو الأمل لأبناء البشرية جمعاء للوصول الى الحقيقة الكبرى والى خلاص العالم . فهذا (التصور الاسلامى للعلم) كان سببا فى انبثاق اشراقة الأمل ونور الحق لينير الطريق أمامى ويهدينى الى الصراط المستقيم ويرشدنى الى بر الأمان وينقذنى من العذاب الذى كان يدور فى نفسى . ولا ريب فى هذا الكلام فانى أعتقد أن الاسلام وهو شريعة الله والحق معناه السلام بكل ما تحتويه هذه الكلمة من معان كبيرة وأولها السلام بين الشخص ونفسه . فالنفس وهى الامارة بالسوء لا تستطيع أن تسيطر عليها وتوجهها الى خير الفرد والمجتمع الا « الشريعة الاسلامية » ومبادئها السمحاء . فالشهادة **تعنى أن لا طاعة لمخلوق وان الناس جميعا متساوون لا فضل لعربى على**

عجمى الا بالتقوى . فالحرية والمساواة الافضل مكفولة للجميع والفرق بينهم هو نتيجة عمل كل منهم . واتصال العبد (مباشرة) بخالقه خمس مرات فى اليوم زاد يومى يذكره بوجود الخالق ويدعوه الى اتبـــاع ما دعى اليه واجتناب ما نهى عنه . والزكاة توحد بين القلوب وتقضى على الحقد والبغض والحسد فتقرب بين المسلمين وتجعلهم كالبنيان المرصوص .

وبعد فان هذا الفكر الذى وصل اليه ذلك العالم الغربى بالاسلام هو فى ذاته ظاهرة جديدة جديرة بالدراسة بالاضافة الى عشرات الشهادات التى كشف بها أصحابها من المثقفين « جوهر الاسلام » الحق وهى مما نحتاج نحن الى أن ننظر اليه ليعطى بعض شبابنا المتعلق بأذيال الفكر الغربى تلك الحقيقة التى لا يسمعها الا من مثل هؤلاء الذين هداهم الله .

* * *

(٣)

واجب كل مسلم

مازال تجربة الذين دخلوا الاسلام من المثقفين فى حاجة الى نظر وتأمل منا نحن المسلمين ، ولقد أقام (روبرت ولزلى) فى القاهرة بعد أن فقد كل ما يملك من أهل ومال فى بلاده وعمل أستاذا فى جامعة الأزهر بعد أن أعلن اسلامه .. فسمى عبد الرشيد الانصارى ..

يقول : اذا اراد العرب ان يتقدموا فان عليهم ان يفرقوا بين ما يجب أن يتعلموه من الغرب وما لا يجب اذ أن كثيرا من علوم الغرب ضار وخطر ، ولقد خسرت الشعوب الغربية الشىء الكثير بقدر ما كسبت خلال نضالها فى سبيل التقدم . وأصبح المجتمع الغربى مجتمعا غير متزن منسجم مع طبيعة الحياة البشرية ، انه مجتمع مترف ولكنه غير قانع . ويرجع ذلك الى أربعة عوامل : الثورة الصناعية ، الحرمان ، النضال فى سبيل المساواة بين الجنسين (ولعله أهمها جميعا) فقدان الثقة فى الكنيسة المسيحية ، انهم لا يذهبون اليها الا ثلاث مرات ، عند تعميدهم وعندما يتزوجون وعندما يموتون ، ان الشجرة بدون جذور سرعان ما تسقط وهكذا الحال بالنسبة لكل الحضارات مهما بلغت من التقدم .

أما الاسلام فان جذوره مكينة تمتد فى أرض الله القوية المتماسكة واذا درست فاننا نراه يمتد من هذه الجذور شجرة قوية من الايمان الخالد . ان قوته سوف تحمينا وثمرته هى غذاء لأرواحنا ومنبع قوتنا . لهذا فان على كل مسلم فى كل قطر أن يدرس دينه ويفهمه حق الفهم . بل يجب أن يدرس كذلك لغة الدين : الا وهى اللغة العربية . ان اللغة العربية هى جزء من تراثنا كما انها فى نفس الوقت هى لغة القرآن .. انها لغة مقدسة حيث أنزل الله بها كتابه الكريم الى العالم ..

ان القرآن واللغة لا يمكن انفصال بعضهما عن بعض لفهم العالم الذى حولنا وبدراستهما تتلاشى الحواجز بين الشعوب ويزول الشك ، ويعرف بعضنا بعضا حق المعرفة ، وعلى هذا الأساس يمكن بناء صرح شامخ للعالم الاسلامى والحضارة الاسلامية ، ان جميع المسلمين لهم عقيدة مشتركة ولغة مشتركة وهذان لهما هدف واحد هو الاسلام .

ويقول : ان القرآن ليس أثرا من الآثار الساكنة الهادئة تشير الى ماض ميت وانما هو منبع حى للحق ظهر فى العصر الاسلامى العربى الذى ورثناه

تراثا عظيما لنا نفخر به ، ذلك التراث يجب ألا نتركه بسهولة أن كلمات القرآن مليئة بالمعانى فى يومنا هذا كما كانت بالنسبة لأسلافنا ، انها كلمات مليئة بالحكمة بعثها الله الى الناس كافة وبهذه الكيفية فانها تتعدى حدود الزمن لانها عندما أحكمت أحكمت خارج حدود الزمن خالدة صالحة لكل زمان بل لجميع الأزمان .

* * *

(٤)

ماذا يحدث عندما تدخل المرأة الغربية فى الإسلام

ماذا يمكن أن تعطينا هذه الواقعة وخاصة اذا كان قد سبقتها مثيلات لها وتعددت حتى أصبحت بمثابة ظاهرة جديدة فى أفق الفكر الغربى :

قالت مارشيلا مايكل انجلو وهى ممثلة ايطالية بعد أن أعلنت اسلامها وأصبح اسمها فاطمة محمد عبد الله : ذهبت الى مرسى مطروح فى الصحراء لأمثل فيلما عن الحرب العالمية الثانية .. وفى يوم ما ، رأيت مجاميع من الناس تتجه الى مبنى صغير على بابه يخلعون أحذيتهم ليدخلوه حفاة .. تقدمت من المبنى وشاهدت الناس فى صحن المبنى يسيرون فى خشوع ثم يصطفون ليقوموا بشعائر معينة سجودا وركوعا ..

سألت وعرفت ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى أرى فيها مسجدا والمرة الأولى التى أرى فيها مسلمين يؤدون الصلاة .. شدتنى البساطة فى صلاة المسلمين ، شدتنى البساطة فى البشر أنفسهم فى المسجد ذاته كان الناس باختلاف أعمارهم ومراكزهم وملابسهم متساوين حفاة يؤدون الصلاة فى خشوع وهدوء ، أحسست أن شيئا ما فى داخلى فى أعماقى يتحرك . شىء لا أستطيع بالضبط أن أحدده .. ان أعرف ما هو . لماذا على وجه الدقة ، وجدتنى أسمع لنفسى : انى أريد أن أكون مسلمة مثل هؤلاء الناس . فكرت فى هذا الأمر جيدا ذاك النهار حتى انطوت صفحته ومع الليل ظل فكرى ساهرا ..

وفى اليوم التالى توجهت الى المسجد ، نفس المسجد ووقفت أمامه أراقب المسلمين وأتحدث مع بعضهم . كانوا طيبين أتقياء يتحدثون بلا لف ولادوران .. أحسست أن ما فى قلوبهم على ألسنتهم . ومضت الأيام واستقر فكرى على قرار لابد أن أكون مسلمة .. كيف .. هل الأمر بهذه البساطة ، وعدنا الى ايطاليا ..

أسرة يرعاها الأب مايكل انجلو الذى يحمل اسم أشهر فنانى عصر النهضة ، أسرة بسيطة متدينة نشأت « مارشيلا » وسطها حتى تركت جنوا كلها وانتقلت الى روما تدرس فى أكاديمية الفنون .. واستلفت جمالها الأنظار فأصبحت « موديلا » للرسامين ثم مانيكان للأزياء ثم قدمها المخرج المشهور بيترو جريس للسينما وتنبأ لها بمستقبل ناجح وعندما عادت مارشيلا الى روما هل ضاعت الفكرة وسط الزحام وهل ألهاها الضجيج والصخب

والأهواء ؟ هى نفسها تقول لا : بل ان هذا الأمر نفسه كان السبب فى خلافى مع زوجى .. لقد كرهت المظاهر المادية ، أصابنى السأم من الزخرفة والطـــلاء الذى ليس وراءه شىء حقيقى ، وكان طبيعيـــا أن يختلفـــا وأن ينفصلا ..

تقول ان القرار قرارى أنا وحياتى هى ملكى ، ولأول مرة فى حياتى اشعر اننى موجودة . لأول مرة اقرر أمرا مصيريا تتوقف عليه حياتى كلها ومستقبلى كله ..

ان أحدا من قبل لم يسألنى عن ديانتى .. أى دين تحبين . والآن أختار انا بنفسى . ان الحياة تمر بالانسان عبر فصول من الكفاح مضنية ولقد يمر فصل منها وربما عشرة دون أن يقرر (شيئا جوهريا) .. ثم فجأة يتخذ قراره ، والواقع أن ذلك لا يتأتى فجأة وانما نتيجة فكرة تتشكل من تجارب ومؤثرات بلا حصر ، سأحاول أن الائم بين دينى وعملى ولكنى سوف أؤدى الشعائر كلها ، سأتعلم العربية وأدرس القرآن وأصوم رمضان وأصلى وأؤدى الحج ، وأنا أبحث الآن عن تفسير للقرآن بالفرنسية أو الايطالية ..

يا أيتها السيدة فاطمة (مارشيلا) سابقا لمـــاذا أسلمت ؟

تقول : البساطة ، الطيبة السماحة ، مشهد الناس الطيبين يدخلون فى بساطة الى صحن الجامع المتواضع يصلون فى خشوع ، فعل فى نفسى هذا فعل السحر حرك كوامن مترسبة فى أعماقى ، أحسست انى مسلمة قبل ان أعلن اسلامى . لقد وجدت فى دينكم العقل والمنطق ، انتم ببساطة وكما فهمت تؤمنون بالله ورسوله . هذا الرسول بشر مثلنا ، ورجل عادى اختاره الله لينقل رسالته الى الناس ليؤمنوا به وبكتابه القرآن والقرآن دستور ينظم حياة الناس ليعيشوا متعاونين فى خير وسعادة وببساطة وبلا مظاهر كاذبة ..

اننى اشعر انى كما لو كنت قد ولدت من جديد ..

اننى انا المسلمة قد خرجت من أعماقى لأعيش تاركة علاقتى بالقديم ، سل الذين عرفونى من قبل ، لقد أدهشتهم السعادة التى أرفل فيها .. ان مسألة اسلامى مسألة تنبع من داخلى وحدى ، هو أمر يتعلق بحياتى وحدى وقبل أن أقرر فكرت ودبرت ثم نفذت فى صمت .. » ..

* * *

الواقع ان المرأة الغربية هى أصدق حسا وأعمق فهما للحياة من الرجل ولذلك فهى قد شـــعرت تماما بمدى الخطر الذى حاصر المجتمع الأوربى والنفس الغربية ..

ان كتابات الدكتورة لورا فتيثيا فاليرى الايطالية التى جمعتها تحت اسم (محاسن الاسلام) وترجمها طه فوزى عام ١٩٣٠ لتكشف بوضوح وجهة

نظر المرأة الغربية المثقفة فى عظمة الاسلام ثم تجىء بعد سنوات الدكتورة سجريد هونكه بكتابها الرائع (شمس الله تشرق على الغرب) فتؤكد نظرة المرأة الغربية الى الاسلام ثم تجىء حالات متعددة من الدخول فى الاسلام أو الاعجاب به لتوضح هذه الظاهرة وتعمقها ..

أما الكاتبة البريطانية « ايفلين كويله » فقد صورت فى كتابها « البحث عن الله » تجربتها الرائعة مع الاسلام وهى مجموعة يوميات كتبتها بعد أداء فريضة الحج بعـــد اسلامها والكاتبة نبيلة بريطانية استطاعت أن تهتدى الى الاسلام عن طريق قراءاتها فى (مقارنات الأديان) ..

تقول : سألنى كثيرون كيف ومتى اسلمت ..

وجوابى على ذلك أنه يصعب على تعيين الوقت الذى ســـطعت فيه حقيقة الاسلام أمامى ، فارتضيت الاسلام دينا . ويغلب على ظنى أنى مسلمة منذ نشأتى الأولى ، وليس هذا غريبا اذا ما راح المرء يفكر فى ان الاسلام هو الدين الطبيعى الذى يتقبله المرء فيما لو ترك لنفسه . وانى لأذكر أيام طفولتى وكيف انى صرفت الشتاء مع والدى فى قصر عربى فى الجزائر ، وكيف كنت كثيرة الرغبة وانا مازلت طفلة فى الذهاب الى المسجد مع بعض الرفاق ، استمتع بما يغمره من حياة لطيفة رائعة ولعمرى لقد كنت مسلمة منذ ذلك العهد وان كان هذا مما لم يدر فى خلدى .

ثم تناسيت مع الأيام بعد مغادرتى الجزائر صلاتى فى المسجد وذهبت الأيام بما كنت قد تلقيته من مبادىء العربية الأولى ، ومضت الايام وفيما انا فى حوار مع بعض المعارف قلت من غير أن أدرى انى من المسلمين ولعمرى ما ازال أحار فى الحافز الذى دفعنى الى ذلك وما أعلم اننى رحت افكر فى الاسلام فى كثير أوقليل .

ومهما يكن السبب فهذا نور جديد أضاء لى ما أمامى فكان من الحق على أن اقرأ كل ما يتعلق بهذا الدين الذى ارتضيته لنفسى وكلما أمعنت فى القراءة زاد ايمانى واعتقادى بأن الدين الاسلامى أكثر الأديان طواعيه وعملية وقربا من العقل وانه الدين الوحيد الذى يستطيع تفسير النظم الحافزة والبلوغ بالانسانية الى ما ترتجيه وتطلبه من سلام وطمأنينة .

ولقد زرت المدينة المنورة ومسجد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ووقفت باهتـــة ذاهلة باكية مسترجعة من خشية الله ، ذلك أن العظمة والعبقرية يهزان القلوب ويثيران الأفئدة فما بالك بالعظمة اذا انتظمت مع النبوة وما بالك بها وقد راحت تضحى بكل شىء فى الحياة فى سبيل الانسانية وخير البشرية .

رحمتك اللهم : رجل تبعث به امة كاملة وترسل على يديه الوان الخير الى الانسانية .

ثم مشيت نحو المسجد وكانت الشمس قد اشرقت او كادت وكان النهار

ما يزال باردا زاهيا فلما تلمسنا مدخل المسجد النبوى تولتنى رعدة عظيمة وخلعت نعلى وتقدمت أمشى فى صحن الجامع أتابع خطوات رفيقى ثم أخذت لنفسى مكانا قصيا صليت فيه ركعتين وأنا غارقة فى عالم هو أقرب الى الأحلام ، كان الزحام شديدا حولى والمؤمنون سكوت يصلون والقلوب واجفة والأفئدة خاشعة ولم يكن هنـــاك حوله من يصلى ذلك أن (محمدا) منع الصلاة عند قبره ونهى عنها حتى لا يتخذ الناس قبره موطنا للعبادة ، ذلك انما تكون الصلاة لله وحده جل جلاله وليس فى الاسلام صلاة لغــير الله ولا قبلة غير الكعبة ..

وفى مكة طفت بالبيت وسعيت ولقد تولانى من الخشوع والذهول والتوبة والاستغفار والايمان ماتولانى فرفعت رأسى الى السماء ودعوت مع الداعين وبكيت مع الباكين .. وطفت مع الطائفين وأسلمت نفسى للواحد الأحـــد وغمرتنى روحية الاسلام فتناسيت نفسى وتناسيت كل شىء ..

وهكذا نجد أن الاسلام قد أخـــذ يزحف الى قلب المرأة الغربية ، ولعل لذلك ما بعده ..

* * *

وهذه تجربة أخرى جديدة تلك هى فاطمة نزفسكن : تقول ان للاسلام فرصة عظيمة فى العـــالم لأنه يتضمن جميع الصـــفات التى يتطلبها دين عالمى .. وتستطيع أن ترضى المطالب الروحيـــة والمادية لانسان هـــذا العصر ..

وان نظامه الاجتماعى يستجيب للفطرة . وان تعاليمه تخاطب العقل :

١ ــ بما فيه من مساواة كاملة بين الأجناس .

٢ ــ من تلك الحرية التى يتيحها الاسلام لأهله .

٣ ــ الاعتراف بالحياة الدنيوية التى لم يحرم منها المسلم على معتنقيه ما أحل لهم من طيباتها .

٤ ــ الاجتهاد فى طلب العلم الذى جعله الاسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة وانه دعا الى طلبه والسعى فيه وتكبد المشاق فى تحصيله .

٥ ــ المكانة الرفيعة للمرأة المسلمة التى حرص الاسلام على أن يكون لها دورها الفعال فى الحياة العامة تسهم فيه بقدر طاقتها واستعدادها مما يدفع عجلة الحياة الى الأمام .

وبعـــد : فهكذا تنطلق حقائق الاسلام فى شرايين المجتمع الغربى وتصل الى مهد المرأة والى قلبها .. ومنها ستصل الى الأجيال الجديدة وسنرى .

(٥)

الغرب يكتشف عظمة الإسلام

السيدة عائشة لو : احدى الغربيات المثقفات اللائى فتح الله لهن باب الايمان بالاسلام واعتناقه ، منذ ستة عشر عاما . والسيدة عائشة انجليزية أسلمت وهى تعمل استاذة فى نيجيريا تتحدث عن تجربتها فتقول أن المرأة المسلمة منحت مساواة روحية وفكرية كاملة مع الرجل وتنال التشجيع كل التشجيع لممارسة دينها وتنمية ملكاتها الذهنية حتى نهاية عمرها .

وفى علاقتها مع الرجال يجب أن يرسى الطرفان حشمة المشية والملبس .

ويتصفان بدستور أخلاقى رائع لا يسيغ الاختلاط بين الجنسين . ولا يوافق الاسلوب الاسلامى للحياة على أن يتخذ الشاب له صديقة أو أن تتخذ الفتاة لها صديقا ، كذلك لا يقر حفلات السمر التى يختلط فيها الجنسان والرقص بين الرجال والنساء وتعاطى المسكرات والمخدرات وغير ذلك من مظاهر الأسلوب الغربى للحياة ، والمعروف بأنه يهيىء الأوضاع التى لا تنشأ فيها العلاقات المرذولة قبل الزواج واثناء قيامه . ان التربية البريئة فى الاسلام تتم عادة اما داخل نطاق أفراد الأسرة أو بين جماعات منفصلة من الرجال وأخرى من النساء لا اختلاط بين الجنسين فيها .

وتقول : لا يعتبر الجنس خارج الزواج فى الشريعة الاسلامية اثما فحسب ، ولكن أيضا جريمة يدخل مرتكبها تحت طائلة القانون كجريمة السرقة او القتل أو غيرهما ويوقع العقاب المشروع لها على الرجال والنساء على حد سواء وهو عقاب صارم وفعال . وتتحدث عن فهمها لموقف الاسلام من مسألة اللباس فتقول :

تستطيع المرأة المسلمة أن تلبس ما يحلو لها امام زوجها والعائلة وفى وسط صديقاتها ولكن عندما تخرج خارج البيت أو عندما يتواجد داخل الأسرة رجال آخرون غير زوجها واقرب الأقرباء فى الأسرة فالمنتظر منها أن تلبس رداء يغطى كل أجزاء جسمها ولا يظهر شكلها . ما أعظمه من تباين فى الأزياء الغربية التى تركز عامدة فى كل عام على كشف مفاتن جديدة فى جسم المرأة للنظرات العامة . لقد رأينا فى السنوات القليلة الأخيرة ظهور واختفاء انواع عديدة من الملابس الفاضحة تحت أسماء « المينى ، والميكرو » السروال الساخن الخ . ولا هدف لها سوى ابراز أو الكشف عن العورات فى جسم المرأة .

ويمكن للمرء أن يلحظ مؤخرا نزعة مماثلة فى ملابس الرجال التى اصبحت ضيقة لدرجة بدت معها وكأنها جلد الرجل نفسه . ان هدف الرداء الغربى أن يكشف أو يعرى جسم الانســـان فى حين ان هدف « الرداء الاسلامى » اخفاء أو تغطية هذا الجسم ، على الاقل فى العلن ، والآية القرآنية المناسبة المتعلقة بالموضوع هى الآية ٥٩ فى السورة رقم ٣٣ حيث يقول تعالى :

((يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى أن يعرفن فلا يؤذين)) صدق الله العظيم .

وعلى ذلك فقد فرض على المرأة الاسلامية أن تلبس عندما تخرج خارج المنزل رداء يغطيها من الرأس حتى القدمين ولا يظهر شكلها ، على أن فرض السلوك المحتشم لا يقع على النساء فقط ذلك أن وصايا القرآن الكريم موجهة للرجال والنساء على حد سواء .

((قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها)) (الآية) .

ان الآيات القرآنية تحض النساء على تغطية أنفسهن عند خروجهن من بيوتهن ، وتحث الرجال والنساء على الغض من أبصارهم وابصارهن والسلوك بالاحتشام الواجب كل أمام الجنس الآخر ، ومن ثم فان المسلمات يستطعن أن يخرجن لقضاء أعمالهن المشروعة ويمكن لهن أن يضعن فى الاعتبار أيضا اضطرار بعض المسلمات للخروج بقصد الدراسة وممارسة بعض الأعمال كالطب والتمريض والتدريس ..

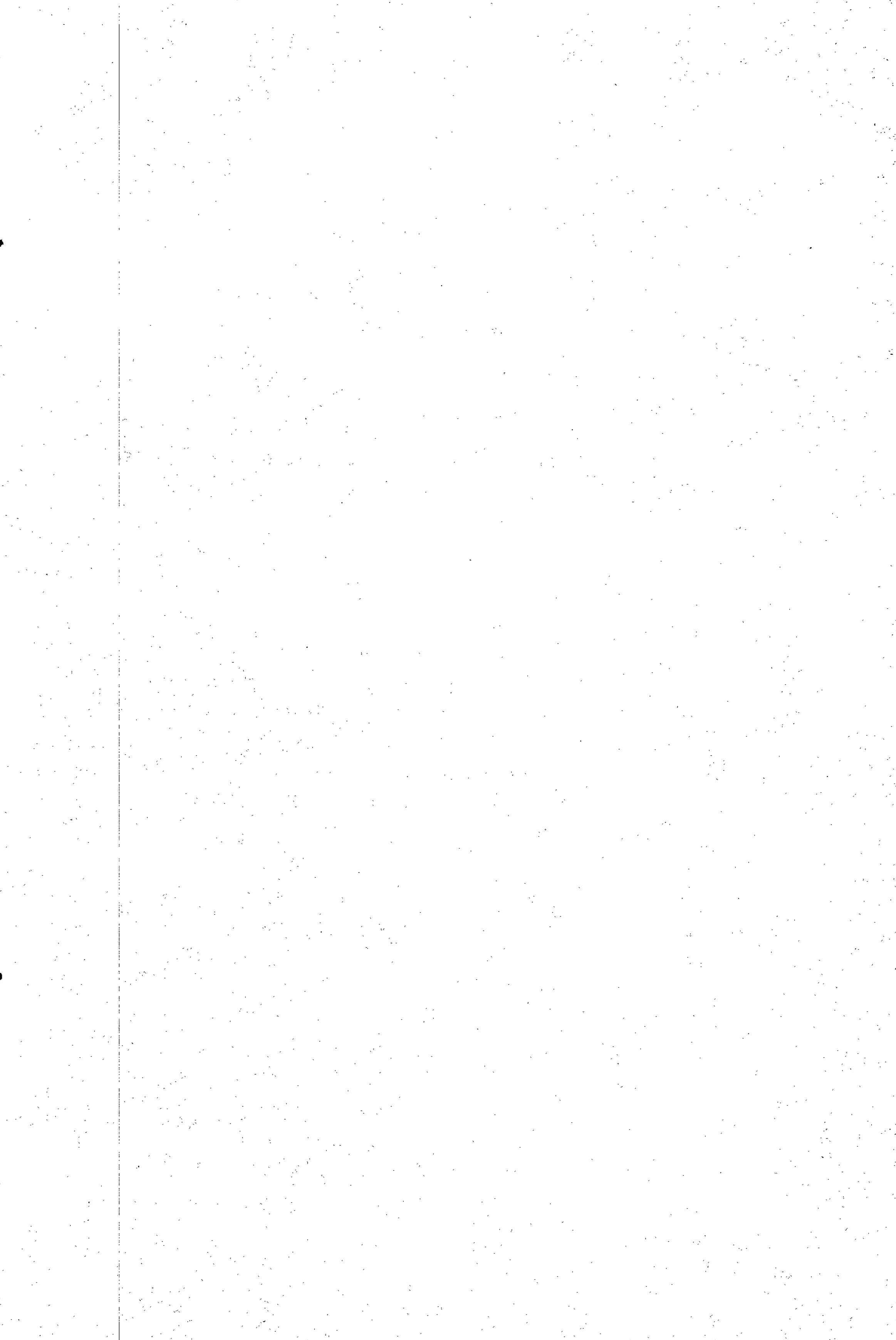
وترى السيدة عائشة لو أن الاسلام بذلك قد حفظ المرأة وحفظ الاسرة وحفظ المجتمع جميعا من عوامل الفساد التى يتردى فيها المجتمع الغربى القائم على العرى والاختلاط وعلى تعريض المرأة لأخطار الفساد والتردى وتحرير الأسرة المسلمة من اجتماعات الرقص وشرب المسكر ، وتقول فى النهاية ان النظام الاسلامى حقق المزج المناسب بين الحرية والطمأنينة الذى تبحث عنه المرأة ويفيد المجتمع كله .

* * *

الباب العاشر

على طريق الأصالة

١ ــ الطريق الى الأصالة .
٢ ــ فشل محاولة العلمانية .
٣ ــ عبرتان تكشفان عن فساد الفكر المادى .
٤ ــ رفض المسلمون الذوبان .
٥ ــ كل مؤامرات الفكر جاءت من الشعوبيين .
٦ ــ هل يستطيع الفكر الغربى أن يتجاوز .
٧ ــ التغريب فى دراسات الجامعات الاوربية .
٨ ــ متى يتحرر العقل الاسلامى .
٩ ــ لماذا بروتوكولات حكماء صهيون صحيحة .
١٠ ــ منذ أربعين سنة : كشف التغريب خطته .
١١ ــ الشيوعية وليدة الصهيونية .
١٢ ــ مؤامرة الصهيونية والشيوعية على العالم .
١٣ ــ عبد الحميد وجمال الدين فى تقويم جديد .
١٤ ــ ظاهرة جديدة فى تاريخ الفكر الاسلامى .
١٥ ــ علم النفس الاسلامى وعلم الاجتماع الاسلامى
١٦ ــ عادوا الى الحق .
١٧ ــ هؤلاء خدعوا الأدب العربى .
١٨ ــ وشهد شاهد من أهلها .
١٩ ــ الشباب والعلم فى المجتمع المعاصر .
٢٠ ــ مأساة المجتمع الغربى .
٢١ ــ وسقطت التجربة الغربية المادية .
٢٢ ــ هذه تجربة المجتمعات العصرية .
٢٣ ــ اليوجا : هذه الاكذوبة الكبرى .
٢٤ ــ هل من من أريوس جديد .
٢٥ ــ جرجى زيدان : صورة طبق الأصل .
٢٦ ــ طه حسين الرجل الذى سقطت دعواه .
٢٧ ــ اكذوبتان .



(١)

الطريق إلى الأصالة

كانت هذه القضية هى الشغل الشاغل للفيلسوف الجزائرى فى آخر حديث مع العلامة مالك بن نبى قبل وفاته .. قال : ان سنة الله فى خلقه ان المجتمعات المتحضرة تؤثر بعاداتها واذواقها وأفكارها واشيائها وحتى ملابسها فى المجتمعات الاقل حضارة ، ولم تغب هذه السنة عن نظر ذلك العقاب الفكرى العربى الذى حلق فى زمانه فى سماء الأفكار . وترك لنا فى تراثنا الثقافى شهادة يجب الا ننساها ، الا وهو ابن خلدون .
فهو فى فصل من فصوله بل فى عنوان أحد فصوله ينص على هذه الظاهرة بطريقته الخاصة المعروفة « فصل فى أن المغلوب يقلد دوما الغالب فى عاداته » .

فالقرون الوسطى الزاهرة رات ما نراه اليوم حسب اتجاه الحضارة العربية الاسلامية الآن ، بحيث كان رأى القرون الوسطى وكل مصادر ثقافتها وعلومها عربية وكانت الكتابة العربية مسيطرة على الاوساط العلمية الى جانب اللاتينية الى درجة ان أحد كبار الأدباء الايطاليين فى زمن ما يسمى بالنهضة — وهو الشابوكاشيو — اراد أن يقوم بثورة على اللغة العربية وعلى الكتابة العربية بالذات فقال كلمات — وأنا اسف اذ كانت كلمات حقد لا كلمات عقل تبحث عن وسائل تحرر عقلى ، كلمات متعصب ضد ثقافة اسلامية عربية كانت تغدق عليه وعلى مجتمعه بالأفكار التى لم يكن له أن يتصورها الا عن طريق اللغة العربية . اذن القصة قديمة أولا . وانما تتجدد فى عصرنا نحن فى زمن نعانى رواسب العهد الاستعمارى .. وبينما كان بوكاشيو لا يرى فى الثقافة اداة ظلم او عدوان ، أداة ميزة عنصرية ، فان من حقنا اليوم أن نرى فى الثقافة الغربية على العموم أدوات هيمنة ، ادوات سيطرة على العقول ، لأن هذه الثقافات كلها تحمل تلك الروح التى حركت الموجة الاستعمارية فى القرن الماضى وفى منتصف هذا القرن بحيث يحق لنا أن نطرح المشكلة فى صحافتنا وانديتنا ومجتمعاتنا المثقفة ، وحتى مجتمعاتنا السياسية ..

أما السؤال فهو : كيف نتحصن ضد هذا الغزو الثقافى المسلط علينا من حضارة تمخضت فى احشائها الظاهرة الاستعمارية ؟

يجب علينا اولا أن ننهى مرحلة التسكع الثقافى او الفكرى لأننا فعلا نعيش

وننغمس منذ بداية العهد الاستعمارى وبداية اتصالنا بالحضارة الغربية فى النطاق الاستعمارى — نعيش فى شبه تسكع فكرى يجعلنا معرضين لالتقاط الحابل والنابل من هذه الحضارة . حيث ان الشباب المثقف المحتك بالثقافة الغربية لم يكتشف غالبا جذور هذه الثقافة وانما اقتنع بقشورها فى اكثر الأوقات . اما انه ذهب لمعاقلها للحصول على الشهادات والعلم فلم تتح له الفرصة للاطلاع على جذور الثقافة الغربية . واما لأنه ذهب لمجرد التسلية .

وهذان النوعان من شبابنا المثقف لا يعودان لبلادهما بحصيلة ثقافية يمكن ان تفيد لنهضة ثقافية ، وانما يعودان الاول بالشهادات التى تمكنه من الحصول على مركز مرموق ، والثانى بحصيلة من التفسخ الأخلاقى تجعله غير صالح لبلاده . المرض الذى نعانيه هو التسكع الفكرى . يجب علينا ان نجتهد للتخلص من هذا النوع من التسكع ولا يمكن التخلص الا بتجديد رسالة تكون محور الحياة — على العموم فى المجتمع العربى والاسلامى . وعلى الخصوص فى حياة كل فرد رجلا كان أم امرأة ، فالشعور بالرسالة وحده هو الذى يستطيع أن يخلصنا من التسكع لأنه يبعث فينا روح الجدية والاجتهاد والأصالة والابتكار والابداع .

لعل من الممكن ان تتجدد فى المجتمع الاسلامى رسالته بحيث يكون كل فرد فيه يتحرك فى نطاق شروط معينة تجعله فى كل حركة وسكنة من حركاته وسكناته يخضع سلوكه كله لقانون الرسالة .

ومن الممكن تحديد هذه الرسالة من ناحية ان الانسان العربى المسلم يعانى من بين ما يعانى من أمراض اجتماعية متنوعة : « ظاهرة التخلف » .

الوسيلة الوحيدة للتخلص من قيود التخلف هى أن نضع فى نطاق حياتنا العربية الاسلامية اسس حضارة جديدة وهنا نلمس ما سميته (الضرورة) والضرورة تعنى بذل كل ما نستطيع من مجهود فى سبيل تحقيق شروط الحضارة الجديدة ، ثم اذا لاحظنا أن لكل حضارة : « وظيفة اجتماعية » من ناحية واشعاعا ثقافيا من ناحية اخرى ، أمكننا أن نتصور من خلال اشعاع حضارتنا المتجددة بفضل اجتهادنا اننا نستطيع تخليص المجتمع الغربى نفسه مما يعانى من محن نفسية تؤدى به الى أنواع من الفرار من الحياة ، اما بالغوص فى حياة الهيبى واما بالانغماس فى متاهات الوجودية واما بالتخلص من الحياة عن طريق المخدرات ، أو أحيانا عن طريق الانتحار ، وليس غريبا ان بلدا كالسويد فى مقدمة الشعوب المتحضرة تحتل فى الاحصائيات السنوية مكانة الصدارة فى احصائية الانتحار . اننا عندما نتحدث عن رسالة انقاذ يجب أن نعتبر اننا سننقذ أولا انفسنا من التخلف أو ما نسميه النقصان الحضارى ولا نستغرب اذا قلنا ربما سننقذ ايضا الانسان المتحضر نفسه من افراط حضارى او طغيان حضارى .

فمسؤولية العربى المسلم : هى مسؤولية كبرى بالنسبة اليه فى انقاذ نفسه من الفناء أو بالنسبة الى انقاذ اخوانه الآدميين المعرضين لطغيان حضارتهم الى نوع آخر من الفناء والزوال .

يجب أن ننهى ما أسميه بالتسكع الفكرى لأننا ما دمنا نعيش فى هذه الشحادة الفكرية لا يمكن أن نعود لجذور ثقافتنا كما لا يمكن أن نصل الى جذور ثقافة الآخرين فنبقى من الناحيتين منغمسين فى الشكليات بحيث اذا تمسكنا بديننا نكون دون المثل العليا التى ينصبها الاسلام أمام الضمير الانسانى .. واذا انحزنا الى الجانب الآخر نجد أنفسنا دون المثل العليا التى تقرها الثقافات الأخرى . .

فالاصالة تقتضى منا الشعور بمسؤوليتنا فى مجال الفكر بحيث لا نطأطىء الرأس لفكرة لمجرد مصدرها . وقد لفت القرآن النظر لقيمة الفكرة فى ذاتها دون صلتها بالاشخاص أو بعالم الأشياء فى قوله عز وجل ((**وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**)) صدق الله العظيم ، هذا التخليص من الشخصية وأى شخصية ، انها شخصية رسول الله الذى قال فيه سبحانه وتعالى ((**وانك لعلى خلق عظيم**)) .

ومع هذا أراد سبحانه أن تخلص الدعوة الاسلامية من شخصية محمد صلى الله عليه وسلم لكنه فى الوقت ذاته أراد لهذه الدعوة الاسلامية منطلقها التام » . أ. هـ.

كلمات مضيئة :

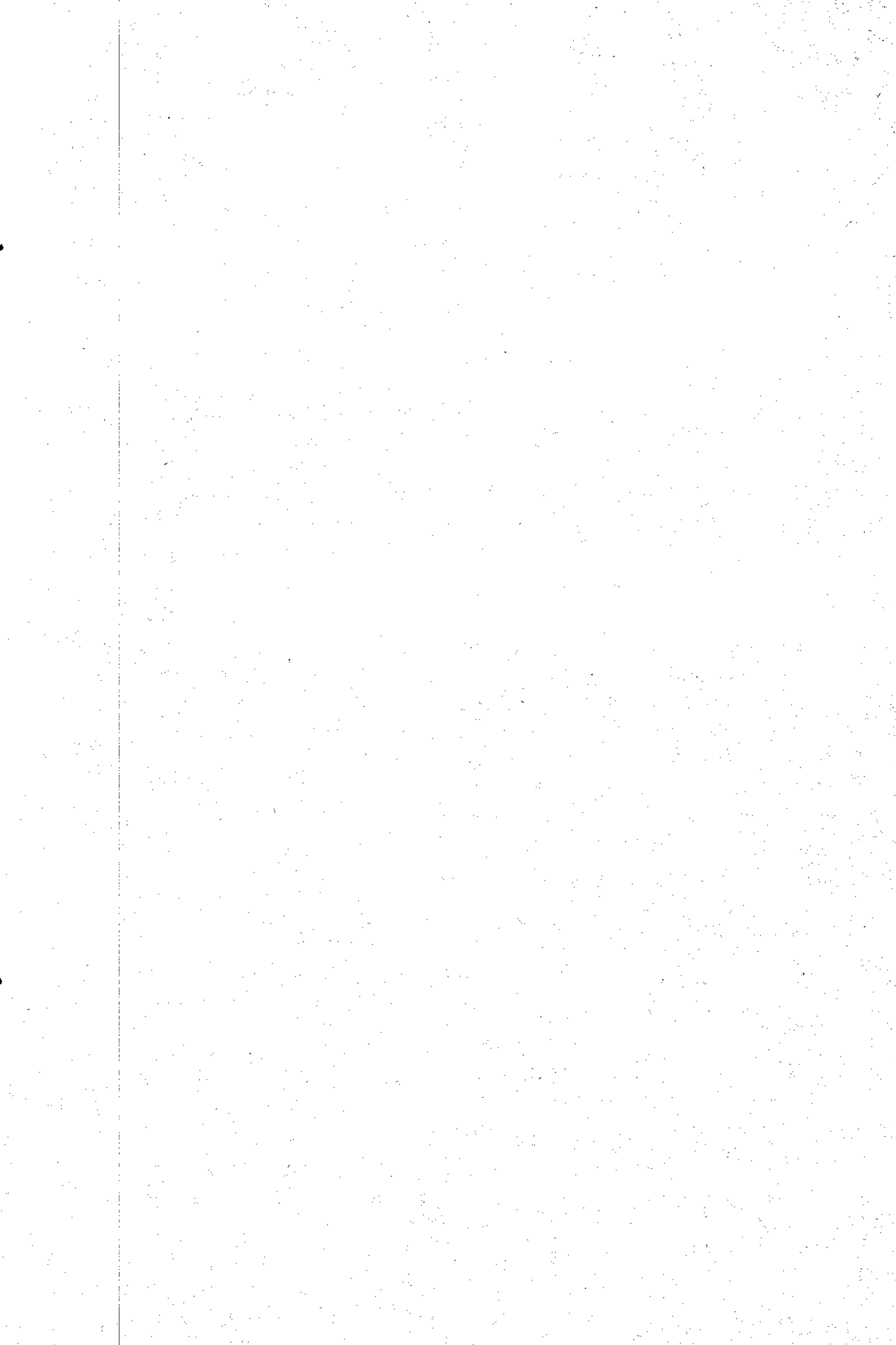
الحاجب المنصور : قصده الجوهرى التاجر القادم من مدينة عدن بجواهر كثيرة ، فأخذ المنصور من ذلك ما استحسنه ودفع الى التاجر الجوهرى صرته وكانت قطعة يمانية ، فأخذ التاجر فى انصرافه طريق الرملة على شط النهر فلما توسطها ، واليوم قائظ وعرقه يتصبب دعته نفسه الى التبريد فى النهر ، فوضع ثيابه وتلك الصرة على الشط ، فمرت حداة ، فاختطفت الصرة تحسبها لحما ، وصاعدت فى الأفق بها ذاهبة فقطعت الأفق الذى تنظر اليه عين التاجر ، فقامت قيامته وعلم أنه لا يقدر أن يستدفع ذلك بحيلة فأثر الحزن فى نفسه ولحقه لاجل ذلك علة اضطرب فيها .

قال المنصور : هلا أتيت الينا بشىء من بينة ، فكنا نستظهر على الحيلة ، وهلا هديت الى الناحية التى أخذ الطائر عليها .

فقال : لقد مر مشرقا على سمت هذا الجبل الذى يلى قصرك ... يعنى الرملة .

فقال المنصور لشرطيه الخاص : جئنى بمشيخة أهل الرملة فحضر فأمرهم بالبحث عن من تغير حالهم سريعا ، فتناظروا ثم قالوا : ما نعلم الا رجلا من ضعفائنا كان يعمل هو وأولاده فابتاع اليوم دابة واكتسى . فأمر فأحضروه ، فاستدناه فقال : سبب ضاع منا وسقط اليك ، ما فعلت به ؟

فقال : هو ذا يا مولاى .. وضرب بيده الى حجزة سراويله فأخرج الصرة بعينها ، وصاح التاجر فرحا : هذه هى !!



(٢)

فشل محاولة العلمانية

يؤكد المستشرق البرت حورانى فى كتابه (الفكر العربى فى عصر النهضة) الذى أصـدرته جامعة أكسفورد عام ١٩٦٢ ان ما أسماه النفوذ الغربى باسم (حركة التجديد) التى بدأت فى أواخر القرن التاسع عشر وفى صدر العقود الثـلاثة من القرن العشرين الميلادى فى بلاد الضاد انما كانت فى حقيقتها تستهدف أمرا واحـدا هو تحويل الاسـلام من عقيدة دينية الى حضارة والى عزل الشريعة الاسلامية ـ تلك الرابطة التى ربطت بين أفراد الامة الاسلامية عن الحياة السياسية او بعبارة أخرى : اجراء عملية انتقال من المجتمع الاسـلامى القـائم على أصالة الترابط بين القيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية الى مجتمع علمانى . ومن الدولة الاسلامية الى الدولة القومية والاقليمية القائمة على العنصرية والدم والجنس والعرق والسلالة .

وان هذه الحركة هى التى حولت الريح : من وجهة الاسلام الأصيلة التى استهدفت القضاء على مجتمع الدماء والعناصر وبناء مجتمع العقيدة الواحدة الجامعة القائمة على توحيد الله والعدل والحق .

وليس ما يقوله البرت حورانى فى كتابه هذا بجديد على الذين عاصروا حركة التغريب والغزو الثقافى وتابعوها منذ الثلاثينيات عندما كنا لا نزال فى أول الشوط ، وقد بدت البواكير تكشف الحقيقة ، التى فجرها كتاب مثل كتاب الخمسة المستشرقين بزعامة جب « وجهة الاسـلام » والذى استعمل لاول مرة كلمة (التغريب) للدلالة على الهدف الذى يسعى اليـه الاستشراق والتبشـير ممثلا فى المدرسة والجامعة والصحيفة والثقـافة والكتاب .

وكانت الأهداف واضحة جلية :

١ ـ السيطرة على التقنين وحجب الشريعة الاسلامية واقامة القوانين الوضعية فى العالم الاسلامى كله .

٢ ـ السيطرة على التعليم وتحويل برامج الارساليات ومعاهد التبشير **الى مجال التعليم الوطنى وفرض أمثال دنلوب وديوى وغيرهم .**

٣ ـ السيطرة على النظام السياسى وفرض مفاهيم اللبرالية الغربية بديلاً عن مفهوم (الشورى الاسلامية) .

٤ ـ السيطرة على الاقتصاد الاسلامى وفرض أنظمة الربا والمصارف الربوية والاقتصاد السياسى (ممثلا فى روبرت أوين امتدادا الى ماركس) .

ويرى البرت حورانى ان الجيل الذى شهد النفوذ الأجنبى كان صادقا فى مقاومته وانه كان يحاول أن يحفظ للاسلام مفهومه الأصيل مع تحرير الفكر من قيود الجمود والتخلف وأن يكشف عن جوهر الاسلام القادر على العطـــاء .

غير أن الجيل التالى الذى صنعه الغرب سواء فى البلاد الاسلامية أو فى الارســـاليات الغربية (فى أوروبا) فانه سرعان ما حطم المخطط الذى رسمه له هؤلاء الرواد (محمد عبده وفريد وجدى وعبد العزيز جاويش وشكيب أرسلان ورشيد رضا) .

وان أدعى أمثال لطفى السيد وسعد زغلول انهم من تلاميذ مدرسة هذا الجيل ، ذلك أن هذا الجيل فيما نعلم (ومن غير أن يدلنا البرت حورانى على ذلك) كان يتطلع الى اقتطاف الثمرة من يد النفوذ الاجنبى نفسه ، وكان النفوذ الأجنبى يلوح بهذه الثمرة ويقول :

نحن نريد جيلا يؤمن بالحضارة الغربية وبالتعاون مع الأجنبى ويقدر فكرة الالتقاء فى منتصف الطريق مع هؤلاء المدنيين للشعوب (المستعمرين) .

ولكن خلاصة الثقافة التى لقنها هـــذا الجيل كانت كما يقول البرت حورانى هى نظرية التطور الاجتماعى لهربرت سبنسر والفلسفة الوضعية لأوجست كونت ومن ثم وعلى حد تعبيره :

(حصل تباعد حقيقى وعميق بين الآباء والأبناء الى درجة أن الأبناء قبلوا عزل الاسلام عن الحياة السياسية) .

وان هذه المدرسة التى أطلق عليها المؤلف اسم (اللبرالية ـ العلمانية) قد أهملت الاسلام (كما يقول الاستاذ ابراهيم اسكندر) وقالت انه لا مجال للمسلمين فى التقـــدم والعمران الا باقتباس الحضـــارة بنواحيها المـــادية والأخلاقية .

« هذه مدرسة لطفى السيد وقاسم أمين وفتحى زغلول وبعض الكتاب المسيحيين : فرح أنطون وشبلى شميل الذين تتلمذ عليهم جيل من الكتاب أمثال طه حسين وعلى عبد الرازق وسلامة موسى . وهذه هى المدرسة التى تبنت الفكرة الأوربية عن الدول القومية ودعت الى فصل الدين عن الدولة فصلا مطلقا » .

وهكذا نجد أن فكرة التجديد بدأت المرحلة الأولى من أجل تقوية الأمة

الاسلامية وتوطيدها وانتهت حركة التجديد بتحول مفهوم الأمة من الجماعة الاسلامية الى الجماعة القومية الاقليمية .

وهكذا علت صيحة (القوميات الاقليميـــة) التى كانت فى أول الامر محاولة للتجمع تحت لواء العروبة بعد ســقوط الدولة العثمانية وسقوط الخلافة ولكن الفكرة العربية لم تلبث أن سممتها دعوة الاحزاب العلمانية التى يقودها التغريبيون كما سمموا فكرة التجديد .

ومضت المحاولة متعددة وضخمة وباذلة كل جهدها فى ســبيل تدمير المضمون الاسلامى للعروبة ، واعلاء شأن قومية مفرغة من روح الاصالة والاسلام والتراث واللغة ومع ذلك فقد عجزت هذه المؤامرة الضخمة عن الفصل بين العروبة والاسلام . يقول البرت حورانى :

غير أن العرب لم يكن بامكانهم أن يفصلوا القومية عن الاسلام بالقــدر الذى فعله الأتراك . فالاسلام كان من فعل العرب فى التاريخ وهو الذى بمعنى من المعانى قد صنعهم ووحدهم وأعطاهم شريعتهم وثقافتهم لذلك أحاط بالقومية العربية أساسيا اشكال كان على العرب والمسلمين على السواء أن يجابهوه . فالعلمانية ضرورة كنظام للحكم لكن من أين للعلمانية أن تنسجم والشعور العربى ، ليس من الضرورى فى الحياة العملية أن تجد الاشكالات حلا لها ومن الممكن للناس أن يعيشوا واياها فى أمان والواقع أن معظم العرب الذين فكروا فى هذه القصة قد اكتفوا بتأكيد كلا شقيها فى آن واحد متيقنين أن غير المسلمين من العرب هم جزء لا يتجزأ من الأمة العربية ، وان الاسلام هو أساس شعور العرب بوحدتهم والبعض يرد القومية الى الشعور بالاخوة الاسلامية التى أوصى بها محمد صلى الله عليه وسلم فى آخر خطبة عامة له ويقول انهـــا الطموح الى بعث مدنية الخلفـــاء الاولين العظيمة السمحاء .

وكان هناك من يطرح القضية على مستوى أعمق ، فاعتبر أن للاسلام تلك الأهمية البالغة لا لمجرد كونه ينبوع اعتزاز والهام بل لانه أتى بشريعة خلقية من شأنها توجيه حياة الأمم اذ أنه لا يجوز للمجتمع أن يكون شريعة لذاته بل ينبغى له مبدأ منظم يهيمن عليه وأورد من كلام أحد ملوك العرب قوله : ان أول مبدأ لحياة العرب السياسية انما هو الرضوخ للقرآن والسنة ولطالما سلم السلاطين العثمانيون بهذا المبدأ وكان العرب راضين بحكمهم وان كانوا غير عرب لكنهم اذ تخلوا فى القرن التاسع عشر عن مبادىء الاسلام واقتبسوا نظام حكم غربى لا يفقهونه ، انحل رباط الولاء الاسلامى واخذ العرب يفكرون فى حكم عربى يكون وفيا للاسلام من جديد .

تلك عبارة البرت حورانى ونحن لا نقرها على جملتها ولا نؤمن بتلك المصطلحات الوافدة من قومية وغيرها ونرى أن العروبة شىء يختلف عن القومية فى مفهومها الغربى وانها ثمرة الاســـلام ورابطتها به جذرية وان الاسلام يقوم على وحدة الفكر ولا يقبل استعلاء العناصر أو الدعوة اليها

ومن شأن هذا ان عجزت فكرة العلمانية وفكرة القومية الغربية أن ترضى الوجدان العربى المسلم أو تجعله يقبل هذه الأنظمة ويقرها :

ان الانسان العربى المسلم لم يقتنع بالعلمانية أو القومية الغربية . فهو لم يزل مخلصا لمفهوم الوحدة الفكرية الاسلامية الجامعة دون أن يفصل بين العروبة والاسلام . والعرب يؤمنون ايمانا صادقا بأن الاسلام هو الذى صنعهم ووحدهم وأعطاهم شريعتهم وثقافتهم وعالميتهم ومن ثم فان العرب لن يجدوا طريقهم الحق الا فى مفهوم الاصالة الاسلامية .

* * *

(٣)

عبرتان تكشف عن فساد الفكر المادى

امران علينا أن نتلقى أخبارهما ـــ وهى كثيرة ومتصلة ولا تكاد تتوقف يوما بعد يوم ـــ فى دائرة اليقظة الواعية والذكر الصحيح لقدرة العلى الكبير ولحكمته العالية ولما أوصانا بـه فى القرآن من التفكر والتذكر والتماس العبرة .

الأولى : هى أخبار الحفريات الأثرية المتعددة التى لا تتوقف فى عالمنا العربى الاسلامى يوما حيث تكتشف مدائن كاملة من آثار العرب القديمة ومن عجب ان الباحثين يعرضون هذه الكشوف ويحللون جوانبها المختلفة وما فيها من ابنية وهندسة والوان واصباغ وحجارة وصناعة ثم يتوقفون عن هذا . ولا يذكرون أن هذه الأمم عاشت قديما وكانت لها حضارات وملك عريض وانها خالفت عن أمر ربها فأخذتها سنن الله التى تأخذ الظالمين والخارجين على أمر الله : (وكم من قرية عتت عن امر ربها فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها) .

ولقد اشار القرآن فى مواضع عديدة الى هذه الامم واشار الى ان اهل العصر مازالوا يمشون فى مساكنهم ويشاهدون آثارهم ويمرون عليهم مصبحين وبالليل حيث بئر معطلة وقصر مشيد وحيث تكشف الحفريات ذلك القدر الكبير من الصناعة والترف .

هــذا شىء ، والشىء الآخر هو اخبــار الكواكب والنجوم والأفلاك التى لا تخلو الصحافة يوما من ذكر اخبارها وجدير بها ان تعطينا مزيدا من الايمان بقدرة الله القادر وكونه الواسع الذى ما يزال يزداد على مرور الأيام والأعوام اتساعا فى أبنية الكون والمجرات والكواكب التى يكشف الفلكيون عن نشوئها ولم تكن من قبل ، وعن زيادة تعداد سكان الأرض زيادة متصلة لا تتوقف . ولقد سجل الحق تبارك وتعالى ذلك فى القرآن حيث قال : **(وانا لموسعون)** .

وحين نقرأ مثلا ان السفينة فويجر (١) بعد السفينة فويجر (٢) انطلقت فى رحلة الى كوكبى المشترى وزحل خلال شهر أغسطس ١٩٧٧ وانه من المتوقع أن تصل الى كوكب المشترى اكبر الكواكب فى المجموعة الشمسية فى يوليو ١٩٧٩ وهى تجرى خلال عامين فى هذا الفضاء بسرعة ٢٣ الف **ميل فى الساعة حيث تبلغ المسافة بين الأرض والمشترى ٣٦٨ مليون ميل .**

أى معنى يمكن أن يعطينا اياه هذا الخبر ، يعطيه للنفس المسلمة المؤمنة بربها وقدرته وعظمته ، وكيف بالانسان الضئيل الصغير فى هذا العالم الضخم وكيف بربه الذى علمه وأعطاه القدرة والعقل والقوة على اختراق الآفاق ومع ذلك فان كل ما أعطيه الانسان قليل .

(وما أوتيتم من العلم الا قليلا) .

بالنسبة لعلم الله الأكبر ومع ذلك فان الانسان يستعلى ويطغى ويعتز بتلك المفاهيم المادية الزائفة ويظن انه هو الذى استطاع بقدرته وعقله تحقيق هذه الانتصارات .

ان على الانسان المعاصر أن يعود الى الله وأن يجد من هذا العطاء والكشف حجة عليه ودليلا يوقظه الى مكانه ورسالته والى فضل الله عليه وكلتا العبرتين تكشفان عن فساد الفكر المادى المحدود المحاصر فى دائرة ضيقة ، وتوضحان عظمة الفكر الربانى الأصيل الذى أعطاه تبارك وتعالى للانسان عن طريق رسالاته وانبيائه وكتبه فجحده انسان الحضارة الحديثة فذاق ويلات الغربة والتمزق والغثيان وكل ما تردده فلسفات الوجودية من اختناق للنفس الانسانية التى عقت جانبها الروحى والمعنوى وأنكرت فضل الله عليها وعصرتها الماديات وقتلتها الاباحيات .

* * *

هذا القول الزائف : لى لغتى ولكم لغتكم

قالها جبران خليل جبران ابان تلك الموجة الصاخبة التى قادها التغريب والتفرد والتصافى فى الثلاثينيات لتكون « شعارا أو أغنية » ترددها الأفواه ويتندر بها أعداء اللغة العربية والاسلام بعد أن استعلى ذلك الصوت الكريه الحامل على الفصحى لغة القرآن والداعى الى العامية بدأ من ويلكوكس الى ولمور الى لطفى السيد وقاسم أمين وسلامة موسى ثم جاء ذلك الصوت من وراء البحار ممثلا لجماعة المهجر الكارهين للأدب العربى واللغة العربية والخارجين عليه (واقصد جماعة المهجر الشمالى) : أمين الريحانى وجبران ونعيمة وشاعر اللا أدريه (ايليا أبو ماضى) ولهؤلاء جميعا قصة طويلة سوف نعرض لها يوما لنكشف زيف هدف الأدب المهجرى الشمالى وعداوته للعربية والفكر الاسلامى .

ولكن مدرة الاسلام مصطفى صادق الرافعى كان ما يزال واقفا لهم بالمرصاد بعد أن أصدر كتابه (اعجاز القرآن) ليرد على تلك الحملة التى بدأت منذ وقت مبكر ، بعد الاحتلال البريطانى لمصر والسودان ، وبعد أن جاءت عائلات تقلا ومكاريوس وفارس نمر وصروف وسركيس وصابونجى وغيرهم وليس معهم الا عداوة القرآنية يعملون لهدمها عن طريق هدم اللغة الفصحى ، وتحويل مفاهيم الماسونية الى اخلاقيات للمجتمع المتحضر الجديد .

قال الرافعي رحمة الله عليه :

واذا أنت لم تجد فى كل علماء المتقدمين من يستطيع أن يقول انه صاحب مذهب جديد فى الأدب واللغة او يرى لنفسه رايا فيها الا انه يعمل لحفظها ونمائها ورونقها ، والا أنه يرفق ما استطاع ويتصرف بما أطاق فانك واجد فى أهل (١٩٣٢) من يقول فى هذه اللغة بعينها .

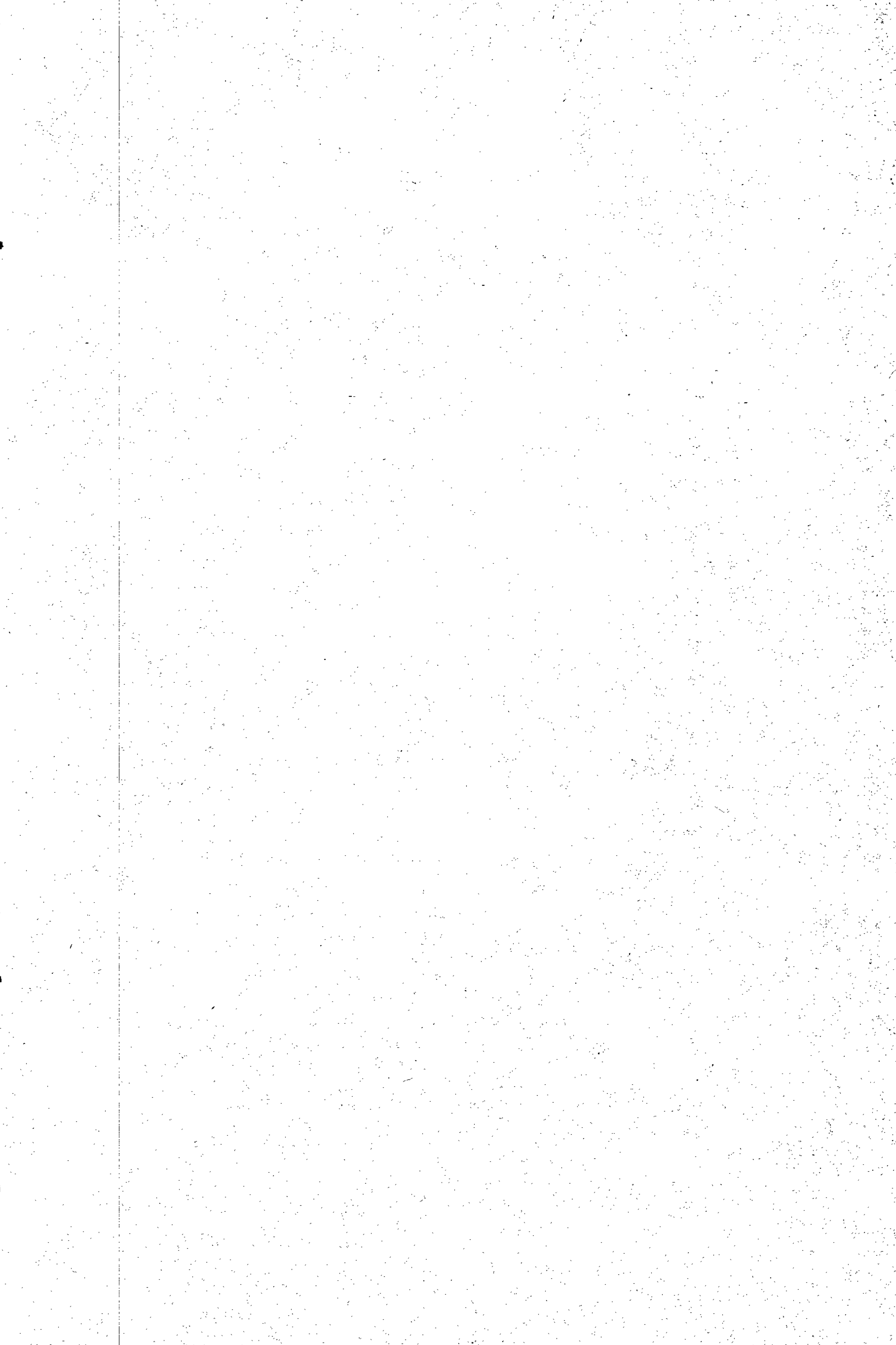
لك مذهبك ولى مذهبى .. ولك لغتك ولى لغتى

فمتى كنت يا فتى صاحب اللغة وواضعها ومنزل أصولها ومخرج فروعها وضابط قواعدها ومطلق شواذها . ومن سلم لك بهذا حتى يسلم لك حق التصرف (كما يتصرف المالك فى ملكه) وحتى يكون لك من هذا حق الايجاد ومن الايجاد ما تسميه أنت مذهبك ولغتك ، لأهون عليك ان تولد ولادة جديدة فيكون لك عمر جديد تبتدىء فيه الأدب على حقه من قوة التحصيل وتستأنف دراسة اللغة بما يجعلك فيها شيئا من أن تلد مذهبا جديدا أو تبتدع لغة تسميها لغتك فانك عمر واحد فى عصر واحد بين ملايين من الأعمار فى عصور متطاولة . وان ما تحدثه على خطأ لا يبقى على انه صواب ولا يبقى ابدا الا كما تبقى العلة على أنها علة فلا يقاس عليها أمر الصحيح ولا يحكم بها فيمن لم يعتل .

ان هذه العربية لغة دين قائم على أصل خالد هو : القرآن الكريم .

وقد أجمع الأولون والآخرون على اعجازه بفصاحته الا من لا حفل به من زنديق (يقصد سلامة موسى ومحمود عزمى وطه حسين وعلى عبد الرازق وجبران وزملائه) فاذا كان المعجز فى لغة من اللغات باجماع علمائها وأدبائها هو من قديمها فهل يكون الجديد فيها كمالا أم نقصا . ثم أن فصاحة القرآن يجب أن تبقى مفهومة ولا يدنو الفهم منها الا بالمران والمزاولة ودرس الأساليب الفصحى والاحتذاء عليها وأحكام اللغة والبصر بدقائقها وفنون بلاغتها والحرص على سلامة الذوق فيها وكل هذا مما يجعل الترخص فى هذه اللغة وأساليبها ضربا من الفساد والجهل فلا تزال اللغة كلها مذهبا قديما وانما يكون المذهب الجديد فيها رجلا الى حين ثم يدخل مذهبه معه القبر وما عسى يصنع كاتب وعشرة ومائة والف فى لغة ينبض على كتابها المعجز اربعمائة مليون قلب (الآن الف مليون قلب) وكم من أسلوب ركيك أو ضعيف أو عامى ظهر فى هذه اللغة منذ دونوا وكتبوا وكم من فكر فاسد أو زائغ أو مدخول وكم من كتاب كان يصلح أن يسمى بلغة اليوم مذهبا جديدا فأين كل ذلك واين اثره فى اللغة وأساليبها بعد ثلاثة عشر قرنا ؟ لقد ابتلعته ثلاثة عشر موجة فانحدر الى أعماق الموت الطامى .

وهكذا القم الرافعى جبران ونحلته حجرا وقف فى حلوقهم واليوم وبعد مرور اكثر من أربعين عاما نتساءل : أين صيحة جبران ولطفى السيد الضالة التى واجهها الرافعى رحمه الله بالتفنيد والدحض منـذ بدات عام ١٩١٣ ووالاها بكتابه عن اعجاز القرآن ثم مضى بها فى مقالاته فى الهلال والرسالة حتى نهاية حياته رحمة الله عليه فما ترك لهم شبهة الا زيفها وكان موقفه من الرجل الصنم واضحا وقويا .



(٤)

رفض المسلمون الذوبـان

عبر جوستاف فون جرونيادم على الرغم من خصومته الشديدة للاسلام عن مفتاح التحدى الحقيقى للاسلام فى مواجهة الغزو الحضارى فقال فى كتابه الاســلام المعاصر :

((ان شغل الاسلام الشاغل لم يكن السعى فى سبيل شخصية حضارية بل الرفض بالســماح لشخصية الاســلام الحضارية ان تذوب وتتلاشى فى شخصية حضارية أخرى ، هذا الرفض بالذات هو الذى مكن الجزائريين من الصمود فى وجه الاستعمار الفرنسى . وهذا الرفض هو الذى حال بين المسلمين الهنود أن ينصهروا فى وجه أكثرية عددها اربعة اضعاف عددهم وأعطاهم الدافع لأن يقيموا دولة جديدة منبثقة من وحى الاسلام وروحه .

فقــد اصر الجزائريون طوال مائة واربع وثلاثين سنة اصرارا عنيــدا على أنهم ليسوا فرنسيين بل جزائريين مسلمين ولم يخامرهم طوال صراعهم الدموى ضد الحكم الفرنسى الاستعمارى اى شك فى شخصيتهم الحضارية وكذلك استمر سكان القارة الهندية المسلمون قرونا متوالية فى اصرارهم على أنهم يختلفون عن جيرانهم الهندوكيين حضارة ولم يستريحوا او يريحوا حتى قامت دولة باكستان على اطلال الامبراطورية البريطانية فى الهنـد ومن أجل ذلك كان الصراع فى مراكش وتونس وليبيا ومصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين ، لقد اصبح الاسلام هو الوسيلة المثلى للاحتجاج والمقاومة والأداة الوحيدة الفعالة فى أيدى ابنائه لمجابهة الأخطار التى تهدد مجتمعهم ودينهم وحضارتهم)) .

انفجار نووى بقوة ألفى قنبلة وقع منذ سبعين عاما
ما يزال انفجار عام ١٩٠٧ يدهش العلماء ولا يجدون له تفسيرا

ما يزال انفجار عام ١٩٠٧ الذى وقع فى سيبريا يشغل العلماء خلال هذه السبعين عاما التى انقضت على حدوثه دون أن يصلوا الى تعليل علمى صحيح له وفى ذلك مصداق قول الحق تبارك وتعالى : **(وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)** وقع الانفجار صباح ٣٠ حزيران (يونيو) عام ١٩٠٧ تبين أنه وقع على بعد ٦٥ كيلو مترا من قرية (فانا رافا) فى اقليم تونجويكا شمال بحيرة بيجال بسيبريا والغريب أنه بعــد حدوث الانفجار بشهرين بقيت فى السماء هالة ضخمة من النور فسفورية اللون شديدة البريق منذ ذلك

الوقت والعلماء يتساءلون عن أصل الانفجار ولا يزالون الى اليوم دون أن يتوصلوا الى كشف النقاب عن مصدره أو تفسير سقوط أشجار الغابات المحيطة بالمنطقة فى مساحة ٤٠ كيلو مترا .

وتقول احدى الصحف الفرنسية التى تناولت الموضوع مجددا : لقد افترض بعض العلماء أن هذا الانفجار لا يمكن الا ان يكون انفجارا نوويا يعادل فى قوته (٢٠٠٠) قنبلة لها ذات القوة التدميرية للقنبلة الذرية التى القيت على مدينة هيروشيما فى اليابان كما رجحوا حدوث الانفجار على ارتفاع ٨ آلاف متر فوق سطح الأرض وأكد البعض أن السبب فى حدوث الانفجار قد يكون سقوط أحد الشهب وانفجاره قبل ان يصل الى الأرض ولكنهم لم يعثروا على أى اثر يدل على حدوث ذلك ، ويقول أحد العلماء الذين درسوا الظاهرة باستفاضة : لقد أثبتت ذبذبات المجال المغناطيسى الأرضية وطبيعة الموجات المترددة للزلزال فى المنطقة وبالاضافة الى التحاليل والفحوص التى أجريت على عينات من الياف وشرائح الأشجار التى دمرت والصخور الموجودة أن الانفجار (نووى) ومن المحتمل أن يكون أصل الانفجار وصول احدى مركبات الفضاء التى أدى اختراقها للمجال الجوى الأرضى الى هذا الانفجار العجيب .

قبر صـــلاح الدين

نشرت مجلة المقتطف التى كان يصدرها أصحاب المقطم وهم من المارون حلفاء الاستعمار البريطانى عام ١٩٢٧ سؤالا وجه اليها جاء فيه : ان اللورد اللنبى لما دخل دمشق فاتحا نزع عن قبر صلاح الدين الأكليل الذى وضعه عليه الامبراطور غليوم فما هى غايته من نزعه ؟.

وأجاب الدكتور يعقوب صروف محرر المقتطف على السؤال فقال :

ان الحرب العالمية اثارت الأحقـــاد بين المتحاربين حتى صار يسهل على كل منهم أن يقتل خصمه ويمثل به ويحرق بيته ويتلف أمتعته ولم يكتف المحاربون بذلك بل حرقوا المخازن والكنائس والمكاتب واتلفوا الآثار الفنية . واللورد اللنبى من أروع قواد الجيوش ولكنه وتر بوحيده فى هذه الحرب واذا ثارت ثائرة الغضب فهو وغيره لا يقف غضبهم عند حد ونظن انه لو جاء دمشق الآن لوضع على قبر صلاح الدين اكليلا آخر بدل الذى نزعه .

وتكشف هذه الاجابة عن المكر والدهاء البالغين وعن الأسلوب الذى كانت صحافة التغريب والغزو الفكرى تنشره بين المسلمين والعرب .

ولو كان صاحب المقتطف منصفا وناصحا لقال غير هذا ، لقال أن اللورد اللنبى هو صاحب الكلمة المشهورة (الآن انتهت الحروب الصليبية) بمعنى أن الغرب المسيحى قد استطاع بعد مرور سبعمائة عام أن يعود مرة أخرى بعد أن هزمت حملاته الصليبية التى استمرت مائتى عام ، ها هو قد استطاع أن يعود وأن يقتحم دمشق وأن يصل الى قبر صلاح الدين الذى هزمهم

فى موقعة « حطين » وقد أكمل هذا المعنى القائد الفرنسى (غورو) الذى قال حين دخل قبر صــلاح الدين قولته المعروفة : « ها نحن قــد عدنا يا صـــلاح الدين » فالأمر ليس أمر غضب اللورد اللنبى على فقدان ابنه ولا هو أمر أى عاطفة من العواطف الخاصة ولكنه أمر مخطط خطير رسمه لويس التاسع عشر بوصيته عشية هزيمته فى المنصورة وقد استطاع هذا المخطط أن يحقق غايته بعد سبعمائة عام حيث استطاع النفوذ الأجنبى اسقاط بلاد المسلمين فى قبضته عن طريق الغزو الفكرى والتغريب وهزيمة مفهوم الاســـلام . وهكذا كشف الغرب الاستعمارى عن حقده ازاء أرض الاسلام وازاء المسلمين وازاء الاسلام نفسه ممثلا فى مهاجمة المجاهد العظيم صلاح الدين فى قبره سواء بنزع اكليله او القاء عبارات الحقد ، ازاء رجل لا يملك الرد عليهم وان كان قد حطم أحلامهم واقذى عيونهم ولا يزال رمزا عظيما لمقاومة الغزو الأجنبى .

لا حاجة الى واسطة

قال الحاج عمر بونجو رئيس الجابون :

ان الشىء الذى أومن به والذى يؤكده الاسلام هو ان هناك ((الله)) وهناك « الانسان » وليست هناك حواجز بينهما وبالتالى فلا حاجة الى الوساطة وهذه هى ابرز ما اهتز له قلبى من مفاهيم الاسلام : هذه هى روح الاسلام ذلك الدين العظيم الذى آمنت به ، لقد وجدت فى الاسلام الحرية والصلة المباشرة بين الانسان وربه بعيدا عن حدود المكان ووساطة الكهنوت . اننى كمسلم لست محتاجا الى محراب او معبد او صومعة لأختلى بنفسى مع الله ، ان الأرض كلها مسجدى . لقد وجدت فى الاسلام الحرية والصلة المباشرة مع الله تبارك وتعالى .

المحرر : الرئيس عمر بنجو رئيس جمهورية الجابون وفقه الله سبحانه وتعالى للدخول فى الاسلام فى أول رمضان المبارك من عام ١٣٩٣ هـ وقد ادى فريضة الحج عام ١٣٩٤ هـ .

من تاريخنا

يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

● لو شئت لكنت أطيبكم طعاما ، لولا أن تنقص جنانى لشاركتكم فى لين عيشكم ولو شئت لكنت أطيبكم طعاما وارفهكم عيشا ولكنى اخاف من الله تبارك وتعالى الذى يقول :

(أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) .

● ان الله عز وجل لا يمحو السيىء بالسيىء ولكن يمحو السيىء بالحسن فانه ليس بين الله تبارك وتعالى وبين أحد نسب الا طاعته فالناس شريفهم

ووضيعهم فى ذات الله سواء . الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة .

● واذا كان فى الانسان عشر خصال تسع منها صالحة وواحدتها سوء الخلق افسدت هذه الخصلة تلك التسعة .

● التبسم ابلغ فى الايناس من الضحك .

● المروءة مروءتان ظاهرة وباطنة : فالظاهرة الرياش والباطنة العفاف .

● الى الله اشكو ضعف الأمين وخيانة القوى .

● تواضعوا لمن تتعلمون منهم ليتواضع لكم من تعلمونهم .

* * *

(٥)

كل مؤامرات الفكر جاءت من الشعوبيين

ان أغلب النظريات التى طرحت على المسلمين والعرب قدمها أناس من غيرهم ، أناس ليست لهم صفة المواطنـــة الصحيحة أو الايمان بالقيم التى تعيشها المجتمعات فنجد أن دعاة الطورانية يهود أمثال ليون كاهون الذى كتب عن تاريخ الترك والمغول داعيا الأتراك المسلمين بعد أربعة عشر قرنا من الاسلام أن يعودوا الى تاريخ قديم لطوران ومغول وغيرها ، وقد اعتبر هذا الكتاب مرجعا لتلك الدعوة التى انطلقت خلال حكم السلطان عبد الحميد لتحطم الجامعة الاسلامية .

وجاء فمبرى اليهودى من أوروبا الى الدولة العثمانية ، وأقام بهـــا وتحبب الى قادتها من أجل أن يكسب ثقتهم فيقنعهم بنظرية مسمومة تقوم على أساس اعلاء فكرة العرق على فكرة العقيدة ، وقد دعا فمبرى الأتراك الى الخروج من الوحدة الاسلامية والعودة الى طوران ، ومن أجل دعوته قام برحلة الى آسيا لتجديد هذه الآراء القديمة التى حاربها الاسلام ومن ثم بدأت حملة عنيفة تصور الجامعة الاسلامية بأنها خطر على الغرب ، واثارة الحفائظ بين الدولة العثمانية وأوربا ، وقد كشف السلطان عبد الحميـــد عن هذه المؤامرات فقال : ان الدول الغربية تحاربنا حربا صليبية بشكل سياسى .

وفى هذه الفترة ظهرت المحافل الماسونية لتستوعب حركة الاتحاديين ، وظهر عباس باشا زعيم البهائيـــة ، وفتح الطريق الى دخول سماسرة الفساد فى البلاد العربية . وصدر الجزء الأول من فلسفة النشوء والارتقاء لشبلى شميل ، واثير الغبار حول اللغة العربية ..

ثم جاءت الدعوة الى الشيوعية فحملها اليهود وكانوا هم دعاتها فى كل مكان فكشفوا بذلك عن العــلاقة الجذرية بين الصهيونية والشيوعية ، ثم جاء دعاة الاقليميات والقوميات الضيقة أمثال ساطع الحصرى ، وانطون ســـعادة ..

أما ساطع الحصرى فقد كان ثمرة الفكرة الطورانية التى حملها دعاة الاتحاديين .. أما انطون سعادة فقد كان داعية تمزيق الوحدة القائمة بين العرب والمسلمين خدمة للتعصب وللاستعمار ، فركز انطون سعادة على تأثير الأرض وركز ساطع الحصرى على تأثير اللغة ، وكلاهما اقتبس آراءه

من النظرية الغربية ، واستغل التاريخ الأوربى الحديث . واعتمد أنطون سعادة على نظريات أجنبية وعلى أفكار غربية ، وكذلك سار ميشيل عفلق فى نفس الطريق وجرى التلفيق بين عشرات النظريات الوافدة .. وغاب عن هؤلاء جميعا أصالة الاسلام وتراثه فى مجال الوحدة والتضامن والجامعة التى تجمع أهله ، ومن أجل ذلك سقطت هذه النظريات بعد أن حاولت أن تسيطر على هذه الأمة وبعد أن بذلت جهود كثيرة فى سبيل اقتناع الناس بها ، لقد كانت الصيحة صيحة الأصالة : اننا نريد مفهوما عربيا واسلاميا أصيلا مستمدا من تراثنا وواقعنا . فالاسلام يرى أن العقيدة هى العامل الحقيقى للتجمع والوحـــدة ، ان الأصوات التى كانت تدعو الى العروبة فى لبنان لم تكن مخلصة فى حمل لواء الأصالة وانما كانت تستهدف الفصل بين العرب والترك ، واثارة الصدام بينهم ولذلك فانه سرعان ما تغير الاتجاه بعد سقوط الدولة العثمانية .

وسرت دعوة الاقليمية فى كل بلد عربى حتى لا يتفق العرب على وحدة جامعة فدعا التغريبيون فى مصر الى التمصير وفى سوريا الى السورية وفى لبنان الى اللبنانية وأثيرت دعوات الفرعونية والفينيقية والبابلية انتزاعا للمسلمين والعرب من أربعة عشر قرنا وردهم الى تاريخ قديم ليس له من جذور أو مقومات تمكنه من الحياة مرة أخرى وقد قضى عليه بقانون « الانقطاع الحضارى » الذى وقع فى العالم الاسلامى بعد الاسلام حيث سقطت العقائد الفاسدة ، واللغات ، ولعل الرومانية التى استمرت فى أجزاء كبيرة من البلاد العربية ألف عام تقريبا .

ولقد تعالت الصيحات بالدعوة القوميـــة مستمدة من الفـــكر الغربى ومن نظريات القوميات الغربية ، واستمرت اكثر من عشرين عاما ، ثم فشلت فشلا ذريعا ولم تستطع أن تحقق شيئا ، ذلك لأنها كانت مجافية للفطرة وللأصالة وللاستمرار التاريخى والعقائدى الاسلامى عميق الجذور ، عجزت فكرة القومية عن أن تحقق شيئا الا الخلاف والصراع لأنها جانبت الفطرة وتعقدت واستسلمت لمحاذير الفكر الوافد ، لقد عرف قادة حركة اليقظة تلك الرابطة العميقة بين العروبة والاسلام وكانوا يعملون فى ضوئها ، يرون العروبة ثمرة الاسلام ، وأن العرب مادة الاسلام ولكن محاولات ساطع الحصرى وميشيل عفلق وأنطون سعادة حاولت أن تخرج العروبة من مفهومها الأصيل الى مفاهيم القومية الغربية التى تختلف تماما عن المفهوم الأصيل ومن ثم فقد عجزت أن تؤدى الى نتائج أصيلة ، وتبين أن هذه المحاولة تستهدف مقاومة الاستعمار بالتجمع تحت لواء العروبة ، ولكن اهدار هذا الاتجاه بفصل العروبة عن تراثها وعقيدتها وقيمها ، واقامتها على قيم أخرى وافدة كالاشتراكية وغيرها ، وهنا فسدت الفكرة وعجزت عن العطاء ، واليوم وقد انتهت مرحلة الاستعمار ، فان الدعوة الى العروبة أو القومية أصبحت قاصرة وعاجزة عن أن تستوعب تحديات المرحلة الجديدة ، ان المواجهة الآن فى هذه المرحلة تتطلب العمل داخل اطار منهج الاسلام ..

لقد تعودت حركات التغريب أن تحتوى الدعوات التى يتخذها المسلمون والعرب اسلوبا للعمل ، ولقد استطاعوا احتواء فكرة العروبة حين فرغوها

من مفهومها الاسلامى وجعلوا مضمونها غربيا وافدا وبذلك حطموا هدفها وحالوا بينها وبين تحقيق الغاية . لقد قامت القومية فى الغرب معارضة للوحدة المسيحية فى أوروبا ولتمزيقها .

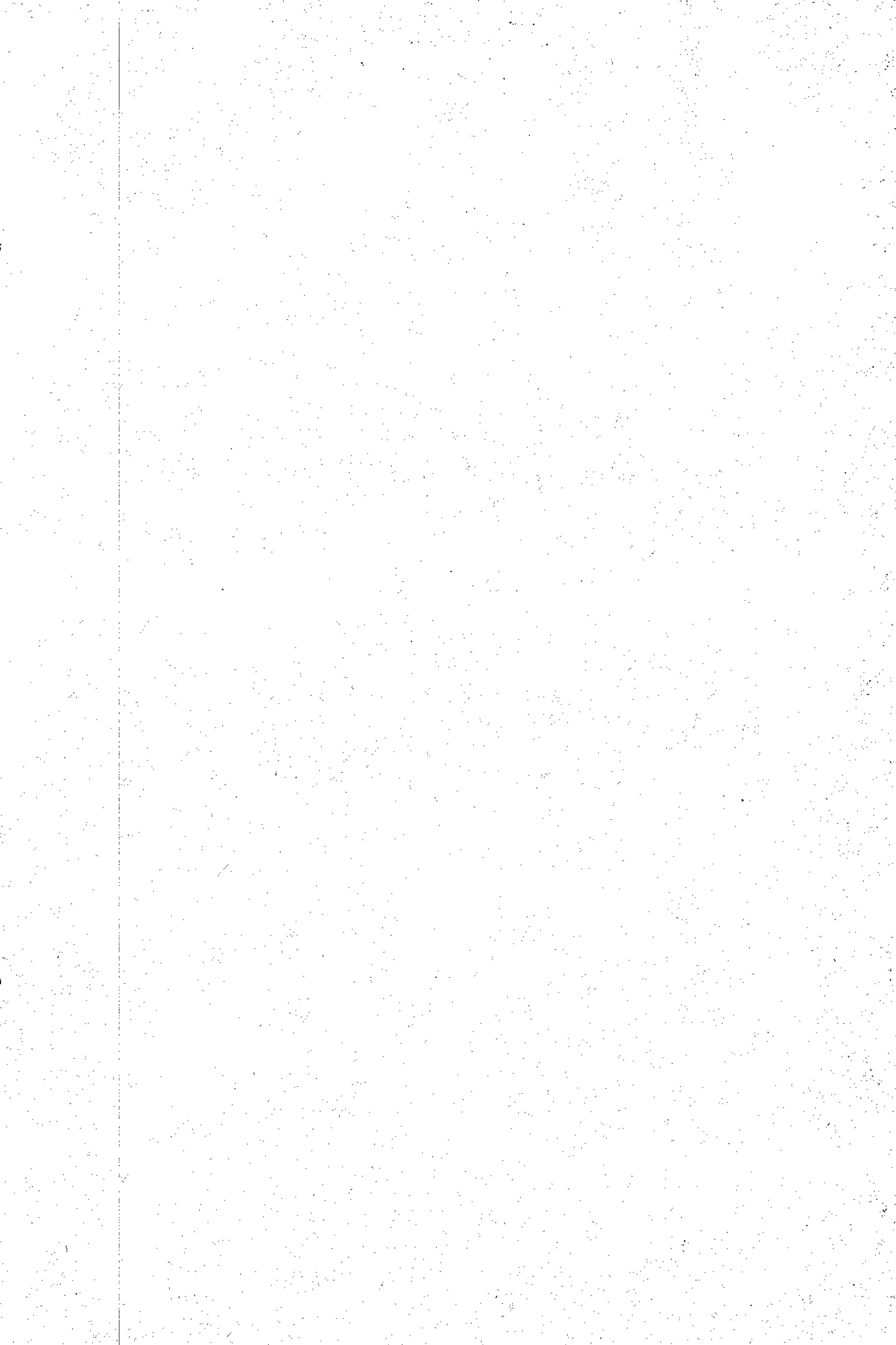
أما العروبة فى العالم الاسلامى فانها قامت لتخلف الوحدة الاسلامية والحلول محلها حين سقطت الدولة العثمانية للتجمع تحت لوائها ولذلك فان اصطناع مفهوم القومية الغربى جاء بنتائج أفسدت الهدف وحالت دون الوصول الى الغاية ، وفى الغرب ارتبطت فكرة القومية بالعنصرية واعلاء الجنس ، ولكن المسلمون لا يرون العنصرية فى علاقتهم ، بل ينكرونها ويؤمنون بالاخاء الذى جمع بينهم الاسلام به . لقد كان من أقوى أهداف النفوذ الغربى وضع المسلمين والعرب فى قوالب الفكر الغربى ، واخراجهم من قيمهم ومفاهيمهم ولقد استطاعت أن تفرض ذلك عليهم عن طريق سيطرتها على الثقافة والتعليم التى خرجت مجاميع من القادة والمفكرين ، كذلك فان الفكر الاسلامى بأصالته واستمداده من القرآن قادر على صهر كل مذهب ودعوة وفكرة والانتفاع بما فيها من ايجابيات دون أن تسيطر عليهم هذه التيارات .

لقد أذهب الله عن المسلمين عصبية الجاهلية وفخرها بالاباء ، فالناس بنو آدم وآدم من تراب ، ولا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى .

هامش اليوميات

عرف الراغب الأصفهانى الظلم بأنه وضع الشىء فى غير موضعه المختص به اما بنقصان أو بزيادة ، أو بعدول عن وقته ومكانه .. فاستعمال القدرة بالطريقة العادلة وفى الوقت المناسب وفى المكان اللائق فضيلة .. واستعمالها بالطريقة الظالمة فى الوقت غير اللائق رذيلة .

* * *



(٦)

هل يستطيع الفكر الغربى أن يتجـاوز مرحلة الخطر

ان الفكر الغربى اليوم بعد أن وصل الى طريق اللاعودة فى الاتجاه المادى تحت سيطرة التلمودية الصيهونية التي انحرفت به وأخرجته من النظرة الدينية (المسيحية) اولا ومن النظرة الروحية المثالية ، واحتوته داخل اطار الفلسفة المادية اليهودية الأصل ، يحاول محاولات مستميتة فى الخروج من أزمته .

ان هناك محاولات متعددة من الفكر المسمى الغربى الى اعادة النظر فى التحديات والأخطار التى وصلت اليها ، تدور هذه الأبحاث حول الدين نفسه ، ونجـد على رأس هـذه المحاولات أرنولد توينبى ومن بعـده أونامونو عن المسيحية ، ثم نجد مراجعات كثيرة حول هيجل وماركس وفرويد ودوركايم وسارتر . وقد تبين للغرب أن آراء هؤلاء جميعا ما هى الا (التلمودية) مصبوغة بصبغة البحث العلمى وقد كشف الدكتور صبرى جرجس منذ سنوات عن أن نظرية فرويد مستمدة كلمة كلمة من التراث التلمودى الصهيونى وانها محاولة جادة لتدمير الانسان نفسه ، كجزء من خطة الصهيونية العالمية محاذية تماما لخططها السياسى التخريبى .

ولقد كانت محاولة ماركس اليهودى أن يجعل تفسير التاريخ البشرى كله دائرا حول المعدة ولقمة العيش ، وكانت محاولة فرويد اليهودى أن يجعل تفسير التاريخ البشرى كله دائرا حول الجنس وكانت محاولة دوركايم اليهودى أن يصوغ الاجتماع البشرى على أساس (الجبرية) التى تجعل مسئولية العمل مرتبطة بالمجتمع وليس بالفرد والقول بأن الدين والأسرة ليسا من الفطرة وأن الجريمة لا عقاب عليها لأنها مرض وليست عملا اراديا وهكذا ! .
وقد ظهرت فى الغرب مدرسة جديدة قوامها (استيكل وموررر وفروم) تحاول أن ترجع التحليل النفسى الى أصالة الدين وتقدم مفهوما جديدا معارضا لمفهوم فرويد الذى استعلى استعلاء شديدا منذ عام ١٩٣٠ تقريبا الى أن حطمته المجامع والمؤتمرات النفسية الأخيرة التى عقدت فى المانيا وأمريكا عام ١٩٦٨ وما بعدها .

وتجىء نظرية السيكولوجيين الجدد كاشفة لزيف فرويد ونظريته ، فهم يعتبرون الاضطرابات النفسية تعود الى فقدان عنصرى الدين والأخلاق . ويرى شيخ هؤلاء (استيكل) أن القلق الذى يؤدى الى الاضطرابات يحدث عندما يقوم الفرد بأعمال كان يتمنى الا يقوم بها فى حين أن القلق حسب المفهوم

الفرويدى ينشأ من مجرد التفكير فى القيام بأعمال لا يقرها الضمير والفرق كبير بين المفهومين اذ يؤكد الاتجاه الأول فكرة الصراع التى تجىء بين الفعل (الممارسة) والشعور بالاستياء الناجم عنه وهذا رأى استيكل بينما يؤكد الاتجاه الثانى فكرة الصراع الناجم عن مجرد النية ثم الخوف المترتب على هذه النية او الرغبة .

وتقوم نظرية استيكل على محاسبة الضمير وعقابه والشعور بالخطيئة على أعمال مارسها الفرد ويطلق على هذه النظرية : نظرية الخطيئة .

ويرى أصحاب هذا المذهب أن هناك علاقة بين المرض النفسى وعذاب الضمير ، وأنهما شيئان مرتبطان متلازمان يسيران جنبا الى جنب . ويرون أن الألم قد يكون له تأثير ضار مدمر للشخصية عندما يشعر به الانسان ولا يستطيع أن يعبر عنه او يصححه .

وقد كان فرويد من أوائل دعاة (العقل الباطن) وأثره فى احداث الاضطرابات الانفعالية وممن نادوا بنظرية اللاشعور غير أن دراسات اللاشعور كانت غامضة ولم تكن واضحة فضلا عن أنها قسمت النفس الانسانية الى ارادة ووجود غير أنهـــا حاولت أن تعطى المحللين النفسيين هالة من القداسة والكهنوتية ونوعا من المعرفة الخفية المقصورة على فئة قليلة .

أما أصحاب النظرية الدينية فيقولون : انه اذا كان المقصود باللاشعور مجموعة العوامل الغريبة الغامضة غير المرتبطة التى تؤثر فى الشخصية وما يتعرض لها من اضطراب فالمذهب الدينى فى تفسير المرض النفسى لا يمانع من فهم اللاشعور داخل هذا الاطار المحدود ، أما اذا تعدى مهمة اللاشعور هذا الاطار ومعرفته فهنا يبدأ الاختلاف واضحا بين المدرستين .

وجملة القول ان المفهوم الجديد للمرض النفسى لا يقوم على أساس الكشف عن النزعات اللاشعورية ومساعدة الفرد على اشباعها أو الشعور بها بل مساعدة الضمير على أن يسترخى ويهدأ ثم يتراجع . والوسيلة الى ذلك هى مساعدة الفرد ليعمل على ارضاء الضمير وان هذا السلوك الروحى من شأنه أن يعيد الى النفس طمأنينتها والى الشخصية تكاملها . ومعنى ذلك أن التفسير الدينى للمرض النفسى تترتب عليه نظرية علاجية لتعتمد اعتمادا كبيرا على الدين لأن الدين هو الطريق الى العقـــل والطريق الى القلب وأن الدين هو الطريق الى بقاء ودوام القيم الانسانية التى تعتبر اطارا مرجعيا لسلوك الفرد وتصرفاته وأسلوب حياته .

وان ملاءمة الذات هى عملية يستطيع أن يقوم بها المعلم ورجل الدين والموجه النفسى والآباء والأمهات .

وان الدين هو من العوامل المعينة للانســـان للتغلب على التوترات والصراعات التى يتعرض لها فقد ساعد الأفراد على مر العصور على مواجهة قوى الظلم والاستبداد . ذلك هو مجمل وجهة النظر الجديدة فى التفسير

الدينى للمرض النفسى وهى محاولة تحاول أن تسترد من النظرية المادية الفرويدية ما حاولت خداع عشرات الملايين به من وهم وما صبته فى النفوس من سموم وعذاب ..

الفكر الغربى يكشف فساد منهج ديكارت

وفى نفس الطريق نجد هذه المحاولة الضخمة التى تريد أن تقتلع جذور الفكر المادى من الأساس . ولكى نفهم القضية علينا أن نبدأ من نقطة متقدمة

ان الفكر الغربى لم يخرج عن نطاق الأصالة التى قررها دين الله الحق الا يوم أن فصل بين الفكرة والتطبيق ، والروح والمادة ، والغيب والشهادة ، هنالك بدأ الفكر الغربى ينطلق بعيدا عن النظرة الجامعة المتكاملة الممثلة فى الانسان . ومن هذه النقطة بدأ الانحراف وبدأت انشطارية الفكر الغربى التى جنحت به نحو المادية الخالصة وكان ديكارت هو أول من ضرب هذا المعول وصدع هذا الصدع ومن ثم نشأ ما يسمى (بالجبرية) التى تنكر ارادة الفرد ومسئوليته .

— واليوم يصحو (الفكر الغربى) ليواجه هذه الحقيقة بعد أن غرق فى التيه باحثا عن خطئه وانحرافه .

ويقول روبير آرون فى كتابه (ملاحظات ضـــد المنهـــج) أن ديكارت هو أساس العلة . ويقول اننا نجد فى بعض المآسى التى يعيشها العالم ما اعتبره الخطأ الأساسى عند ديكارت فى احلال الفكر مكان الوقائع نجد أن الأول قد أطبق على الثانية وسحقها وهذه هى خطيئة ديكارت الميتافيزاقية أى اعتقاده أن عمليات الفكر تتطابق مع قوانين العالم .

ان الانسان الديكارتى لا يتمتع بالحرية ، وهو سجين التقنيات وعنصر سلبى فى المجتمع فقد يبغى من ورائه ترسيخ انسانيته وفرضها على الطبيعة . وخطيئة ديكارت أنه يجرد الانسان من قدراته على الخلق والابداع .

ومما قال روبير آرون : من المؤكد أن الانتقال الأكثر طبيعة والتقرب الى الأمثل من المادة الى الروح ومن العالم الى الله ، ومن العقل الى الايمان يتم عبر المتعة الروحية والصلاة .. وقد كتبت عشرات الأبحاث عن منهج ديكارت منـــذ أعلنه فى ١٠ نوفمبر عام ١٦١٩ واتهمه خصومه بالتشكيك والالحاد والعمل على هدم الجامعات والكنيسة والدولة . والكاثوليك يرون أن آراءه مارقة من الدين .

ولقد حاول طه حسين أن يطرح هذا الفكر فى مصر بطريقة زائفة عندما كتب (الشعر الجاهلى) وكان يقول للأزهريين أنتم لا تعرفون منهج ديكارت ولكن الدكتور محمد أحمد الغمراوى رحمه الله تصدى له وكشف زيفه وأعلن أن ما ادعاه منهجا لديكارت ليس صحيحا وانما هو محرف ، وقال العلامة محمد فريد وجدى أن أعظم ما فى منهج ديكارت مأخوذ من الفكر الاسلامى

ومن الغزالى وقد كان طه حسين يريد أن يطرح فى أفق الفكر الاسلامى سموم نظرية الشك واللا ادرية .

ويقول روبير آرون : ان كل مساوىء العقلية المعاصرة والتقنية تجد لها مرجعا عند ديكارت اذا ما تأملنا مليا وقبل كل شيء مسار فكره لقد خلف ديكارت أثرا عميقا فى كثير من العقليات وأخطر آثاره ما ادعوه بخطيئة الميتافيزيقية (الماورائية) أو خطيئة الأخلاقية هى الممثلة بشكل من تجريد الايمان وبالتنكب عن الابداع نتيجة للوهم الخادع الذى تتركه الآثار العقلية بل يمكن أن يعثر فى بعض مآسى العالم ما أحسبه خطأ ديكارت الأساسى أى احلال (الأفكار) مكان (الحقائق) وما ينتج عن ذلك من تبديد الأفكار لقيم الحقائق فخطيئة ديكارت هى اعتقاده أن عمليات الذهن تتطابق مع قوانين العالم ..

وهكذا نرى الغرب اليوم يكشف زيف تلك القاعدة الأساسية التى قام عليها الفكر الغربى حين فصل بين القول والعمل وبين النظرية والتطبيق وبين المادى والروحى ثم توالت نظريات الفلاسفة ممزقة هذا النسيج الواحد المتكامل فكانت نظرية فرويد فصلا بين الوعى واللاوعى وجاء دعاة المادية الذين اعتبروا الميتافيزيقيا أو عالم الغيب خرافة وفصل ماركس بين عوامل التاريخ المختلفة وانكرها جميعا ما عدا العامل الاقتصادى .

وهكذا وقع الفكر الغربى فى التناقض

وصدق الذى قال : لقد حطم ديكارت ولكنه لم يستطع ان يكمل البناء واليوم لم يعد أمام الفكر الغربى الا ان يلتمس الطريق الصحيح : الطريق المتكامل الجامع بين الروح والمادة يريد أن يصل الى الحقيقة وما اعتقد انه مستطيع فقد وصل الى مرحلة اللاعودة .

ومن وجهة نظر الاسلام فان مفهوم ديكارت قد أدى الى حدوث انقسام جوهرى بين الوجود والماهية فى كل الفلسفة الغربية حيث لا يقر الاسلام أن هناك انفصالا بين الوجود والماهية .

وقد جاء خط سارتر تاليا لذلك بقوله ان الوجود يسبق الماهية ومن هنا ركز الفكر الغربى على الانشطارية المنحرفة التى اقامها فصل الارادة عن الوجود بينما **ان الصحيح هو** ان الارادة لا تنفصل عن الوجود ولا يظهر الوجود الا مقترنا بالارادة كما أن الارادة لا تعنى شيئا الا اذا تمثلت فى صورة وجود .

ولعل هذا هو أعمق الفوارق التى انتقلت من الروحية الرهبانية الصرفة الى المادية الضيقة المغلقة .

ان أصدق ما يمثل الفكر الغربى هو انه لا يفرق بين نظرته الى الأشياء : سواء بين المادى والروحى أو بين الهيكل والمضمون أو بين الارادة والوجود .

ومن ثم فقد انقسم عالم الغرب طويلا بين ما هو مادى وما هو روحى أما نحن فان عقيدتنا ظلت قادرة على سلامة تكاملها بفضل الدفاع المتصل عن مفهوم التوحيد الخالص ، وعلى الرغم من كل محاولات مذاهب الفكر الغربى (شعوبية وباطنية ومادية واباحية) فى العمل على كسر هذه الوحدة الجامعة وتفتيتها .

وفى مفهوم الاسلام انه لا انفصال بين العالم المادى والعالم الروحى ولا بين الوجود والارادة . ولا ينظر المسلم الى العالم المادى كأنه منفصل أو مناقض للعالم الروحى .

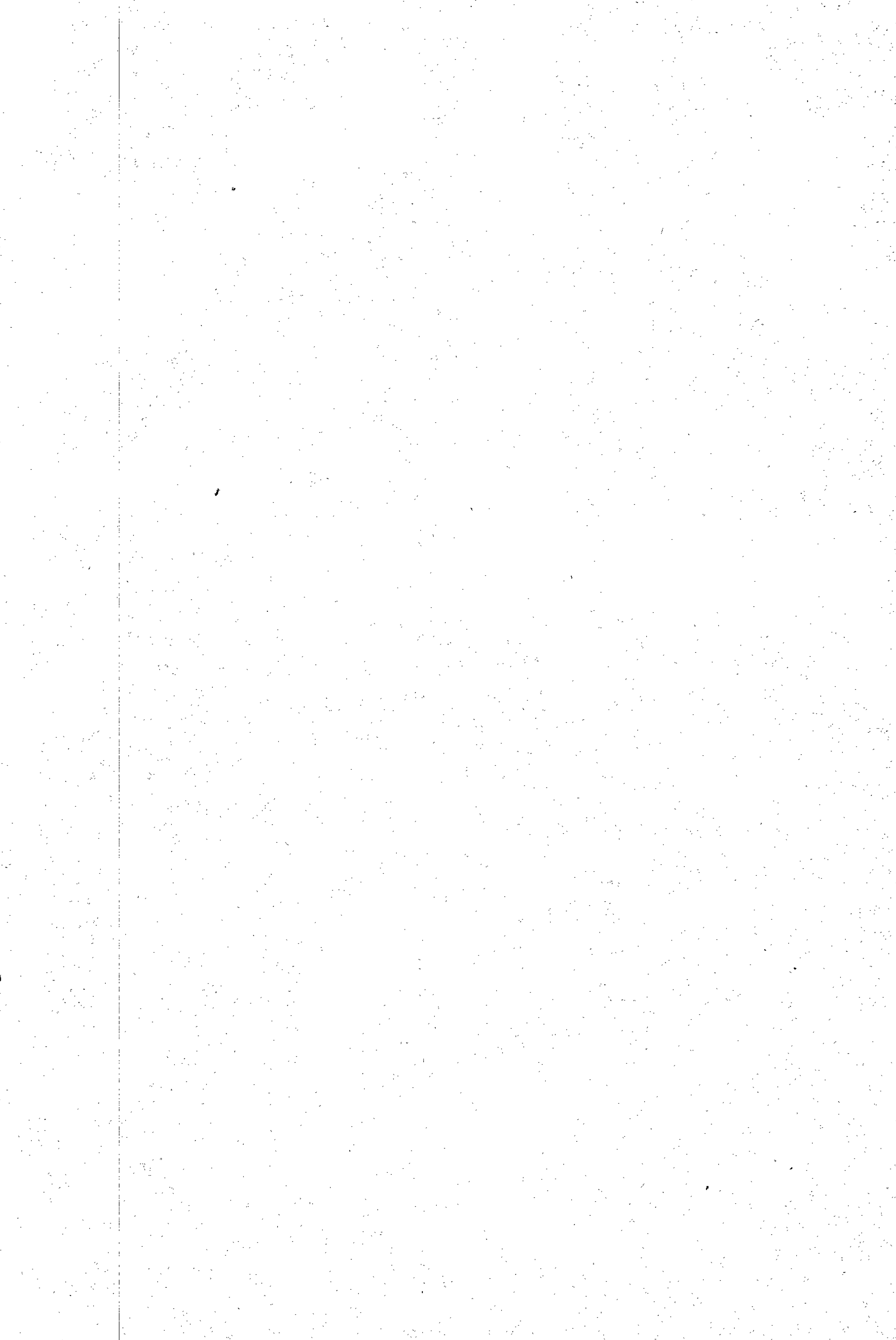
كذلك فان عالم الارادة لا يناقض عالم الوجود ، ويقرر المفهوم الاسلامى الأصيل أن العالم كله انما هو قوة واحدة : ظاهرها وباطنها ، عالم الشهادة فيها وعالم الغيب وما الفرق بين الظاهر والباطن فيها الا فرق فى طريقة الادراك واستعداد الحواس فهما عالم واحـد يسمى جانب منـه الوجود ويسمى الجانب الآخر بالارادة أو الروح أو الباطن .

والاحساس بالوجود والايمان به لم يقم فى الاسلام على أساس مبدأ ذاتى كما فعل ديكارت فى الغرب مما أدى الى حدوث انقسام جوهرى بين الوجود والماهية .

وكما يرفض الاسلام مفهوم ديكارت فى القول بأسبقية الوجود أو أسبقية الماهية وهى ثنائية لا يعترف بها بل يجعل الوجود هو الارادة . والحركة تنتقل من الوجود الى الارادة فى عالم الحياة كما تنتقل الطاقة الى مادة والمادة الى طاقة فى مجال العلم وبهذا لا يوجد فى الفـكر الاسلامى أى احساس بالثنائية أو الازدواج مما عانى منه الفكر الغربى .

وقد حققت هذه النظرة الاسلامية الأصيلة التناسق والتوازن والتكامل الذى هو عماد الفكر الاسلامى ودعامة الحياة المتحررة من التمزق والقلق والازدواج والغربة والغثيان مما يقاسى منه الفكر الغربى اليوم نتيجة ما أوجده (ديكارت) من فصل بين شطرى نواة الحياة الجامعة المتكاملة .

* * *



(٧)

« التغريب » فى دراسات الجامعات الأوربية

رجلان تحدثا عن تجربة الدراســات الغربية فى الثلاثينات فى أوربا والتحديات التى تواجه الباحث العربى المسلم فى دينه وعقيدته . تحدث عن هذا الدكتور عبد الحليم محمود فكشف عن الدور الذى يقوم به الفلاسفة اليهود أمثال ليفى بريل ودور كايم وغيرهم فى مواجهــة العقول المسلمة ويقول :

لولا عون من الله لصرت كواحد من هــؤلاء الألوف الذين يدرسون فى الجامعات الأوروبية ويخرجون منها وقد تحطمت فى نفوسهم المثل الدينية الكريمة . .

ويقول : لقــد أخذ (دوركايم) اليهودى فى السربون يعمــل بمعاوله فى هدم كل القيم والمفاهيم الدينية والأخلاقيــة ، وأخــذ تلميذه اليهودى (ليفى بريل) ينهج منهجــه ويســير على طريقتــه فى علم الاجتماع وفى علم الأخــلاق . . ويشــير الى أن مواد علم الاجتماع وعلم النفس ومادة الأخلاق وتاريخ الأديان يدرسها أساتذة يهود ، وتسير فى تيار محدد هو أنها علوم مجتمع أى أنها لا تتقيد بوحى السماء ولا تتقيد بالدين على أنه وضع الهى ، فهى تدرس فى موضوعاتها على أنها ظواهر اجتماعية وظواهر انسانية . وهم يزعمون أن للدين نشأة انسانية اجتماعية وان للخلق فيما يرون نشأة انسانية اجتماعية ، وقد تواضع الناس على سلوك معين سموه فضيلة ، وعلى سلوك آخر سموه رذيلة . وعندهم ان كل الظواهر والمظاهر فى هــذه الدراسات اعتبارية نسبية متغيرة متبدلة ، لا تثبت على حال ولا تستقر على وضع لانها فى كل يوم تتبدل حالا بحال .

وهذه الأفكار تتكرر فى هذه المواد : علم الاجتماع ، علم النفس ، دراسة مادة الأخلاق ، دراسة تاريخ الاديان ، دراسة العلوم المتفرغة من كل ذلك .

والاساتذة متكاتفون على هدم القيم الثابتة والمثل العليا التى يقررها الدين وتقررها الأخلاق .

والطالب يعيش فى أجواء تتعاون كلها على هدم عقائده ومثله وقيمه فتنهار هذه القيم فى شعوره ومن هنا هذه الظاهرة التى نجدها فى ظل الجامعات فى أوروبا ، وهى الاستخفاف بكثير من العقائد والقيم وتنتهى بالالحاد .

يقول الدكتور عبد الحليم محمود : وبدأت افصل بين عالمين فى المعرفة ، عالم الماديات كالطب والطبيعة والكيمياء وهى أمور تحكمها التجربة ولا تتعارض مع الدين ولا اختلاف فيها ، وبين عالم التفكير المجرد فى (الدين والأخلاق والمجتمع) هذا الجانب الأخير موضع الاختلاف ، اللاحق يخطىء السابق ويقدم شيئا آخر « والآراء يهدم بعضها بعضا » .

وكنت أقول فى نفسى :

١ ــ اذا كانت الأخلاق (نسبية) فهل سيأتى الزمن الذى نعتقد فيه أن الصدق رذيلة ، وأن الشهامة شر وأن الشجاعة سوء أو أن العفة جريمة أو كذا ؟ كلا ..

٢ ــ وفى مجال العقائد : هل سيأتى اليوم الذي لا نقول فيه بوحدانية الله أو لا نقول بارادته وعلمه ؟ كلا ..

انه طريق لا ينتهى الى غاية : ولقد عرفت من بعد أن هذا هو المنهج الذى رسموه بعد تفكير طويل والتزموا القيام به بكل الطرق وبكل الوسائل ، وهو منهج التشكيك فى القيم والمثل والعقائد والأخلاق ، يستخدمون هــذا المنهج فى المجالات المختلفة لافساد المجتمعات وتحللها أخلاقيا ودينيا .

وقد اعتمدوا فيه على علوم النفس والأخلاق والاجتماع ومقارنات الأديان والانثروبلوجيا ويعملون دائبين على أن يكون المجتمع شاكا مليئا بالفتن وذلك سبيلهم للسيطرة . ان اليهود يهدفون من وراء ذلك الى السيطرة على العالم ولا تقف فى وجههم قوة من ايمان أو قوة من خلق ، من اجل ذلك تكاتفوا على أن تكون لهم الكلمة الأولى فى الجامعات وفى علم الاجتماع وفى علم النفس وفى مادة الاخلاق وفى تاريخ الاديان ..

تلك هى تجربة الاستاذ الدكتور عبد الحليم محمود نهديها الى شبابنا المسلم اليوم الذى يظن أن ما يسمى علوما كالنفس والأخلاق والاجتماع هو حقائق بينما هى وسائل لاثارة الشبهات فى الصدور ولهدم مجتمعاتنا .

ولكى تكتمل الصورة لابد أن نقدم التجربة التى عاشها رجل آخر ذهب ليدرس القانون والسياسة والأدب هو الدكتور محمد مندور ، وقد وقعت فى وقت قريب من الوقت الذى وقعت فيه تجربة الدكتور عبد الحليم محمود .

يقول مندور : فى أول عهدى بباريس كنت أتناول الغذاء على مائدة سيدة عجوز مع نفر من الشبان والشيوخ الفرنسيين وبعض الأجانب وكان بين الفرنسيين رجل جاوز الخمسين يعمل وكيلا للمحافظة ، وأكبر ظنى انه ينحدر من أسرة كبيرة من الأسر المحافظة وقد خرج من نشأته وملابسات حياته بفلسفة قوية تقوم على مبادىء الأخلاق الصارمة ، كما تقوم على الاعتداد بكرامة الانسان وقدرته على توجيه الحياة واخضاعها لارادته ، مع هذا الرجل تعلق حديثى أحد الايام ورأيته يبسط مبادىء فلسفته التى ذكرتها فى حرارة المؤمن فدهشت وأخبرته أن مبادىء الاخلاق التى يتحدث

عنها ما هى الا (ظواهر اجتماعية) تملى عليه وان ارادة الانسان الحرة التى يعتز بها ليست الا وهما لان الفرد لا يملك لنفسه شيئا انما هو مسير بغرائز قوى دفينة .

وما ان سمع الرجل منى هذا الهراء حتى انتفض كالأسد واستند بمرفقه الأيسر على المائدة ليلتفت الى متحدثا فى غضب : غضب الاستعلاء ! وسألنى : من اى بلد انت يا بنى ؟.

قلت : من مصر .

قال : وماذا يصنع ابوك فى مصر ؟

قلت : يزرع الأرض ..

قال : أوصيك مخلصا انتعود الى بلدك لتحرث الأرض مع ابيك . هذا اجدى عليك وعلى وطنك مما تتعلمه أو تظن انك تتعلمه هنا من هراء .

فتماسكت مهموما وقلت : ولكن هذه يا سيدى هى الآراء التى سمعتها من أساتذة السربون فى علم النفس والاجتماع ..

فأجابنى : ومن أنبأك ان هؤلاء الأساتذة يفهمون شيئا عن حقائق الانسان . أتظن ان حقائقنا البشرية من اليسر بحيث تصلح نظريات أو يكشف عنها التفكير الفرنسى الذى يمثله هؤلاء النفر من « اليهود » الذين يزعمون أنهم اكتشفوا قوانين الانسان ، عندما زعم كبيرهم (دركايم) ومن خلفه ليفى بريل وموسى وفوكونيه ومن تبعهم ان الانسان حكمه حكم المادة ، وان هناك ما يسميه هؤلاء الحمقى « وعيا اجتماعياتتمخض عنه الحياة العامة كما يتمخض الناتج الكيماوى عن مزيج من العناصر » .

احذر يا بنى : ان تؤمن بما يقولون فليس صحيحا ان يصل الانسان الى قيادة شخصيته التى يهتدى بها الى مواضع الخير والشر والبطولة والخسة بنفسه كما تهتدى الطيور الى أوكارها .

وليس صحيحا ان قواعد الأخلاق ليست الا ظواهر اجتماعية لا نستطيع فى علاجها شيئا . وكل ما يجب علينا عمله هو أن نرصدها كما يفعلون لنستخرج منها (قوانين عامة) هذا يا بنى وهم ، بل خداع ، ثم اذكر اننا فى مجال المعرفة بالانسان ليس لنا الا هدف واحد هو أن نصبح خيرا مما نحن .

فبالله هب ان هذا الهراء حق ، فأى فائدة ستجنى منه الانسانية ، انا افهم ان نكشف عن قوانين المادة لنسيطر عليها ونسخرها فى مرافق حياتنا ، ولكن الانسان ما شأنه بالقوانين ، من قال ان الانسان مادة فحسب ، وهب انه كان مادة وان الروح لم يكن لها وجود ، وانها تفنى بفناء المادة .. كما تنعدم النغمات ويتحطم الناى اليس من الخير بل من الواجب على

الانسانية أن ترفض علما كهذا لن ينتهى الا بتحطيم حياتنا وشل ارادتنا وتقويض دعائم الهيئة الاجتماعية التى نحيا بينها .

يقول مندور : هذا هو الدرس القاسى ، الدرس الصارم النافع الذى تلقيته عن الشيخ فى مستهل حياتى . رويته اليوم راجيا أن تتدبره شبيبتنا الناهضة . وقد ذكرته اذ قرأت من يقول أن هناك عقلا جمعيا .

لا يا بنى .. ليس هنـــاك عقل جمعى ، كما زعمت ، أو زعم لك دوركايم ، وانما هناك عقل فردى ، هناك ارادة حرة ، ارادة يجب أن تستيقظ فى قلوب أمثالك فتهدم الصخر . لا يا بنى ليس هناك جبر تمليه قوانين مزعومة ، وانما هناك نشاط حر ، نشاط لا يعرف اليأس ..

هاتان التجربتان قد عرضناهما لنكشف عن ذلك الخطر الكامن وراء الدراسات الاجتماعية التى حملتها مدرسة دوركايم والتى ما زال العـــالم الاسلامى غارقا فيها .

وهناك الكثيرون الذين يؤمنون بها فيعارضون الفطرة ويعارضـــون الاســـلام ويروجون من حيث لا يدرون لمنهج التلمودية الصهيونية الذى رسمته بروتوكولات صهيون لهدم المجتمع البشرى قبل السيطرة عليه .

* * *

(٨)

متى يتحرر العقل الإسلامى

هذه الصيحة التى تجىء فى موعدها على رأس القرن الخامس عشر الهجرى ، تتطلب تصحيح كثير من الشبهات والسموم المدسوسة التى دستها الشعوبية ودسها التغريب ودستها الماركسية ، وما قدمته الصهيونية فى تاريخ الاســـلام والعرب من سموم كالقول بأن حركات القرامطة والزنج كانت حركات اصلاحية أو اعلاء التفسير المادى للتاريخ .. أو القول بأن الدعوة الاسلامية كانت استجابة لظروف تاريخية معينة ، كان يحياها العالم فى القرن السابع الميلادى ..

ومنها النظرة الى الاسلام نظرة قومية ، والتصور بأن الاسلام ظاهرة قومية نشأ عن ظروف العرب الاجتماعية والاقتصادية .

مع أن الاسلام : الرسالة الخاتمة التى جاءت متابعة للرسالة الأخرى منذ نوح عليه السلام والتى قدمت للبشرية المنهج الاصيل فى مواجهة دعوات الوثنية والمادية والاباحية ، ومن هنا تلك المحاولات التى ترقى الى ايجاد تصور بتقارب الأديان على وضعها الحالى بينما الحقيقة هى وحدة أصل الأديان من لدن الحق تبارك وتعالى غير أن اليهودية والمسيحية انحرفت وتغيرت بالاضافة والنقص من جراء التفسيرات التى قدمها الأحبار والرهبان .

لذلك فان صيحة توحيد الأديان فى العصر الحديث هى محاولة مسمومة ترمى للعودة الى اليهودية أو مفاهيم انحرفت كثيرا عن مصدرها الاصيل باعتبارها مقدمة للدين الخاتم . وحيث سجلت التوراة المنزلة والانجيل المنزل الاشـــارة الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم التى يجب على أصحاب الأديان التسليم اليها ، ولذلك فاننا يجب أن نكون متيقظين ازاء تلك المحاولات التى تجرى حتى لا نقع فى عملية احتواء ماكرة خطيرة .

ثانيا : تصحيح ما دسته الفلسفة المادية حول مفاهيم الأخلاق والمراة والمجتمع ، هذه المفاهيم التى ترمى الى بث روح الاستسلام والسلبية والهروب من مواجهة تحديات الغزو الخارجى . وخاصة ما يتصل بالسموم التى تحاول دعوات الغزو فى شأن المراة وعفافها وبكارتها وذلك كله يرمى الى تحطيم الحاجز الأخلاقى بين الرجل والمراة للقضاء على الاسرة الاسلامية واشاعة البغاء تحت اسم الاختلاط والتعاون بين الجنسين .

يقع هذا فى المجتمعات الاسلامية التى لم تستطع بعد التحرر من القانون الوضعى الذى يحمى الخمر والزنا والربا والعياذ بالله .

ثالثا : الكشف عن فساد مفهوم التولستوية والغاندية التى تطرح فى مجال الفكر الاسلامى تحت اسم السلام والرحمة والاخاء بينما هو ليس كذلك ، وانه خروج عن مفهوم الاسلام الجامع بين الجهاد والسلام معا ولقد حاولت دعوات البهائية والماسونية وغيرها القضاء على روح الجهاد فى النفس المسلمة والقضاء على الغيرة التى أقامها الاسلام على العرض والشرف .

رابعا : كلمات الغرب ومصطلحاته لا يمكن نقلها الى أفق اللغة العربية والفكر الاسلامى نقلا كاملا ذلك انه لا يمكن فصل المصطلحات عن ملابساتها الفكرية التى ترمى اليها ولا يمكن نقلها كما تنقل الفاظ المخترعات والعلوم .

ولما كان للمسلمين مصطلحاتهم الخاصة التى قدمها لهم القرآن الكريم والسنة الشريفة فان عليهم أن يقفوا موقف الحذر من كلمات القومية والديمقراطية والاشتراكية والوجودية والراسمالية فان هذه كلها كلمات نشأت فى ظل الفكر الغربى وتحت تأثير العوامل التى شكلته .

يجب أن نكون على وعى كامل بتلك الدعوى الزائفة التى تقول باسقاط كل ما لا يدركه الحس فانها تستهدف العقائد الدينية من الأساس وهى محاولة دائبة للفكر البشرى فى وجه الدين الحق . ولقد كان هدف الفلسفات المادية فى هذا العصر العمل على تقويض دعائم الاعتقاد بوجود اله واحد بغض النظر عن البديل المقترح . وكانت دعوة هذه المذاهب الى الوهية المادة أو الوهية الانسان أو اتخاذ الغريزة محورا لتفسير الوجود أو اتخاذ لقمة العيش محورا لتفسير التاريخ ، ولا ريب أن الدين الوحيد الذى صفت عقيدة التوحيد فيه من شوائب الشرك هو الاسلام فالاله فى عرف اليهود اله قومى لهم وحدهم دون غيرهم وفى عرف النصارى واحد من ثلاثة . وقد صدمت العقل تفسيرات المسيحية من تثليث وصلب وخطيئة واتخذ اليهود العجل الذهبى وما زالوا يتخذونه معبودا لهم . والعياذ بالله .

سادسا : لنحذر من محاولة تقديم البديل لاسقاط الأصيل فانها محاولة قديمة ماكرة يراد بها تقديم صور مضللة فى أثواب باهرة مزخرفة تخدع قاصرى النظر والفكر بينما هى تستهدف القضاء على الفكر الأصيل .

سابعا : لنحذر من الدعوة الى فكر عربى أو فكر عربى حديث وأدب عربى حديث فانها كلها محاولات لفصل الأمة الاسلامية عن تاريخها ، ان تاريخ الامم حلقات متصلة يصب ماضيها فى حاضرها ويمهد لمستقبلها وحاضرها امتداد لماضيها ومازال تاريخ الاسلام منذ فجره متصل الحلقات مترابط الخطوات يسلم ماضيه لحاضره ويمهد حاضره لمستقبله ، وهو فكر وتاريخ لم يفقد عنصر الوحدة والاتصال يوما واحدا ومع ذلك يراد فصله وتمزيقه بينما يصل الغرب نفسه بالفكر اليونانى بعد انفصال دام الف سنة ، وبينما يصل اليهود أنفسهم به بعد انفصال الف وتسعمائة عام .

ثامنا : فلنحذر من محاولة احياء الماضى الفرعونى والاغريقى والجاهلى العربى ونمجده ، واعادة صباغة الوثنيات والفلسفات السريانية والمجوسية والباطنية واحياء عشتريوت وزيوس و باخوس ذلك أن الهدف هو هدم التصورات الاسلامية واخراجها عن مفاهيمها الأصيلة واخضاعها للمفهوم الماسونى الوثنى القديم والحديث الذى يختلف عن مفهوم التوحيد الاسلامى .

كذلك فان هناك محاولات لتزييف البطولات والمعارك الاسلامية واخضاعها الى مقاييس ومفاهيم العلوم الاجتماعية والسياسية الحديثة .

تاسعا : فلنحذر من الترجمات الأجنبية لأن اغلبها يستهدف طمس القيم الأساسية للفكر الاسلامى واحتواء النفس والعقل الاسلامى بمفاهيم تختلف عن مفهوم التوحيد . ولذلك فانه لابد من تقديم الكتاب المترجم بمقدمة مستفيضة تكشف عن علاقة الكتاب بالفكر الانسانى وعلاقته بالفكر الاسلامى ، والكشف عن الجوانب التى يلتقى فيها بالفكر الاسلامى والتى يختلف فيه معها .

عاشرا : لنذكر أن فكرة القومية والاقليمية فكرتان طرحهما الاستعمار الغربى فى اوائل هذا القرن رافعا شعار العلمانية لتفريق الأمة الاسلامية وتصفيتها بعد ان اعيته الحيل فى ذلك وقد نجح فى ذلك الى حد كبير وما نراه اليوم من تفرق العرب وانهزامهم أمام الاستعمار والصهيونية والماركسية ما هو الا ثمرة من ثمار هذه الفكرة الواحدة .

ذلك أن الاسلام انما كان يهدف فى أول اهدافه الى القضاء على العنصرية واعلاء الدم والعنصر وقد نقل المسلمين من اختلاف الأجناس الى اتحاد المشاعر ومن العنصرية الى الاخوة الانسانية .

وتحاول دعوات الغزو الفكرى والتغريب اليوم اعادته مرة أخرى الى العنصرية والاستعلاء بالجنس والدم لتدمر وحدته القائمة على وحدة الفكر اساسا .

ولا ريب أن رابطة الفكر والعقيدة اقوى من رابطة العنصر والدم وقد حققت فى تاريخ الاسلام منجزات ضخمة عندما ظهر السلاجقة والأيوبيون والترك والمماليك فى المشرق والمرابطون والموحدون فى المغرب فهم مسلمون جاهدوا فى سبيل استعادة مجد الاسلام وشاركوا فى التراث الثقافى ودافعوا عن لا اله الا الله وحققوا انتصارات حاسمة .

ولا ريب ان دعاة الاسلام يجب أن يبقوا على يقظة تامة بالتيارات

والأيدلوجيات الوافدة ، وأن يدركوا حقائقها وما ترمى اليه . ذلك أن دعاة الفكر المادى يبذلون أقصى ما يستطيعون لتركيز افكارهم فى طلائع الشباب المثقف موهمين أولئـــك أن طريقهم ومبادئهم هى وحـــدها الكفيلة بتحقيق ما تطمح اليه الشعوب من حرية وسعادة وعدالة .

ولكن التجربة مازالت بين أيدينا تكشف عن فساد هذه الدعوى . فقد جرب المسلمون والعرب كلا المنهجين الغربيين وتبين فشلهما فشلا ذريعا فى تحقيق مطامح النفس العربية والمسلمة وتبين للمسلمين والعرب انه ليس هناك الا طريق واحد ، هو طريق القرآن .

* * *

(٩)

لماذا بروتوكولات حكماء صهيون صحيحة

تجرى اليوم محاولات مضللة لتزييف بروتوكولات حكماء صهيون ويحمل لواء الدعوة الى هذا جماعة الشعوبية والماركسيين فى العالم العربى فى محاولة لخداع المثقفين المسلمين عن حقيقة هذه البروتوكولات . والواقع أن البروتوكولات صحيحة ، وان جميع وثائق الصهيونية التى ظهرت بعدها تؤكدها وتثبت أنها التعبير العصرى عن خطط التوراة غير المنزلة والتلمود المكتوب بأيدى اليهود ..

ظهرت (بروتوكولات حكمـــاء صـــهيون) وانكشف أمرها فى الغرب عام ١٨٩٧ ، وكانت قد أعدت خلال المؤتمر الصهيونى الأول ١٨٩٣ وترجمت ونشرت ١٩١٠. ولكن المشرق الاســـلامى لم يعرف من أمرها شـــيئا حتى عام ١٩٤٨ عندما بدأت الاشارة اليها فى الصحف ، وترجمت لاول مرة عام ١٩٥١ ومعنى هذا ان العرب لم يطلعوا على البروتوكولات الا بعد مرور نصف قرن على صدورها وبعد قيام اسرائيل . وهى تضم ٢٤ بروتوكولا يرسم خطة اليهود للسيطرة على العالم فى مدى مائة عام ، وقد أطلق عليها الانجيل البلشفى : اطلق هذا الاسم (سرجى نيلوس) أول من نشرها فى العالم باللغة الروسية .

ولمـــا انكشف أمر البروتوكولات ووضحت نيات الصهيونية واليهودية العالمية فى المؤامرة على العالم على هذا النحو العجيب ، أعلن اليهود أن البروتوكولات زائفة وعاونهم فى هذا الماركسيون والشيوعيون الذين يحجبون جانبا من الحقيقة حتى لا تنكشف العلاقة بين الشيوعية والصهيونية التى أصبح أمرها ذائعا .

يقول الصهيونيون المتمركسون ان البروتوكولات وثيقة مزورة استفاد كاتبها من كتاب فرنسى كتبه (موريس جونى) بعنوان « حوار فى جهنم بين ميكافيلى ومونتسكيو » أو السياسة فى القرن التاسع عشر ونشر فى بروكسل عام ١٨٦٤ ..

والواقع أن البروتوكولات تؤكد بنصوصها حقيقة نسبتها الى التوراة غير المنزلة والى التلمود الذى كتبه حاخامات اليهود ، وتمثل صورة اجرامية للفكرة التى تضمنتها التوراة المكتوبة فى منفى بابل التى كتبها عزرا والتى

أعدت من خلال تحدى التشتت الأول والنفى الى بابل والحقد الذى أفرزته العملية الخطيرة ، وان التلمود كتب بعد تدمير أورشليم الذى قام به الرومان وقتلوا به بقايا اليهود فى القدس . وتساير البروتوكولات خطة الاستيلاء على فلسطين من النيل الى الفرات واقامة الحكومة اليهودية العالمية ، وليس هناك فى هذا خلاف عما ورد فى التوراة غير المنزلة أو التلمود .

كذلك فان الأحداث التى وقعت منذ ظهور البروتوكولات الى اليـوم تكشف سريان هذا المخطط وتنفيذه وخاصة فى أخطر عملين وهما : سقوط الدولة القيصرية الروسية ، وقيام الدولة البلشفية فى روسيا وسقوط الخلافة الاسلامية وتحطيم الدولة العثمانية لينقطع الطريق الى فلسطين .

وقد ظهر هذا واضحا فى عبارة تضمنتها بروتوكولات حكماء صهيون لا تحتاج الى تفسير وهى قول البروتوكولات :

« فرض السيطرة اليهودية على ما تبقى من العالم بعد الكارثة الشاملة التى يجرى الاعداد لها » .

وقد كتب هذا قبل قرن ، وقبل نصف قرن من الحرب العالمية الأولى ووعد بلفور وسقوط الدولة العثمانية وقيام الدولة البلشفية وزرع اسرائيل فى المنطقة . وعندما نجد البروتوكولات تتحدث عن « السيطرة اليهودية على الاعلام فى العالم كله » منذ ذلك الوقت البعيد ، نجد ذلك قد تحقق اليوم فعـــلا ..

وعنـــدما تتحدث البروتوكولات عن مخطط تدمير الشباب بالفلسفات المادية وحين تقول « ان نجاح داروين وماركس ونيتشة قد رتبناه من قبل ، وان الأثر غير الأخلاقى لاتجاهات هـــذه العلوم لدى غير اليهود سيكون واضحا ولكن ينبغى أن ندرس أثرها على أخلاق الامم والجماعات » . لا ريب أن هذا كله يوحى بصدق نسبة البروتوكولات الى حكماء صهيون ويتمشى مع المؤامرة اليهودية العالمية التى يجرى حبكها . واذا قرأنا كتاب « أحجار على رقعة الشطرنج » للأميرالاى وليام غاى كار الذى دفع حياته ثمنا لكتابه وجدنا التاريخ الحقيقى للبروتوكولات مرحلة بعد مرحلة حسبما رسمته البروتوكولات وأنذرت به ..

ولا ريب أن الآثار العميقة التى أحدثها انكشاف نسبة هذه المخططات الى اليهودية العالمية وأداتهـــا الصهيونية ، والعراقيل التى أحدثتها هو الذى دفع اليهود الى اعلان التبرؤ منها ودعا أنصـــارهم من الماركسيين والماسونيين الى مداومة خداع العالم عنها .. بل ان قراءة (يوميات هرتزل) توحى تماما بما فى المخططات من خطط وأساليب . وتكشف عن ذلك الاسلوب المراوغ الذى تضمنته البروتوكولات ..

٢ ــ وأمامنا الآن وثيقتان أخريان تعززان « البروتوكولات » وتسيران فى نفس الخطة والطريق . أما الأولى فهى نص الخطاب الذى ألقاه الحاخام **« ريكون فى براغ فى اجتماع سرى ١٨٦٩ وفيه يقول :**

« شكرا لتطور المدنية بين المسيحيين وتقدمها هذا التقدم هو الدرع الذى نختبىء ورائه لنعمل بثبات وبسرعة خاطفة من أجل ازالة الفجوة التى ما زالت تفصلنا عن غايتنا النهائية . اذا كان الذهب هو القوة الأولى ، فان الصحافة هى القوة الثانية ، ولكن الثانية لا تعمل من غير الأولى ، فعلينا بواسـطة الذهب أن نستولى على الصحافة وحينما نسيطر على الصحافة نسعى جاهدين الى تحطيم الحياة العائلية ، والأخلاق والدين والفضائل ، علينا أن نشجع الانحلال فى المجتمعات غير اليهودية ، فيعم الفساد والكفر ونضعف الروابط المتينة التى تعتبر أهم مقومات الشعوب فتسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كيفما نريد » ولا ريب أن هذا الورد هو من ذلك المعين . نفس الروح ونفس الكلمات والوجهة . وفيها ما يؤكد نسبة البروتوكولات الى حكماء صهيون .

وهناك وثيقة أخرى حديثة جدا كشف عنها النقاب فى السنوات الأخيرة هى نص الخطاب السرى الذى ألقاه الحاخام « الأكبر » ايمانول رابينوفيتش فى مؤتمر حاخامى أوروبا فى بودابست : (١٢ كانون الثانى « يناير » ١٩٥٢) تحدث فيه عن منهج الحرب المقبلة التى تشنها الصهيونية العالمية لتحقيق خطوتها الأخيرة فى السيطرة على العالم ، ومما جاء فيه قوله :

« ان الهدف الذى نعمل له منذ ثلاثة آلاف سنة قد أصبح فى متناول يدنا الآن ، لن تمر أعوام قليلة حتى يسترد شعبنا المكان الأول الذى هو حقه المغتصب منه منذ أحقاب حيث يصبح كل يهودى سيدا وكل جوييم عبدا » .

« ان منهاج عام ١٩٣٠ هو اثارة الحقد فى ألمانيا ضد الغرب وضد السامية واثارة الحقد فى الغرب ضد الشعب الألمانى بسبب العداء للسامية .

هذا هو المخطط الرئيسى لمنهاجنا الحالى الذى نقوم بتنفيذه الآن فنحن نثير حملة حقد عنيفة فى الشرق ضد الغرب وفى الغرب ضد الشرق وسوف نتسلط على الأمم التى تقف على الحياد فنجبرها على الانضمام الى هـذا المعسكر أو ذاك » .

« الهـدف النهائى للخطة هو الحرب العالمية الثالثة التى ستفوق فى آثارها وضراوة دمارها الحروب السابقة مجتمعة ، وسنعمل على ابقاء اسرائيل حيادية فى هذه الحروب حتى تنجو من ويلاتها ولكى تصبح بعدها مقرا للجان التحكيم والرقابة التى سوف يعهد اليها الاشراف على مجموع قضايا الشعوب الباقية بعد الحرب » .

« ستكون هذه الحرب الثالثة هى معركتنا الأخيرة فى صراعنا التاريخى ضد الجوييم وسنكشف عن هويتنا الحقيقية ونسفر بوجهنا للعالم » .

« قد نحتاج الى تكرار نفس العملية المؤلمة التى قمنا بهـا أيام هتلر اى أننا قد ندبر نحن أنفسنا وقوع بعض حوادث الاضطهاد ضد مجموعات أو أفراد من اليهود أو بتعبير آخر سوف نضحى ببعض اليهود فى أحداث سنثيرها ونوجهها نحن من وراء ستار حتى نحصل بذلك على الحجج الكافية

لاستدرار عطف ومؤازرة شعوب أوربا وأمريكا من ناحية ، ولتبرير المحاكمات التي سنجريها بعد الحرب من ناحية أخرى لاعدام العسكريين المحاربين كما فعلنا فى محاكمات نورمبرج من التضحية ببضعة آلاف من أفراد طائفتنا لالصاق التهمة بمن نشك من زعماء الجوييم . نحن لا نقيم وزنا لأى تضحية فى سبيل هدفنا النهائى : **السيطرة على العالم** » أ. هـ.

وبعد فهل بقى شك فى أن هذا الكلام الخطير هو سلسلة من تلك المؤامرة وان كل التصريحات تعطى نفس صورة الأصل العصرى . والبروتوكولات تعطى صورة الأصل القديم (التلمودية اليهودية) فى مخططها الماكر لتدمير البشرية قبل السيطرة عليها .

وقد أشار هرتزل فى حديث الى البروتوكولات حين قال :

« هناك بيانات واضحة عن بعض الوثائق الخطيرة سرقت من قدس الأقداس ويخشى من نشرها قبل الأوان .. بل ان هناك من اشترك فى هذه الخطة وقد اعترف بها وهو هنرى كليه المحامى (شيكاغو ــ ١٩٤٥) يقول : البروتوكولات وهى الخطة التى وضعت للسيطرة على العالم ، هى أمر حقيقى ثابت وأن زعماء الصهيونية يكونون مجلس سانهدين الأعلى الذى يرمى الى السيطرة على حكومات العالم ، وقد طردنى اليهود لانى أنكرت عليهم خططهم الشريرة » .

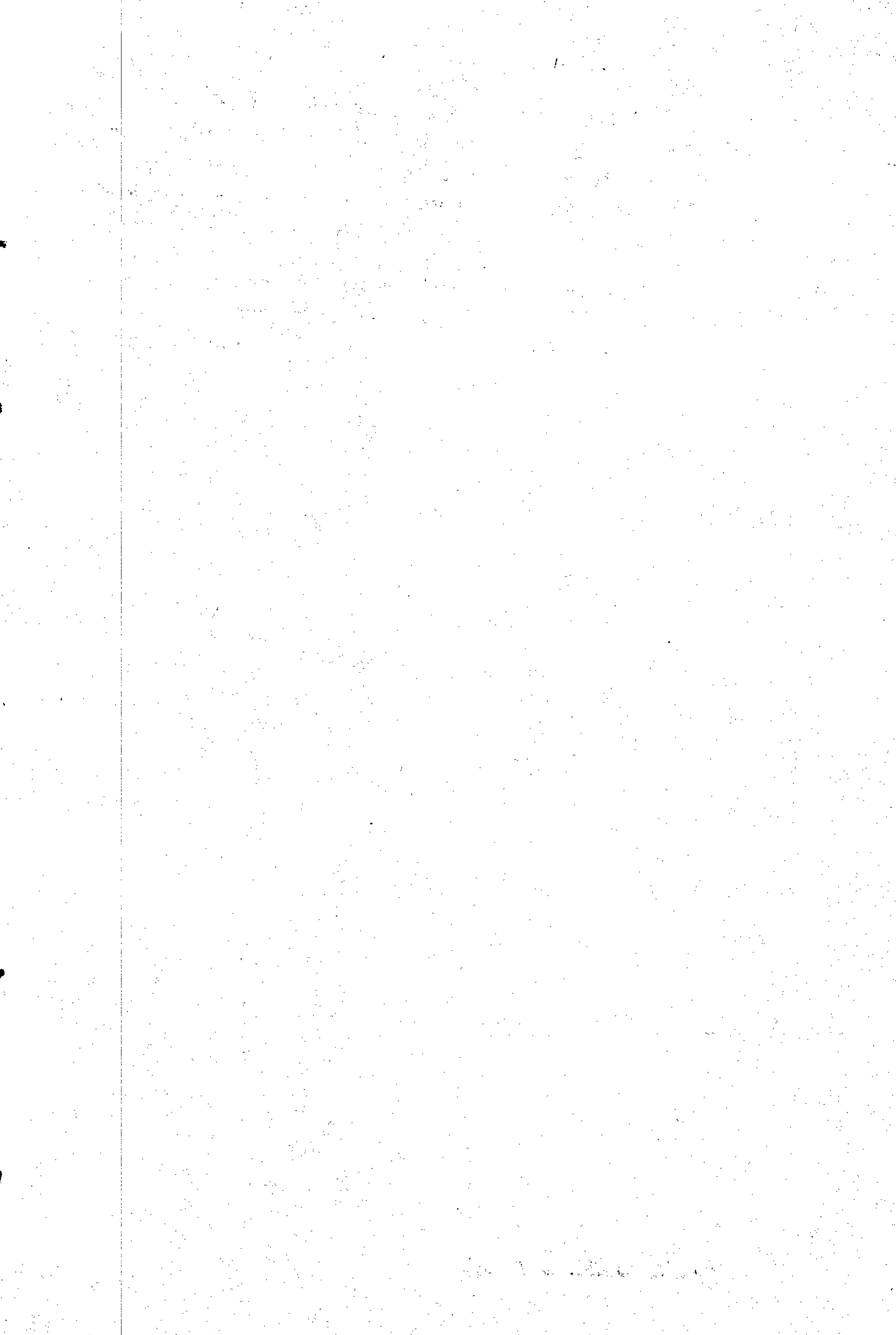
وبعد : فان روح البروتوكولات توحى بتقسيم العالم الى معسكرين بحيث لا يلتقيان أبدا وقد حدث هذا بعد ظهور البروتوكولات بسنوات معدودة ولا ريب أن أكبر نصر حققته الصهيونية التلمودية هو قيام الشيوعية الماركسية بما تحويه من مفاهيم غاية فى الخطورة على حياة البشرية واستشرائها فى العالم ، تلك المحاولة التى تهدف أساسا الى تدمير كل القيم : الدين والأخلاق والاسرة واستعلاء الفلسفة المادية التى هى مصدر جميع الفلسفات والأيديولوجيات ، والدعوات الهدامة التى تسيطر على المجتمع البشرى والتى تزحف لتكون سحابة سوداء فى أفق الفكر الاسلامى الربانى القائم على التوحيد .

● ولذلك فان الفكر الاسلامى فى حاجة كبيرة الى فهم أبعاد المخططات التلمودية اليهودية المتمثلة فى الصهيونية وعلاقتها بالماركسية ، ثم علاقة اليهودية التلمودية بالعلوم الاجتماعية وعلم النفس الفرويدى ، والوجودية وما وراء ذلك مما يسمونه (الثورة العالمية) كذلك فلنكن على حذر شديد من تلك المحاولة الماكرة للفصل بين اليهودية والصهيونية .. ذلك لان اليهودية انما تقوم على مفاهيم التوراة الوضعية الموجودة الآن بين أيدى الناس .. وهى ليست التوراة المنزلة وانما هى بالقطع وباجماع الباحثين الغربيين هى التوراة التى كتبها عزرا « ويطلق العرب عليه اسم عزير » فى المنفى البابلى ، وهى التى تحمل تزييف وعد الله تبارك وتعالى الى ابراهيم عليه السلام وتجعله قاصرا على ابنه اسحق دون اسماعيل ابنه الأكبر لتقطع صلة العرب والمسلمين بميراث أبيهم ابراهيم .

وانما التفرقة الحقيقية هى بين الموسوية وبين اليهودية ، فالموسوية هى دين الله الحق الذى انزل على سيدنا موسى عليه السلام وهى شىء آخر غير اليهودية المعروفة الآن ، والتى تجعل لها الها خاصا ليس للعالمين جميعا ولا تؤمن بالبعث والجزاء ، وتفرض نفسها شعبا مختارا عاليا على الاميين أو الاغيار أو ما يسمونه الجوييم . .

ومن الحق أن معرفة أبعاد هذه القضية : قضية البروتوكولات لها أهمية كبرى فى فهم الموقف العالمى الآن الذى يرتبط به وجودنا العربى والاسلامى وتتضح فيه مؤامرات الاستعمار ، والصهيونية ، والشيوعية . .

* * *



(١٠)

منذ أربعين سنة كشف التغريب خططه

يقول المستشرق هاملتون جب فى كتابه (وجهة الاسلام) ما يلى بالحرف :

« تغريب الشرق انما يقصد به قطع صلة الشرق بماضيه جهد المستطاع فى كل ناحية من النواحى ، واذا أمكن قطع صلة التفكير والعقيدة بين الماضى والحاضر ، حتى اذا أمكن صبغ ماضى الشرق بلون قاتم مظلم يرغب عنه أهله فقدت بذلك أعظم جانب من حيويتها وبقيت عالة على الغرب تتطلع اليه تطلع اعجاب وتقديس وعبادة وترى فى خضوعها له شرفا كبيرا » .

هذا هو الهدف من حركة التغريب التى يسعى النفوذ الأجنبى الى فرضها بالقوة على عالم الاسلام والتى تعمل حركة الاستشراق دائبة على مراقبتها وتوجيهها وتعمل حركة التبشير المنبثة الآن وراء التعليم والثقافة والصحافة بكل قوتها فى سبيل تنفيذها فاذا أردنا أن نعرف الى أى حد مضى العمل ، قال مستر جب :

« وقد بذلت المجهودات ولا تزال تبذل فى هذه النواحى جميعا بهمة لا تعرف اليأس ولا تعرف الملال ، وأحسب أن كتاب الغرب كانوا قد نجحوا الى حد كبير فى تصوير تاريخ أمم الشرق فى لون قاتم جعل أبناء الشرق انفسهم يحسون أن بينهم وبين أيام مجدهم الوفا من السنين تقضت وكانوا أثناءها خاضعين لألوان من الذلة لا يستطيعون اليوم أن يشعروا معها بمعنى الحرية .

وهكذا يتجلى فى وضوح « العمل » الذى قام به التبشير والاستشراق فى سبيل تبغيض اهل الاسلام فى تاريخهم ودينهم وفكرهم وعقائدهم وهى محاولة دائبة ضخمة نجدها فى مختلف الكتابات المقروءة والموضوعة فى أيدى شبابنا فى الجامعات أو المعاهد او الصحف أو الكتب أو السينما أو المسرح أو الاذاعة .

عمل دائب خطير يريد اخراج المسلمين من عقيدتهم ودينهم وتاريخهم وقيمهم ، ومحاولات للتشكيك فى كل أساس ثابت . ثم يجىء هذا الاعتراف الخطير بأن العمل الاساسى فى سبيل تغريب الشرق هو تزييف تاريخ الاسلام ، ومن بعده تزييف العقيدة الاسلامية ، وذلك حتى يحمل المسلمون على **الاعتقاد بأن دينهم سبب تأخرهم ، وان طريق القوة والنهضة هو فى التخلى**

عنه وهكذا يجعل الاستشراق والتبشير (المتخفى اليوم وراء التعليم والثقافة) أهم أهدافه قطع الصلة بين الماضى والحاضر .

ويركز مستر جب على هــذه المدارس والارساليات المنثورة فى أنحاء العالم الاسلامى ، وعلى أولئك المبشرين المتخفين تحت طيلسانات الأساتذة ، والعلماء فى الجامعات والمعاهد . يقول : أنه منذ منتصف القرن التاسع عشر انتشرت شبكة واسعة من المدارس فى معظم البلاد الاسلامية لاسيما فى تركيا وسوريا ومصر ، وذلك يرجع غالبا الى جهود جمعيات تبشيرية مسيحية مختلفة وربما كان أكثرها عددا : المدارس الفرنسية . وقد كانت المدارس الانجيلية فى الامبراطورية العثمانية أقل منها فى الهند وكانت المدارس الهولندية قاصرة على جزر الهند الشرقية ، فماذا فعلت هذه المدارس .

ويجيب : هذه المدارس صاغت أخلاق التلاميذ وكونت أذواقهم . والأهم انها علمتهم اللغات الأوروبية التى جعلت التلاميذ قادرين على الاتصـــال المباشر بالفكر الأوروبى ، فصاروا فى مستقبل حياتهم قابلين للتأثر بالمؤثرات التى فعلت فعلتها فى أيام الطفولة .

وفى اثناء الجزء الأخير من القرن التاسع عشر نفذت هذه الخطة الى ابعد من ذلك بانماء التعليم العلمانى تحت الاشراف الانجليزى فى مصر والهند ، ولعل هناك نصيبا من مفسدة لقومية التلاميذ ، وان الحق فى التهم التى ترمى بها هذه المدارس الأجنبية من انها كذا ، نستطيع القول بأن التطورات السياسية التى اعقبت ذلك فى البلاد الاسلامية ايدت هذه التهمة ، ولكن الذى فعلته بلا ريب انها ربت فى التلاميذ خروجا على الأنظمة الاجتماعيــة والسياسية الى حد ما فى أوطانهم الأصلية ، واضعف من هذه الوجوه سلطان النزعة الاسلامية القديمة على التلاميذ واخلت فى بناء المجتمع الاسلامى .. اداة هامة وقطعت بعض الأواصر التى كانت تربطه وتحفظه » .

وهكذا كشف التغريب خطته وادواته منذ أربعين سنة ، فهل اعتبرنا وتدبرنا واخذنا حذرنا ؟

ولقد تحققت نتائج التعليم عن طريق الكتاب والمقال والمنهج الدراسى بواسطة كتابات المبشرين الأولى وكانت كتابات قاطعة فى الخصومة تحمل طابع الحقد الواضح والتشكيك الصريح والخصومة الجائحة والعاطفة المندفعة ضد الاســـلام .

وهذه مرحلة انطوت دون أن تحقق شــيئا مما دفع دهاقنة التبشير وأساتذة الاستعمار الى تغيير اسلوب العمل لمواجهة ردود الفعل المعارضة وتحول هذا الاسلوب من بعد تحولا خطيرا ودخل مرحلة غاية فى المرونة والغواية والخداع . فقد اختفت أساليب العنف والحماسة واختفى المبشرون تحت أسماء وألقاب تجعلهم فى صفوف المستشرقين أو أصدقاء العرب والمسلمين واتسمت مؤلفاتهم ودراساتهم الجديدة بطابع أكثر مرونة ، وربما بدأ أحدهم كتابه على نحو من التقدير والاعجاب بالاسلام ، وترديد عبارات الثناء على القرآن والرسول ، وربما طوى فصولا من كتابه دون أن يكشف عن الشبهات

التى يريد أن يدسها . والأكاذيب التى ينثرها فى دقة فى محاولة لكسب ثقة المسلم وخداعه ، فاذا فاز بهذه الثقة اخذ ينثر الصفحات المتعددة ويدس الشبهات فى دقة وخفة ، مصوغة فى أسلوب الاحتمال والاتهام وربما نفاها بعد ذلك وأعاد اثارتها مرة أخرى ، بهـــدف واضح هو أن لا يدع قارئه حتى يكون قد زلزل يقينه وملأ صدره مزيجا من التحفظ والشك والخلط وهز قواعد الايمان فى قلبه .

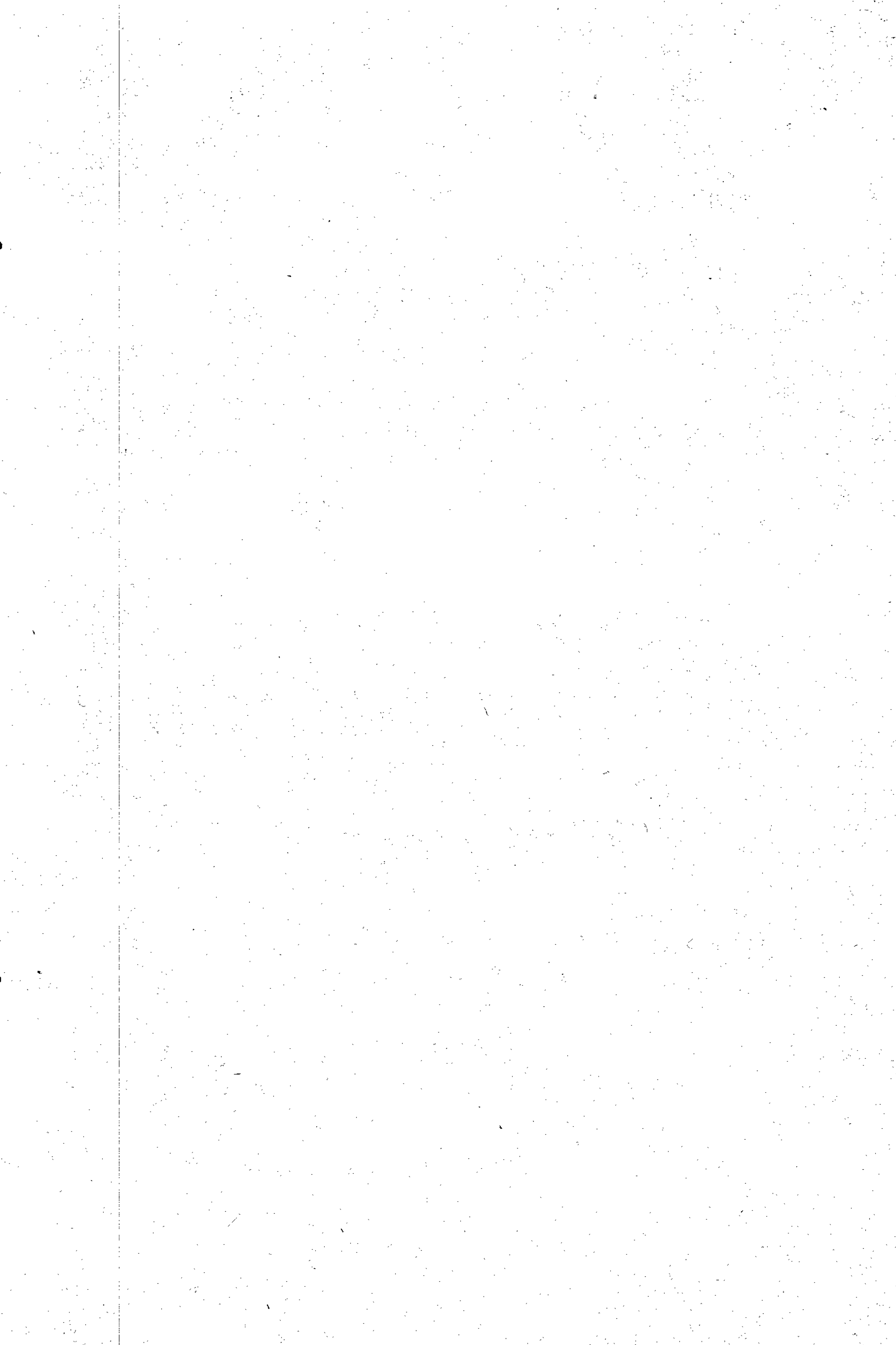
ولعل النجاح الذى حققته هذه الخطط انما يرجع الى جراة هـــؤلاء المبشرين وبراعتهم على سبك كتاباتهم المليئة بالشبهات فى قالب علمى يحاول أن يعطيها صورة البحث المجرد البعيد عن الأهواء ، وهى جراة وبراعة ما نزال نفتقدها فى كتابنا المسلمين والعرب الذين ما زالوا يندفعون وفق أساليب عاطفية ووجدانية صاخبة ، وأبرع ما فى اسلوبهم القـــدرة على اخفاء الهدف وراء البرود العاطفى والتخطيط والتحليل ثم غرس الأكاذيب والشبهات برفق وتوزيعها بدقة واثارتها على نحو يحتمل الخطأ والصواب دون القطع بها .

وقـــد تبين بوضوح أن كل الآراء التى أراد التغريب تداولها ونشرها حمل لواءها المبشرون ثم المستشرقون ، ثم كتاب يكتبون بالعربية ، وذلك بهـــدف :

أولا : القضاء على الوحدة الاسلامية سياسيا بايجاد الخلافات الضخمة بين الدول الاسلامية ، وفكريا باثارة الخلافات ، وابتعاث النحل والفرق القديمة ، واعادة طرح مفاهيمها ، كالدعـــوة الى الفرعونية والفينيقية ، ودعوات الشعوبية والاعتزال والفكر الفلسفى ، وفكر التصوف الفلسفى ، كوحدة الوجود والحلول والاتحاد .

ثانيا : اقامة دعوات وأحزاب وهيئات تحمل طابع الاقليمية فى مجال السياسة والعلمانية فى مجال الفكر ، وذلك كله من أجل القضاء على وحدة الأسرة والمجتمع ومفاهيم أخلاقيات الشباب والمراة ، وبالجملة للقضاء على الأصالة الفكرية والاجتماعية المستمدة من المنابع القرآنية الاسلامية .

* * *



(١١)

الشيوعية وليدة الصهيونية

صدق الأستاذ محيي الدين القابسي حين كشف في مقدمة كتابه (عن التضامن الاسلامى) خبيئة مشاعر الأمم ازاء المسلمين والعرب بعد أحداث الخامس من يونيو ١٩٦٧ التي اطلعت من كان غافلا عن الحقيقة التي لا سبيل الى تجاوزها مهما كانت اختلافات الرأى والفكر ، ومهما حفر التغريب بالغزو الثقافي من حفر وأقام من سدود وفك من عقد ليحول بين ذلك اللقاء النفسي والعقلي والروحي القائم بين المسلمين في انحـــاء الأرض والعميق الجذور الممتد في التاريخ خمسة عشر قرنا والممتد على وجه البسيطة من أقصى الأرض الى أقصاها من المحيط الى المحيط .

يقول : من حقائق الأسباب التي أدت الى نتائج أحداث يونيو ١٩٦٧ أن حسابات بعض الدول العربية حول رصيدها من الصداقة الدولية كانت خاطئة بشكل غريب فالذين كانون محسوبين من الاصدقاء وقفوا مع العدو واكتفوا بالسلبية والذين لم تحسب تلك الدول حسابهم كأصدقاء كانوا هم وحدهم الأصدقاء وكانوا أولئـــك الذين تربطهم بالعرب صـــلات العقيدة الواحدة والدين الواحد على تباعد الاماكن واختلاف اللغة والعرق والقومية .

ويرجع ذلك في أصح الصحيح الى « رابطة الاسلام » التي أوجدت ذلك التعاطف التلقائي الذى يسمو عن الأساليب السياسية التقليدية وهو شعور أثبتت أحداث التاريخ البعيدة والقريبة أنه أحد المحركات الاساسية للعلاقات الدولية وأنه هو التفسير الطبيعي لكثير من الاحداث التاريخية .

لقد كانت الوحدة الاسلامية هي ولا تزال العمل الأساسي الأكبر والجامع لهذه الامة مهما تعددت الدعوات الوافدة الى حملها الى الاقليمية والقومية والى الفردية أو الجماعية ، والى هذا الطريق أو ذاك من الطرق التي فتحت أبوابها أمام الامة الاسلامية منذ سقطت الخلافة ومنذ وقعت هـــذه الامة في براثن الاستعمار والصهيونية والماركسية والغزو الثقافي الذى استهدف تمزيقها والحيلولة دون وحدتها . ولقد كانت الامة الاسلامية تتلاقى كلما سنحت لها الفرصة — بعد سقوط الخلافة الاسلامية — في خلال الخمسين عاما الماضية ثم تضرب كلما حدث اللقاء ، هذه اللقاءات التي أخذت أسلوب المؤتمر الاسلامي تارة ، والوحدة الاسلامية تارة ، والفكرة الاسلامية تارة أخرى حتى اذا أينع الغرس وبدأ يؤتى أكله ضرب ، وكانت دائما عملية « الاجهاض » ميسرة للقوى التي لا تريد للامة الاسلامية أن تلتقى .

ولكن الموقف تغير بعد ، فقد امتلك العرب أصحاب الفكرة الاسلامية الطاقة والثروة والتفوق البشرى ، واستعلنت فيهم صيحة التضامن من مكة المكرمة ، وثبتت أقدام الدعوة هـــذه المرة بينما هزمت مخططات التبعية والتفرقة والاقليم .

وتأكد أن الوجود العربى هو وجود اسلامى الصيغة والعقيدة والعقل والقلب ، وانه لا ســـبيل لان يكون صادقا وسليما وفعالا الا اذا تحركت داخل دائرة الاسلام وفى اطار القرآن .

وهذه هى الأصالة التى حققتها حرب رمضان فى مواجهة التقليد والتبعية والتغريب والمفاهيم الزائفة التى اندحرت ، أسلوبا عجز عن أن يحقق شيئا ايجابيا ، ولن استطاع أن يحقق الهزيمة والنكسة والنكبة جميعا ، انهزمت دعوة التبعية وانتصرت دعوة الأصالة :

(وكان حقا على أهلها أن يعضوا عليها بالنواجد) .

وهـــذا ما نراه اليوم ممثلا فى الأصالة فى البحث عن منهج اقتصادى اسلامى . فى الأصالة فى تطبيق الشريعة الاسلامية وجعلها مصدرا للقوانين ، الأصالة فى بناء منهج تربوى تعليمى أصيل مستمد من روح هذه الأمة ، وعقيدتها .

ويقول الأستاذ (محيى الدين القابسى) نحن نخوض صراعا تاريخيا بكل ما فى الكلمة من معنى ، تألبت فيه قوى شريرة فى بقاع عديدة من العالم على الاسلام والمسلمين وتمثلت بؤرة هذا الصراع فى التآمر « الصهيونى — الشيوعى » الاستعمارى المكشوف على فلسطين وأقول : ولقد تكشف لنا فيما تكشف فى السنوات الأخيرة من حقائق تمحو زيف تلك المسلمات الباطلة التى ظللنا نعيش فى أسرها مخدوعين .

وأهمها تلك الحقيقة التى قالها الشهيد فيصل (شهيد الاسلام وفلسطين والوحدة الاسلامية) .

(ان الشيوعية وليدة الصهيونية) وتلك — كلمة حق — خفيت على الكثيرين فى تلك اللحظات التى أعلنها فيها هذا الزعيم الكبير ، ولقد كان لاعلانها أثر عميق ، وســـيؤرخ بها يوما لمرحلة جـــديدة فى تاريخ الامة الاسلامية .

احتواء اليهودية العالمية للتبشير المسيحى :

وهذه ظاهرة جديدة جديرة بالانتباه : هى مقدرة اليهودية العالمية على

احتواء التبشير المسيحى الذى تقوم به الكنيستان الكاثولوكية والبروتستانتينية وقدر صدر اخيرا كتاب ضخم فى حوالى ستمائة صفحة عن تاريخ الارساليات التبشيرية ودورها فى العالم الاسلامى لمؤلفة (ستيفن بيل) والكتاب يحتوى على حقائق خطيرة واعترافات جريئة عن الدور الذى تقوم به الارساليات التبشيرية فى افريقيا وخاصة أن مؤلفه نفسه قد مارس التبشير .

وقد كشف الكتاب الحقائق الآتية :

أولا : تدخل المبشرين فى الحركات السياسية الانفصالية فى جنوب السودان ودعمها بالمال والسلاح وتحريض أبناء الجنوب الوثنيين على الثورة وتقتيل أبناء الشمال ..

ثانيا : خطر العمامة البيضاء فى افريقيا حتى وصفت بأنها أخطر من القنبلة الذرية .

ثالثا : أشار الى أخطار التبشير فى اندونيسيا وباكستان وتوقفه فى ايران ومصر .

رابعا : اشار الى مدى استفادة المبشرين من المعلومات المتوافرة التى جمعها عدد كبير من المستشرقين عن العالم الاسلامى .

خامسا : أشار الى الخطة الجديدة المطروحة والتى ترمى الى اقامة حوار مع المسلمين . وهى خطة كان قد بداها بعض المستشرقين والمبشرين أمثال الدكتور لويس جارديه والف فيها كتابا خاصا .

وتكاد تكشف مخططات الاستشراق والتبشير اليوم عن خلفية صهيونية وفكرة تلمودية واضحة تدير هذه المخططات وتوجهها بما يوصف بأنه عملية تطويق من اليهودية للمسيحية الغربية وتحريف لمفاهيمها وتحطيم لاتجاهاتها .

ويجرى هذا مع مخططات « البروتوكولات » .

وقد ظهر ذلك فى موقف الكنيسة فى أوروبا وامريكا وتأييدها لاسرائيل . وأشار الى ذلك بعض الكتاب الغربيين حين قال : ان الكنيسة الغربية يهددها شبح الاتهام الصهيونى المستمر بأنها اضطهدت اليهود لعدة قرون فى أوروبا ، وأن هذه الحقيقة تاريخية نجحت الصهيونية فى ان تشكل منها عقدة ذنب لدى رجال الكنيسة الغربية .

هذا فضلا عن الجهد الصهيونى المتلاحق ، وكذلك الضغط المستمر على

رجال الكنيسة الغربية للاعتراف بالتفاسير الدينية الكاذبة التى ترمى الى القول بأن لليهود حقا فى الأرض الموعودة .

اعادة النظر فى العهد القديم (التوراة) :

وتجددت الدعوة الى النظر فى نصوص العهد القديم التى لا تتفق مع الحقائق العلمية والتاريخية ، وقد اكتشفت بعثة للآثار فى منطقة مناجم الملك سليمان فى صحراء النقب منذ سنوات ان المصريين عاشوا فى هذه المنطقة منذ ٣٢٧١ عاما عاما وبناء على هذا صرح البروفسور بينو روتنبرح كبير علماء الآثار أن هذا الكشف يعارض ويكذب ما جاء فى العهد القديم مما يدعو الى اعادة النظر فيه .

ومن ناحية أخرى أعلن أن الحكومة الاردنية تسلمت مخطوطات أثرية ذكر انها تتفق مع ما ورد فى التوراة حول تاريخ منطقة غور الأردن فى القرن السابع قبل الميلاد . ويؤكد بذلك تزييف اليهود للتوراة الأصلية . وكانت بعثة هولندية قد عثرت على هذه المخطوطات فى أبريل ١٩٦٧ ، وقامت باجراء الدراسات والبحوث عليها فى هولندا طيلة السنوات الخمس الماضية وقد قام رئيس المنظمة الهولندية للأبحاث فى لاهاى بتسليم المخطوطات الى وزير السياحة والآثار الأردنى الذى صرح بقوله :

ان المكتشفات تقوم ولأول مرة بتصحيح أخطاء التاريخ التى كانت تأتى على لسان الصهيونية — ا. هـ .

وتقول الصهيونية التلمودية قبل أن تعلن دعوتها فى مؤتمر بال وقبل أن يكتب هرتزل كتابه عام ١٨٩٧ : كانت هناك محاولة ضخمة لاحتواء التاريخ العالمى والاسلامى ودوائر المعارف والجامعات ومعاهد البحث كلها لتطعيمها بالفكرة اليهودية التلمودية الصهيونية التى تقوم على أساس — قصر الوعد الالهى لابراهيم عليه السلام — على اسحق ومن ثم على اسرائيل وحدها ..

وانه من أجل ذلك جرت محاولات كثيرة للتزييف منها :

أولا — اعلان خطة (السامية) العنصر السامى واللغة السامية وهى خطة زائفة حاولت أن تنسب تاريخ العرب الذى انشأه ابراهيم واسماعيل الى جد سابق لم يعرف عن طريق القرآن وانما عرف عن طريق التوراة المكتوبة بيد أحبار اليهود .

ثانيا : محاولة اجراء حفريات أثرية هنا وهناك لتأمين هذه الدعوى ومع الأسف فان هذه الحفريات أكدت وجود اسماعيل وأبنائه الاثنى عشر وقبائلهم المنبثة فى المنطقة بين الشام ومصر وسيناء .

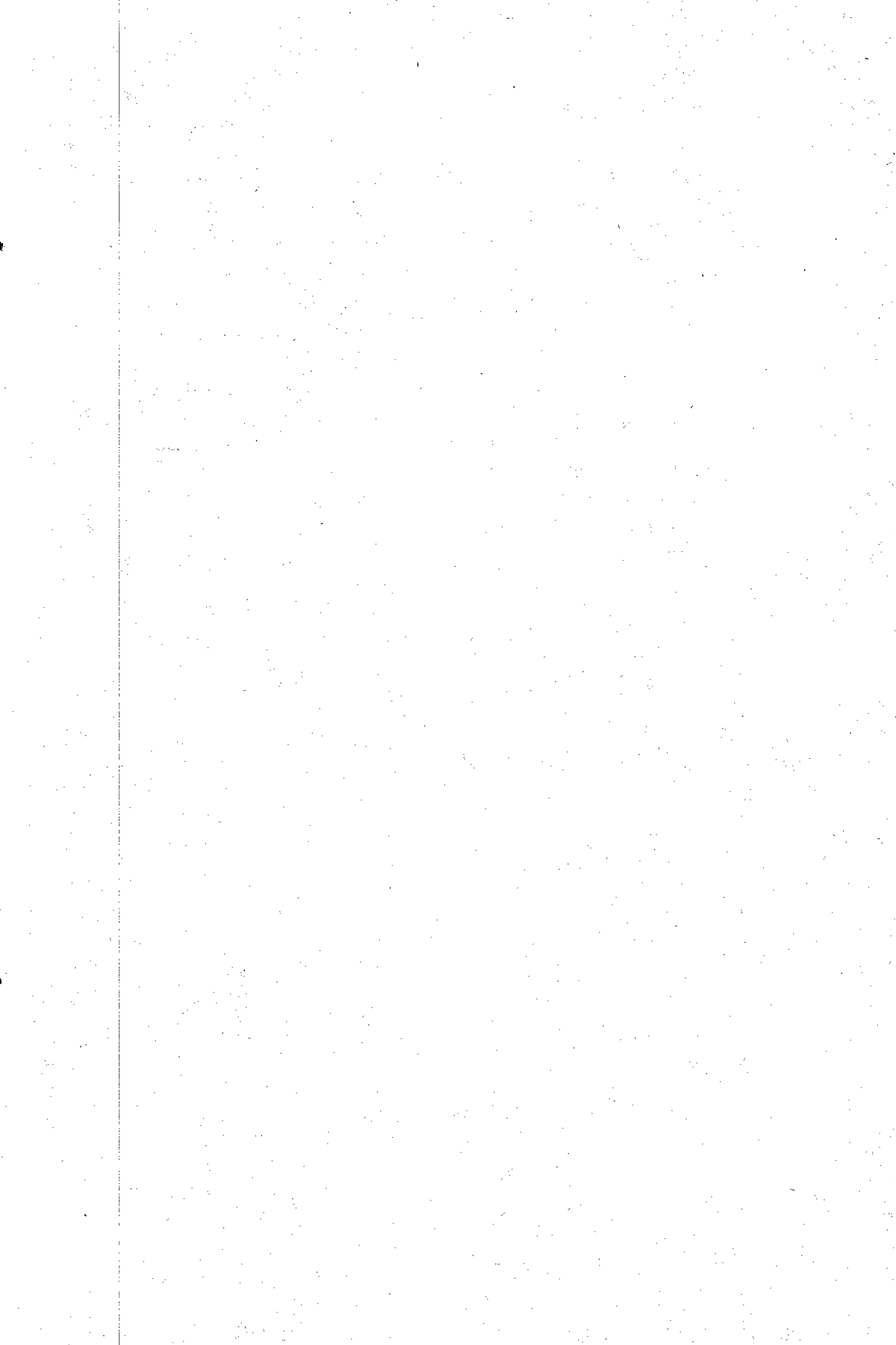
ثالثا — خلق جو علمى زائف لتقديم معلومات غير صحيحة عن دور

مزعوم لليهود فى الجزيرة العربية قبل الاسلام ودعوى باطلة بالقرابة بين العرب واليهود .

رابعا ـ طبع الانجيل مقدما بالتوراة تحت اسم ـ الكتاب المقدس ـ ونشره فى العالم كله وترجمته الى أكثر من سبعين لغـــة وذلك لاحتواء المسيحية فى الاعتراف بما زعموم من وعد قاصر على اسرائيل ، مما يدرس الآن فى الجامعات والمدارس فى أوروبا والولايات المتحدة ويؤمن به البروتستانت فى كل أنحاء العالم ويدافعون عنه مع تضارب العهد القديم والعهد الجديد واختلافهما وتناقضهما .

ولكن كل هذه الدعاى المسمومة اخذت تنكشف وهذه الأقنعة الكاذبة اخذت تسقط واحدة بعد اخرى ومنها هذه الاخبار التى أوردناها وأخبار كثيرة كشف عنها رجال الحفريات والآثار .

* * *



(١٢)

مؤامرة الصهيونية والشيوعية على العالم

المرحوم الدكتور محمد صالح كان من أوائل من كشفوا زيف الشيوعية وفسادها فقد ترجم عام ١٩٣٨ فى مجلة النذير الاسلامية عن مجلة فرنسا القديمة مقالا خطيرا تحت عنوان : الشيوعية دسيسة صهيونية لخراب العالم جاء فيه : ان مديرى دفة أعمال الامة اليهودية هم الذين آثاروا الحرب العالمية الكبرى ودبروها بالدسائس بغية جمع المليارات وتقسيم الممالك ثم محق ماليتها وقتل النبوغ فى غيرهم وتعبيد السبيل أمام الشعب المختار كما يصف اليهود أنفسهم للاستيلاء على العالم وتسخير خيرات الشعوب لمصالحهم العدوانية .

وهؤلاء الزعماء اليهود هم الذين دبروا للبلشفية بالدسائس ومهدوا لها ببذل المال واثاروها انتقاما من الشعب الروسى واستكمالا لأعمال الحرب الجهنمية وافناء للعناصر البشرية وتحطيم المبادىء الاقتصادية التى لم تقو سنوات التقتيل والتخريب على تقويض أركانها . ودول أوروبا مطلعة على ذلك كله منذ عهد بعيد ولديها تقرير وشهادات جواسيسها على أن البلشفيك وجهوا وكلاءهم وبثوا عيونهم بدورهم على سائر الوزارات الأوروبية والأمريكية وكانت الكنوز التى سلبها لينين وأتباعه من قصور القيصر وسيلة للتأثير فى سائر الحكومات فى فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة . .

وكان الناس قد سمعوا للمرة الأولى بخبر نشوب ثورة فى روسيا ١٩١٦ واكتشفوا أن المشتركين فيها أو بالحرى زعماءها هم :

يعقوب شيف ، كوهين ، لويب ، ماكى رونورج ، واثركوهن موريتمون ، شيف ، جيروم ، هاهوير ، جوجنيهم ، ماكس برتنبغ وغيرهم من اليهود . .

وقد أعلن يعقوب شيف فى ذلك العام جهارا أن الثورة الروسية نجحت بفضل مساعدته التى قدمها لتروتسكى وعندما استقر البلشفيك فى روسيا فى منتصف ١٩١٧ كان الحكم فى يد اليهود :

أولياتوف الملقب بلينين بروتستين ، تروتسكى ، نبشامكى . ويرى الكثيرون ان أوربا سواء اعتبرناها وحدة تامة أو ممالك متعددة قد خسرت فى الحرب اكبر من اتباعها فان الحلفاء المنتصرين خرجوا من الحرب مثقلين

بالديون ولم يكونوا بأحسن حالاً من المنهزمين الا قليلاً ولكن الحرب جلبت للصهيونية ثروة لم تحلم بها وحققت هدفها المباشر تحقيقا تاما ..

كان مقر الصهيونية عند نشوب الحرب هو برلين : جمعيات اليانس الاسرائيلية العامة قد وعدت المانيا الجمعية بالسيطرة على فلسطين حال اكمال خط (برلين — بغداد) .

وفى عام ١٩١٥ حول الصهيونيون عطفهم سرا من الدول المركزية الى الحلفاء ونقلوا مقرهم من برلين الى لندن فأخذت دوائر أوربا وأمريكا السياسية منذ ذلك الوقت تشعر بنفوذهم ..

وقد ربحت الصهيونية بالإستيلاء على قصور القياصرة ربحا هائلا فقد باعوا جواهر التاج ومقتنياته وانزلوا ملايين من روبلات الورق الى السوق وتصرفوا بالكنوز الفنية فى المتاحف والكنائس والبيوت الخاصة ..

ان سقوط القيصرية فى روسيا كان لا شك من أعظم الحوادث فى تاريخ العالم ، قد دخلت روسيا فى دور ثورة كأنها جاءت بكل نعم الحق والحرية ثم ظهر من بعد ذلك ان كل النعم هى للصهيونية .

وقد خطب البارون روتشلد فى النادى الانجليزى الفلسطينى فى لندن قال : ان بقاء الحضارة رهن بحظ اليهود فاذا عشنا عاشت الحضارة ولا يمكن لقوة أن تبيدنا الا اذا هلكت الحضارة قبلنا ..

وقال سيبمان فى كتابه (اليهود المعاصرون) : لقد حاول اليهود ان يهدموا حضارتنا فقضية دريفوس علمتنا كثيرا فان دأب اليهود أن ينقذوا رجالهم مهما كلفهم الانقاذ من مال وجهد فقد دفع روتشلد أكثر من مليونى جنيه فى قضية دريفوس ودفع أرباب هـــذا البيت عشرة ملايين روبل ذهبا لانقاذ بوحروف اليهودى الروسى الذى اتهم فى أوربا بأنه ذبح صبيا ليلة العيد ليخلط دمه بفطير الفصح ..

وقال متيسكى فى تاريخ الوطن القومى :

طلبوا الوطن فى أرض كنعان فأهلكوا الحرث والنسل وابادوا الشـــعب تقريبا ثم نزحوا الى أورشليم فهدموها وأغاروا على قبرص وذبحوا فى يوم وليلة مائتى الف نفس حتى صبغوا مياه البحر الأبيض بالدماء ومع ذلك لم يظفروا بالوطن القومى ..

وقال بوكهارت ان الأدب العالمى قد يكون مدينا لبعض كتاب اليهود ولكن شرهم أكثر من نفعهم واثمهم اكبر من خيرهم فان :

هينه : افسد أخلاق باريس

ونُوردوا : حطل المبـــادىء والنظم التى تدعم المدنيـــة وأظهر كسادها وتعفنهـــا .

واوزفالد : أنذرنا بقرب زوال الحضارة .

وفرويد : خلق الاباحية الحديثـــة على نمط الوثنية الاغريقية ومجـــد الغريزة بحيث أطلق عنان الشهوات البشرية ورخص للرجال والمرأة أن يفعلا بجسديهما ما شاء لهما الشبق الكامن فى حنايا ضلوعهما فدمر الأخلاق والمجتمعات .

وقد عجزت الشيوعية أن تخدع المسلمين بصورتها الصريحة فانها تلجأ الى أسلوب المراوغة وتحاول أن تدعى انها لا تعارض الأديان ومنذ سنوات قريبة نشر الأستاذ حسن البنا توجيها حذر فيه من خطر المراوغة وجعله تحت عنوان مثير هو : (احترسوا من الناس بسوء الظن) .

قال : منى هذا الدين منذ قام بفريق من الأعداء يكيدون له ويقفون أمام دعوته ما استطاعوا حتى اذا أوهى قرنهم الوعل وانسوا من أنفسهم الضعف عن مقاومة نفوذه الذى لا يقهر وسلطانه الذى لا يغالب . خلعوا ثوب العداء الظاهرى ولبسوا لأهل هذا الدين جلود الضأن واستتروا بالتوبة والندم وغسلوا الذنوب الماضية بدموع التماسيح واندسوا بين المسلمين ينالون منهم وهم فى صفوفهم ما لم يكونوا يقـــدرون على نواله وهم يواجهونهم بالعـــداء ..

وهذا (الهرمزان) قائد فارس صمد للجيوش الاسلامية فى بدء الفتح مدة طويلة حتى أسر وجىء به الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فاستأمن وأسلم وقبل منه سيدنا عمر هذا الاسلام فى قصة تاريخية مشهورة ..

وقال المؤرخون أن الهرمزان هو الركن الهام فى تدبير المؤامرة التى انتهت بمقتل أمير المؤمنين عمر وحرمان المسلمين من عهده الزاهر ، يؤيد قولهم أن عبيد الله بن عمر قتل الهرمزان بعد ذلك ثقة منه بأن فى عنقه دم أبيه ..

تلك حادثة معلومة نذكرها اليوم طلبا لعبرة تاريخية نحن أحوج الناس الى تذكرها فى كل وقت من الأوقات ومع كل عمل من الأعمال التى يراد بها انهاض المسلمين وخدمة الاسلام فقد منى هذا الدين منذ قام بالكيد له ..

وفى العالم الاسلامى هرمزانيون وسبئيون كثير جاهروا بحرب الاسلام أمدا طويلا وسلكوا الى ذلك كل الوسائل وكأنهم استشعروا الخيبة والفشل أمام هذا البصيص من اليقظة الاسلامية وطاش سهمهم فلم يفوزوا من الأمة بغير البراءة منهم فأيقنوا أن خطة المناوأة عاقبتها الحرمان والسقوط .

وها نحن أولاء نرى الآن خطة تتغير ورجالا يعلنون توبتهم ويبرءون مما اجترحوا معتذرين بالشباب تارة وبالجهل تارة أخرى ويحاولون خديعة

الشباب المسلم بمثل هذه الخدع لينضموا الى صفوف القيادة فيصلوا تحت ستار التوبة الى ما لم يصلوا اليه بأساليب العداء والتشهير ..

وليس أحد منهم بمنصور فى دعوته ولن يرزقهم الله بجحا وان استعانوا بحيل الثعالب فان فى يقظة المسلمين ما يحول بينهم وبين ما يريدونه وشوكة الاسلام أحد وأقوى مما يظنون ونحن لا نريد أن نرد على تائب توبته ولكنها تبصرة وذكرى وحتى لا نؤخذ على غرة وتنطلى علينا حيل هؤلاء فاذا تكشف الامر ندمنا حيث لا ينفع الندم فان أكثر ما نسر له ان يرجع الناس كلهم الى هدى الاسلام ويدافعون عنه صفوفا كالبنيان المرصوص ولكنا لا نريد أن نكون أغرارا يستخفنا السراب ونغر بالظواهر فليتنبه العاملون لدين الله وليحترسوا مما يحتمل أن يكون من وراء ذلك من مكايد هى أخفى من دبيب النمل ، وليذكروا قول الله تعالى تحذيرا من قوم كانوا يسرون غير الذين يعلنون « واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم » والله المستعان وبيده التوفيق .

هذا الذى قاله الامام حسن البنا عام ١٩٣١ يتكرر اليوم بصور مختلفة ويمكن أن يطلق عليه محاولة ضرب الاسلام من الداخل .. فهناك أناس يعلنون خروجهم من الماركسية أو الالحاد ليكسبوا فى صفوف المسلمين مراكز ومواقع وهناك جاروردى وعبارته المشهورة فى كتابه ماركسية القرن العشرين حين قال : (أن على الماركسيين أن يدخلوا فى الاســلام ويضربوه من الداخل) ..

وهناك محاولات اليهود العالمية التقليدية الدائمة باعلان الاسلام والدخول فيه ، وهناك تلك الصورة التى تواجهنا اليوم حين نرى مجموعة من أعداء الاسلام تحت أسماء مختلفة يتحدثون عن الشريعة الاسلامية ويطلبون تطويرها والعمل على تدميرها تحت اسم روح العصر .

آخر العامود :

جاء فى اعلان رسمى صدر عن الحكومة السوفيتية يؤكد أن هناك واحدا من كل خمسة من الشباب السوفيتى يؤمن بشكل أو بآخر بدين من الأديان وهذا يعنى ان حوالى ٣٣ مليونا من الشباب هناك ممن تزيد أعمارهم عن ١٨ عاما يعتبرون من المؤمنين بالأديان فاذا اضفنا الى ذلك أن ١٠ فى المائة من الشباب يمكن وصفهم بالمتمردين بين اعتناق عقيدة دينية أولا فسنجد أن العدد الاجمالى للذين تأثروا بالأديان يبلغ ٥٠ مليون سوفيتى . نشرت هــذا جريدة الديلى تلجراف البريطانيــة فى ٣٠ نوفمبر ١٩٧٦ لمحررها دافيد فلويد .

* * *

عبد الحميد وجمال الدين فى تقويم جديد

ترددت فى الصحف العربية والاسلامية دراسات وأبحاث كثيرة فى هذه الفترة بمناسبة مرور مائة عام على الدور الذى قام به جمال الدين الأفغانى فى حركة اليقظة الاسلامية خلال الفترة التى ظهر فيها فى مصر وتحرك الى الغرب والشرق (١٨٧١ الى وفاته ١٨٩٧) .

والحق أن اسم جمال الدين الأفغانى قد فتن الكثيرين وكتب عنه الكثير وأعجب به الكثيرون وأوقدت مصابيح كثيرة لتضىء لشهرته الطريق ، ولا ريب ان جمال الدين هو واحد من العاملين فى حركة اليقظة التى حمل لواءها الامام محمد بن عبد الوهاب فى الجزيرة العربية قبل ذلك بسنوات طويلة وقد قام بدور كبير بين مسلمى الهند وايران ومصر وكانت له كلمات منشورة وقصص مثارة وانه حمل لواء الدعوة الى التوحيد وتطبيق الشريعة الاسلامية .

ولكننا حين ندرسه يجب الا نفصله عن السياق العام للحركة الاسلامية وأن لا ننظر اليه وكأنه هو وحده الذى دعا الى الجامعة الاسلامية ، كما لا يجوز أن نقبل كل ما قال عنه الفريق المناهض له . ولكن علينا وقد بعد الزمن بيننا وبينه اليوم أكثر من مائة عام أن لا نعطيه ما لا حق له فيه ولا نهضم حقه فى الدور الذى قام به . وقد ظهر جمال الدين الأفغانى فى الوقت الذى اشتد فيه كرب الاستعمار والاحتلال الأجنبى لبلاد المسلمين . وانه قبل أن تتعالى صيحاته كان السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين فى الدولة العثمانية التى كانت تجمع بين العرب والترك تحت لواء الاسلام قد أعد خطة واسعة لمقاومة الغرب الاستعمارى وانه رفع لواء الجامعة الاسلامية قبل أن يرفعه جمال الدين : رفعه بوصفه خليفة المسلمين الذى تضم دولة العرب والترك وكان أمله أن يضم الى الوحدة الاسلامية كل المسلمين الذين هم خارج دولة الخلافة وكان طموحا الى خلق روح التضامن والترابط بين الترك والعرب والفرس جميعا فى مواجهة المؤامرات التى كان الاستعمار قائما بها لايجاد ثغرة بين هذه العناصر الثلاث حتى يحول دون التقاء المسلمين على الفكرة الواحدة والقوة الجامعة التى تواجه الغزو الاستعمارى . ولقد كان عبد الحميد بنفوذه قد قطع أشواطا طويلة فى العمل للوحدة الجامعة قبل أن يلتقى به جمال الدين ويعاهده على العمل معه وكان ذلك قبل وفاة جمال الدين بسنوات خمس غير أن جمال الدين **كان يدعو قبل أن يلتقى بالخليفة الى فكرة الوحدة الاسلامية أو الجامعة**

الاسلامية نتيجة لتجربته فى الحكم فى ايران وصراعه مع الاستعمار الانجليزى وكانت حملته على بريطانيا غاية فى القوة والعنف وقد أصدر مع الشيخ محمد عبده صحيفة العروه الوثقى فى فرنسا التى كانت تعارض بريطانيا وتنافسها فى الصراع على العــالم الاســلامى ، وكانت فكرة جمال الدين الأفغانى تحضير قطر من الأقطار العربية لحمل لواء الفكرة ولتكن مصر التى عمل فيها طويلا قبل أن يقع الخــلاف بينه وبين الخديوى توفيق بعد وفاة اسماعيل . وكان الاستعمار يحول بينه وبين تحقيق هدفه ، كذلك فقد جرت محادثات بين بريطانيا وبينه بشأن السودان وذكرت المصادر انه قد عرض عليه لقب سلطان فى السودان ورفض العرض ، وقد لاحقت جمال الدين دعوة عبد الحميد الى العمل معه ، غير أن جمال الدين اعتذر مرارا حتى رأى أخيرا أن الحركة التى يقوم بها الخليفة قد كسبت أرضا واسعة وقوة كبرى ، عندئذ انضم اليه ، غير أن بعض تصرفات جمال الدين قد أزعجت الخليفة وكان له معه موقف الحيطة الذى عرف به ازاء الاتحاديين وازاء القوى الكثيرة التى يخشى من تحركها فى مضادة خطة عبد الحميد ..

ومهما يكن من واقع التاريخ فى ذلك الوقت فان جمال الدين الافغانى كان يرى أن يسير فى الطريق الذى عمل فيه وعمقه السلطان عبد الحميد ، غير أن محاولة الاساءة الى التاريخ الاسلامى فى هذه الفترة وتسميم الصورة الباهرة لعمل السلطان عبد الحميد ، قد حاولت اضفاء شيء كثير من المقابلة بينه وبين جمال الدين واظهار جمال الدين فى صورة البطولة الخارقة او الخصومة مع الخليفة ، حتى انهم تبرعوا باثارة شــبهات حــول موت جمال الدين لم تتأكد فى الحقيقة .

ولكن الصهيونية العالمية التى كانت تقود معركة الحرب ضد عبد الحميد قد عمدت الى اعلاء شأن جمال الدين ووضعه فى موضع أسطورى حتى تنسب اليه كل اعمال الجهاد والمقاومة فى هذه الفترة وحجب الدور الذى قام به السلطان عبد الحميد حجبا كاملا ووصف خليفة المسلمين بأنه كان مستبدا وظالما . ونحن نعلم أن الصهيونية العالمية قد فعلت ذلك وأفسدت صفحات التاريخ الاسلامى المعاصر . ان القاء الأضواء الكاشفة على جمال الدين كان يراد بها أعطاؤه أكثر من حجمه الطبيعى فى التاريخ ، حتى يمكن اثارة الشبهات حول السلطان عبد الحميد ، بينما لا يوجد شيء يمكن أن يوزن بموقف الخليفة الاسلامى من الاغراء الصهيونى والوعيد اليهــودى الذى تعرض له .

ولا ريب أن جمال الدين كان على طريق حركة اليقظة ، وكانت دعوته الى الجامعة الاسلامية على النحو الذى فهمه ودعا اليه من الأعمال الهامة التى ترتبط بدعوة الخليفة من ناحية وبمقاومة الاستعمار البريطانى ، غير ان السلطان عبد الحميد كان أعمق فهما منــه لأهداف المحافل الماسونية وللمخطط الذى كانت تنفذه الدونمة بالاشتراك مع أعدائهم الذين يمكن أن يؤخذ على جمال الدين أنه أيد موقفهم من القومية او الجنسية كما كانوا يطلقون عليها . وعلى كل فان جمال الدين لم تمكنه طبيعته العصبية العنيفة — التى وصفها محمد عبده بأن الحدة فيها تهدم ما تبنيه الفطنة — من معرفة

أبعاد القضية ، قضية التحدى الاستعمارى والصهيونى والتماس أصلح الأساليب لها .

ويمكن أن يؤخذ عليه فى هذا المجال أمران :

أولا — محاولة الاصلاح عن طريق العنف : الثــورة أو الانقلاب أو الاغتيال . وكلها محاولات لا تتفق مع طبيعة الدعوة الاسلامية . وكان الشيخ محمد عبده أقرب الى الفطرة الاسلامية فى دعوته الى بناء الأجيال بالتربية ، وهى الخطة التى عرضها محمد عبده على جمال الدين حين طلب اليه أن يجمعا مائة شاب يعلمونهم الدعوة الى الله ثم يطلقونهم فى الممالك الاسلامية ، فقال له جمال الدين انما أنت مثبط .

ثانيا — ان أسلوب جمال الدين فى الدعوة الى الله كان أسلوب الفلاسفة وعلماء الكلام ولم يكن الاسلوب القرآنى الأصيل الذى لو اتخذ لكان يمكن أن يكون أعمق أثرا ، والذى قامت عليه حركة اليقظة أصلا ، ثم عادت اليه بعد شوط طويل من حملة الوية المنطق والفلسفة أمثال محمد اقبال ومالك بن نبى والعقاد وغيرهم .

ولا ريب أن جمال الدين الأفغانى كان مثيرا فى مظهره وحركته وتنقلاته ، وذلك الطابع الذى عرف به من الجلباب الواحد ، وصناديق الكتب التى فى صدره ، وعزوفه عن الزواج وتكوين الأسرة ، ليكون أقدر على العمــل والحركة . وكلماته النارية ومواقفه مع الكبراء ، ولكن الخطة التى رتبها لم تكن تأخذ فى حسابها احتلال بريطانيا لمصر والسودان ، التى رجحت أسلوب الشيخ محمد عبده وطريقته فى العمل عن طريق التربية والاصلاح . واذا كان لنا أن ندرس نتائج هذه الاتجاهات فاننا نجد ان اسلوب جمال الدين لم يكن الا اسلوبا حماسيا براقا خاطفا ولكنه لا يحقق الأهداف التى كانت تتطلع اليها الأمة الاسلامية فى أخطر مراحلها والتى كان يقوم عليها السلطان عبد الحميد الذى كان عالما بمخططات الصهيونية المشتركة مع الاتحاديين والدونمة التى كشفتها مذكراته التى نشرت باللغــة العربيــة فى الأيام الأخيرة .

أما جمال الدين فكان كارها لبريطانيا عاملا على تنكيس أعلامها فى البلاد الاسلامية ولكنه فيما يبدو لم يكن ملما بالمحاذير التى تحتوى خطوات المحافل الماسونية وغيرها .

ولقد استطاعت الصهيونية أن تسىء للسلطان عبد الحميد عن طريق الصحافة العربية التى كان يحمل لواءها المارونيون خريجو معاهد الارساليات فى مصر وخاصة صروف ونمر ومكاريوس وسركيس وغيرهم وكان بعض هؤلاء يحيطون بجمال أمثال أديب اسحق وسليم عنحورى واليهودى يعقوب صنوع صاحب خيال الظل . وكل هؤلاء كشفوا خبيئتهم بعد موت جمال الدين وبعد الاحتلال البريطانى .

غير أنه ما يزال يذكر لجمال الدين أنه كان بعيد الأثر فى الأسلوب العربى

الحديث فقد عمل على تحريره من السجع ودفعه الى طريق العرض الواضح وجدد شباب الوطنية والحماس لمقاومة الاستعمار والنفوذ الاجنبى الوليد .

ومما يجب أن يقال فى هذا المجال أننا تأثرنا فى مطالع الخمسينات بما كان يقال عن جمال الدين وعن عبد الحميد ، ورددنا مع القائلين بطولة جمال الدين على ذلك النحو فى اطار ما كان يواجه بلادنا من الاحتلال ولم تكن أبعاد موقف السلطان عبد الحميد قد تكشفت لنا عن حقيقة بطولته ، ولكنا عدنا فأعدنا تقدير الموقف على ضوء الوثائق التى تكشفت والمسلمات الزائفة التى هزمت والتى حاولت الصهيونية ادخالهـا فى كتب التـاريخ ومناهج الدراسة حتى انجلت صفحة الرجل الكريم وهنـاك تبين لنا أن الصهيونية والاستعمار كانا يريدان أن يضعا عبد الحميد فى الظل ويضفيا صورة من المبالغة على سيرة جمال الدين ليكون بديلا أو ليكون اعلاؤه حجبا وانتقاصا من الخليفة المسلم . ومن هنا فقد وجب أن يوضع تقويم جديد لهذا الموقف التاريخى فى اطاره الصحيح وهو ان جمال الدين واحد من رجال حركة اليقظة ولكنه فى خلال عمله كان يتحرك فى اطار الخطة القوية التى حمل لواءها السلطان عبد الحميد حينما دعا مسلمى العالم الى الاتحاد تحت راية الخـلافة الاسلامية والوحـدة الجامعة وهو الموقف الذى هز دوائر الاستعمار والصهيونية وعجل بوضع نهاية عبد الحميد .

* * *

(١٤)

ظاهرة جديدة فى تاريخ الفكر الإسلامى

أشار الدكتور مجاهد الصواف الى ظاهرة جديدة فى تاريخ العلاقة بين المثقفين المسلمين وبين أساتذتهم المستشرقين الذين تلقوا عليهم العلم فى الغرب وقال انه واحد من تلاميذ المستشرقين الذين عارضوهم وكشفوا زيفهم وانه من الصعوبة بمكان على الانسان أن يتكلم على من درسوا له .

وقال : أنا تلميذ الاستشراق ولكن بكل صراحة اختلفت مع أساتذتى هناك . وقال : ان كثيرا من الشباب المسلم اختلف مع المستشرقين بل يهاجم بعضهم فى رسائله الجامعية أساطين الاستشراق .. وأشار الى الدكتور محمد مصطفى الأعظمى الذى كتب وهاجم أسلوب شاخت أبو الاستشراق فى العصر الحديث وقال عنه أن أسلوبه بعيد عن العلمية (هذا ما أورده الدكتور الصواف فى حديث له نشرته الندوة الغراء) ..

واليوم يتجدد الحديث فى مناسبة وفاة الدكتور محمد أمين المصرى ذلك العالم المسلم الكريم الذى كان واحدا من أولئك الأكرمين الذين واجهوا الاستشراق وصمدوا على الحق الذى آمنوا به . ولا ننسى فى هذا المجال الدكتور محمد عبد الله دراز ورسالته عن الأخلاق فى القرآن التى هزمت نظريات الفكر الغربى الوافدة جميعا فوق منبر السربون وأعلنت مفهوم القرآن فى الأخلاق وأدالت من مختلف النظريات الغربية التى قامت على الفكر المادى (سبنسر وأوجست كونت وفرويد ونيتشة .. الخ) فقد أتيح له فى ذكاء ومرونة وقدرة على أن يواجه هذه المذاهب مواجهة عنيفة وأن يعارضها وينتقصها ويكشف زيفها واحدا بعد الآخر . فقد أمضى عشر سنوات فى دراسة الفكر الغربى وكان ايمانه أن يكتب بالفرنسية فى بلاد الفرنسيين كلمة الاسلام وأن يصدع بالحق الذى جاء به القرآن فى مواجهة الفلسفات الأوربية وخاصة فى مواجهة الأخلاق .

ولقد كان الدكتور ضياء الدين الريس رحمه الله واحدا من المفكرين المسلمين ، عارض حركة الاستشراق فى رسالته فى انجلترا وكان كريما على نفسه فقد تركهم وجاء الى مصر وكتب رسالة وأذاعها فى العالمين

وكشف بها أن للمسلمين منهجا ومفهوما ونظرية سياسية كاملة لم يأخذوها من اليونان أو الرومان وانما أخذوها من القرآن وكانت رسالته دحضا لتلك الشبهات التى آثارها طه حسين وغيره من دعواهم الباطلة بأن المسلمين أخذوا نظريتهم السياسية من الفكر اليونانى وان الاسلام لم يكن له فكر سياسى خالص ..

ولقد كشف الدكتور مصطفى السباعى ذلك الدور الخطير الذى يقوم به الاستشراق فى الغرب ليحول بين فكر الاسلام وبين توجيه تلك اللطمات القوية لسموم الاستشراق فيقول : حدثنا الدكتور أمين المصرى عما لقيه من عناء فى سبيل موضوع رسالته التى أراد أن يتقدم بها لاخـذ شهادة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعات انجلترا . فقد ذهب اليها لدراسة الفلسفة وأخذ شهادة الدكتوراه بها وما كاد يطلع على دراسة العلوم الاسلامية فيها حتى هاله ما رآه من تحامل ولا سيما فى كتابة لمستشرقين وخاصة شاخت فقرر أن يكون موضوع رسالته فى نقد كتاب شاخت .

وتقدم الى البروفسور أندرسون ليكون مشرفا على تحضير هذه الرسالة وموافقا على موضوعها فابى عليه هذا أن يكون موضوع رسالته « نقد شاخت » وعبثا حاول أن يوافق على ذلك فلما يئس من جامعة لندن ذهب الى جامعة كمبردج وانتسب اليها وتقدم الى المشرفين على الدراسـات الاسلامية فيها برغبة فى أن يكون موضوع رسالته للدكتوراه هو شاخت فلم يبدوا رضاهم عن ذلك ، قالوا له بصريح العبارة : اذا أردت أن تنجح فى الدكتوراه فتجنب انتقاد « شاخت » فان الجامعة لن تسمح لك بذلك ..

وأشار الدكتور مصطفى السباعى أن « أندرسون » أسقط أحد المتخرجين فى الأزهر الذين أرادوا نيل شهادة الدكتوراه فى التشريع الاسلامى فى جامعة لندن بسبب واحد هو أنه قدم أطروحته عن حقوق المرأة فى الاسلام . وقد برهن فيها على أن الاسلام أعطى المرأة حقوقها الكاملة ، فتعجب لذلك . وسألت هذا المستشرق وكيف أسقطته ومنعته من نيل شهادة الدكتوراه فى الاسلام وقد برهن فيها على أن الاسلام أعطى المرأة حقوقها الكاملة لهذا السبب وأنتم تدعون حرية الفكر فى جامعاتكم .

فقال : لانه كان يقول : الاسلام يمنح المرأة كذا والاسلام قرر للمرأة كذا فهل هو ناطق رسمى باسم الاسلام ، هل هو أبو حنيفة أو الشافعى حتى يقول هذا الكلام ويتكلم باسم الاسلام ..

وهو كما ترى عذر تافه دل على مدى التعصب الذى تقوم عليه الدراسات الجامعية فى الغرب تجاه الاسلام . ولكن الكتاب المسلمين اليوم أصبحوا أكثر

قدرة وأقوى قوة على مواجهة الاستشراق والرد على المستشرقين فى مؤتمراتهم كما فعل الدكتور مجاهد الصواف وغيره ..

اتسع نطاق الكشف عن زيف الفكر الذى قدمه فرويد تحت اسم التحليل النفسى ، ومنذ اليوم الاول حين التقى بزميله (ارلرويونج) وقد ظهر واضحا انحراف فرويد ، ومظاهرة القوى اليهودية التلمودية لفكرة وحمله الى مختلف بلاد العالم ونقله الى محيط الجامعات على أنه علم ومسلمات وليس على انه فروض ووجهات نظر قابلة للصدق والخطأ ، وحجبت آراء المختلفين معه والذين كانوا أقرب الى النظرة العلمية والى الفطرة وقتا طويلا .

وعقدت فى السنوات الأخيرة مؤتمرات لعلم النفس حضرها عدد من أعلام هذا الفكر فى العالم وكشفت هذه المؤتمرات عن قصور المنهج الذى قدمه فرويد وفساده .

واليوم يتكشف عن ظهور جماعة قوامها (كارين هورنى وريك فردم) تثور على نظرية فرويد وتصفها بأنها ضيقة ومحدودة لطبيعة الانسان التى استقاها من المجتمع الذى تحطم من بعد وهو (مجتمع امبراطورية النمسا والمجر) فقد استغل مفاهيم وظواهر هذا المجتمع فى مرحلة انهيارم وانحلاله ثم حاول تطبيقها على الانسانية جمعاء ، وجملة راى هذه الجماعة الجديده أن طبيعة الانسان فيها قبس من الخير يمكن أن يبرز الى الوجود فالانسان بحكم طبيعته يريد أن ينعم بعلاقات انسانية صافية من الغرض ولكن الانظمة التى تفرض على الناس المنافسة وتمزق أواصر التعاطف بينهم وتجعل من الواحد منهم غريما للآخر فانها تطفىء تلك الشعلة الدافئة : شعلة العواطف الانسانية الصافية ، فيحس الانسان بتوتر وقلق نفسى فينصرف الى الكحول والمخدرات لكى يغيب عن الواقع المرير ويعيش فى عالم آخر من نسج المخدرات والمسكرات او يواجه الواقع المرير كما هو ولا يقوى على ذلك فتنتابه الرغبة فى التخلص من الحياة بالانتحار وتطبق عليه الانهيارات العصبية بكل صورها واشكالها .

ولا ريب أن هذا المفهوم الجديد لخلفاء فرويد وخصومه فى نفس الوقت يقترب من الفطرة ، ولكن المفهوم الاسلامى فى النفس يظل أكثر أصالة وسعة ورحمة لانه يستمد منهجه من المصدر القرآنى الذى هو كتاب الله الواحد الباقى على وجه الأرض سليما دون تحريف .

وقالت هذه الجماعة ان الانسان فطر على التواد والتعاون مع الغير ولم يكن مفطورا على العدوان كما يقول فرويد فى صلف شديد ومعارضة

للفطرة بأن غريزة الموت تقتضى أن تدمر الآخرين لكى ندمر انفسنا ولا ريب أن هذا المفهوم هو مفهوم النزعة التلمودية التي يحاول اليهود أن يفرضوها على البشرية .

وقالت : كيف يتأتى أن تكون مجتمعات للعيش فيها ولو كانت النزعة العدوانية أصيلة فى طبيعة الانسان فكيف تفسر عدم وجود هذه الظاهرة فى بعض المجتمعات الانسانية .

كذلك فقد عارضت الجماعة مفهوم فرويد بان نزعة الانسان مجرد هدف جنسى مكبوت .. وقالت ان هذه حالات مرضية تصيب بعض الناس ومن الخطأ تعميمها واعتبارها ظواهر طبيعية تمثل الغرائز الانسانية الطبيعية .

كما عارضت مفهومه عن الطفل وقالت ان الطفل الذى لا ينعم بدفء الوالدين وحبهما بسبب حالته العصبية غير الطبيعية ولا ينعم بشعور اليقين بأنه مرغوب فيه وبأن حب الوالدين له غير مرهون بأية شروط مثل هذا الطفل يشب فى وجل من الحياة الخارجية التى يرى فيها أخطارا تهدد فرديته وحريته ورغباته المشروعة . وفى هذه الحالة فان الفرد اما أن يتهافت على كسب حب الغير ويتوقع من الغير ما لا طاقة لهم به واما يعتزل الناس اعتزالا كليا أو يعمل على أن يتسلط على الغير ويخضعهم لارادته .

* * *

(١٥)

علم النفس الإسلامى وعلم الاجتماع الإسلامى

لا يستطيع الباحث الاسلامى والمثقف المسلم أن يتجاهل ظاهرة القدرة على المواجهة والتحدى للسموم التى يطرحها الفكر الغربى الوافد فى أفق الفكر الاسلامى وخاصة فى ميدان النفس والاجتماع حيث سيطر اليهوديان فرويد ودوركايم على هذا المجال منذ وقت بعيد وتركا آثارا ضخمة فى مناهج الدراسة فى الجامعات والمعاهد الاسلامية وكانت دعوتنا صريحة الى أن نتجاوز فرويد وماركس ودوركايم وسارتر جميعا . وحين يصدر الدكتور حسن الشرقاوى دراسته الخصبة عن نحو علم نفس اسلامى جديد ويصدر الدكتور مصطفى محمد حسنين دراسته الممتعة عن المدرسة الاسلامية فى علم الاجتماع نشعر باننا أصبحنا على أبواب مرحلة جديدة ..

يرد الدكتور الشرقاوى على كبار علماء النفس الحديث بعامة ومدرسة التحليل النفسى بخاصة وعلى رأسهم فرويد . والدراسة تهدم نظريتهم فى الحتمية النفسية وتفتح باب الأمل أمام المرضى النفسانيين لان التوبة ميلاد جديد لانها تغسل ما قبلها .. ويرد الدكتور الشرقاوى على بعض ما ردده علماء التحليل النفسى أمثال فرويد من أن هناك حتمية نفسية وانه فى امكانهم اذا عرض عليهم طفل فى سن ٨ سنوات أن يتنبأو بما سوف تكون عليه شخصيته فى سن الكهولة .. وهذه هى الحتمية النفسية الباطلة ..

يرد عليهم علم النفس الاسلامى بقوله أنه ليس هناك حتمية وان التوبة ميلاد جديد فالتوبة تغسل ما قبلها وهنا نقطة الخلاف بين علم النفس الحديث الذى ينادى بالنظرية الحتمية النفسية وبين علم النفس الاسلامى الذى يرجع الى القرآن والسنة فى قوله تعالى :

« ومن تاب وآمن وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا .. » .

كذلك فان علم النفس الحديث يربط الحاضر بالماضى فيربط الطفولة المبكرة بالرجولة والنضج بمعنى أنه يفسر التصرفات الحاضرة عن طريق الماضى داخل اطار الحتمية النفسية وهذا معناه أنه ليس هناك داع للتربية وللرسالات السماوية أو للهداية والاصلاح ولا للعلم والتعليم مادام الانسان يخضع لقانون حتمى فلا توبة ولا ندم تحسن من أخلاق الانسان أو تغير من مواقفه وبينما علم النفس الحديث لا يحقق للانســـان الأمن والأمل بل يعمل على زيادة الاضطراب والقلق النفسى والخوف والرعب والفزع نجد أن علم النفس

الاسلامى يحقق للانسان الأمن والأمل ويقدم علاجا ناجحا للخوف وذلك مما يبثه من الطمأنينة والسكينة فى القلب وتؤكد ذلك الآ الكريمة ((**وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن قلوبكم**)) وقوله تعالى : ((**وهو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم**)) فهذه الآيات كلها يستدل منها (علم النفس الاسلامى) ليحيل الخوف أمنا ويبتعد عن الاكراه والضغط على حرية الانسان ..

ويقول الدكتور الشرقاوى أن فرويد وزملاءه يتحدثون عن الجانب الشرير فى الانسان ويقولون دائمـــا ان أصحاب مكارم الاخلاق مرضى نفسيون ، ويقولون أيضا ان الانسان يحكمه من الداخل قانون الغاب ولذا يقر علماء النفس القول الذى يقول (اذا لم تأكل فأنت مأكول) وهنا نقول أن علماء النفس أسرفوا فى فهم النفس الانسانية أما علم النفس الاسلامى فانه يقرر أن الوسط العدل هو الأساس للحكم تأييدا لقوله تعالى : ((**وكذلك جعلناكم امة وسطا**)) بمعنى أن أوسطكم اكثركم حكمة وأفضلكم رأيا .

فالأساس فى علم النفس الاسلامى انما هو الذى تقبله الفطرة السليمة والعقل الراجح والنفس المؤمنة لان قانون الكون أو التشريع الالهى يسير على هذا الوسط ، مثلا النبات يسير على قانون الوسط فاذا أضفت المزيد من المـــاء للنبات يموت وكذلك اذا رفعت عنـــه المـــاء يموت ومثل ذلك الحيوان .. والكون أيضا يسير فى وسط عدل مثل النجوم والكواكب فى السموات كلها بقدر معين ونظام بحيث لا يصطدم بعضها ببعض ، وتسقط وهذا ما لا يمكن حدوثه لان لهذا النظام خالقا نظمه بقانون الهى اذن لا بد للانسان وقد وهبه الله عقلا وارادة وقدرة على الاختيار أن يتمشى ويواكب القانون الالهى لانه اذا أسرف اختل النظام واختلت الفكرة السليمة والتى من اجلها خلق الانسان .

المدرسة الاسلامية فى علم الاجتماع :

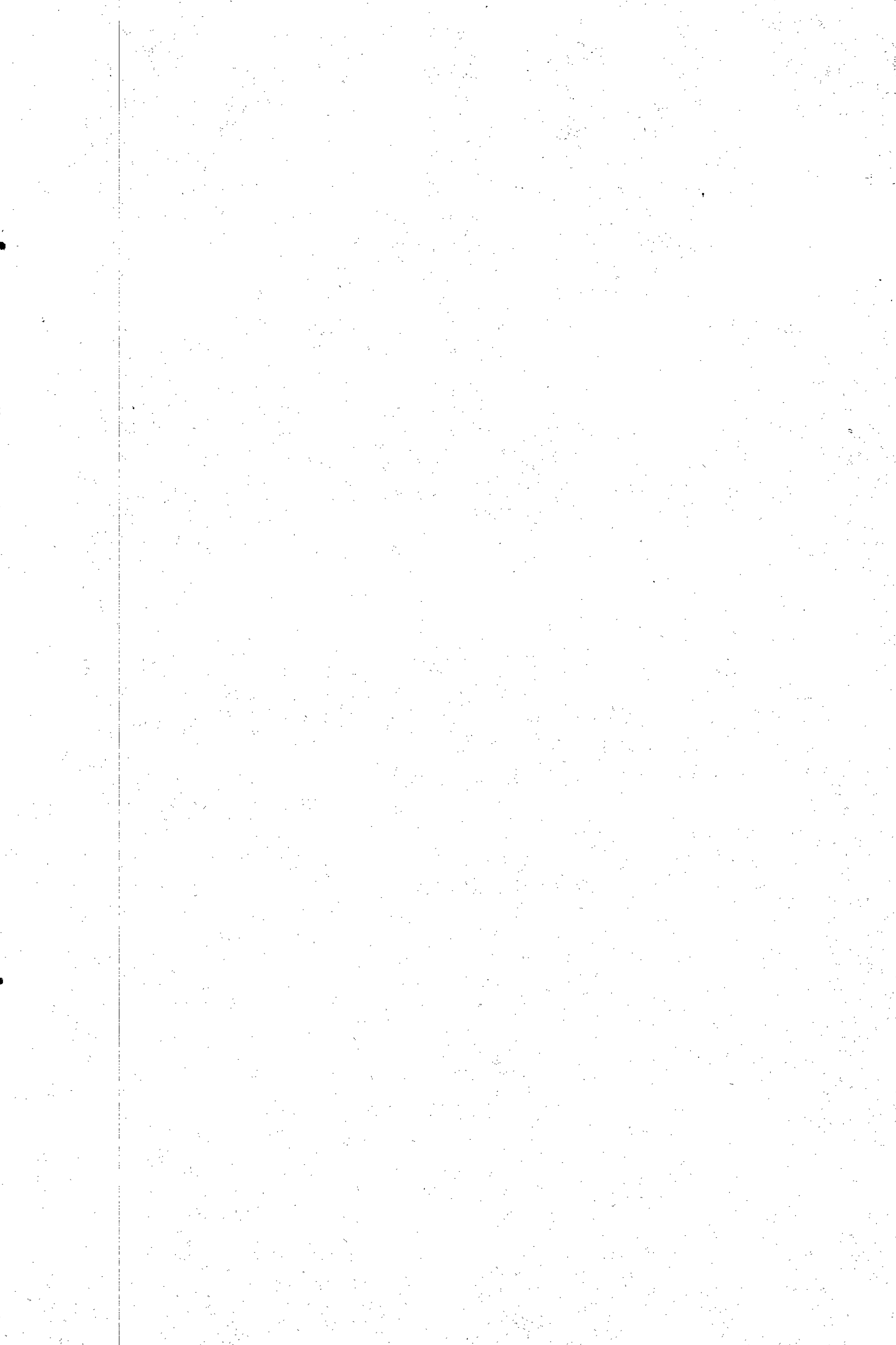
ويرى الدكتور مصطفى حسنين انه حيث يجعـــل دور كايم الظواهر الاجتماعية أساس الدراسة وتجعل المدرسة الانجليزية الأمريكية النظـــام الاجتماعى أساس الدراسة فان الاسلام يجعل من واقعات العمران البشرى موضوع الدراسة وقد أخطأ كثير من علمائنا فى ظنهم ان واقعة العمران البشرى — كما عرفها ابن خلدون — هى بذاتها الظاهرة الاجتماعية عند دوركايم ولكن طبيعة الواقعة الاجتماعية تختلف فى وظيفتها وبنائها الاجتماعى اختلافا جوهريا عن وظيفة المظاهر الاجتماعية وبنائها الاجتماعى وان واقعة العمران البشرى كما قدمها ابن خلدون نسيج وحدها فى الوظيفة والتركيب الاجتماعى على السواء وان دوركايم أهدر كل تقييم اخلاقى حتى انه يقول ان الجريمة ظاهرة ضرورية وهى ليست ظاهرة مفيدة ولا ريب ان هـــذا لا يستقيم اطلاقا مع النهج الاسلامى فى النظر الى مجتمع المسلمين ، بل هناك ما هو أسوأ فان دوركايم ينتهى فى نظريته فى الظواهر الاجتماعية الى القول بأن أصل الأديان أصل أرضى ويرجعها الى طبيعة المجتمع الانسانى وهذا أيضا لا يستقيم اطلاقا مع موقف الأديان السماوية على وجه الخصوص .

هناك فارق آخر كبير بين المدرسة الاسلامية والمدرسة الاجتماعية الغربية يكشف عنه الدكتور مصطفى حسنين ذلك هو ان ابن خلدون يربط بين قيام الواقعة الاجتماعية ووظيفتها ربطا شديدا اذ جعل (العمران) هدفها وغايتها واذا كان الاسلام قد جمع بين صالح الفرد وصالح الجماعة فى نطاق واحد وجعل كل مصلحة منها تساند الأخرى وتدعمها فان ابن خلدون على أساس الفهم الاسلامى كان يتبنى واقعات العمران على أساس ما تحققه من مصلحة للجماعة والأفراد على السواء . ويشير الدكتور مصطفى حسنين الى أن بحوث دوركايم وان جعل موضوعها العرب فى شمال افريقيا وبلاد الشام والبدو بصورة عامة كانت تتجه الى وصف هذه الجماعة على انها بدائية متخلفة بالاضافة الى آراء دوركايم المرفوضة فى الدين الوضعى .

من أجل هذا رأى الدكتور مصطفى حسنين أن يرجع الى أساس المدرسة الاسلامية الاجتماعية التى أرسى دعائمها ابن خلدون ويقول انه لا بد لنـــا ونحن أصحاب المنهج الأصيل الأول اذا أردنا مقاومة هذه الأفكار الهدامة ولكى نصلح أمرنا ونعود الى الاصالة ان نؤكد على منهجنا فى التفسير وأن نصد كل رأى مخالف بنفس الأسلوب الذى يتخذونه فى محاربتنا . انهم يقولون انهم أصحاب اسلوب علمى ونحن نقول أيضا ان لنا أيضا اسلوبنا العلمى المكين واسلوبنا العلمى القائم على هذا العلم الذى هو فقه الشريعة الأصيل وفى قرآننا وسنة رسولنا صلوات الله عليه ، ولا ريب أن النظر الاسلامى فى شتى المجالات نسيج وحده فهو أصيل نابع من مصدر واحد غير مسبوق بمثله لم يتغير هو القرآن الكريم وسنة الرسول صلوات الله عليه وذلك ما قام الدليل الشرعى عليه بأنه طاعة الله ورسوله .

والحق ان الأمة الاسلامية التى تشدها من أطرافها قيم أساسية واحدة تنبع من عقيدة الاسلام وتنبنى على قواعده تتعرض هذه الأيام لغزو حضارى يكاد يعصف بكل نواحى الحياة عندنا وفى كل مجال ، وقد امتد اثره الى الجانب الفكرى والاقتصادى وعادات حياتنا اليومية ، وهو صراع حول قيمنا الأصيلة وليس من سبيل أمامنا الا أن يعمد الباحثون الاجتماعيون الى الكشف عن أسلم السبل وتخطيط الوسائل الناجعة ، وبأن يحول الصراع الى أسلوب امتصاص سيبقى على الأصل الاسلامى من القيم فى مجتمعنا الاسلامى بكل ما يحمل بين طياته من خير .

***



(١٦)

عادوا إلى الحق

بالرغم من كل الذين ينخدعون ببعض الفلسفات بعض الوقت يعودون فى اللحظات الأخيرة الى الحق ، ويكشفون عن الحقيقة فتكون كتاباتهم سلاحا بتارا فى تصحيح الامور ووضعها فى نصابها . وفى القديم والحديث نجد هذه النماذج ، نجدها فى الامام الغزالى وفى فخر الدين الرازى حين عادا الى السنة . ونجدها فى العصر الحديث فى كتابات الدكتور هيكل مؤلف حياة محمد الصريحة ، وفى كتابات منصور فهمى وغيره وفى السنوات الأخيرة وجدنا كثيرا من الذين خدعتهم الماركسية والفلسفات المادية قد عادوا الى حظيرة الاسلام .

وقد نجد أنه من المناسب هنا أن نقدم وصية فخر الدين الرازى التى كتبها فى آخر حياته :

انى أحمد الله تعالى بالمحامد التى ذكرها أعظم ملائكته فى أشرف أوقات معارجهم ونطق بها أعظم أنبيائه فى أكمل أوقات مشاهداتهم بل اقول كل ذلك من نتائج الحدوث والامكان وأحمده بالمحامد التى تستحقها الوهيته ويستوجبها لكمال الموهبة عرفتها أو لم أعرفها .

أعلموا انى كنت رجلا محبا للعلم فكنت أكتب كل شىء لأقف على كميته وكيفيته سواء أكان حقا أم باطلا أو غثا أو سمينا الا أن نظرته فى الكتب المعتبرة فى أن العالم المخصوص تحت تدبير مدبره المنزه عن مماثلته موصوف بكمال قدرته وعلمه ورحمته ، ولقد اخترت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت منها فائدة تساوى الفائدة التى وجدتها فى القرآن لأنه يسعى فى تسليم العظمة والجلال له ويمنع من التعمق فى ايراد المعارضات والمناقضات وما ذلك الا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى فى تلك المضايق العميقة والمناهج الخطية فلهذا أقول كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراءته عن الشركاء كما فى القدم والازلية والتدبير والفعالية فذلك هو الذى أقول بل وأسعى اليه والقى الله به وأما ما ينتهى الأمر فيه الى الدقة وكل ما ورد فى القرآن والصحاح للمعنى الواحد ، كما قال :

لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروى غليلا أو تشفى عليلا ورأيت أن أصح الطرق هى طريقة القرآن ، وأقول من صميم **القلب من داخل الروح انى مقر بكل ما هو الاكمل الأفضل الأعظم الأجل فهو الله وكل ما هو عيب ونقص فهو منزه عنه .**

ويقول : يا ارحم الراحمين فلتكن رحمتك مع قصدى لا مع حاصلى فذاك جهد المقل وانت اكرم من أن تضايق الضعيف الواقع فى الزلة فاغثنى وارحمنى واستر زلتى وامح حوبتى .

ويقول : دينى متابعة محمد سيد المرسلين وكتابى هو القرآن العظيم وتعويلى فى طلب الدين عليهما وانا معترف بالذلة والقصور .

أما الكتب العلمية التى صنعتها او استكثرت من ايراد السؤالات على المتقدمين فيها فمن نظر فى شىء من هذا فان طابت له تلك السؤالات فليذكرنى فى صالح دعائه فى سبيل التفضل والانعام والا فليحذف السىء .

ولا ريب أن حركة التغريب والغزو الثقافى فى العصر الحديث قد استغلت كتابات الرازى استغلالا سيئا وقدم له عبد الرحمن بدوى صورة متجهمة تصوره على أنه من دعاة الباطنية والشعوبية والالحاد ولم يورد لحظة هذه العودة الى الله فى اللحظات الاخيرة فاستطاعوا بما أورده أن يضلوا الكثيرين ويفسدوا الفكر الاسلامى المعاصر باحياء هذا الركام الضال الذى انطوى ومات وكشف دعاة الاصالة عن زيفه وفساده .

* * *

(١٧)

هؤلاء خدعوا الأدب العربى :

أديب اسحق وولى الدين يكن ويعقوب صنوع

أما يعقوب صنوع فهذا رجل يهودى كانت مهمته أن يفتح الطريق فى عصر اسماعيل الى العامية والى الفكاهة الجارحة والى هدم مقومات هذه الأمة عن طريق الصحافة الكاريكاتورية وما يتصل بها من المراقص والأندية الليلية المكشوفة ، تلك مهمته . أما أديب اسحق فقد ادعى انه تلميذ جمال الدين وبرقت كلماته فى الصحف التى أصدرها فى مقاومة الاستعمار البريطانى ولكنه كان واحدا من مجموعة من خريجى ارساليات التبشير تحارب الاستعمار البريطانى وحده وترى الالتجاء الى فرنسا هو الحرية منتهى الحرية . اتصل أديب اسحق بجمال الدين وادعى أنه من دعاة الحرية فما أن أخرج جمال الدين من مصر حتى تولى النفوذ الفرنسى فكتب فى باريس يهاجم مصر ثم عاد الى مصر مع اعلام الاحتلال فأعطى جائزة ومنصبا وهكذا تجد الجماعة كلهم : يوسف الخازن ، رزق الله حسون ، سليم عنحورى ، لويس صابونجى ، كان هدفهم تدمير الدولة العثمانية وتحطيم الجامعة الاسلامية وفصل مصر عن تركيا لحساب النفوذ الاجنبى ، تلك هى مدرسة الارساليات التبشيرية التى صنعها النفوذ الاجنبى فى بيروت لاعداد تلك القاعدة الضخمة التى انطلقت منها بعد ذلك كل قوى الفكر والصحافة والأدب وفى مقدمتها أصحاب المقطم عملاء كرومر ودعاة الاحتلال ، وسركيس وشاهين مكاريوس الذين كانوا جميعا يعرفون طريقهم : محاربة الاسلام تحت اسم محاربة الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد والدعوة الى تحرر الوطن باسم الاقليمية وتمزيق تلك الجبهة الصامدة ، تلك هى دعوة الصهيونية والاستعمار الكامنان وراء الارساليات التى أطلقت خريجيها فانبثوا فى مصر وتونس والمغرب يقودون الصحافة لحساب النفوذ الانجليزى والفرنسى ومن ورائهم الصهيونية ، كانوا يعملون فى البلاد العربية فاذا ضاقت بهم ذهبوا الى ايطاليا أو فرنسا يصدرون صحفا صفراء يهاجمون فيها الخلافة والاسلام !

الحق ان هذه الجماعة فى حاجة الى دراسة واسعة تكشف زيفهم ، فانهم كانوا يدعوننا الى أن نربط أنفسنا بالثورة الفرنسية والولاء للفكر الفرنسى تارة أو الفكر العلمانى اللادينى تارة أخرى .

ومن هؤلاء من عملوا فى تعريب الروايات الفرنسية المكشوفة لتباع بقروش قليلة فأغرقوا الأسواق وافسدوا الشباب والفتيات بقراءة هذه الصور الرديئة من علاقات الحب والغرام .

وحين نطالع حياة رجل مثل يوسف الخازن الذى أصدر جريدة الاخبار ثمانية وثلاثين عاما نجد ما يأتى :

١ ــ لم يكن يمالىء الوطنيين وكثيرا ما كان ينتقد مسلكهم ..

٢ ــ كان يقاوم علاقة الوطن بالدين ويقاوم الدعاية لتركيا .

٣ ــ تبعه فى ذلك لطفى السيد فى الجريدة فى مقالته المشـــهورة التى دعا فيها الى كف اليد عن اعانة الهلال الاحمر التركى فى حرب البلقان ..

٤ ــ ادت جريدة الاخبار دورها فى حركة المؤتمر القبطى .

قال عنها أحد الباحثين : جريدة يوسف الخازن جريدة لا مبدأ لها ولكنها تحافظ على عداوتها للدولة العلية وصداقتها للاحتلال .

وتجد مثلا وقائع حياة رزق الله حسون كهذا :

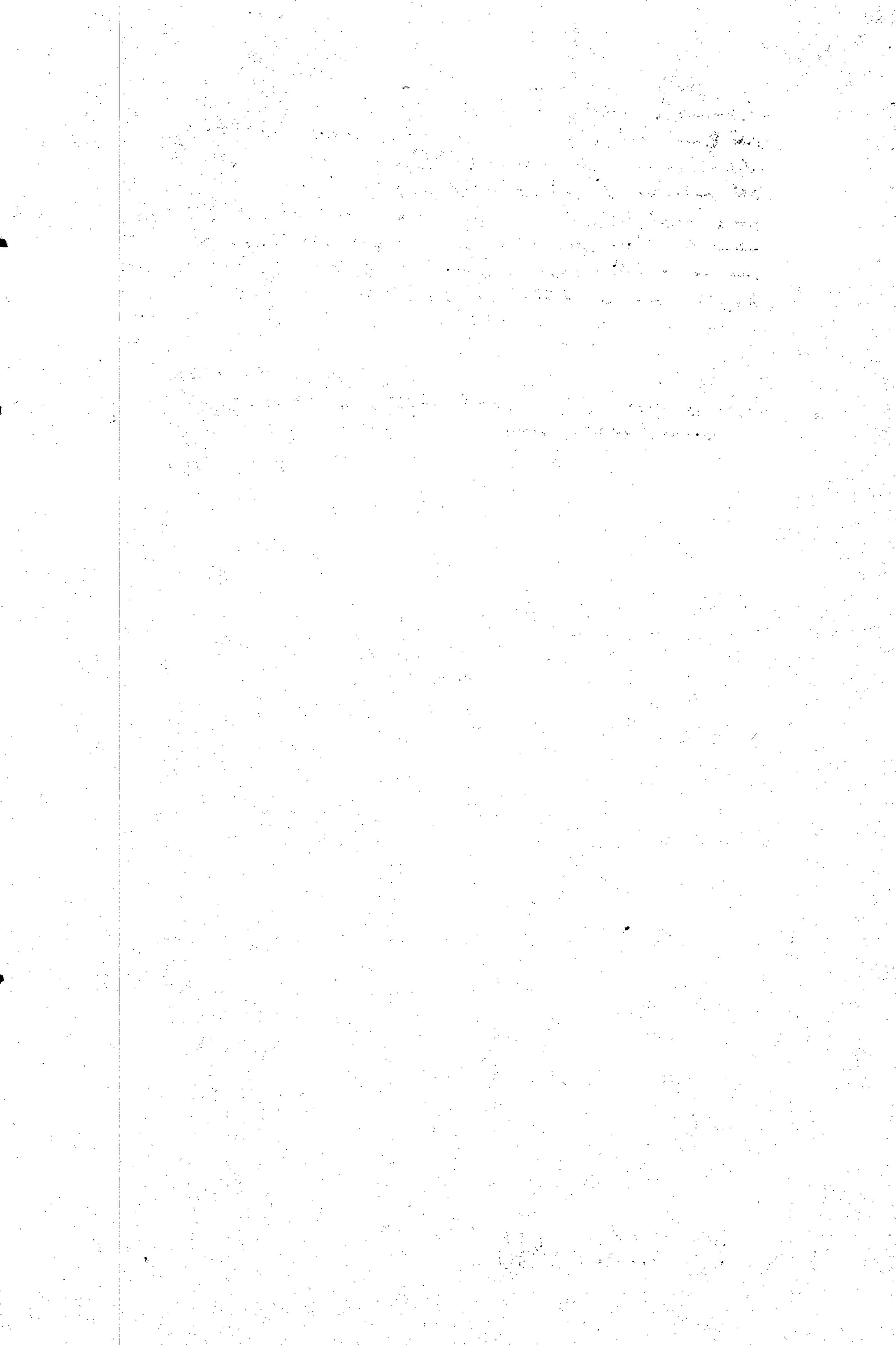
سجن وفر من السجن وهرب الى روسيا وهناك هاجم السلطة العثمانية وسافر الى لندن وأصدر جريدة عربية ١٨٧٢ وأطلق عليها (ال ســـام) اخترع حروفا عربية لطبع جريدته وحمل على الاتراك ودولتهم وهاجمهم هجوما شديدا يوصف بأنه أعظم كاتب هاجم العثمانيين ، عاون المستشرقين فى انجلترا وفرنسا وروسيا . أكبر معاركه معركة مع أحمد فارس الشدياق ساحب جريدة الجوانب التى جعلها لسانا للدولة العثمانية ، أصدر مجلة سماها (وزقوم وغساق الى فارس الشدياق) يكتب فيها ضـــد العرب والاسلام بلهجة قاسية وقد وصف من التغريبيين بأنه رائد الصحافة العربية الذى كافح الطغيان .

أما أديب اسحق الذى كانت نصوص من كتاباته الى وقت قريب تدرس فى مصر فقد عين ناظرا لقلم الانشاء والترجمة واستلم براءة الى الرتبة الثالثة فى المدارس العربية فانه دعا الى النفوذ الفرنسى فى مصر بديلا من النفوذ البريطانى ثم هرب الى فرنسا ولـــما حصل التغيير فى الوزارة ١٨٨١ عاد وكان من أصحاب الدعوة الى الاعتدال ابان ثورة عرابى وعاد الى بيروت بعد أن حل الانجليز فى الاسكندرية ومدح سلطان باشا الذى عاون الجيش البريطانى على احتلال مصر ، والتمس منه الاذن فى العودة الى مصر فأجيب الى طلبه وله قصيدة فى هجاء عرابى والثورة العرابية ومن أكاذيبه قوله : بعد مهاجمة بريطانيا « اما سائر الدول فانها اقل من تلك الدولة شرا وأكثر منها رفقا وبرا تعامل الخاضعين لهـــا بالتى هى أحسن .. » ولو كشف الستار فى هذا الوقت عن عيون الشرقيين الذين كانوا لا يعرفون ما يحدث فى الجزائر ، لرأوا فرنسا أشد عنفا بأهل الجزائر ، اذ كانت تعمل على **فرنستهم ونقلهم من العروبة والاسلام فى حركة غاية فى التعصب والاجرام ..**

وقد تعرض أديب اسحق لما أسماه السلطات الدينية وأعلن إنتماءه الى الماسونية . يقول الدكتور ابراهيم عبده : اغرب ما في أديب اسحق الذى كان شعلة ثائر ، أن يستل قلمه اللاذع في محاربة الثورة العرابية ورجالها وكان الى الامس القريب اشد الكتاب دفاعا عن الحرية ، هذا القلم الذى قسا على خصوم الحرية منذ شهور اصبح داعية من دعاة الهزيمة وعدوا وبوقا للنظام الفاسد الذى وجد بعد هزيمة العرابيين على نحو لا يكاد يصدقه المؤرخ حين يعود الى مقالات أديب اسحق في جريدته التجارة وقد أشار دارسو هذه الفتـــرة ، ان أديب اسحق عرف بالتحلل من الدين وكان ثائر الأعصاب سريع الهياج والانفعـــال في الكتابة عرف بالجرى مع هـــوى النفس » .

وهكذا تنكشف جوانب من الأدب العربي ما تزال غامضة وما يزال الناس يقرأون لهذه الأسماء اللامعة دون أن يعرفوا خلفياتها وهوياتها .

* * *



(١٨)

وشهد شاهد من أهلها

رجال كثيرون فى الغرب وقفوا فى صف الشرق واعلنوا انحراف تيار الحضارة الغربية الاستعمارى ، عرفنا منهم منذ مطالع القرن الفريدبلنت ، ثم برنارد شو ، واليوم يجىء دور المؤرخ أرنولد توينبى : الذى يقول :

ان لدى سببا هائلا لكراهية الغرب . فمنذ شببت عن الطوق (وانا الآن فى الخامسة والسبعين من عمرى) اشتبك الغرب فى حربين عالميتين ، واخرج للدنيا مذاهب الفاشية والشيوعية والاشتراكية والقومية كما أخرج موسولينى وهتلر ومكارثى وهذه الكبائر الغربية تجعلنى انا الغربى اشعر بالقلق وعدم الأمان .

لقد أقترف رفاقى الغربيون من أهل المانيا جرائم كثيرة فكيف اضمن ان مواطنى الانجليز لا يمكن ان يقترفوا مثل هذه الجرائم .. بل اننا اقترفنا بالفعل جريمة قتل بضعة آلاف من المدنيين العزل فى بور سعيد ١٩٥٦ فما الذى يمكن أن اتعفف عن اقترافه بعد هذه الجريمة النكراء .. والى جانب هذه الجرائم والآثام الغربية المعاصرة ثم عيوب الحياة الغربية المعاصرة آراء منفرة . فان كنت أكره العبودية السالفة للفرد ازاء الجماعة فى اليابان . فانى أكره أيضا بصورة اشد ذلك المدى المتطرف الذى ذهبت اليه الفردية فى الغرب المعاصر ، ولاسيما ما يبدو هناك من قسوة وجمود تجاه العجائز فالحضارة الغربية المعاصرة فيما أعتقد أول حضارة ليس فيها للمتقدمين فى السن مكان يحتلونه بصورة طبيعية فى بيوت اولادهم البالغين .. وكلما نظرت الى هذه القسوة الغربية بعين غير غربية وجدتها شيئا مروعا .

واذ أنظر ورائى الى تاريخ الغرب الماضى لا يسعنى الا الاعجاب بما كان فى القرن التاسع عشر فى الغرب من تأجيل موفق لسن اليقظة الجنسية ولسن الخبرة الجنسية والشغف الجنسى الى ما بعد سن البلوغ الجسدى بوقت طويل .

ان الغرب المعاصر أصيب بنفاذ الصبر وجنون التعجل بحيث يعبد السرعة للسرعة وكان هذا من شأنه أن يسبب تخريبا شديدا فى تربية أطفالنا لأننا نتعجل نموهم بالقوة فيؤدى ذلك الى تنبيههم لمسائل الجنس قبل **الأوان ، بل قبل البلوغ البدنى الفعلى ، وبذلك يخرجهم من حتمهم الانسانى**

فى التمتع بالطفولة البريئة . ان سياستنا متناقضة فى تنشئة الجيل الجديد اشد التناقض ففى حين ينخفض سن التنبه للجنس وسن الخبرة الجنسية تعمد الى اطالة مدة الدراسة فى معاهد التعليم فكيف نتوقع منهم أن تنصرف أذهانهم الى التعليم طول هذه السنوات بعد هذا التنبه الجنسى المبكر فى معاهد التعليم المختلط . اننا نحرث فى البحر ما لم نعد الى سياسة أجدادنا من حيث اطالة مدة البراءة الجنسية . ان هذا السلوك الجنسى السابق لأوانه من أكبر النقائص الاخلاقية فى حضارة الغرب ..

أما أهم نقائصه الفكرية فهى اصراره على تقسيم العالم الى شظايا تزداد صغراً بمرور الأيام .

أنا أكره الوطنية وأكره التخصص وكلاهما من سمات الانحراف الغربى فما اغربه من عالم يولد فيه الانسان . لا أريد أن يقدم الانسان الغربى يوما على الانتحار الجماعى بالاشتباك فى حرب عالمية ثالثة تستخدم فيها الاسلحة النووية . وأنا أكره العلم الغربى لأنه اكتشف هذه المخترعات المهلكة » .

هذا الذى يقوله مؤرخ غربى كبير مثل ارنولد توينبى يمكن أن يهدى الى المغررين من شبابنا ومثقفينا الذين يخدعهم بريق الحضارة الغربية فيرونها قمة القمم فى العطاء بينما هى تعارض الفطرة البشرية فى عشرات من المواضيع . وقد فصل توينبى موضعين خطيرين : هما استغلال التفوق العلمى فى صنع آلات التدمير ، وذهاب الرحمة من القلوب ليس ازاء البلاد المتخلفة وأهلها وحدها ، بل بالنسبة للعجائز وكبار السن فى المجتمعات الغربية ، كذلك فهو يتنكر للاتجاه نحو دفع الشباب فى سن باكرة الى الكشف الجنسى .

ولو شاء ارنولد توينبى لقال ان هذا المجتمع الغربى الذى خضع لانحرافات الحضارة الأوروبية انما وقع أساسا فى براثن الروح التلمودى والفكر اليهودى الوثنى المادى الذى يعمل منذ وقت بعيد على احتواء الغرب : فكره ووجدانه فى اطار الدعوة الى امبراطورية الربا وفى خلق مجتمع الاستهلاك والترف وما يتصل فى هذا بمعتقدات طرحت فى الفكر لتكون مبررا لذلك كله على النحو الذى طرحه ماركس وفرويد ودور كايم وسارتر وهى المحاولات التى عمدت الى استخدام الفكر التلمودى لتدمير الأجيال الجديدة فى المجتمعات البشرية تحت اسم التحرر والانطلاق . وما يستهدف ذلك كله الا القضاء على روح الدين والروحية والمعنويات والقيم الربانية الأصيلة التى جاءت لحماية الفرد ولحماية المجتمع من الانحرافات والهزائم والاخطار والتى تمثلت أساسا فى تلك الضوابط والحدود التى قدمها الدين الحق للانسانية .

ان ما يقوله ارنولد توينبى قريب مما قاله كثير من مفكرى الغرب فى شجب الاستعمار والنفوذ الأجنبى ، على النحو الذى عرفناه فى كتابات برنارد شو عن حادث دنشواى فى مصر وكتابات بلنت الذى آزر القائد عرابى ودافع عنه ونبه المصريين والعرب والمسلمين الى مؤامرات الاستعمار والنفوذ الأجنبى .. ولكن ارنولد توينبى يقف فى صف المفكرين لانحراف

الحضارة الغربية على الطريق الصحيح : طريق الأصالة وذلك بدعوتها الى التحلل الاجتماعى والى الاقليميات والقوميات الضيقة وهو خير كلام يرد به على أتباع الغزو الثقافى الذين ما زالوا يخدعون الناس بتبرير فساد الحضارة الغربية الغاربة .

من خطط الهـــدم :

صور أحد الباحثين خطة الاستشراق فى هدم شخصية المسلم فقال : انما تقوم المحاولة على (المناورة) و (التلمودية) ذلك ان دعوة المسلم الى الكفر تلقى نفورا فى المجتمع الاسلامى ويكاد يكون من المحال احراز تقدم فيه باعتناق هذه الدعوة ولذلك ينبغى أن تكون الخطة (أولا) تجريد شخصية المسلم من الالتزام بالتكاليف وتحطيم قيمة الدين فى نفسه بدعوى العلمية والتقدم دون مساس بقضية الألوهية مؤقتا لانها ذات حساسية خاصة وبمرور الزمن ومع الف المسلم لهذا التجريد يسهل فى نهاية الأمر تحطيم فكرة الالوهية أساسا فى عقله ووجدانه واذا بقيت افتراضا فلا ضرر منها ولا خطر لأنها حينئذ لن تكون سوى بقايا دين كان موجودا ذات يوم بعيـــد .

وصور مؤتمر الثقافة العربى الذى عقد فى الأردن وجوه الاستلاب الثقافى فى الارض المحتلة (فلسطين) على هذا النحو :

أولا — فرض مظاهر الاغتراب اللغوى والفكرى والثقافى .

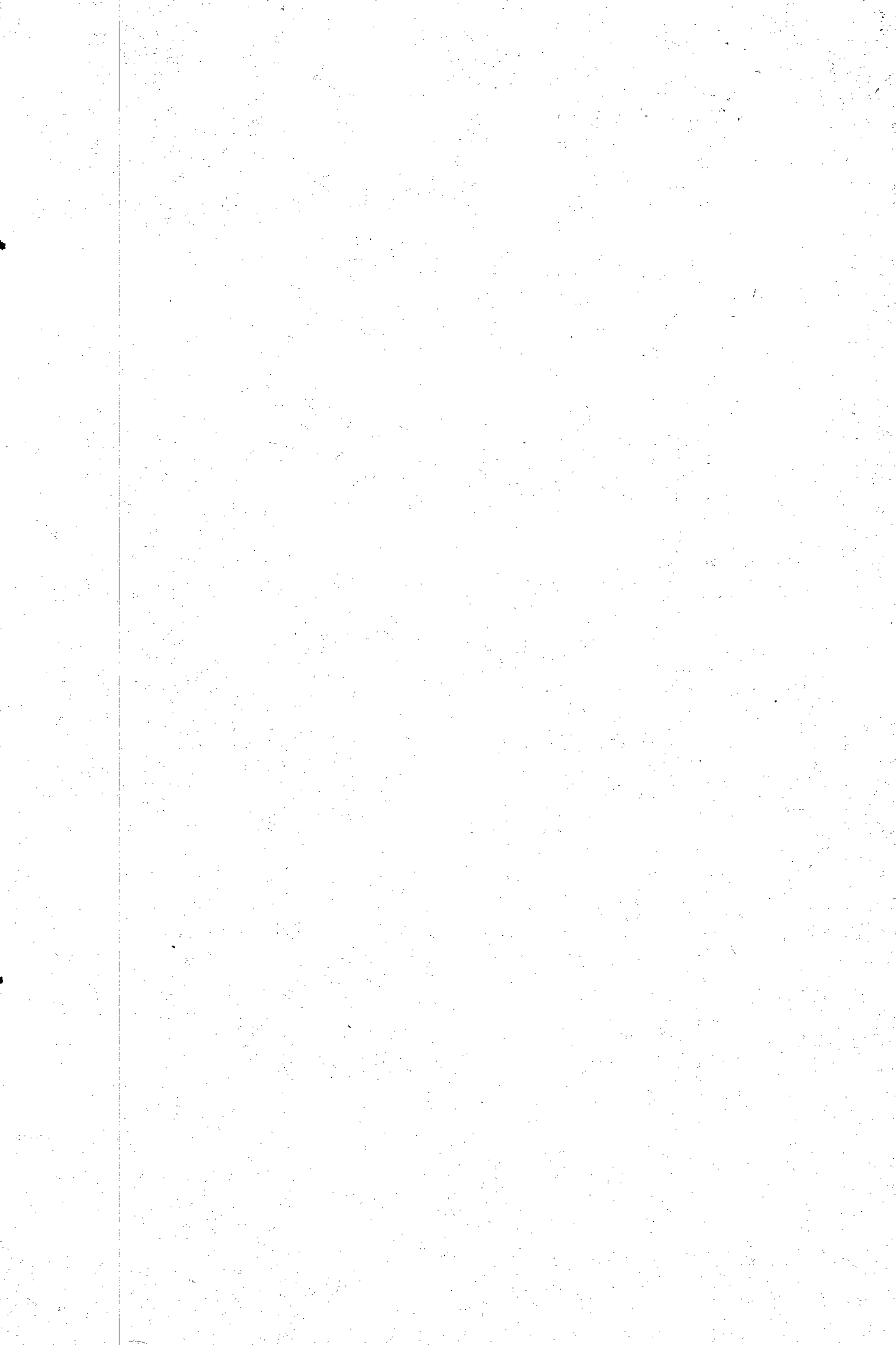
ثانيا — محاولة طمس معالم الشخصية الثقافية العربية .

ثالثا — محاولة اغراق المجتمع العربى بمواد مناهضة للقيم الثقافية الصحيحة .

رابعا — العمل على تزييف التاريخ العربى والاسلامى .

خامسا — العمل على تغيير البناء الاجتماعى .

* * *



(١٩)

الشباب والعلم فى المجتمع المعاصر

فى المؤتمر الذى عقد فى هولندا عن الشباب والعلم فى المجتمع المعاصر تحدث علماء الدول الغربية واليابان فأكدوا على عجز العلم عن انقاذ العالم مما يحيطه من أخطار كالانفجار النووى والاشعاع الذرى وتلوث البيئة والفقر والتخلف الاقتصادى ، بل أنهم ذهبوا الى أكثر من ذلك فاعتبروا (العلم) سببا لهذه المآسى فى العالم .

ومن ثم فقد طالبوا بألسنة العلم الى أن يكون العلم فى خدمة الانسان والأهداف الانسانية وأن يخرج العلماء من أبراجهم العاجية ويتجردوا من عبادة الذات ليتحملوا مسئولياتهم الاجتماعية ويشعروا من الأعماق بهذه المسئولية ، كما طالبوا بخروج العلم من دائرة احتكار عدد محدود من الدول ليعم نفعه جميع دول العالم ، وأثار العلماء الهولنديون فى انتقاداتهم مسألة استغلال الدماغ الالكترونى (الكامبيوتر) للسيطرة على الحياة الخاصة للأفراد ، كما أبدت مجموعة علماء الدول النامية رغبتها فى أن تأخذ (التكنولوجيا الغربية) على أن لا يتعارض هذا الطريق مع مثلهم وأخلاقهم وثقافتهم وأكدت التوصيات التى توصل اليها العلماء بانحياز العلم الى حد أن التكنولوجيا الحديثة أصبحت وسيلة فى يد الدول الصناعية الكبرى كى تستطيع أن تبطش وتتجبر وتحكم قبضتها على الشعوب الضعيفة .

وقال باحثون منصفون أنه قد آن الأوان للكشف عن زيف دعوى عبادة العلم واتخاذه طريقا وحيدا للتفكير والمعرفة . وأشاروا الى أنه من الممكن الوصول الى الحقائق عن طرق أخرى وقالوا أن غلظة الحواس وشدتها تحول دون تفجر قابليات الانسان الأخرى ، وطالبوا بما أسموه التكنولوجيا اللينة بدلا من التكنولوجيا المتصلبة الخشنة الموجودة فى عالم اليوم .

ومن خصائص هذه التكنولوجيا اللينة الانسجام مع الطبيعة وارضاء الميول الذاتية للأفراد ، وأن يخضع التكنيك لارادة الأفراد للآلة تعبث بهم كيف تشاء ، وان تصبح الآلة لخدمة الانسان لا لخدمة الانتاج الذى اضحى هدفا تصادر على حسابه كل القيم والمثل الانسانية .

كذلك تطرقت البحوث الى عوامل الحروب وتجارة الأسلحة وشهوة السيطرة المستفحلة فى الدول الكبرى وعدم المساواة فى الاستفادة من المصادر الطبيعية . وقال عالم اجتماع أفريقى : لماذا تكتفون بالحديث عن الانفجار السكانى فى البلدان النامية ولا تتحدثون عن الانفجار الاستهلاكى فى الدول

المتطورة ولا ريب ان الانفجار الاستهلاكى هو اهم العوامل الذى تحقق التعادل فى عالمنا المعاصر ، لذلك يجب الحد من الاستهلاك العشوائى فى الدول الغربية بدلا من الدعوة الى تحديد النسل فى الدول النامية .

وشجب الباحثون ما هو سائد من أن البحوث العلمية تتجه حاليا الى خدمة مصالح تجار الأسلحة ووسائل الدمار وليس الى سبيل انقاذ البشرية مما تعانيه من جهل وفقر وانها تعمل على اثراء فئة معينة على حساب فناء الآخرين .

هذا نموذج من يقظة الغرب المرعبة فى هذا العصر تجاه التطور الخطير الذى وصلت اليه مقدرات الحضارة فى أيدى القوى الخطيرة : قوى الصهيونية العابثة بها والدافعة لها الى طريق الدمار . وهى علامة على الطريق الذى ستتخذه البشرية فى مقتبل ايامها .

* * *

(٢٠)

مأساة المجتمع الغربي

اشارت الصحف الامريكية الى ان المخرج الشهير وليم كلاين يعد فيلما سينمائيا عما اسماه (الرجل الأسطورة) وهو غير الفيلم الذى ظهر عنه قبل سنوات . وذلك بعد الانتصارات الواسعة التى حققها فى السنوات الأخيرة وبعد مرور أكثر من عشر سنوات على ظهوره على مسرح الملاكمة الدولية وفوزه ببطولة العالم فى الملاكمة فى الوزن الثقيل عام ١٩٧٥ وحيث يبلغ الآن من العمر (٣٣ سنة) . ويقول وليم كلاين انه الرجل الذى وصفه مالكوم اكيس بانه اعظم رجل فى تاريخ الزنوج المعاصر ..

● ويقول : ان هذا الفيلم بالاضافة الى تصويره حياة رجل استثنائى ، انما يكشف عن أمريكا التى يقول نورمان مايلر عنها : أنه من غير المعقول الا تفهم محمد على كلاى ومشاعره ..

ويشير كلاين الى العنصرية المادية البيضاء والفصل بين الأجناس ، ويربط بينها وبين مباريات محمد على كلاى ويقول : كنت أرى صورة ناطقة فى هذه المباريات لمأساة الحياة الأمريكية : انه بالنسبة للبيض كان يجب أن يفوز ليستون ، أما بالنسبة لمالكوم اكيس فان مسيرة التاريخ تحتم فوز محمد على كلاى ، انه بهذا الانتصار ساعد تاريخ الزنوج فى أمريكا وخدمهم بقوة .

انه مزق القوقعة التى كان أبطال الملاكمة يختفون حولها وخرج الى العلانية كبطل زنجى لا مثيل له . انه منذ اقدم الرياضيون الزنوج فى الألعاب الأولمبية فى مكسيكو عام ١٩٦٨ على رفع اذرعهم اليمنى وهى مطبقة الأصابع علامة القوة السوداء ، وخلال وجودهم على منصات الفائزين فى أول مباراة ينظمها السود الأمريكيون والأفارقة فى زائير عام ١٩٧٤ : كل شىء بدأ مع محمد على كلاى .

● ويقول كلاين : ان أمريكا أرادت دائما رأس محمد على كلاى ، فمنذ عام ١٩٦٥ كانت محافل البيض تتربص به وخاصة عام ١٩٦٧ عندما رفض أداء الخدمة العسكرية أثناء حرب الفيتنام كان هذا الرفض الحكم الذى دغدغ آمال اعدائه الذين سارعوا الى تجريده من لقبه والى سحب اجازته منه والى الحكم عليه بالسجن وغرامة مالية ١٠ آلاف دولار ، وعلى الرغم من الضغوط الا انه أصر على موقفه مؤكدا ان المسألة مسألة مبدأ ، وظل ثلاث سنوات شبه عاطل عن العمل حتى كاد العالم ينساه كما كاد

يغرق فى بحيرة الصمت الأمريكى الراكد ، وعلى الرغم من ذلك فانه صمد وظل يقاوم وكان من أكثر الناس الذين دفعوا ثمن معارضتهم لحرب فيتنام ، وقد أصر على الدفاع عن الذين لا يمكنهم أن يعرفوا مثل هــذا النوع من المواقف .

ويقف كلاين عند هــذا ولكننا نقول له أن وراء هذا الصمود وهذه العزيمة ، وهذه القدرة على استعادة النصر شىء هام وخطير :

ان الاسلام هو سر صموده وسر انتصاره ، ان محمد على ، كان يدخل الحلبة كما قالت بعض الصحف الغربية ، طارحا نفسه كمدافع عن الاسلام . يقول ان القبضة التى يضرب بها خصمه ليست قبضته بل هى قبضة الاسلام الذى سيفرغ للتبشير به بعد مباراة كينشاسا . ان محمد على يدور حول نفسه بعد أن يقرأ الفاتحة ، وقبل ان يستخدم قبضته يحاول أن يحاصر خصمه بطوق من الحرب النفسية ويقول : لست أنا من صرع نورمان ان الذى صرعه هو الله . ويقول : فزت بفضل الله وقوته ، انه كان معى على الحلقة (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) .

لقد كان يريد بقبضته أن تكون قبضة الاسلام ، ويكون الفداء لكل المعارك الضائعة من الأندلس الى مشارف بوردو ومعركة بواتيه الى الاسكندرون الى الارض المحتلة منذ عام ١٩٤٨ الى فلسطين .

* * *

(٢١)

وسقطت التجربة الغربيــة المــادية

المجتمع العالمى يحاول العودة الى الدين مجددا

سقطت التجربة التى تقدمها الغرب للعالم الاسلامى وأخــذ الغرب ينقدها بعنف ويتراجع عنها ويطالب بأسلوب جديد فى بناء المجتمع قائم على الدين والخلق ، فهــل نعتبر ونكف عن التبعية ونعرف أن ما عندنا هو الضياء وأن علينا أن نقدم للبشرية هذا الضوء لنخرجها من الظلمات .

ذلك هو السؤال الذى يتردد كثيرا فى السنوات الأخيرة تحت تأثير عنف التمزقات التى تجتاح المجتمع العالمى وفقدان روح الدين والخلق ، وغلبة مفاهيم المدارس الاجتماعية والنفسية والماركسية والوجودية التى تحمــل مفاهيم التلمودية الصهيونية اليهودية لتدمير العالم ، غير أن هناك صوتا مازال يدوى ولا يتوقف يظهر فى كل حين من خلال بعض العلماء والمفكرين الغربيين المسيحيين المؤمنين بضرورة التماس الدين الالهى .

وأمامنا الآن كتاب جديد يدعو الآباء والأمهات الى رفض تعليم أولادهم « الجنس » فى المدارس والى العــودة الى الفضيلة والتقاليد والى احترام الفتيات لأنفسهن والبعد عن الموجة الاباحية التى سادت لسنوات طويلة فى دول الغرب .

الف هذا الكتاب سيدتان هما (مرجريت وايت وجانيت كير) يقولان : ان الرجل مهما كان بفكره ، فانه يفضل أن يتزوج من فتاة لم تجعل نفسها فى متناول الآخرين ، وان القول بأن الموضة هى تعلم الجنس واباحة الحديث عنه واطلاق اسم الواقعية على اسم ذلك الاسلوب : هو مجرد هراء ولهو فارغ .

وتقول المؤلفتان : طلبنا من كل فتاة رفض دعوة أى رجل يشتم منه رائحة ممارسة حياة الفوضى وطلبنا من الآباء أن يعلموا أولادهم منذ الصغر الحياء فى مناقشة الأمور الجنسية والابتعاد عن هذه الموجة المدمرة التى تطالب باسم الموضة بنشر التعليم الجنسى فى المدارس .

ويعالج الكتاب مرحلة خطرة فى حياة الفتيات وهى مرحلة المراهقة فعندما تبلغ الفتاة من العمر ١٦ عاما يكون من الصعب عليها اتخاذ قرار حازم تجاه هذه الأمور ، وغالبا ما تجد الفتاة نفسها مضللة وتتحرك وفقا لعواطفها وليس وفقا لعقلها .

ويقول الكتاب : ان الآباء والأمهات يجب أن يتقربوا بشكل يجعل من السهل توافر الثقة والاقناع العقلي ، ويجب أن يراعوا فيهم بدلا من الخوف من الجنس : حب النقاء والطهارة تمهيدا لحياة زوجية نظيفة . وعليهم أن يقنعوهم بأن التحرر من القيم والأخلاق لا يمكن أن يجعل أيا من الجنسين يثق فى الآخر وعندما تقع الفتاة فى تجربة حب مع شاب وتخفى عن والدتها ذلك تكون قد وقعت فى مشكلة لا تعرف لها حلا وتجد نفسها تنخرط فى حياة تفقد معها احترامها لنفسها واحترام الآخرين لها ، والواقع أن هذا الكلام جدير بأن يقال لأبنائنا فى المشرق الذين يظنون أن العالم الغربى يراه سبيلا الى الخير بينما يقاسى الغرب منه ويجد له نتائج وخيمة قاسية فعلينا أن نعرف أن اسلوبنا الاسلامى هو خير الأساليب وان التقليد فى الأمور الاجتماعية خطير وبعيد الأثر فى تدمير الأسرة والفتاة على السواء . وتقول الدكتورة جوترود انها اكتشفت ان الكثير من الفتيات كن ضحايا مادة الجنس المغلوطة التى تتضمنها الكتب الرخيصة والقصص والأفلام وانهن أصبحن لا يحترمن القيم والتقاليد ، وان اجراء تغير فى النظم التى سمحت باهدار القيم والتقاليد التى عاشت عليها الأسر العريقة منذ عشرات السنين يحتاج الى جهد مضاعف لانقاذ العشرات من الفتيات من آلاف الكتب والمحاضرات والصور والأفلام التى تدفعهن دفعا وراء عالم يلقى بهن الى أســفل الحدود . وقد دعت الدكتورة جرترود الى صحوة الآباء والأمهات للعــودة الى مجتمع القيم والتقاليد .

وتقول : يجب الا نظلم الرجل ونقول انه المسئول عن هــذا التدهور فالرجل مهما كان تفكيره ومهما كان متحررا يفضل فى قرارة نفســه أن يتزوج من فتاة ذات قيم وتحترم نفسها ولا تلقى بنفسها فى وحل الخطيئة .

ولا يحترم الرجل فتاة تعرف الرجال ، ان البشرية منذ القدم تقوم على أساس أن الرجل يجد ذاته فى امرأة واحدة أما التعدد فهو ليس من طبع ما توارثته البشرية من قيم وتقاليد .

وبعد . . فهذه واحدة من محاولات المجتمع العالمى فى العودة الى الدين بعد أن سقطت تجربة العلوم الاجتماعية والنفسية التى قدمها ماركس وفرويد ودوركايم ، فهل يستطيع المجتمع العالمى أن يخرج من أزمته .

ان هناك قدرا كبيرا من المسئولية فى هذا على عالم الاسلام الذى يجب أن يتحرر سريعا من قيود التبعية ثم يصل الى مرحلة الترشيد ليستطيع أن يقدم جوهر الاسلام الى البشرية على أنه العلاج الوحيــد والطريق المستقيم .

تناقص النسل :

وتجىء الأخبار بتحول خطير فى المجتمع العالمى : فقد تفشت ظاهرة نقص النسل فى الغرب فى نفس الوقت الذى تتزايد هذه النسبة فى عالم الاسلام .

تقول الأخبار الواردة من عالم الغرب :

ان تعداد ألمانيا الغربية بدأ فى التناقص بمعدل ٦٠٠ ألف كل عام ، بدأ النقص هذا العام والمشكلة بدأت تؤرق المسئولين الذين يقومون من جانبهم بكل مايؤدى الى زيادة النسل ولكن دون جدوى وهو فى سبيل الاغراء بزيادة النسل يدفعون عن الطفل الاول ٥٠ مارك شهريا كمرتب وعن الثانى سبعين مارك والثالث ١٢٠ ماركا .

وهذه الامتيازات كما يقول الخبر لا تستفيد منها الأسرة الألمانية بينما يستفيد منها الاتراك العاملون فى ألمانيا فالمواطن الألمانى يعتذر دائما عن الانجاب لا بسبب قلة الدخل ولكن لأنهم يفضلون عدم وجود كثرة من الأطفال حتى لا تعوقهم عن الاستمتاع بالحيـــاة والســـفر باستمرار فى الأجازات السنوية والأسبوعية .

ولا ريب أن المجتمع الغربى أصبح اليوم يرفض النسل ويضع أوطانه ومصانعه أمام ظاهرة خطيرة طى ظاهرة التناقص المطرد ، وهذه الظاهرة ليست واضحة أمام الشعب الألمانى وحده ولكن أمام مختلف الشـــعوب الغربية . ولها أسباب كثيرة ولعل اقوى مصادرها ذلك الاتجاه الخطير الذى فرضته الحضارة من الوصول بالرفاهية الى درجة عالية من الترف والتخلف من أعباء الولادة وتربية الأطفال .

يقول العلامة وحيد الدين خان :

ان العقلية التى دفعت أوربا الى استخدام علومنا كانت تطالب بتعلم فنون المسلمين لالحاق الهزيمة بهم عن طريق استخدام تلك الفنون . لقد تعلمت الشعوب الأوربية علوم المسلمين ولكنها لم تلمس حضارة المسلمين وثقافتهم . لقد نظرت أوروبا الى علومنا كمصدر للطاقة العصرية ولذلك استخدمتها لالحاق الهزيمة بأعدائها ولم يسموا كفاحهم هــذا باسم تقليد الشرق أو محاكاة حضارة المسلمين بل سموها الحرب الصليبية الروحية ، وكان ذلك يعنى انهم حاولوا كسب الحرب التى خسروها ولكن باسلوب جديد ولذلك استطاعوا فى نهاية الأمر وحتى تم لهم ما أرادوا . لم يقولوا انهم اقتبسوا تلك العلوم من المسلمين بل سموها بالنهضة وربطوها بتراثهم وحضارتهم اليونانية القديمة . لقد اقتبست أوربا هذه العلوم من المسلمين ولكنها حذفت حلقة الوسط وربطت نهضتها بحلقة البداية ، أما نحن فاننا اخفقنا فى ذلك . لقد كانت أوربا تفرض علينا نفس العلوم التى اقتبستها منا مع اضافات جديدة هامة ولكن المسلمين اقبلوا على هذه العلوم بعقلية المقلدين المبهورين ، وكان عملهم هذا تقليدا للغرب .

آخر العمود :

عن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وأن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وانى سألت ربى لأمتى ان لا يهلكها بسنة عامة وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربى قال يا محمد انى اذ قضيت قضاء فانه لا يرد وانى أعطيتك لأمتك الا أهلكهم بسنة عامة وان لا اسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من اقطارهم أو قال من بين اقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضا (حديث رقم ٢٠٠ صحيح مسلم) .

* * *

(٢٢)

فليأخذ المسلمون حذرهم

هذه تجربة المجتمعات العصرية

يصور مارتي باولى فى كتابه ((المستقبل السرى)) او المستقبل الغامض مدى ما وصلت اليه الحضارة الغربية المعاصرة يقول :

بدأ الانهيار فعلا فى المجتمع الصناعى بانهيار بنيان الأسرة وسلطة الأب بعد ضعف وانقطاع الصلة بين الأصول والفروع والجدود والاعمام والعمات والاخوال والخالات .

بل ان الأطفال انفسهم ينزعون اليوم الى مغادرة البيت فور انتهائهم من الدراسة لا عند الزواج كما كان يحدث من قبل .

بل ان الزوجة نفسها التى تعتبر آخر حجر فى بنيان سلطة رب الأسرة بدأ وضعها يتغير .

أولا : بالتمرد على الالتزامات التى توثقها بالأسرة . وثانيا باندراج عدد كبير من الزوجات فى العمل خارج المنزل مما يخضعهن لسلطة أخرى هى سلطة المؤسسات وقوانينها ثم تزايد معدل الطلاق بحيث أصبح فى طريقه يصل الى ٥٠ فى المائة من عدد الزيجات .

وقد تغيرت صورة منزل الأسرة التقليدية هى الأخرى واصبحت مجرد خيال بعد أن أصبحت الأسرة فى الغرب تغير سكنها مرة كل سبع سنوات أصبح كثير من الناس يغيرون مساكنهم مرة كل عام وأصبح الناس ينتقلون من أقصى البلاد بحثا عن فرص أفضل للعمل . حتى العلاقة بين الآباء والأبناء أصبحت تعصف بها الشكوك بعد سيل الدراسات والنظريات التى تبين العلاقة الوثيقة بين الشذوذ العقلى والعلاقة الأسرية .

وفى هذا الشأن تبين الاحصاءات ان جرائم القتل تزيد زيادة كبيرة خلال احتفالات رأس السنة التى تتم فيها الاجتماعات الأسرية فى الغرب .

ولم تعد القوة الاقتصادية للأسرة متوقفة على قدرة رب الأسرة على الكسب وحدها وصار لانماط الاستهلاك داخل الاسرة الواحدة أثرها الكبير على أحداث التمزق والعزل بين أفراد الأسرة . وفى نفس الوقت تعرض المجتمع لتحولات سكانية سريعة كما حدث بالنسبة للأسرة ويساهم التلفزيون كعامل أساسى فى القضاء على الحياة العامة وسياسيات الجماعة فقد خلط تصورات **العالم الحقيقى بتصوراته الخاصة ومن نتائج ذلك ظهور حقائق جديدة ..**

وفى عصرنا الحالى اختلط وضــوح المتناقضات بجنون التراخى الذى لم يسبق له مثيل انه عصر يتميز بكثير من النقاش حول الامن والنجاح والابوة والقيم الاجتماعية لكنه ايضا يتميز بضحالة فى التأثير الحقيقى لهذا النقاش واصبح من الواضح أن كل هذا النقاش ما هو الا قناع لأخطاء اللامبالاة الخاصة ، انه انسحاب جماعى من الحياة العامة وتخل عن المسئولية بل انه انسحاب لا يقف وراءه مجرد المبالاه (لقد دمرت الوفرة الأفكار العظيمة وقضت على الاسرة واطاحت بنظام الزواج وسفهت القيم) ..

هذا هو المجتمع الغربى فى العقد الثامن من القرن العشرين بعد تجربة استمرت من القرن الخامس عشر وانتهت هذه النهاية الخطيرة وفرضت آثارها وسمومها على العالم كله . ولم يستطع عالم الاسلام أن يتوقى نتائجها الخطيرة فقد استطاعت الحضارة الغربية بسمومها وفسادها وشرورها أن تترك آثارها وانطباعاتها فى المجتمع الاسلامى ، ولكن التجربة كانت غامضة أول الأمر وكان من ورائها دعاة مضللون يدعون الى الأخــذ من حضارة الغرب بكل شىء حلوها ومرها خيرها وشرها وما يحمد منها وما يعاب وقد تبين ضلال ذلك وفساده وجاءت النتائج الخطيرة من نكبة ونكسة وهزيمة خلال أكثر من سبعين عاما فى حياة المسلمين لتكشف فساد هذا الطريق الذى دعاهم اليه الغربيون واليهود والشيوعيون وقد تنبهوا أخيرا وقبل فوات الاوان الى الطريق الصحيح وها هو واحد من عشرات من كتاب الغرب الذين كشفوا مدى الخطر ومدى الهزيمة — يصور لها النتائج فهل نعتبر ونحاول ان نتجنب الوقوع فى نفس الأخطار ..

هذا نذير وفى أيدينا مقاديرنا لنحول بين انفسنا وبين الهزيمة والتردى .

***

اليوجا : هذه الاكذوبة الكبرى

ما زالت محاولات خداع العرب والمسلمين تهب برياح الدعوات الباطلة من شرق وغرب تدعوهم الى أوهام وأضاليل وأكاذيب هم أغنى النـاس عنها بما ورثوه من تراث ضخم حافل بالعطاء الثر فى مختلف جوانب الحياة . ومن هذه الرياح الصفراء التى تهب ، تلك البدعة الضالة التى يطلقون عليها ــ اليوجا ــ ويصدقها بعض الناس الذين جهلوا ما لدى تراثهم من معطيات تفوق ذلك وتصدق وترتبط بالايمان بالله ، الذى هو مصدر السكينة والثبات والقدرة على مغالبة الأزمات ومواجهة الأحداث .

يقول دعاة اليوجا : ركز طاقتك العقلية فى النظر الى شمعة مشتعلة ولا تفكر فى أى شىء .

وماذا بعد انقضاء الساعات ، لا شىء . أما الاسلام فهو يدعونا أن نركز قلوبنا فى الصلاة فنفرغ لها ولا يشغلنا أمر من أمور الدنيا عنها فنحن بين يدى الله تبارك وتعالى فاذا فعلنا ذلك وتدربنا عليه أوتينا منحة القدرة على تركيز القلوب والعقول فيما بين أيدينا من العمل ، تأملا ونظرا ومن هنـا تكون أعمالنا خصبة معطية بما يعجز عنـه العجلون المتسرعون الخطافون .

ان المسلم يركز نفسه بين يدى ربه ذى الجلال والاكرام ، أما السرحان فى الأفق بالبصر ، فأى راحة فيه وأى سعادة .

ان الانسان الضائع المشتت فى حياته اليومية المحتاج الى تركيز لن يجد فى النظر الى الشمعة أو الأفق شيئا ، أما تركيز المسلم فهو ايمان بربه واعتقاد صادق بأن الأمور كلها بيده ، ومنه تبارك وتعالى منطلقها ومردها وهو المستعان عليها .

يقول الدكتور والاس : ان الانسان العصرى ولا سيما انسان آسيا لا يستخدم سـوى خمسة فى المائة من طاقة الذكاء التى عنـده أما نسبة الـ ٩٥ فهى معطلة بدون استغلال ، لان ضغوط الحياة تكون مختزنة فى الأعصاب وتمنع المرء من الابداع والابتكار على النحو الذى يتمنى .

ويقول : ما هى ضغوط الحياة الا الصدمات والانفعالات .

أما بعد صلاة الدكتور والاس التى يسميها صلاة التأملات فان الانسان **يكون اكثر قدرة على الاستيعاب .**

والحق ان الاسلام قد علم أهله صلاة الاستخارة وصلاة الخوف وصلاة الحاجة وصلاة الشكر وهى كلها تدور فى فلك الايمان بالله صاحب الأمر وواهب الرحمة والهدى ومجنب الانســان الشر والخطر . والمؤمن بربه لا يزعجه شيء ، أن أعطاه ربه شكر وان منعه تضرع وصبر ، فهـو لا ينفعل لامر ما منأمور الحياة كلها .

أما صلاة التأملات فماذا تعطى الا وساوس الشيطان وأوهام النفس التى لا تعرف طريقها الصحيح .

ويقول دعاة اليوجا : جرب صلاة مستر والاس : انس الدنيا من حولك . تجاوز متاعبك ، اعط أجازة لذهنك ، استغرق فى الصمت والتأملات ساعة كل يوم .

ونحن نقول : أنه لا صلاة الا الصلاة لله وحده ، ماذا يفعل الصمت والتأمل اذا لم يكن مرتبطا بدعوة الله رهبا أو رغبا أن يدفع الشر أو يعطى الرحمة .

الحقيقة التى يجب أن يعرفهـا بنو قومنا أنه لا يعطى سكينة النفس وهدوء البال غير الصلاة التى فرضها الحق تبارك وتعالى والتى لا تستغرق الا دقائق قليلة أما رفع الأقدام الى أعلى وخفض الراس الى أسفل ساعات متصلة فانه ليس الا محاولات وهمية خادعة ، لا تستطيع أن ترد عن الانسان وساوس الشيطان ولا تهديه سواء السبيل .

اذا ظن الغربيون انهم فى التماس الطقوس الهندية أو الصينية أو أوهام البوذية وخيالاتها يستطيعون أن يردوا الى أنفسهم السكينة وينزعوا منها القلق فانهم واهمون ، انهم كما يقول قائلهم ، يتجهون الى الشرق ليقفوا أمام رقصة هندية حالمة أو رفع الأقدام الى أعلى كما يفعل سحرة اليوجا ، وما أظن أن هذا ينفعهم فى شيء أو يرد اليهم طمأنينة النفس .

ان مفهوم ظاهرة اليوجا وغيرها ان الحائرين أخذوا يبحثون عن الله ، ولكنهم ما زالوا يخطئون الطريق الصحيح فيهجرون مادية الغرب الى وثنية الشرق ، فهم يخرجون من سوء الى سوء أشد منه ، فان البحث عن الله الحق لا يكون عبر الطقوس الخرافية أو الأوهام الخرافية وانما يكون عن طريق معرفة الدين الحق .

ان الفطرة الانسانية حين تصفو حقيقة انما تتجه الى ربها ولكن أهل الشر لا يريدونها تسلك الطريق الصحيح ولذلك فهم يقذفون بها فى أتون جديد من الشر هو أوهام اليوجا والبوذيه وغيرها وكل هذه المحاولات لن تحقق للنفس البشرية سكينتها وأمنها ، وانما السكينة والأمن هى فى الايمان بالله واتباع نشر دعوته الحقة .

* * *

هل من اريوس جديد يعيد الحق إلى نصابه ؟

صحح الشاعر القروى فى وصيته التى نشرتها مجلة الرسالة الاسلامية (اللبنانية) موقفا ما زال غامضا ، وقضية ما زالت مغلوطة منذ وقت بعيد حين قال : كان فى نيتى اعجابا منى بمعجزة القرآن الكريم وايمانا بصدق نبينا العربى الذى انزل على روعه وبوضوح سيرته منذ ولادته وحتى وفاته أن أكون قدوة لاخوانى أدباء النصرانية فأدخل فى دين الله ، ولكنى بدا لى أن الدعوة الى تصحيحنا خطأ طارئا على ديننـــا تكون أكثر قبولا عن الدعوة الى عدولنا عنه الى ســـواه ، فقررت أن تكون لى الخطوة الأولى فى سبيل ايقاظ الاريوسية الموحدة من رقادها الطويل .

ومضى يفصل الشاعر القروى (رشيد سليم الخورى) هذه القضية الخطيرة فقال : تذكر المراجع التاريخية المتعددة ان الكنيسة المسيحية ظلت حتى القرن الرابع الميلادى تعبد الله على أنه الواحد الاحد وان يسوع المسيح عبده ورسوله حتى تنصر قسطنطين عاهل الروم وتبعه خلق كثير من رعاياه اليونان والرومان فأدخلوا عليها بدعة التثليث وجعلوا لله سبحانه وتعالى أندادا شاركوه منذ الأزل فى خلق السموات والأرض وتدبير الاكوان ومالأهم الابسقف الانطاكى مكاريوس الذى لقب نفسه أرثوذكسى (مستقيم الرأى) فثار زميله الاسقف آريوس على هذه البدعة ثورة عنيفة شطرت الكنيسة واتسع بين الطائفتين نطاق الجدل حتى أدى الى الاقتتال فانعقدت المجامع للحوار ، وفاز آريوس بالحجة القاطعة فوزا مبينا ، بيد أن السلطة التى هى أصل البلاء وضعت ثقلها فى الميزان فأسكتت صوت الحق ونفذت الباطل واستمر المسيحيون يعمهون فى ضلالتهم والحق يتململ فى قيـــده منتظرا (آريوسا جديدا) يعيـــده الى نصابه ، ولكم أتمنى وأنا الأرثوذكسى المولد أن يكون هـــذا الآريوسى بطريركا أرثوذكسيا بطلا ليصلح ما أفسده سلفه القديم ويمحو عنا خطيئة الصقها بنا غرباء غربيون ولطالما كان الغرب ولا يزال مصدرا لمعظم عللنا فى السياسة وفى الدين على السواء .

لقد كان فى نيتى اعجابا منى بمعجزة القرآن الكريم وايمانا بصدق نبينا العربى الذى انزل على روعه وبوضوح سيرته منذ ولادته حتى وفاته أن أكون قدوة لاخوانى أدباء النصرانية فأدخل فى دين الله . ولكن بدا لى أن الدعوة الى تصحيحنا خطأ طارئا على ديننا تكون أكثر قبولا وشمولا من **الدعوة الى عدولنا عنه الى سواه فقررت أن تكون لى الخطوة الأولى فى**

سبيل أيقاظ الاريوسية الموحدة من رقادها الطويل وتزول العقبة الوحيدة المفتعلة الفاصلة بين الدينيين ونغدو بزوالها اخوانا على سرر متقابلين .

أما خطوتى المبتكرة المشار اليها فهى انى أنيع على الملأ :

« عزوفى » عن ارثوذكسيتى المكاريوسية الى الأرثوذكسية الأريوسية .

والواقع أن هذه الوصية تعد حدثا خطيرا سيكون بعيد المدى فى التاريخ المعاصر فان هذه الحقيقة التى كشف عنها الشاعر القروى (رشيد سليم الخورى) هى نقطة الانفصال بين الدين الذى أنزل على سيدنا عيسى عليه السلام وبين خاتم الأديان الذى أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . فقد كان عيسى عليه السلام هو آخر أنبياء بنى اسرائيل بين يدى التوراة وما جاء به موسى ومبشرا برسول يأتى من بعده اسمه أحمد أو كما صوره القرآن الكريم **(ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل)** ولو بقيت هذه الحقيقة قائمة لما وقع ذلك الخلاف الشديد والاضطراب الضخم الذى أصاب البشرية لتحريف مفهوم الدين الذى جاء به عيسى عليه السلام الذى هو نبى الله الى بنى اسرائيل ، وذلك قبل أن تدخل القضايا الثلاث الخطيرة : (التثليث ، والصلب ، والخطيئة) وكلها مسائل مستحدثة أحدثها بولس ولم تكن من أصل الدين الذى أنزل على عيسى عليه السلام ولقد كان للكنيسة الغربية أثرها البعيد فى تثبيت هذه المفاهيم ونقل دين الله من بساطته الأولى ومن موقعه الصحيح . وكان (آريوس) هو الرجل الوحيد الذى وقف فى وجه هذه المحاولة الخطيرة . وقد ظلت له جماعة تتبعه وتؤمن بالله الواحد القهار تعتصم بالجبال وتتوارث هذا الحق حتى جاءت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقول بعض المؤرخين ان عبارة النبى صلى الله عليه وسلم فى رسالته الى قيصر الروم تكشف هذه الحقيقة (اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان لم تفعل فان عليك اثم الاريسيين) .

وكان قد فسرها بعض المؤرخين بأنهم الفلاحون أو عبيد الأرض ولكن تفسيرها بأنهم أتباع آريوس أقرب الى الصحة . وبعد فلعل هذه الرسالة تجد من يستمع اليها وتشق طريقها لتصحيح هذه الحقيقة التى دفنت منذ عام ٣٥٣ ميلادية حين حطم مجمع نيقية وجهة نظر آريوس وطرده من المجمع .

لماذا لم يسلم (جوته) :

يتحدث الباحثون كثيرا عن كتابة لامارتين وجوته وبرناردشو وغيرهم عن الاسلام وعن الرسول صلى الله عليه وسلم وخاصة ذلك الفصل الرائع الذى كتبه توماس كارليل فى كتابه (الأبطال وعبادة الأبطال) ويردد الكثيرون فى هذه الأيام قصيدة جوتة فى النبى محمد صلى الله عليه وسلم . ونحن نتساءل بدورنا : اذا كان هؤلاء قد اقتنعوا بنبوة الرسول الكريم فلماذا لم يسلموا شأنهم شأن العشرات الذين دخلوا الاسلام فعلا . هذا هو السؤال .

يقول جوتة انه يرى أن محمدا قائد روحى ومنقذ الانسانية وانه كالنهر

العظيم يجر معه الجنادل والسواقى فى طريقه الى البحر الخضم ، انه أخو الانسانية ومعه يأخذ الاخوان الى حياة أسمى . ولم يقف الشاعر جوته عند قصيدته الكبرى بل أنه كتب أخريات وكتب مادة نثرية فى مؤلفاته توضح تقديره القيم لرسالة محمد الفكرية والانسانية وأبرز أعماله (الديوان الشرقى الغربى) الذى قال فيه أنه من حياة العرب والمسلمين والاستشهاد بأقوال وأوصاف ونماذج من سور القرآن والشعر الاسلامى والأفكار التى حملتها التعاليم الدينية الاسلامية .

ويقول أن جوته كان مهتما بالعلوم والديانات ومن هذا المنطق حفز مشاعره ما جاء فى القرآن الكريم من أفكار فى الحياة والوجود .٠ويرد هذا الاهتمام الى تأثر الغرب بما نقله العرب فى الأندلس من تراث فكرى اسلامى الى غربى أوروبا .

ولقد كان من أهم الأحداث فى هذه الفترة ترجمة القرآن الى الألمانية والفرنسية . ويرى الباحث أن هذا الاتجاه الذى حمل لواءه (جوتة) قد كان متأثرا فيـــه بقراءات : هيردرد ولينتز ليسنيغ فصوروا ما فى الاســـلام من مبادىء انسانية عادلة وفضائل خلقية وفكرية ، ومن أهم ذلك ما كتبه هيردرد فى كتابه (أفكار حول فلسفة تاريخ الانسانية) حيث أشاد بشخصية النبى محمد وحماسه الغالى لفكرة وحدة الله وحكمة عبادته بواسطة الطهارة والتأمل والعمل الصالح . وقد رد هيردرد على التقاليد اليهودية والمسيحية البالية وأشاد بسيرة محمد والثقافة الاسلامية وأظهر تعاليم الدين الاسلامى التى حثت على تحريم الخمر والمأكولات النجسة والربا والقمار والميسر وبين ان تأثيرات العبادة اليومية وأفكار الرحمة والطاعة لارادة الله التى نص عليها القرآن تمنح المسلمين اطمئنانهم النفسى .

قال هيردرد فى تقديره للقرآن الكريم : لو كان للمسيطرين الجرمانيين على أوروبا كتاب كلاسيكى بلغتهم كما كان القرآن للعرب لمـــا أصبحت اللغة اللاتينية مسيطرة عليهم ولتعذر على قبائلهم أن تقع بصورة كاملة فى الضلال ..

ومن هذه المفاهيم جميعا بنى جوته قصائده وكتاباته .

ومن شعره عن الله **تبارك وتعالى قوله :**

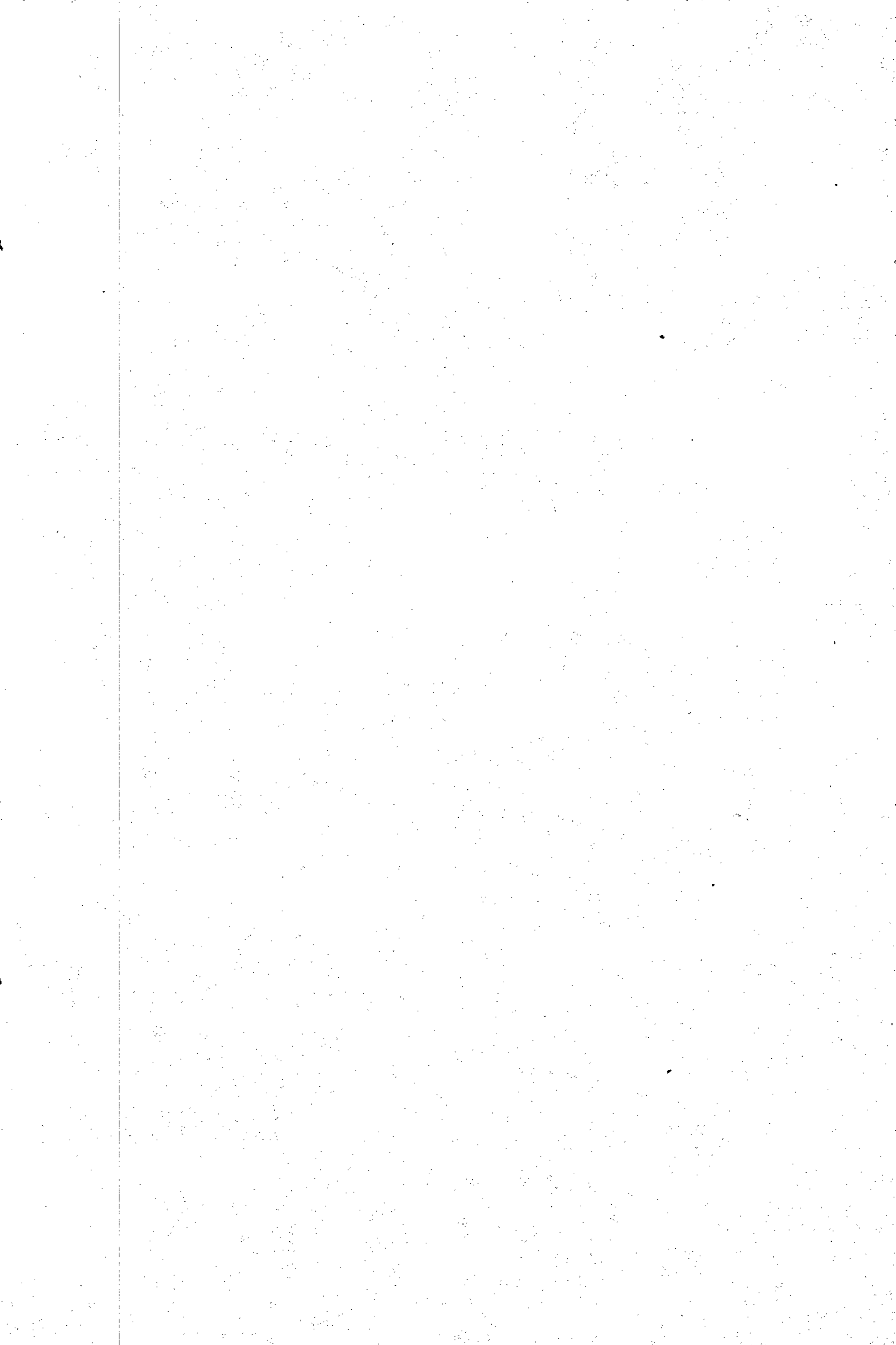
لله المشرق

لله المغرب

رحاب الشمال والجنوب

مستقرة بسلام فى يديه

ويبقى بعد هذا السؤال : لمـــاذا لم يسلم جوته بالرغم من هذا الاعجاب العميق بالاسلام ؟ أم أنه أعلن اسلامه بينه وبين نفسه ..



(٢٥)

جرجى زيدان صورة طبق الأصل من المستشرقين

ان الخطر الذى واجه الفكر الاسلامى بالتزييف واثارة الشبهات قد بدأ عمله منذ وقت مبكر ، وكان هدفه الأول هو تاريخ الاسلام : وبعد أن كتب المستشرقون الخطوط العامة جاء أولئك التغريبيون الذين يكتبون باللغة العربية : فيليب حتى وجرجى زيدان .

وفى مجال الدراسات الاجتماعية جاء : شبلى شميل وسلامة موسى ، ووقف الدكتور يعقوب صروف صاحب المقتطف على الحياد . وفى مجال الفكر جاء : فرح أنطون ، وسليم نقاش حامل لواء الاقليمية العنصرية « مصر للمصريين » .

وفى مجال مهاجمة الاسلام والدولة الاسلامية جاء : سليم سركيس وصابونجى وغيرهم .

واليوم نجد روايات جرجى زيدان يعاد طبعها فجأة فى عاصمة قطر من اقطار العرب وتقدم كأنها الصورة الحقيقية لتاريخ الاسلام بينما تحمل سموما وشبهات لا حد لها . وهى وحدها فى حاجة الى دراسة واسعة للكشف عن الزيوف التى تحملها فى طياتها والتى صاغها جرجى زيدان بمكر من خلال قصة حب خيالية . أراد بهذه الخدعة أن يدخل اليها كل ما حاول الاستشراق أن يزيف به تاريخ الاسلام ، ولا تخرج الآراء عما أورده فى كتابه « تاريخ العرب قبل الاسلام » و « تاريخ آداب اللغة العربية » ولكنها هنا فى القصص أشد وقعا لأن هذه الكتب لا يقرؤها الا الخاصة أما هذه الروايات فهى متداولة بين الأيدى ، وخاصة بين أوساط المثقفين والقارئين .

يقول الدكتور محمود حامد شوكت : ان جرجى زيدان حين يختار موضوع رواياته لا يلجأ الى الفترات المشرقة التى تمثل أمجاد التاريخ العربى دائما ولكنه يختار المواقف الحساسة التى تمثل صراعا بين مذهبين سياسيين أو بين كتلتين تتصارعان على النفوذ والسيطرة فهو فى الوقت الذى يحدثنا فيه عن (فتاة غسان) لا نجده لفترة ظهور الاسلام فى عهد الرسول ولا لفترة انتشار الاسلام وفتوحاته فى عصر خلفائه وانما يعبر هذه الفترة ليقدم لنا مجموعة من الروايات تمثل « الصراع السياسى » فى عهد بنى أمية وآخر عهد عثمان وهى عذراء قريش و غادة كربلاء والحجاج بن يوسف . وهو لا يختار من العصر العباسى الأول الا شخصية أبى مسلم الخراسانى التى تمثل « الصراع السياسى » فى العربية والفارسية . والعباسة التى تمثل

الصراع بين الرشيد والبرامكة وشخصية (الأمين والمأمون) وهما يمثلان عودة الصراع بين العرب والفرس من جديد ، وهذا الاختيار الذى يعمد فيه جرجى زيدان الى فترات الصراع كان يساعده ويسهل مهمته فى الجانب الروائى لعمله لأنه يقدم له الجوانب المتنوعة والمغامرة ويقدم له الشخصيات الخيرة والشهيرة التى يستغلها فى القصة الغرامية ، كما يكشف هذا الاختيار ما سبق أن قدمناه من أن جرجى زيدان لا يتجه الى التاريخ العربى والاسلامى باحساس قومى يدفعه الى ابراز أمجاد هذا التاريخ وانما يقصد الى تسلية قارئه ليس الا ، ولعل هذا ما حمل بعض المؤرخين على اتهامه بأنه تأثر فى نظرته الى العالم الاسلامى تأثرا واضحا بنظرة بعض المؤرخين الغربيين من حيث أنصـــاف الشعوب الأعجمية ووضع هالات مثاليـــة حول الأديرة والرهبنة وتصوير الخلفاء بصور الوصولية الذين يضحون فى سبيل الملك بأقرب الناس اليهم .

واذا كان جرجى زيدان قد اختار موضوعات رواياته بقصد التعليم والتسلية ، فان اختياره لعناوين هذه الروايات يكشف عن هذين الهـــدفين أيضا . فهو فى بعض الروايات يختار العنوان الذى يشير اليه التاريخ : مثل فتح الأندلس أو الحجـاج بن يوسف والانقـــلاب العثمانى ، وأبو مسلم الخراسانى والأمين والمأمون .. الخ . وأحيانا يختار العنوان الذى يكشف جانب المغامرة مثل صلاح الدين ومكائد الحشاشين ، والمملوك الشارد ، وأسير المتمهدى . وقد يحتفظ جرجى زيدان لبعض رواياته بالعنوانين الغرامى والتاريخى فيسمى الرواية (أرمانوسة المصرية ، أو فتح مصر ، والعباسة أخت الرشيد ، أو نكبة البرامكة) وهو يصف كل رواية من رواياته بأنهـــا تاريخية غرامية ، الا فى بعض الأحوال التى يضعف فيها العنصر الغرامى ليحل محله عنصر المغامرات فى أحوال نادرة فيسميها تاريخية أدبية .

وقد قصد جرجى زيدان برواياته أن تكون بعد تصفية العنصر الغرامى منها مرجعا تاريخيا ، كما صرح بذلك فى مقدماته ، وحرص لذلك أن تغطى رواياته كل مراحل التاريخ العربى منذ العصر الجاهلى حتى العصر الحديث .

ونحن من ناحيتنا نقول : ان جرجى زيدان أراد أن يقدم برواياته شبهات زائفة على أنها حقائق مسلم بها :

أولا : موقفه من السلطان عبد الحميد والجامعة الاسلامية وهو موقف خصومة وكراهية .

ثانيا : موقفه من الامام مهدى السودان مع أنه كما تؤكد وثائق التاريخ قام بحركة استقلالية اسلامية ناصعة .

ثالثا : انه وسع دائرة الخلاف بين الصحابة واثارة الخلافات بين الأمويين والعباسيين ، وقد جرى فى ذلك مجرى المستشرقين الذين حاولوا اثارة السموم .

والواقع أن طبيعة تكوين جرجى زيدان ووقائع تاريخه توحى بأنه عمل

فى دائرة الاستشراق والتبشير وفق مخطط دقيق ماكر ، لم يكتشف الا بعد وقت طويل . ومطالع حياته تعطى اشارة واضحة لذلك . فقد اشتغل بمجرد أن قدم الى مصر فى قلم المخابرات البريطانية وسافر مع الحملة النيلية الانكليزية الى السودان عام ١٨٨٤ ثم عاد الى بيروت فدرس اللغتين العبرية والسريانية ثم رحل الى لندن فأقام فيها فترة اتصل فيها بمعاهد اعداد غير المسلمين للعمل فى الشرق ، وفى هذه الفترة اتصل بالماسونية ، ولما عاد ألف كتابه (تاريخ الماسونية) الذى ما زال أكبر مراجع الماسونيين ، وهو فى صف دعوتهم ، وقد كانت مجلة الهلال محاولة لنقل الفلسفة الماسونية الملحدة الاباحية الى أفق الفكر الاسلامى بذكاء ومكر شديدين (ومما يذكر أن صروف ونمر ومكاريوس أصحاب المقتطف والمقطم) كانوا ماسونا ، وكذلك سركيس والدكتور شبلى شميل وكانوا من أولياء الاستعمار البريطانى فى مصر وخدامه ، وقال عنهم اللورد كرومر انهم هبة السماء له .

فلما وقع حادث اسقاط السلطان عبد الحميد ١٩٠٩ ، وتولى الاتحاديين بدأ يدافع عنهم ، وكان موقفه وموقف الهلال والمقتطف منذ وقت طويل قبل هذا ممهدا لهذا الحدث الكبير .

يقول السيد رشيد رضا : (م ١٧ المنار — ١٩١٤) ثم ظهر منه (أى من جرجى زيدان) بعد الانقلاب العثمانى نزعة جديدة تقدمتها نزعة عدت احياء لمذهب الشعوبية ذلك بأنه زار الآستانة ولقى فيها بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقى ثم عاد مشبعا بالنهضة التركية مستنكرا مجاراة العرب لاخوانهم الترك بالقيام بنهضة عربية مستصوبا خطة الاتحاديين الأولى فى تتريك العناصر وادغام العرب فى الترك . وقد كتب فى الهلال ما يشعر بهذه النزعة فهاج ما كتبه جماعات فتيان العرب فى الاستانه وسوريا وكادوا يحملون عليه فى الصحف . أما النزعة التى سبقت هذه النزعة فهى مطاعن له فى العرب أودعها فى تاريخ التمدن الاسلامى فطن لها أخيرا من لم يكن يحفل بها وزادهم التفاتا اليها ترجمة جريدة (اقدام) التركية لتاريخ التمدن الاسلامى .. ونشره فيها بالتتابع فتشاور كثير من الشبان المتعلمين فى الرد على هذا التأريخ ولم يظهر منه شىء .

وقد اشار العلامة شبلى النعمانى فى نقده لكتاب التمدن الاسلامى : الى أن الغاية التى توخاها « جرجى زيدان » ليس الا تحقير الأمة العربية وابداء مساوئها ، ولكنه لما خاف ثورة الفتنة غير مجرى القول والبس الباطل بالحق . وبيان ذلك أنه جعل لعصر الاسلام ثلاثة أدوار فمدح الدور الأول ، ولما غر الناس بمدحه الخلفاء الراشدين وبمدحه لبنى العباس وهم أبناء عم النبى ، ورأى أن بنى أمية ليست لهم وجهة دينية فلا ناصر لهم تفرغ لهم وحمل عليهم حملة شنعاء فما ترك سيئة الا وعزاها اليهم وما خفى حسنة الا وابتزها منهم .

وقال العلامة شبلى النعمانى : لقد تعود المؤلف جرجى زيدان قبول مختلف أهل الكتاب وأوهامهم وسببذلك أنه يزن التاريخ الاسلامى بميزان غيرنا ، ولذلك يصغى الى كل صوت ويستمع لكل قائل لا يعرف أن هذا الفن

أي : كتابه التاريخ ــ له أصوله وقواعده ، ما لم تكن الرواية مطابقة لهذه الأصول اليقينية فلا يلتفت اليه أصلا ، فكان الناقل للرواية لابد أن يكون قد شهد الواقعة فان لم يشهد فليبين سند الرواية ومصدرها حتى تصل الرواية الى من شهدها بنفسه ، ومنها أن يكون رجال السند معروفين بصدقهم ، ومنها الا تكون الرواية مختلفة الدراية ، ومجارى الأحوال ، ولذلك أهتم مؤرخو الاسلام قبل كل شيء بضبط أسماء الرجال والبحث عن سيرهم وأحوالهم وديانتهم ومحلهم من الصدق ، فدونوا كتب أسماء الرجال ، وكابدوا فى ذلك محنة يضيق عنها النطاق البشرى فعملوا كتبا غير محصورة منها الكامل لابن عدى والثقاة لابن حيان وتهذيب الكامل للغرى وتهذيب التهذيب لابن حجر وطبقات الصحابة لابن سعد ، وميزان الاعتدال للذهبى . ونجد كتب القدماء من مؤرخى الاسلام كلها أو أكثرها كتاريخ البخارى وسيرة ابن اسحق ، وتاريخ الطبرى وابن قتيبة وغيره مسلسلة الاسناد مبينة الأسماء ليمكن نقد الرواية ومعرفة جيدها من زيفها ..

للمِزى

ومما أخذ عليه وقوفه فى صف خصوم المسلمين القائلين بأنهم (حرقوا) مكتبة الاسكندرية ، فقد أشار الى ذلك أكثر من اشارة ثم عقد بابا لاثبات أن خزانة الاسكندرية حرقت بأمر عمر بن الخطاب . وقد أطنب فى ذلك واستدل عليه بدلائل .

وأشار النعمانى الى أن المؤلف اعتمد على روايات ثبت كذبها . وقال : ان أقدم من روى هذه الرواية هو البغدادى ، ذكرها من غير اسناد ومن غير احالة على مصدر . وقال : ان أول شيء يهمنا هو : هل ذكر القفطى والبغدادى هذه الروايةمسندة وذكرا مصدر الرواية واسم رواتها أم لا !

وانت تعلم أن البغدادى والقفطى من رجال القرن السادس والسابع فأى عبرة برواية تتعلق بالقرن الأول ، يذكرانها من غير سند ولا رواية ولا احالة على كتاب . أما كتب القدماء الموثوق بها فليس لهذه الرواية فيها أثر ولا عين . وهذا تاريخ الطبرى واليعقوبى والمعارف لابن قتيبه والاخبار الطوال للدينورى ، وفتوح البلدان للبلاذرى ، والتاريخ الصغير للبخارى وثقاة ابن حيان ، والطبقات لابن سعد ، وقد تصفحناها وكررنا النظر فيها . ومع أن فتح الاسكندرية مذكور فيها بقضها وقضيضها فليس لحريق الخزانة فيها ذكر (المنار : م ١٥ يناير ١٩١٤) .

وقال شبلى النعمانى : واعلم أن مسألة احراق خزانة الاسكندرية موضوع مهم عند أهل أوروبا ، وقد أطال البحث فيه نفيا واثباتا وممن الم بهذا البحث جملة وتفصيلا المعلم وايت ، والمعلم دى ساسى الفرنسى فى ترجمة كتابة الافادة والاعتبار واشفكن ادونك ودريبر الأمريكانى ، صاحب كتاب الجدل بين العلم والدين ، وكرجين وسديو فى تاريخ الاسلام والمعلم رينان الفيلسوف الفرنسى فى خطبته عن الاسلام والعلم ، وقد طالعت كل هذه الأبحاث والمقالات ، والحاصل أن محققى أهل أوروبا قضوا بأن الواقعة غير ثابتة أصلا . منهم : جيبون المؤرخ الانجليزى ودريبر الأمريكانى وسديو الفرنسى وكرويل الألمانى ورينان الفرنسى وعمدتهم فى انكار ذلك أمران :

الأول : ان الواقعة ليس لها عين ولا أثر فى كتب التاريخ كالطبرى وابن الأثير والبلاذرى وغيرها ، وأول من ذكرها عبد اللطيف البغدادى والقفطى ، وهما من رجال القرن السادس والسابع ولم يذكرا مصدرا للرواية ولا سندا .

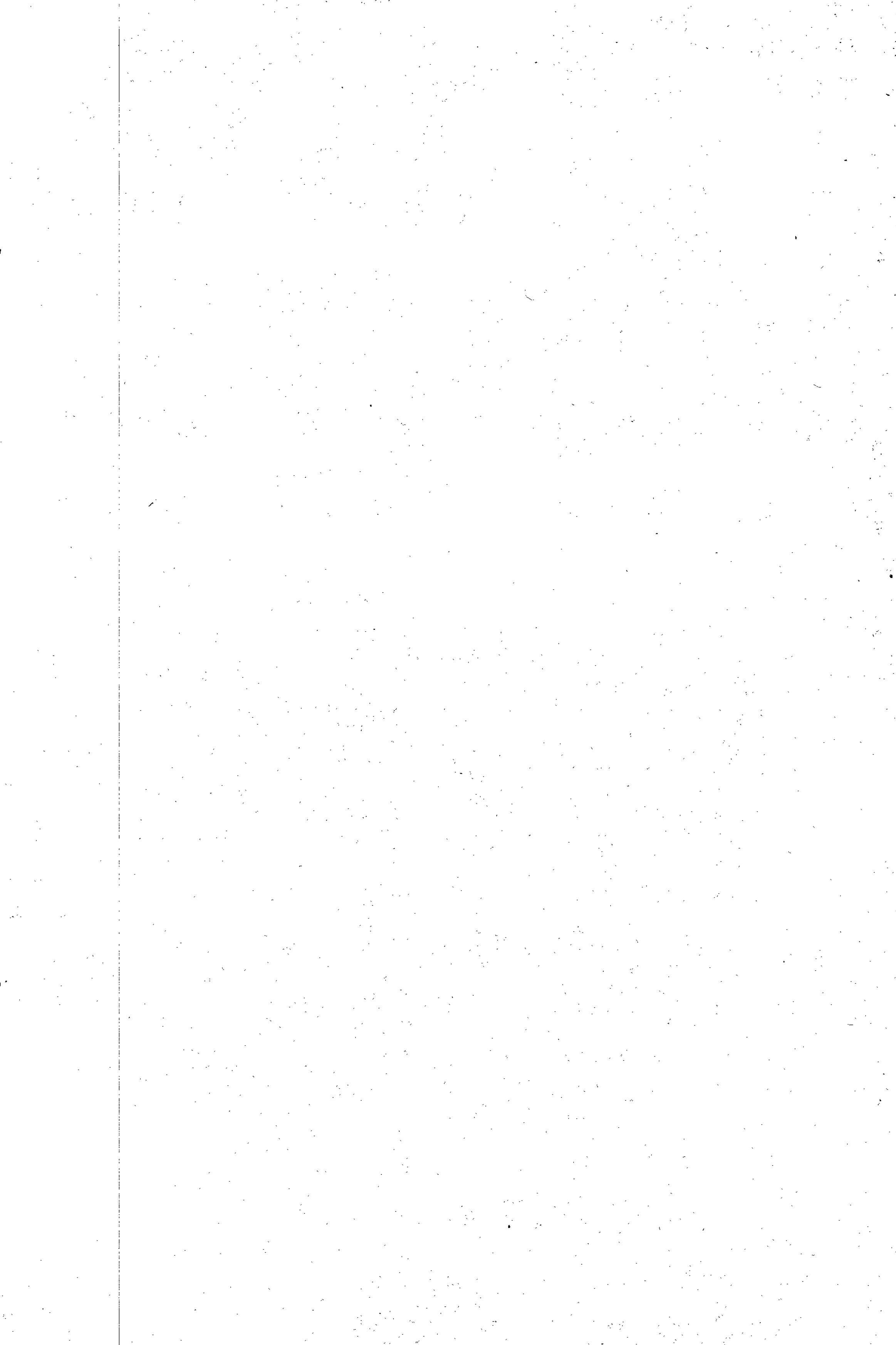
والثانى : ان الخزانة كانت قد ضاعت قبل الاسلام : أثبتوا ذلك بدلائل لا يمكن انكارها ..

هذا مجمل ما اشار اليه العلامة شبلى النعمانى . أما العلامة أحمد السكندرى ، فقد أشار الى ان مما يؤخذ على جرجى زيدان أنه كثير النقل من مستعربى الأفرنج من غير تمحيص لدعواهم وانه يخطىء فى الحكم الفنى أى أنه يقرر غـــير الحقيقة العلمية ، وانه يخطىء فى الاستنتاج وأنه يقيم الدعوى بغير دليل ، ويخطىء فى النقل وانه قليل تحرى الحقيقة . وتروج عند المؤلف أقوال الخصوم من خصومهم ، وأقوال الكتب الموضوعة لاخبار المجان أو لذكر عجائب الأمور وغرائبها وانه يستدل بجزئية واحـــدة على الأمر الكلى .

وعن كتابه (تاريخ العرب قبل الاسلام) أخذ عليه السكندرى أنه أغفل مدة حكم الفرس فى اليمن بعد ذى يزن ، وكثرة شكه وتردده وتناقضه فى أكثر الحوادث وتخريجه الاعلام تخريجا غريبـــا واختصاره التـــاريخ جدا وانكار بعض الحقائق البديهية فى موضع وتشبثه بتحقيق بعض الظنون فى موضع آخر . ومما أخـــذه عليه ما أسماه (جسارته) فى وضع الأسماء والتقسيمات التاريخية ، مع ضعف الاستظهار كتقسيم أدوار تاريخ العرب وتسمية الأمة التى سماها (استرابون) اليونانى جرهين بالقريتين نسبة الى قرية وهى اسم اليمامة قديما وهم الذين قال استرابون أنهم أغنى الآن . فمتى كان أهل اليمامة أغنى أهل الأرض ، وكذلك أخذ عليه تهجينه اخبار العرب فى حوادث الفخر والغلبة وتصديقه خرافات استرابون وهيردوت ، مع أنهما لم يدخلا بلاد العرب ولم يرياها . وكذلك أخذ عليه سوء التعبير من الوجهة الدينية فى عبارات الكتاب كقوله « أقدم المصادر العربية المعروفة عن تاريخ العرب وأقربها الى الصحة : القرآن » .

(راجع المنار م ١١ ، ص ٨٦٣ ، ٧٨٧) .

ويعنينا هنا أن نقول : ان هذا الاتجاه كان بمثابة تعريب فكر الاستشراق وشبهاته وسمومه وادخالها فى مؤلفات انتشرت فى أيدى الباحثين ، فلما ترجمت من بعد دائرة المعارف الاسلامية تبين أنها تضاهيها من حيث وحدة المصدر . ثم جاء بعد ذلك طه حسين واحمد امين وامين الخولى وغيرهم فأدخلوا التاريخ الاسلامى مراحل جديدة أشد خطورة . ثم جاءت بعد ذلك محاولات التفسير المادى للتاريخ التى حمل لواءها عبد الرحمن الشرقاوى وغـــيره .



(٢٦)

اكذوبتان فى تاريخ الأدب العربى الحديث

(أستاذ الجيل وعميد الأدب)

كان للاستعمار أثره فى ظهور الحركات السياسية التى حاولت أن تلتمس طريقها بعيدا عن اطار الفكر الاسلامى .

ولقد كان للسياسة الحزبية وصراع الاستعمار مع حركة اليقظة الاسلامية دور لاقصائها عن مكانها فى المقاومة والدفاع عنه مما ظهر أثره فى ظهور الحركات السياسية التى حاولت أن تلتمس طريقها بعيدا عن اطار الفكر الاسلامى . وفى كل بلاد العالم الاسلامى التى عرفت الاحتلال الأجنبى والاستعمار نبعت انطلاقة المقاومة من أعماق حركة اليقظة الاسلامية فكانت رافدا من روافدها ذلك أن حركة اليقظة بدأت أولا فى مواجهة الجبرية والجمود والعجز عن فهم الاسلام فهما أصيلا مستمدا من منابعه ، ثم جاءت الغزوة الاستعمارية فكان على حركة اليقظة أن تحارب فى الميدانين : ميدان تحرير العقيدة وميدان تحرير الأوطان . غير أن الاستعمار وجد أن جبهة المقاومة قوية وعاصفة ومستعدة للجهاد والتضحية . وقد حملت مفاهيم الاسلام ورايته فكان عمله هو انهاء مهمة هذه الطبقة بالنفى والسجن والتشريد والاغتيال وخلق طبقة جديدة فى نفس الوقت تبدأ من داخل دائرة فكره وتتحرك الى العمل فى سبيل تحرير الأوطان ولكن من خلال مفاهيمه وعلى اسلوبه .

تبرز هذه الطبقة الاولى فى عبد الحميد وجمال الدين ومصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاويش وعبد العزيز الثعالبى والشيخ القسام وعشرات أزعجوا الاستعمار لأنهم كانوا يطالبون بالجلاء الكامل وبانقطاع الحجة بينهم وبين الاستعمار حتى يخرج من الوطن ، هؤلاء اضطهدهم الاستعمار وشتتهم وأنشأ جماعته من الذين يلتقون به فى منتصف الطريق ويؤمنون بأنه لا سبيل لحرية الأوطان الا بالتفاهم مع محتليها والتعامل مع غاصبيها .

وكان أستاذ الجيل فى مقدمة هؤلاء : الراس المفكر فى جريدة الجريدة لسان حزب الأمة الذين هم جماعة الباشوات الذين صنعهم الاستعمار فى مصر ليكونوا أداته فى السيطرة ، كان أستاذ الجيل يؤمن بأنه لا ضرورة أن تتعلم الأمة وانما يتعلم أبناء الذوات وحدهم ، كان يؤمن بأن الغرب هو المثل الأعلى فى نظامه السياسى والاجتماعى والاقتصادى ، كان يكره الدولة العثمانية والخلافة والجامعة الاسلامية والعروبة ، ولا يؤمن الا بالاقليمية الضيقة : مصر للمصريين . وكان على رأس مدرسة نماها — كرومر — لتخلف

الاستعمار الانجليزى فى حكم مصر أو ليتمكن الاستعمار أن يتخلى لها عن قيادة البلاد آمنا فيتحقق بها ما يريد وفوق ما يريد .

ذلك هو الرجل الذى أطلق عليه كلمة أستاذ الجيل فخدعت الكثيرين ..

يقول العقاد : هذا لطفى السيد ليس بالفيلسوف ولا هو بأستاذ أحد ، ولم يكن فى كل ما كتبه وقاله فى حياته دليل واحد على أكثر من أنه رجل متحذلق ضيق الاطلاع يملؤه الغرور . لطفى السيد ليس بالفيلسوف بقوة رأسه ولا بقوة اطلاعه فأما رأسه فضعيف متعفن بشهادة الطب لا بشهادة النقد ومقاييس الآراء فقد أجريت له عملية جراحية قبل بضعة أشهر لاستئصال كيس صديدى فى رأسه ومداواة مبادىء التعفن فى دماغه . ومهما قال القائلون فى الفكر والدماغ فما نظن أحدا يدعى أن انسانا يجيد التفكير وفى دماغه تعفن يستأصل بمبضع الجراح ، أما ضيق اطلاعه فالدليل عليه بسيط حاسم كهذا الدليل الذى لا لجاج فيه ، فان لطفى السيد قد ترجم كتاب الأخلاق لارسطو فاسألوه أين مقدمته هو على ذلك الكتاب . الكتاب ليس فيه الا ترجمة المقدمة الفرنسية مع أن تقديم ارسطو الى العربية الزم واليق بنا من تقديمه الى الفرنسية .

فليس أعجب من ترجمة عربية لاستاذ فيلسوف مكتفى فيها بالمقدمة الفرنسية ومسكوت فيها كل السكوت على علاقته بالشرق والشرقيين . أما ان هذه المقدمة غير لازمة فلا ، واما أن كتابتها فوق طاقة الاستاذ الفيلسوف وفوق مقدور اطلاعه فذلك هو التعليل الوحيد المعقول . ويزيده عجزا على عجز أنه قضى فى ترجمة الكتاب خمس سنوات أو ستا فلم تكفه هذه المدة لاستيعاب بعض المعلومات التى يدارى بها ذلك النقص المعيب .

هذا ما كتبه العقاد فى كوكب الشرق ٣١ يوليو ١٩٢٨ .

وبعد اكثر من ثلاثين عاما أو يزيد تبين أن لطفى السيد لم يترجم ارسطو وقد سجلت هذا فى مجلة الأديب البيروتيه فى حينه بعد أن أفضى به الى الأستاذ أحمد عابدين مدير دار الكتب فى السنوات الأخيرة من أن قسم الترجمة فى دار الكتب هو الذى قام بترجمة كتب ارسطو : الأخلاق والكون والفساد ، وهى الكتب التى وضع عليها اسم لطفى السيد وجاءت ترجمتها غاية فى التعقيد لأن مستوى المترجمين كان دون مستوى — سانهيلر — الفرنسى وكان الأمر فى حاجة الى عقل حصيف ينقل الترجمة الحرفية الى مفهوم يكشف عن تعقيدات الفلسفة اليونانية الارسطاليسية ويحل عقدها .

ولعل فى هذا اجابة عن تساؤل العقاد الذى أوردناه هنا والذى أثبت فيه عجز لطفى السيد عن كتابة مقدمة عن ارسطو وان كان لطفى السيد قد كتب مقدمة فى واحد من هذه الكتب حشاها بخطأ شائن حين قال أن أرسطو هو منطلق النهضة العربية الحديثة وأنه كان له فى الفكر الاسلامى شأن كبير .

لقد بينا فى مواضع مختلفة فساد هذا الرأى .

فالحقيقة أن المسلمين استقبلوا ترجمة الفكر اليونانى بكثير من التحفظ والحيطة ثم استطاعوا بعد قليل مواجهة هذا الفكر وكشف زيفه ووقفوا منه موقف الأصالة التى تؤمن بأن لديها منطلقا للمنطق الاسلامى الذى قدمه القرآن على النحو الذى كشف عنه الامام ابن تيمية من بعد ، ولذلك فلا حاجة لهم بمنطق أرسطو . أما تلك القلة من الفلاسفة المشائين الذين سايروا فلسفة أرسطو وحاولوا التوفيق بينها وبين فلسفة أفلاطون من ناحية وبينها وبين مفهوم الاسلام من ناحية أخرى وهم — الكندى والفارابى وابن سينا — فقد باءت تجربتهم بالفشل وعجزوا عن تحقيق أى شىء يمكن أن يسمى اضافة حقيقية لاختلاف المنابع اختلافا جذريا فالاســـلام الذى يصدر عن التوحيد الخالص ما كان يستطيع الالتقاء بالفلسفة الالهية اليونانية التى هى علم الاصنام عند اليونان والتى وجه اليها الامام الغزالى ضربة مميتة ثم جاء الامام ابن تيمية ليقضى عليها الى الأبد ومن عجب أن يأخذ الغربيون المنهج العلمى التجريبى الاسلامى وينقدوا فلسفة أرســـطو فى أول عصر النهضة اعتمادا على رأى المسلمين فيه ثم ينزلوه من هذا العرش الذى خدع به البشرية عصورا طويلة ، ثم يعودوا عن طريق الاستشراق والتغريب ليجعلوا من أرسطو منطلقا الى نهضة المسلمين الحديثة فكيف يمكن أن يكون ذلك وكيف يستطيع المسلمون أن ينهضوا بفكر قائم على المادية ورأيه فى الألوهية باطل وهو فضلا عن ذلك يتعارض مع الاسلام فى عشرات المواضيع من ناحيـــة العقيدة — ويتعارض تعارضا ضخما من ناحية الاخاء البشرى حيث يدافع أرسطو عن عبودية العبيد للسادة أصحاب الصولجان ويرى ضرورة ذلك وافضليته .

وهكذا يكون أستاذ الجيل قد خدع الجيل عن نفسه وخدع الأجيـــال حين قدم لها هذه الأفكار التى عرضها فى الجريدة مدافعا عن العامية وحائلا دون الجامعة الاسلامية ومعارضا فى التعليم العام ، ثم كانت سقطته الكبرى هى وضع اسمه على مجهود العشرات من المترجمين المجهولين الذين قضوا سنوات فى ترجمة أرسطو ثم نسب هذا العمل اليه وكان من الذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا .

نعود للأستاذ العقاد فى تحليله لفكر لطفى السيد حيث يقول :

لايزال شباب العاصمة الأدباء يتضاحكون من قولته التى فضحتنا بها فى تقديم الشاعر الهندى (طاغور) فقد كان يجب أن يقول شيئا وهو مدير الجامعة المصرية فماذا قال : قال ان طاغـــور مزيج من عمر بن الخطاب وتولستوى .

وهى كلمة أقل ما فيها من الدلالة انه لا يعرف تولستوى ولا عمر بن الخطاب ولا طاغور اذ ليس فى العالم ثلاثة رجال بينهم من المسافة أبعـــد مما بين هؤلاء الثلاثة المختلفين فى نزعة الفكر وطبيعة العمل وتركيب المزاج .

وسأله بعض الأدباء المتخابثين عن « نيتشه » قبل سنوات فلم يشأ أن يظهر الجهل به وابت له الحذلقة الا ان يقول شيئا فقال :

« نيتشه رجل متصوف . انه رجل محب للكمال » .

وكانت سخرية الأدباء فى تلك الآونة لأن الذى يقول فى أبى نواس مثلا رضى الله عنه ونفعنا بكراماته انه كان من أولياء الله الصالحين لا ينم عن جهل أكبر من جهل الذى يصف نيتشه بالتصوف أيا كان معنى التصوف الذى يريد .

وكنت أنتقد قول شوقى فى رثاء الزعيم الفقيد .

يا رفاتا مثل ريحان الضحى
كللت عدن بها هام رباها

وأقول انه لا يحسن أن يرثى به ميت عظيم وأنه اذا قيل فليكن فى رثاء بنت فى نضرة الشباب لا فى رثاء زعيم أمة بلغ السبعين ، كنت أقول ذلك وكان الأستاذ الفيلسوف موجودا فقال : ولم لا الا تصفون النبى فى قصة المولد بالكحل وبفلج الثنايا وفتنة الجمال . على هذا المنوال يفهم الأدب مدير الجامعة الذى ما أصاروه لادارتها لانه طبيب أو مهندس أو فلكى أو زراعى وانما اختاروه لهذا المنصب لأنه اديب وأديب كبير .

لقد مضى زمن كانت الحذلقة فيه مع قليل من البروباجندا هى غاية الفلسفة وغاية الشهرة . وكان أستاذنا الفيلسوف يتحذلق وكان ينطق باسم كرومر (كرومير) وينطق باسم جراى (جرى) بكسر الجيم كأنه فرنسى لم يسمع بكرومر وجراى الا من الفرنسيين فى باريس وكان مراسل جريدة وادى النيل يسأله : هل أنتم موفدون فى مهمة سياسية ؟ فلا يجيبه الأستاذ الفيلسوف قبل أن يلخمه بما فتح الله عليه من العلم الواسع والاطلاع الغزير ويسأل المراسل المشدوه : اتعنى مهمة (دبلوماطيقية) أو مهمة (بوليطيقية) ومن كان يعرف أن يقول دبلوماطيقية أو بوليطيقية فبالله كيف لا يكون فيلسوفا بل كيف لا يكون هو الفيلسوف . ولا نذكر ما كتبه فيلسوفنا عن شكسبير فقد ضحك منه حتى الطلبة الذين يدرسون رواية من شكسبير فى المدارس الثانوية ولا ما كتبه عن تولستوى فلعله كان يكتبه عن طاغور أو عمر بن الخطاب وهو لا يدرى ما الفرق بين هذا وذاك .

ولكننا نقول : إننا لا نشك فى اطلاع الرجل على أى محصول قيم من آثار المتقدمين والمتأخرين وغاية علمه انه واحد من أولئك المفتين الذين يضجعون فى كراسيهم فى أمان واسترخاء ثم يفتون فى الأكوان والأمم والرجال فيعجبهم هذا ولا يعجبهم ذاك ويغيرون نظام الدنيا مرتين أو ثلاثا فى كل يوم وهم أضعف ما يكون الانسان عن عمل يعمل أو رأى يسلم من الخبل والاضطراب .

ولطفى السيد هذا مثال العجز والاسترخاء لم يفلح فى مجلة الشرائع

ولا فى النيابة ولا فى المحاماة ولا فى الجريدة التى انفقوا عليها ثمانين الف جنيه ولا فى الوفد المصرى ولا فى المكتبة الملكية ولا فى الجامعة المصرية ولا نراه يصلح فى شىء الا أن يجلس على كرسيه ويفتى بأستحقاق الأمة تارة وبعدم استحقاقها تارة أخرى والسبب واحد فى الحالتين .. ثم يحس ضعفه الذى لا يبرح ذهنه فيعمد الى (الخطط القوية) ليدارى بها ذلك الضعف عن عينيه كما يصيح الطفل الخائف وهو يسير فى الظلام ، مثل هذا الرجل خلق ليقاد ثم لا يرجى عنده نفع كبير حتى حين يقاد ويطيع ولكنه على الأقل يعرف حده ويقلع عن غروره أو يحال بينه وبين عمل لا يطيقه » .

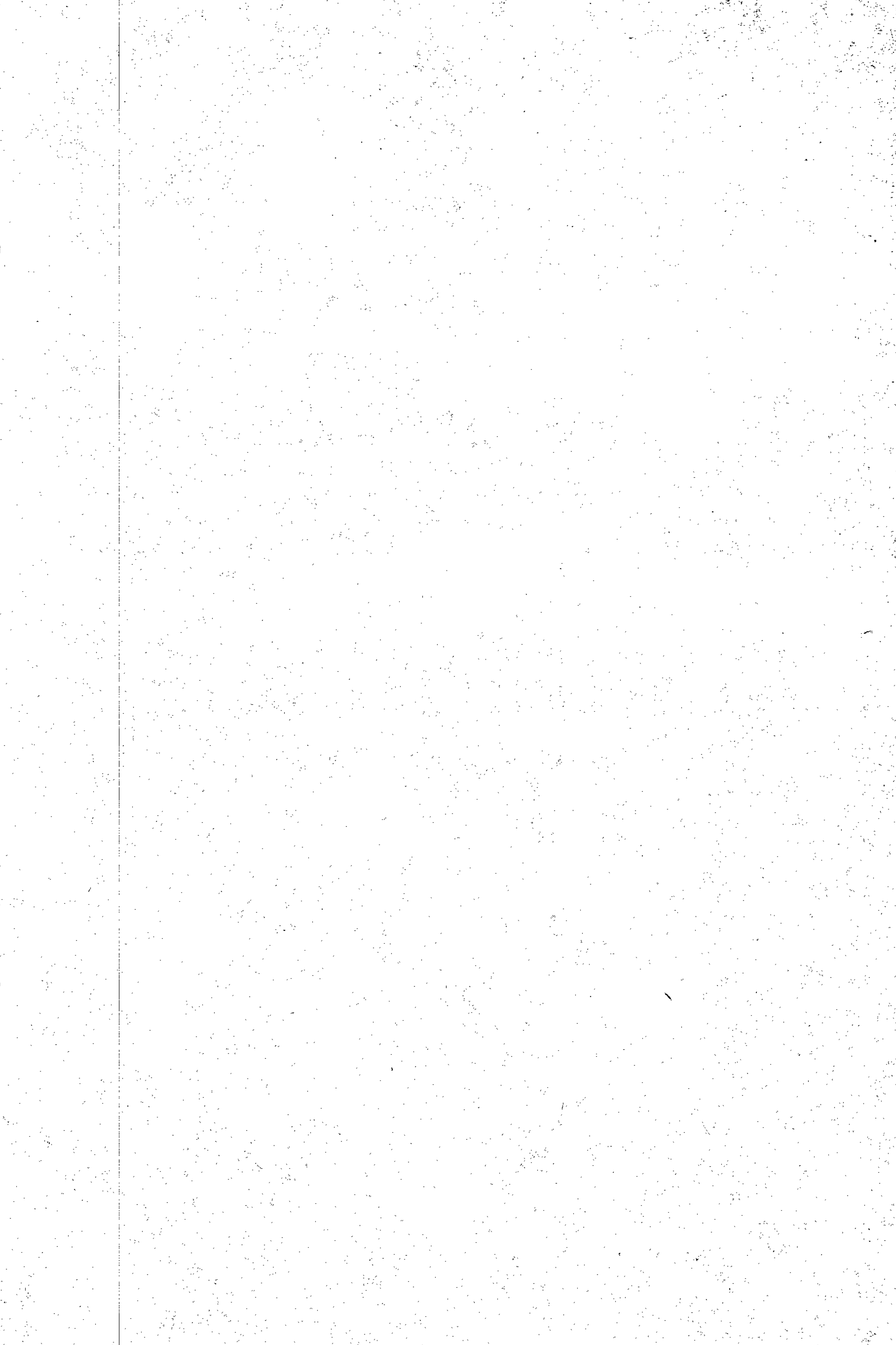
هذا ما كتبه العقاد عن لطفى السيد . وهناك ما كتبه زكى مبارك أيضا وهى آراء يجب أن تعرض على شباب البلاد العربية ليعرفوا فساد تلك الأكاذيب التى سارت مسير المسلمات أو الحقائق وخدع بها مؤرخو الأدب وأساتذة التاريخ وهى السياسة الحزبية وصناعة الاستعمار للناس وللقادة ، تضع هذه الألقاب الخادعة وتحرسها سنوات وسنوات . ومن المضحك أن العقاد لما انضم بعد الى قافلة لطفى السيد وترك الوفد ودخل المجمع اللغوى عاد يثنى على لطفى السيد وتجاهل ما كان كتبه عنه وضم كتابه (رجال عرفتهم) ترجمة من نوع آخر لأستاذ الجيل ونقول كما يقول أحدهم : أيتها الحقيقة كم من الجرائم ترتكب بأسمك ! .

ويقول العقاد : انه لم يغير رأيه فى أى شىء كتبه منذ كتبه !

والحق ان العقاد حين كتب عن لطفى السيد ما كتب أولا لم يكن متجنيا على الحقيقة ولكنه حين عاود الكتابة كان قد اندمج فى مدرسة سار ركابها وعلا اسمها ولم يستطع أن يتخلف عن اللحاق بها رغم ما كان له من مكانة فى تقدير الناس .

أما لقب عميد الأدب فله فصل مستقل .

* * *



طـه حسين الرجل الذى سقطت دعاواه قبل أن يموت

ما يزال الدكتور طه حسين حديث الباحثين وسيظل الى وقت طويل بين معجب وناقد . فقد أمضى الدكتور أكثر من خمسين عاما يكتب ويتحدث فى ظروف كان للاستعمار والتغريب والغزو الفكرى فيها أثر كبير فى دفع الأفكار الغربية والمثيرة الى السطح .

ولقد خدع شباب الجيل الحاضر الذين نشأوا بعد أن توقفت المعارك والمساجلات فسمعوا كلمات عميد الأدب وأستاذ الجيل فظنوا أن الرجل قد قدم شيئا نافعا ، وقد تحدثت فى مكة مع طائفة من الشباب عن السر فى تلك الصورة التى تضفى التقدير والاعجاب ، وسألت هل قرأ كل الشباب كتاب الشـــعر الجاهلى ، ومستقبل الثقافة وغيرها ؟ فعرفت أن الكتاب الوحيد الذى قراه كثير من الشباب هو (الأيام) فعذرت شبابنا الذى ربما أعجب بطه حسين عن طريق الاشفاق والعطف والرحمة ازاء رجل كفيف جاهد فى سبيل العلم ، ولكن المسألة أكبر من ذلك كثيرا . لقد استغل هو هذا العطف فى سبيل الوصول الى القمة ، فلما وصلها هاجم أساتذته وحطم آراء العلم ، وجرى وراء البريق الذى قدمته له القوى التى تستطيع أن تصطنع الأقلام والكتاب .

يقـــول الدكتور محمد صبرى السربونى زميل طه حسين فى جامعة السربون فيما رواه الى أحمد حسين الطمـــاوى : دخلت أنا وطه حسين امتحان الليسانس فى عام واحد وعندما ظهرت النتيجة ذهبت فلم أجـــد اسمى ولا اسمه ، وفى اليـــوم التالى وجدت اسمه محشورا بين السطور فذهبت اليـــه وابلغته ، وقد أثار حشر اسم طه حســـين بين السطور الكثير من الدارسين المصريين فقد قام زميل آخر هو جلال شعيب بكشف الحقيقة فقال ان طه حسين ذهب الى الأساتذة وهم مجتمعون واستدر عطفهم وذكرهم بأنه على أبواب الزواج بفرنسية وانه غريب وأعمى فرثوا له ! ويدعم هذا ما جاء فى كتاب سامى الكيالى عن طه حسين الذى يقول فى مقدمة رسالته للدكتوراه : وليسمح لى بأن أعتذر عن أسلوبى الفرنسى اذا ما بدا بلا ريب فى كثير من المواضع ركيكا أو خاطئا ، وكذلك عن الأخطاء المطبعية التى قد تقع فى هذه الرسالة ، فما كنت الا (غريبا وأعمى) . هذا ويسجل الدكتور طه انه فى امتحان الدكتوراه بعد ذلك بعامين أو ثلاثة دخـــل لجنـــة الامتحـــان ودخلت معه زوجته تحمـــل طفلهـــا فلما رآها رئيس اللجنة ابتسم فأخذت من أمامه ورقة وكتبت فيهـــا كلاما فلما قراه **قال : اذن سنخفف عنك أسئلة الامتحان : حدثنا عن تاريخ الدولة الأموية ..**

ويروى عباس خضر فى مذكراته (خطا مشيناها) عن الأستاذ محمد الههياوى صاحب جريدة (المنبر) وكان زميلا لطه حسين فى الأزهر ان طه حسين سرق منه وهما طالبان معا (مجموعة المتون) وهى مجلد يجمع عددا من المتون المؤلفة فى مختلف العلوم .. وقد اتهم الههياوى طه حسين صراحة بأنه أخذها فأنكر ، ولكن حدث عندما كانا خارجين من الجامع أن انشغل الشيخ طه بلبس حذائه فسقطت المجموعة من حيث كان يخبئها . حكي له الههياوى ذلك ، وهذا هو سر ما كان يوجهه الى طه حسين ، وهو يناقشه فى آرائه بعد ذلك فيقول له : « ألا تذكر مجموعة المتون » ؟ فلا يعرف أحد ماذا يقصد ، ولكن طه حسين كان يعرف .

وأشار الدكتور محمد صبرى الى أن طه حسين لم يكن صادقا فيما أورده فى كتاب الأيام من أنه كان يدرس فى ثلاثة معاهد أو أربعة فى باريس وبعد أن عدد طه حسين مجموعة الأساتذة قال : ان هذا الكلام لا يسكت عليه ، لان طه حسين لم يدرس على كل هؤلاء فان دارس التاريخ لا بد أن يتخصص أما فى القديم أو العصور الوسطى أو التاريخ الحديث ، وقد كان طه حسين متخصصا فى التاريخ القديم فكيف درس تاريخ الثورة الفرنسية ، وكيف درس البيزنطى والتاريخ الحديث .. والدكتور طه كان قليل التردد على السربون لعاهته ولا أذكر أبدا أنى رأيته يستمع لهؤلاء وكونه استمع الى محاضرة أو محاضرتين لأستاذ من الأساتذة لا يعنى أنه درس عليه ومن ثم لا يعقل أنه تتلمذ على هؤلاء جميعا . ان ما درسه طه حسين هو اللغة اللاتينية لتعينه على فهم التاريخ القديم ، أما الذين نقلوا عن طه حسين كالكيالى وكامل زهيرى فان معلوماتهما قاصرة بالنسبة للدراسة فى السربون » (*)

والواقع انه دار حول طه حسين زيف كثير ومبالغات حاولت تضخيم هذا الرجل لحساب الذين استعملوه ضد المسلمين والعرب .

نحن لا نغض من قدر طه حسين صاحب الأيام ، ولا يضيرنا أن نقول أن طه حسين من أصحاب النثر الفنى وانه من المدرسة المبتدعة التى بداها المنفلوطى وسار فى طريقها الرافعى والزيات والبشرى . ولا يستطيع أحد أن ينتقص من موسيقى طه حسين وفنه وبلاغته التى ترجع أساسا الى ما استطاع أن يمنحه له القرآن الذى حفظه والأزهر الذى اتصل به والتراث الاسلامى الذى تعرف اليه فى صدر شبابه ، فما ذلك النثر الفنى الا من معطيات الفكر الاسلامى أساسا ، من أجل هذا وجد كتاب (الأيام) قبولا فى النفس الاسلامية العربية فى هذه البلاد المقدسة التى ارتبطت بالقرآن وبيانه وكانت حواشى فكرها وأعماقه مرتبطة ببلاغة الأسلوب النبوى وأدب الصحابة والعلماء . ومن منطلق كتاب الأيام تبدو هذه الظاهرة التى رأيناها فى بعض الصحف العربية ابان وفاة طه حسين ، ولكنا لا نستطيع اذا نظرنا لأثر طه حسين فى البلاد العربية وفى الثقافة الاسلامية من خلال آثاره المتعددة من دراسات الأدب والتاريخ والتربية وغيرها أن نقصر وقفتنا عند كتاب الأيام ، بل لعلنا لا نبالغ اذا قلنا أن هذا النثر الفنى الموسيقى كان مدخلا خطيرا الى آراء طه حسين فى كتابيه

الخطرين : الأدب الجاهلى ومستقبل الثقافة ، ونستطيع أن نضيف اليهما كتابا ثالثا هو (على هامش السيرة) وكتابا رابعا هو (الشيخان) الذى رد عليــه وفند أخطاءه الاستاذ محمد عمر توفيق « وعلق عليه الاستاذ الصديق أحمد عبد الغفور عطار » فى جريدة النــدوة . لقد كان الأسلوب الفنى الجميــل لطه حسين اذن مدخلا خطــيرا الى النفس العربيـــة ، وذلك من أجل القاء هذا الفكر الوافد فيها واغرائها به ، ذلك الفكر الذى حمله معه والذى حاول كثيرا أن يغرى به أصحاب الثقافات القاصرة والبسيطة من الشباب وممن لم تكن لهم أرضية أصيلة من التربية الاسلامية ومفاهيم العقيدة الاسلامية أساسا .

ولقد كان من رأيى ــ وهذه وجهة نظر تحتمل الصواب والخطأ ولا يجوز أن تفرض على أحد ــ ويمكن أن تناقش فى حرية تامة ــ فكان من رأيى ان طه حسين لم يمت الا بعــد أن تهاوت نظرياته كلها ، وسقطت وقام ما يعارضها بالحجة ويناقضها بالدليل ، وبعد أن تجاوز الفكر الاسلامى المعاصر هذه المرحلة من التبعية للفكر الغربى الوافد الى مرحلة أشد قوة وأصالة وترشيدا ، لقد تجاوز الفكر الاسلامى المعاصر طه حسين كله الى أفق جديد أكثر قوة وعمقا ومن خلال أفكار عشرة رئيسية للدكتور طه حسين نجد ما ذهب اليه واضحا !

أولا : موقفه من ابن خلدون ومعارضته لمـــا أجمع عليه الباحثون من أنه مؤسس علم الاجتماع ومؤسس علم التاريخ ، وقد أجمع علماء التاريخ الاجتماعى على فساد رأى طه حسين الذى أخذه عن باحث يهودى حاقد على العرب والمسلمين هو (دوركايم) وتكشفت بعد أن ترجمت رسالته الى العربية ان طه حسين أقام رأيه على مغالطات كثيرة وفهم زائف وانه أراد ارضاء اليهودى المشرف فى السربون على رسالته بشتم ابن خلدون والتقرب الى الفرنسيين بازدراء أهل المغرب واتهامهم بأنهم لم يتقبلوا المدنية الغربية ، وسخر من جهادهم فى سبيل مقاومة الاستعمار ومن العجب ومن السخرية بطه حسين أن مات دوركايم قبل أن يسمع ما كتبه طه حسين ولم يحضر مناقشة رسالته .

ثانيا : رأيه فى الشعر الجاهلى وقد كشف كتاب كثيرون عن زيف هذا الرأى فألفت كتب (الرافعى وفريد وجدى ولطفى جمعة والغمراوى والخضر حسين) فى الرد عليه ثم جاء الدكتور ناصر الدين الأسد فى أطروحته عن الشعر الجاهلى ، فأشار الى المصادر التى (سرق) منها طه حسين هذه الفكرة وهى لمبشر مسيحى استتر تحت اسم هاشم العربى وعرف من بعد بأنه الدكتور زويمر ومن كاتب يهودى هو « مرجليوت » وقد اعترف طه حسين أمام النيابة العامة ابان التحقيق بأن هناك من كتب مما نقله هو !

ثالثا : ما أقامه فى كتابه « على هامش السيرة » من احياء للأساطير التى عمل مؤرخو المسلمين على ابعادها عن ســيرة الرسول وتحريرها منها ، وقد عاد الدكتور طه فدمجها مرة أخرى فى السيرة وأعطى نفسه مطلق الحرية فى الاضافة اليها ، كما ذكر فى مقدمة كتابه . ولقد هاجم هذا الاتجـــاه أصدق أصدقاء طه حسين ورفيقه على درب التجديد والتغريب،

مرحلة ما ، ذلك هو الدكتور محمد حسين هيكل الذى كانوا يسمونه رأس المدرسة الحديثة والذى تحول من بعد والف كتاب (حياة محمد) ولا ريب أن كتاب على هامش السيرة خطير وقد وصفه الأستاذ مصطفى صادق الرافعى بأنه (تهكم صريح) .

رابعا : ما دعا اليه طه حسين من أن سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل ليسا موجودين حقيقة — وان اشار اليهما القرآن الكريم — وقد واجه هذا الرأى معارضة شديدة واثار شبهات حول موقف طه حسين من الايمان بالله ومن الايمان بالقرآن والنبوة ، وتبين من بعد انه كان خدمة لهدف الصهيونية التلمودية التى أنكرت صلة ابراهيم واسماعيل بالجزيرة العربية وسكتت عن بناء البيت وحاولت أن تجعل وعد الله تبارك وتعالى لابراهيم عليه السلام محصورا فى ابنه اسحق أى فى بنى اسرائيل وحدهم ، ولقد حاول طه حسين فى هذه الفترة أن يخدم الصهيونية باثارة هذه الآراء وما يتصل بها من تزييف تاريخ لليهود فى الجزيرة العربية وفضل مدعى على الأدب العربى ، وقد كان يحرض تلاميذه فى كلية الاداب على نقد القرآن بدعوى انه كتاب أدب ، وهذا ثابت فى محاضر جلسات مجلس النواب المصرى عام ١٩٣٣ .

وقد عورضت هذه الآراء وكشف عن زيفها ..

سادسا : ما ذكره فى كتابه : (مستقبل الثقافة) من أن عقلية مصر عقلية يونانية غربية ، وأن الاسلام لم يغير هذه العقلية ، وان طريق النهضة الذى يراه للمسلمين والعرب هو أن يأخذوا (حضارة الغرب) خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، ما يحمد منها وما يعاب . وقد كشف كثيرون زيف هذا الرأى .

سابعا : ما أشار اليه من أن (الفرعونية) هى طريق مصر ، وادعاؤه أن مصر ليست عربية ، ولن تكون عربية أبدا ، بل ادعاؤه أن العرب كانوا مستعمرين لمصر كالرومان والفرس ، ومن أجل ذلك حرقت كتب طه حسين فى ميدان عام فى دمشق وله فى ذلك الاتجاه سموم كثيرة تتصل بالنحو وبطريقة الكتابة وقد هزمت هذه الآراء هزيمة منكرة وكشف زيفها .

ثامنا : ما دعا اليه من الغاء الأزهر والغاء التعليم الدينى الذى يقوم به الأزهر وتوحيد التعليم الأولى فى الاساس وجعله مدنيا غربى الاتجاه لا يدرس فيه الدين حتى يصبح الأزهر « كلية لاهوتية » كما حدث فى تركيا وفى الغرب .. وقد هزم هذا الرأى هزيمة منكرة ..

تاسعا : ما ذكره من أن المتنبى منكور الأب وانه من أجل ذلك يمكن أن يكون لقيطا جاء من غير طريق شرعى ، وتلك سبة فى التحليل ابطلتها التحقيقات العلمية التى أجراها كثيرون واخرها ما كتبه الأستاذ محمود الملاح ، وقد واجه الاستاذ محمود محمد شاكر رأى طه حسين بقوة وكشف عن زيفه وهواه الذى يطابق هوى المستشرقين الذين يطمعون فى تحطيم الشخصيات البارزة فى الأدب العربى .

وبعد : فليس فى هذا الذى عرضناه وهو ثابت تاريخيا وعلميا وتحتويه معارك ومساجلات جمعناها فى كتابينا (المعــارك الأدبية) و (المساجلات والمعارك الأدبية) وهو مبسوط فى مواضعه فى الصحف والمجلات يستطيع أن يرجع اليه كل من يتصور طه حسين على صورة أخرى ..

فاذا أضفنا الى ذلك شيئا آخر هو ما يشتبه من صلاته بالصهيونية وله دلائل كثيرة أهمها اشرافه على دار الكاتب المصرى عام ١٩٤٦ التى كان يمولها اليهود وصلته باليهودى اسرائيل ولفنسون تلميذه فى كلية الآداب الذى الف كتاب (اليهود فى جزيرة العرب) وقدمه طه حسين الى الناس والذى هو خلاصة دعاوى اليهــود واكاذيبهم التى يدعــون بها موقفا فى فلسطين .

عاشرا : دفاعه عن عبد الله بن سبأ وانكار وجوده ودوره فى فتنة عثمان اعتمادا على مصادر أحياها الصهيونيون فى مقدمتها كتاب (أنساب الاشراف للبلاذرى) الذى أعاد اليهود طبع الجزء السادس منه — فقط — فى تل أبيب وجعلوه مصدرا لانكار دور ابن سبأ اليهودى وقد جعل طه حسين هــذا محور كتابه (الفتنة الكبرى) خدمة لليهود ولا ريب أن صدور جزء واحد من كتاب دون صدور بقية الأجزاء أمر فيه نظر .. ثم اعتماد طه حسين عليه فى بحث خطير كهذا أمر اشد خطورة .

والواقع أنه منذ ١٩٥٩ منذ بدانا دراستنا للأدب العربى وابان حيــاة طه حسين حاولنا أن نكشف هذه الحقائق فى عدد من مؤلفاتنا ورسائلنا حلقة بعد حلقة وبرفق ، حتى برزت هذه الحقائق واضحة أمام المثقفين ، ونحن الآن وفى قريب جدا نقدم كتابنا : (طه حسين : حيــاته وفكره فى ضوء الاسلام)(١) لنضع كل الحقائق أمام الشباب المثقف فى البلاد العربية والعالم الاسلامى عن رجل خدع المسلمين والعرب عن دينهم وأصالتهم ، وكان تابعا تبعية خطيرة للفكر الوافد ، ولست ادرى كيف استطاع طه حسين أن يقف أمام الكعبة عندما زار مكة عام ١٩٥٤ رئيسا للجنة الثقافية للجامعة العربية ، وكيف طاف بها وهو الذى انكر وجود ابراهيم واسماعيل من قبل !

لقد عاش طه حسين حياته فى حيرة وقلق ولم يستطع أن يعود مرة اخرى الى رحاب الايمان ..

حصن الأمان :

يقول مستر هيكرد استاذ الفلسفة فى جامعة كوبنهاجن : هــدم اختبار الحيــاة والأزمات الركن الذى كنت ابنى التعطيــل عليــه بقوة الايمان بمجد العلم والفلسفة فانى كنت موقنا صحة كل ما كنت اذهب اليــه من العقائد التى شدتهــا على أسس الحكمة البشرية . وقد أصبح ذلك اليقين كمنثور الهباء وتقطعت أسباب الثقة بكل تلك الأوهام فأسرعت لاجئا الى الحصن الحصين الذى لاذ به علماء الحق قبلى ، فأنا الآن لا ازدرى العلم ولكنى أومن بالله علام الغيوب القادر على كل شىء وأجد فيه وحده الاطمئنان والسلام ..

---

(١) صدر كتاب طه حسين فى ميزان الاسلام (الطبعة الثانية الآن) .

ونشرت جريدة الندوة (مكة المكرمة) تعليقا على هذا المقال تحت عنوان :

رأى فى تبرئة طه حسين من اللصوصية :

كان الاستاذ الجندى قد كتب موضوعا عن الدكتور طه حسين وقد وردنا هذا التعقيب من الدكتور أمان الله محمد الهادى سليمان .

اخى الأستاذ رئيس تحرير جريدة الندوة الغراء المحترم ..

تحية طيبة وبعد ..

لقد اطلعنا بعدد الندوة الصادر يوم الأحد ١٣٩٦/٨/١٩ هـ على مقال للسيد الأستاذ أنور الجندى ينتقد فيه الأستاذ الدكتور المرحوم طه حسين .

ولا أعتراض لى على النقد فى حد ذاته ، بل يجب أن ننتقد أنفسنا وينتقد بعضنا البعض الآخر . فبالنقد تتضح الحقيقة وقد يتعدل المسير . ولكنى أعترض حين يخرج النقد عن أسلوب النقد الى أسلوب التجريح والاتهامات ، وخاصة اذا كان صادرا عن أستاذ جليل ومرب من مربى الجيل مثل الأستاذ طه حسين حين يتهم باللصوصية ، ثم هو يتهمه بالصهيونية أو بالتعاون مع معتنقيها . وليس هذا هو أسلوب النقد الذى يجب أن نتعلمه على يدى الأستاذ الجندى ، وأنا لست أديبا أو كاتبا ولا أعلم كثيرا عن الشعر الجاهلى أو غيره من موضوع النقد فى المقالة المذكورة .

ولكنى أعلم أن للنقد أسلوبا وأن لأسلوب النقد أخلاقيات وضوابط لا يصح أن يتجاوزها كبار النقاد خاصة وهكذا نحن العرب ، نحب بافراط حتى درجة الغفلة ، ونكره بشدة حتى درجة الحقد والبغضاء ، ولقد خلقنا الله أمة وسطا وينبغى أن نكون كذلك ، وأن نكون وسطا فى الحب والكره والنقد .

هذا رأيى وأتمنى أن أكون مصيبا والله من وراء القصد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

دكتور
أمان الله محمد الهادى
مدير مستشفى الملك
بمكة المكرمة

رد على الدكتور أمان الله :

طه حسين والالتزام الأدبي

فى بلاد الغربة التى كتب الله علينا طائعين أو مكرهين أن نعيش فيها لوقت محدود قرأت فى جريدة النـــدوة الغراء التى تكرم الاستاذ التركى المستشار الثقافى السعودى ببريطانيا وبجهد وزارة الاعلام السعودية أن تصلنى يومية منظمة فتربطنى بالوطن العربى الاسلامى الأم . وتربطنى بأرض الحرمين الشريفين ولتزيد بينى وبينها بكل الصدق وشائج الود والمحبة ..

أقول قرأت فى جريدة الندوة بتاريخ ١٩٧٦/٨/١٩ تحت صفحة ندوة الآراء مقال الأستاذ أنور الجندى (طه حسين الرجل الذى سقطت دعواه قبل أن يموت ...) .

ثم تلا ذلك رأى الأخ الكريم الدكتـــور أمان الله محمد الهـــادى مدير مستشفى الملك بمكة المكرمة تحت عنوان (رأى فى تبرئة طه حسين من اللصوصية) بتاريخ ١٩٧٦/٨/٢٥ .

وأنا لا أكتم عن القارىء أننى ترددت فى كتابة ما كتبت لوقت طويل .. وجاء شهر الصوم رمضان الكريم فوجدت أن كلمة الحق ولو أنها مرة لكنها يجب أن تقال .. ولو أن السلام فى الاسلام هو من أعظم مبادئه .. لكن العدل والرحمة من صفات الله التى نطالب بأن نحتذيها العدل فى ابداء الرأى .. والعدل (وهى صفة العادل الكريم جلت قدرته) والتى وضعها فى أمة الاسلام هى جعلت منها أمة وسطا ووسط الشىء أحسنه لغة .

ولقد كنت أحب أن يكون كل ما أذكر هنا فى جريدة الندوة الغراء اما بين ضلوعى . أو يكون مادة للحديث فى جلسة خاصة مع أصدقاء يبوح كل منا للآخر فيه بأسرار قلبه ومكنونات ضميره .. ولكن الالتزام وهو قانون اسلامى انسانى يفرض على الكاتب والطبيب والوزير والأمير فرض على أداء لكلمة الحق وأمانة الكلمة وشرفها وقدسيتها أن أدلى بدلوى لأقول رأيى :

أولا ـــ لست أرى فى ما ذكر الأستاذ أنور الجندى أى افتراء على الدكتور طه حسين . فكل ما ذكره حقائق ـــ مؤيدة بالأدلة والبراهين القاطعة ـــ لكن الحقائق مرة على قلوب بعض الناس . ولقد التزم الأستاذ أنور الجندى بأسلوب النقد العلمى .

ثانيا — مع تقديرى الكامل لرأى الأخ الطبيب الدكتور أمان الله محمد الهادى بل واعجابى الكبير برايه حين قال ولا اعتراض لى على النقد فى حد ذاته بل يجب أن ننقد بعضنا البعض — فبالنقد تنضج المسيرة لكنى أختلف معه .. اختلافا كبيرا حين اتهم الاستاذ أنور الجندى بأنه خرج بالنقد الى أسلوب التجريح والاتهامات .

فليس فى كل ما ذكره الاستاذ أنور الجندى خروج بالنقد الى اسلوب التجريح .

ثالثـا — اننا يجب أن نعطى لكل انسان تخصصه — فكما أن صناعتى الطب — وكذلك صناعة الأخ الكريم الدكتور أمان الله محمد الهادى كذلك صناعة الأخ الكريم الأستاذ أنور الجندى فهو مفكر اسلامى اديب باحث دقيق — وما من شك فى أنه بذل جهدا كبيرا ليستقصى ويبحث فى كتب التاريخ والأدب والاسلام ليعطى رأيا كهذا .. وان مهمة رواد كأنور الجندى أن يضعوا الحقائق حتى لو كانت مؤلمة للشعب العربى الاسلامى ..

رابعا — أن سر دهشتنا والمنـا تأتى من ان كل اسرار التـاريخ والأدب لم تكتشف بعد خصوصا أن المرحلة الماضية كانت الأمة العربيـة الاسلامية تحت سيطرة الاستعمار الغربى البغيض .. بكل نقائصهوعيوبه وغدره ومكره بل لصوصيته أيضا .

خامسا — اننا كأفراد نقع طائعين او مكرهين تحت سيطرة أجهزة الأعلام العربية والغربية فتصنع من قوم أبطالا — وتضع عليهم هالات وتصنع من قوم آخرين ارهابيين مارقين بل ورجعيين .. خارجين عن الدين تحل دماؤهم تهتك أعراضهم .

ولست أرى داعيا فى وقت كهذا تلتئم فيه جراح الأمة العربية الاسلامية أن أذكر الدكتور محمد أمان الله الهادى بما كان يحدث فى بعض البلاد العربية تجاه هذه الزعامات الأدبية وغير الأدبية — فالكل يعرفها .

سادسا — ان كتاب الشعر الجاهلى ومستقبل الثقافة يكفيان كمثالين لفكر الدكتور طه حسين — وهما يدينانه — ويضعانه فى قفص الاتهام .. بل لقد نقدهما كتاب اسلاميون كبار .. وليرجع الى ذلك من يشاء من عشاق المعرفة والفكر وعشاق الحقيقة أيضا الى المكتبة العربية .

سابعا — انه على الرغم من أن فى مصر رواد ادب وفكر وعمالقة فن وأساتذة جيل — التزموا بالفكر والكلمة والرأى والموقف وعانوا فى سبيل التزامهم بهذه المواقف وهذه الأفكار . وهذه المبادىء الخالدة وربطوا بين الايمان بفكرة والعمل من اجلها بل والموت فى سبيلها استشهادا أى أنهم ربطوا العلم بالعمل تماما كما حدث مع الفيلسوف الفرنسى المعاصر اندريه مالرو والذى اكتشف قباحة الاستعمار الفرنسى فحارب ضـد الفرنسيين فى الهند الصينية وغيرها أى لم يكن يؤمن بما يؤمن به طه حسين من أن

يكون أديبا فيلسوفا من وراء مكتب ـ ليعطى تحقيقا صحفيا لجريدة ومجلة .. أسف لا بد أن أعطى الناس نموذجا غربيا حتى يقتنعوا .

أعود فأقول :

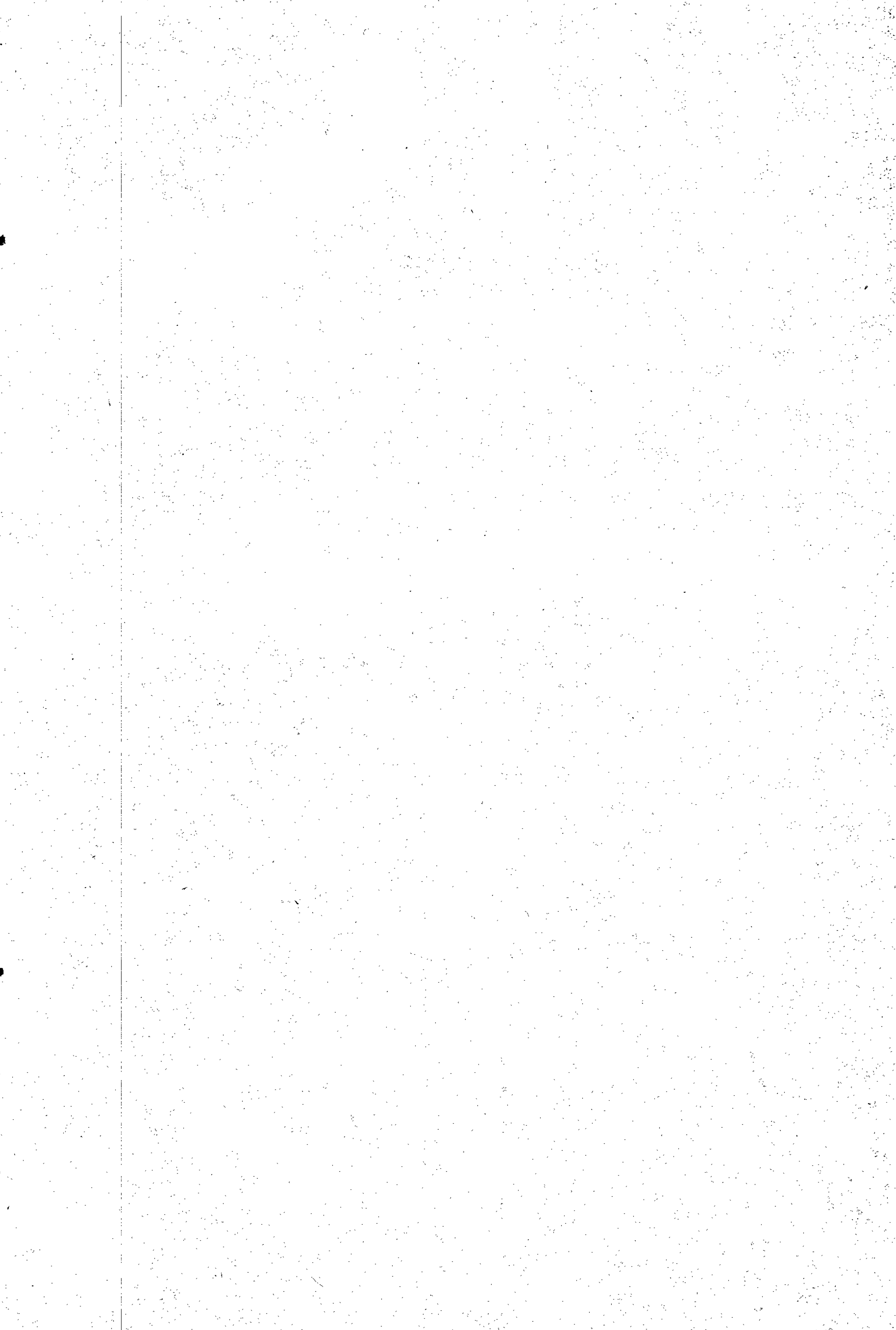
على الرغم من وجود هؤلاء الرواد والعمالقة والمفكرين فان طه حسين استطاع أن يكون أول حائز لجائزة الدولة التقديرية للآداب فى مصر .. قبل العقاد .. وقبل محمد كامل حسين .. وقبل آخرين .. لم يأخذوها .. أو اخـــذوها .

ثامنا ـ أن مساعدة الفرنسيين لطه حسين فى أخذ شهادته خصوصا بعد زواجه من فرنسية ـ شيء عادى جدا يحدث كل يوم لا أجد صعوبة فى قبوله . بعد أن عشت فى بلاد الغربة سنين طويلة ورايت بأم عينى أمثلة كثيرة تشبه حالات طه حسين ..

فالغرب يعتبر زواج العربى من غربية مكسبا أدبيا وثقافيا وأخلاقيا له .. أى تعطى الشهادة ـ لتسلط عليك الأضـــواء كلها كأحد عمالقة العصر ..

والله الموفق وعليه التوكل وهو ولينا وحده ونصيرنا وحده وهو الهادى الى سواء السبيل .

الدكتور ـ جمال حماد
قسم الأمراض العصـــبية
والنفسية جامعة ليفربول ـ
المملكة المتحدة ـ بريطانيا



(٢٨)

هل هو حقاً عميد الأدب العربى ؟

خلفيات ووقائع يجب أن تكشف

فى حياة الدكتور طه حسين

اننى مؤمن تماما انه من اشق الأمور أن يقبـل الناس الرأى الآخر فى انسان عاشوا السنوات الطويلة يسمعون اسمه مقترنا بالاكبار والاجلال والدوى . دون ان يكون من شأن عملهم وظروفهم أو دراساتهم الكشف عن خلفيات هذه الشخصية ومعرفة الخيوط الاستعمارية التى تحرك بعض الممثلين فى المسرح الكبير وتلقى عليهم الأضواء وتستطيع بالجهد والالحاح المستمر أن تثبت فى النفوس والعقول مسلمات كاذبة .

ولست أعتقد أنه من المفروض أن تسلم النفس الانسانية قيادها لفكرة ما الا بعد أن تستوثق تماما من انها الحق فاذا استوثقت كان عليها اذا كانت حقا قادرة على بلوغ الكمال أن تنتقل الى ضوء الحقيقة والا تصر على ما كانت تؤمن به من باطل أو من أمر لم تكن تكشف حقائقه .

وطه حسين حين نقلنا تلك النصوص التى اوردناها عنه لم نكن نقصد الى اتهامه بما وصف بعبارة (اللصوصية) فتلك كلمة لم ترد على قلمنا ولا يعرفها العاملون فى مجال دراسات الفكر والأدب ، ولقد كان على كاتبها أن يفكر كثيرا قبل أن يكتبها لان الذين يشتغلون بالفكر والادب يستعملون الفاظا وعبارات سمحة مهما كانت قسوة الاتهام .

وما أوردناه ، انما جاء على السنة اناس أحياء لهم مكانتهم فى عالم الفكر والأدب فالدكتور محمد صبرى السربونى لا يزال حيا يرزق أطال الله عمره وقد كان زميلا للدكتور طه فى السربون وما نقله عنه الأستاذ أحمد حسين انما نشر فى مجلة أدبية معروفة تصدر فى القاهرة .

وما ذكره الاستاذ عباس خضر أمر لا سبيل الى القول بأنه باطل النسبة اليه أو باطل النسبة الى الاستاذ الهلباوى زميل طه حسين فى الازهر والرجل الذى جاهد طه حسين سنوات طوالا على صفحات جريدته وهذا أيضا

نُشر في مجلة الثقافة التى تصدر في القاهرة فكيف يمكن أن يثار الشك حول هذه الوقائع وهى لا تزيد الحقيقة المعروفة عن طه حسين فى عشرات الوقائع الا ضوءا جديدا ، مستحدثا نشر أخيرا بعد أن مات طه حسين وكان يكمم الكثير من الأفواه . ولكن هذا أيضا ما نشره الدكتور عثمان أمين فى مجلة (الثقافة العربية) حين أشار الى أن طه حسين لم يفهم ديكارت وما أورده عنه لا يمثل حقيقة مفهوم نظرية ديكارت الفلسفية .. ومعنى هذا ان القاعدة الأساسية التى اعتمد عليها طه حسين فى بحثه الذى أحدث الدوى الشديد عن الشعر الجاهلى قام على غير أساس علمى صحيح .. أما ما أشار اليه الشيخ عبد المتعال الصعيدى فى حينه ونشرته الاهرام عام ١٩٢٦ عن ان ما أورده طه حسين انما نقله عن كتاب جرجس صال فذلك أمر لا سبيل الى انكاره لان كتاب جرجس صال موجود فى الأيدى ومطبوع فى مصر ، فضلا عما أورده الدكتور ناصر الدين الأسد من نصوص عن النظرية التى ادعاها لنفسه طه حسين وقد سبقه بها المستشرق اليهودى (مرجليوث) ونشرها فى احدى المجلات الأدبية الفرنسية التى تصدر فى الجزائر ، وتلك امور معروفة فى محيط الأدب لا توصف بعبارة (اللصوصية) الكريهة التى جاءت على لسان الأخ الطبيب الذى حاول الدفاع عن طه حسين بغير أن تكون فى يده الأسلحة الصحيحة .

وقد وصلتنى كلمته بعد وقت لتأخر وصول جريدة الندوة الى القاهرة واذا كانت هذه الوقائع قد اذهلت الذين خدعوا فى طه حسين وظنوا أنه بحق عميد الأدب فان هناك من الوقائع المؤيدة بالوثائق ما يؤدى الى ما هو أشـــد من الذهول ، وما يجعل الدفاع عن مسألة النقل أو التأثر (وهى العبارات الكريمة التى نستعملها بديلا لكلمة الطبيب غير الموفقة (اللصوصية) شيئا لا قيمة له) .

وذلك هو ما يكشفه كتابنا الذى يصدر هذا الشهر فى القاهرة :

(طه حسين . حياته وفكره تحت ضوء الاسلام) .

اننى اعذر الذين يزعجهم كشف خبيئة الرجل ، ولكنى كنت أرجو منهم اذا كانوا يطلبون الحقيقة أن يســألوا عن البراهين والأدلة والوثائق على ما يظنون أننا ندعيه فاذا ثبت لهم ذلك كان عليهم انصافا من النفس واقرارا بالحق واذعانا لأمر الله :

(يا أيها الذين آمنوا لا يجرمنكم شنئان قول على الا تعدلوا : اعدلوا هو أقرب للتقوى) .

ان هؤلاء الذين لم يشهدوا هذا التاريخ ولم يعايشوا هــذه الوقائع معذورون ، فقد سمعوا باسم رنان وشهرة مدوية وطبل قوى الرنين دون أن يعرفوا ما وراء ذلك ، فاردت أن أكشف لهم هذه الخلفيات وهذه المواقف بالحق ، ليتعرفوا عمن اطلق عليه « عميد الادب العربى » ولهم فى ضوء هذه الوقائع ان يحكموا ..

هل يمكن أن يكون مثل هذا الكاتب عميدا للأدب الذى يزدريه ويتعقبه أو قائدا الأمة هو منكر لمفاهيمها لا يدين لها بولاء أو مفكرا لا يثبت اى شيء ويثير من حوله الشكوك والسخريات والأحقاد .

كيف يمكن أن يكون موضع القيادة وموضع الثقة من يقول « ان الانسان يستطيع أن يكون مؤمنا وكافرا فى وقت واحد مؤمنا بضميره وكافرا بعقله ، فان الضمير يسكن الى الشيء ويطمئن اليه فيؤمن به » هذا مفهوم كنسى غربى مسيحى يرفضه الاسلام وينفر منه ، ذلك ان الاسلام هو دعوة التوازن بين الروح والمادة والعقل والقلب ، دين الطمأنينة والسكينة الروحية والالتقاء بين القيم على هدى وبصيرة .

ولم يكن يتصور أولئك الذين دعوا الى انشاء الجامعة ان يعود طه حسين من وراء البحار لينشر فى أنحائها آراءه المصادمة لنصوص القرآن والاسلام ويدعوا الى المجون مصورا فى طائفة من الشعراء الزنادقة ، ولم تكن هذه الآراء الا آراء المبشرين الداعين الى هدم مقومات هذه الأمة ودعائم فكرها .

ولقد هوجم طه حسين منذ اليوم الأول الى اليوم الأخير ، لم تتوقف حركة اليقظة عن متابعته وكشف شبهاته وتزييف آرائه ودحر مخططه ولعل أعجب الأمور يوم قصد مكة وطاف بالبيت مع جماعة اللجنة الثقافية للجامعة العربية ولست أدرى كيف وقف الرجل الذى أنكر وجود ابراهيم واسماعيل واقامتهما للكعبة ، كيف وقف أمام الكعبة .

وفى وقائع حياة طه حسين ما يكشف تلك الخلفيات التى تدل على اتجاه الريح .

ويقول طه حسين فى كتابه من مذكرات طه حسين ص ٢٠٣ الذى أصبح من بعد (الأيام : الجزء الثالث) :

اقبل من ضحى ذلك اليوم على أستاذ تاريخ القرون الوسطى وكان من أعظم أساتذة السربون قدرا هو الدكتور شارلى ديل فاذا الاستاذ قد كتب على أوراق صغيرة أسئلة كثيرة وضعها أمامه وجعل الطلاب كلما اقبل واحد منهم على الاستاذ يرمقونه ويرقبون ما يسعفه به الحظ ، ويقبل صاحبنا (أى الدكتور طه) ترافقه زوجه فاذا أخذت ورقة ودفعتها الى الأستاذ .. نظر فيها ثم ابتسم ثم قال فى صوت عذب :

ــ لقد اسعدك الحظ بمرافقة هذه الآنسة ، حدثنى اذن عن الامبراطورية العربية أيام بنى أمية ، وما أرى الا انك تعرفها .

واندفع الفتى فى حديثه لا يلوى على شيء حتى وقفه الاستاذ قائلا :

ــ حسبك فقد ظفرت بالدرجة العليا .

هذا ما سجله طه حسين وهذا ما دفعه الى النجاح ورقة ربما قالت فيها السيدة للأستاذ : ان هذا هو الرجل المرجى فى مصر لخدمة الثقافة الفرنسية ، وربما قالت له شيئا آخر .

واذكر يوم أصدر الشعر الجاهلى وسارت المظاهرات الى سعد زغلول تطالب برأسه فقال سعد :

ان مسألة كهذه لا يمكن أن تؤثر فى هذه الأمة المتمسكة بدينها هبوا أن رجلا مجنونا يهذى فى الطريق فهل يضير العقلاء شىء من ذلك . ان هذا الدين متين وليس الذى شكك فيه زعيما ولا اماما حتى نخشى من شكه على العامة فليشك ما شاء : وماذا علينا اذا لم يفهم البقر .

ومن يومها انطلق طه حسين تحت اسم الرحمة لرجل كفيف أو التجاهل لرجل يهذى . ولكن طه حسين كان يقطع الطريق من مرحلة الى مرحلة مؤثرا فى المناهج الجامعية ثم المدرسية وفى مناهج الثقافة والأدب والتاريخ والفكر جميعـــا . ففى كل ما تناوله سموم مدسوسة وآراء للاستشراق منشورة .. وشبهات مثارة وشكوك منطلقة وكتب تدرس فى الجامعة تتناول الاسلام والرسول بعبارات فاحشة وحفلات رقص فى الجامعة وفى بيوت الطالبات وشعار فرعونى للجامعة والاحتفال برينان عدو الاسلام .

وبعد هذا كله يكتب طه حسين عن نفسه فيقول :

« انى أعرف نفسى اكثر مما يعرفها غيرى ، وان الذين ينتقدون ويعيبون ويشهرون لا يعرفون من عيوبى الا اقلها » .

نعم : لا يعرفون مثلا قصة صلته بالكنيسة فى فرنسا وهى قصة مشهورة رددها كثيرون فى صحف مكتوبة ومحاضرات منشورة . ولا يعرفون ذلك الولاء الخفى للصهيونية الجاثم وراء النصوص والكلمات وانكار ابراهيم واسماعيل ثم دار الكاتب المصرى وماوراء الصهيونية من شيوعية فى دعوته الى تصوير مؤامرات القرامطة والزنج وغيرها على انها حركات عدل وحرية .

وآراء بعد ذلك مسروقة ، أخذها من هذا المستشرق وذاك وقال أولياؤه انه ألقى بذرة الحرية ولو قالوا : انه ألقى بذرة الشك لكان تصورهم أعمق للأدب الذى كتبه طه حسين والذى يقوم على عبارات :

(لست ادرى ، ما اظن ، يخيل الى ، احسب أن كذا) وكل نتـــاج طه حسين يسير فى هذا الاتجاه الذى يشكك فى كل قائم وحق وموروث ولا يقرر شيئا ما حتى عده بعض الباحثين زعيما للشاكين والمشككين .

امران خاض فيهما طه حسين لحساب الصهيونية :

١ ــ انكاره ذهاب ابراهيم واسماعيل الى مكة وبناء البيت .

٢ — أنكاره شخصية عبد الله بن سبأ اليهودى رأس الفتنة فى قصة عثمان .

وفى الجامعة ووزارة المعارف قال الكثيرون : لقد انتهى عهد دنلوب وبدأ عهد طه حسين .

وحرقت كتبه فى دمشق وقامت المظاهرات فى القاهرة وكتب الكثيرون يكشفون زيفه فى عواصم كثيرة . ولكن قوى الاستعمار والصهيونية كانت تظاهره وتحميه ، ولجأ التغريبيون كلهم الى مفهوم الأصالة العربية والاسلامية الا هو فقد ظـل حريصا حتى آخر أيامه على أن يكون من أولياء الغرب والاستشراق ..

وفى كل معركة كان يدخلها يمنى بالهزيمة وكل فكرة قدمها طاردتها فكرة أكثر منها حقا وأصالة وايمانا ، دافع عن الالحاد ودافع عن الفرعونية ودافع عن الشك ونافق الغربيين والأحزاب وهاجم الأزهر والاسلام ، وعارض كل شىء أصيل فى أفق الفكر الاسلامى وشكك فى التراث القديم ووقف موقف السخرية من الدين وعلمائه ، وحمل لواء حضارة البحر المتوسط والأدب اليونانى ووصف بأنه سفير الغرب وادخل الأساطير مرة أخرى الى سيرة الرسول ، وأخذ كل نظرياته من مستشرقين هم خصوم لأمته ووطنه وللاسلام ، أخـذ من (دوركايم) رأيه فى ابن خلدون ومن (سانت بيف) دعوته الى شعر المجون والغزل العلمانى ومن (بلاشير) رأيه فى المتنبى ومن (كازانوفا) الصهيونية انكار هجرة ابراهيم عليه السلام الى الحجاز وبنـاء الكعبة مع اسماعيل وقال انهـا بالرغم من انها وردت فى القرآن فهى اسـطورة وانكر القراءات السـبع التى جاءت عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وبالجملة فأن ابرز وجـوه الاضطراب فى مفاهيم طه حسين تتلخص فيما يلى :

١ — كسر قاعدة ترابط الأدب العربى بالفكر الاسلامى .

٢ — أنقص قدر الرعيل الأول من الصحابة ووضعه موضع النقد وعامله على اسلوب محترفى السياسة .

٣ — وصف القرن الثانى الهجرى وبه جلة علماء المسلمين على أنه عصر شك ومجون .

٤ — اذاع الأدب المكشوف سواء ما بعثه من الأدب العربى القـديم (بشار وأبى نواس) أم من الأدب الفرنسى الذى ترجمه .

٥ — حمل على الاسلام من خلال الأزهر ، دعا الى الفرعونية ودعا الى العلمانية ودعا الى الغاء التعليم الدينى .

٦ — أشاع الاسطورة فى السيرة النبوية .

٧ — عمد الى تدمير الشخصيات الاسلامية اللامعة : وفى مقدمتها ابن خلدون والمتنبى .

٨ — حاول تتبيع الأدب العربى للأدب اليونانى وتتبيع الفكر الاسلامى للفكر الغربى .

٩ — اعتمد مصادر زائفة وناقصة مثل كتاب البلاذرى فى عبد الله بن سبأ والأغانى فى وصف القرن الثانى الاسلامى بعصر الشك والمجون .

١٠ — تبعيته الظاهرة التى يفاخر بها للاستشراق والتبشير والتغريب .

١١ — موقفه بالمتابعة من الصهيونية العالمية .

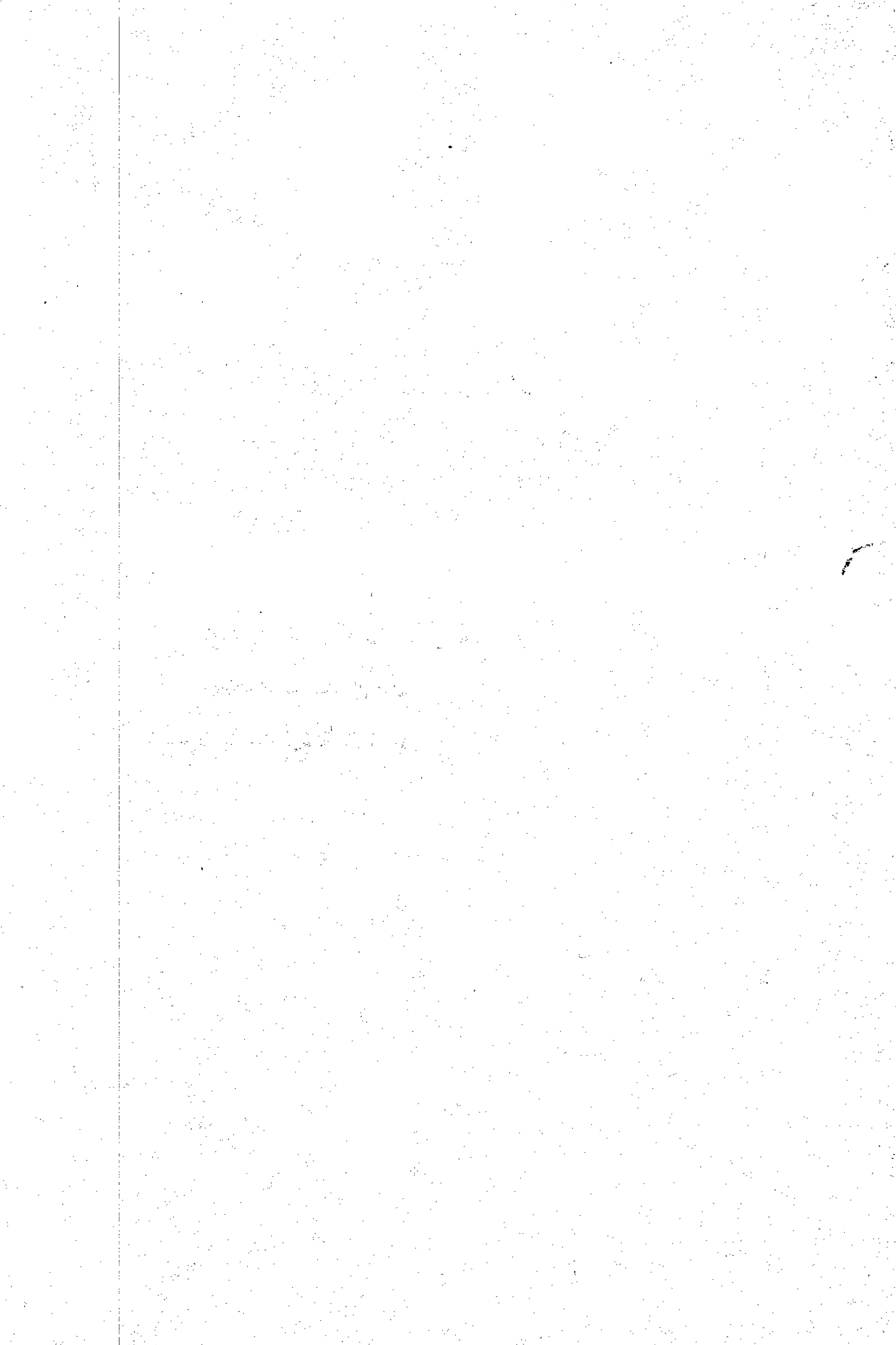
١٢ — سوء موقفه من أساتذته وزملائه وطلبته وتجريحهم ونقدهم .

تلك خطوات عامة أردنا بتقديمها أن نقول للذين يظنون أن ما نكشفه عن طه حسين هو من قبيل التجنى أو التزيد ، ان الأمر أخطر مما يظنون وان الشهرة المدوية والكلمات التى تجرى على الألسنة والصحف يجب أن لا تؤخذ مأخذ الحقيقة مهما كان قائلها علو شهرة أو مكانة ، وان الأسلوب الصحيح لفهم الناس وفهم القادة لهذه الأمة يجب أن يخضع لمنهج القرآن وأسلوب الاسلام الذى عرف به رواة الحديث والمؤرخين والأعلام وهو منهج « الجرح والتعديل » وعلى كل من تلوذ به ثلمة أو شبهة ما ان نقف منه موقف التحرز والتحوط حتى نكشف ما وراء نحلته وهواه ، ولقد دخل على المسلمين فى العصر الحديث شر كثير نتيجة الانخداع بالاسماء الرنانة والشهرة الزائفة ولكنهم الآن أصبحوا أكثر قدرة على فهم الدخائل وأكثر عمقا على تبين الحقائق التى خدعهم بها الاستعمار والصهيونية والماركسية طويلا وراء « لافتات » كاذبة ومصطلحات خداعة .

* * *

الباب الحادى عشر

ياشبـــاب الإســـلام



(١)

يا شباب الاسلام

ان الشباب اليوم : يسأل عن الطريق الصحيح .

ولا ريب أن تساؤله هذا فى حد ذاته دليل على الرغبة فى التماس وجهة الخير والاصالة والضوء الكاشف حين يرى تشعب الطرق واختلاف الدعوات التى توجه اليه . منها ما يدعوه الى الانطلاق الكامل ومنها ما يدعوه الى الانطواء الكامل . وهو لن يجد الأمن والسلامة والضوء الحقيقى الذى ينير البصر والبصيرة الا فى ظل مفهوم الاسلام فالاسلام دعوة تحرر واستجابة جامعة بين الرغبات المادية والأشواق الروحية ، صادرة عن الايمان بالتكامل الجامع بين النفس والجسد والعقل والقلب ، والدنيا والآخرة .

ولا ريب أن مفتاح الأمر كله أن يعرف شبابنا ما هى مهمته فى الحياة ، التى خلق من أجلها الانسان ، وتساءل عن ما هى أمانته ومسئوليته وجزاءه الدنيوى والأخروى .

ان الهدف الأساسى : هو أن يكون الانسان المؤمن بالله عاملا نافعا فى بناء المجتمع الربانى الذى يحل ما أحل الله ويحرم ما حرم ، وان يكون مقتنعا تماما أن هذه الحياة الدنيا مسئولية وتبعة ، وليست لعبة أو منطلق أهواء ورغبات كما يحاول بعض كتاب القصة أن يقول ذلك عن باطل مجلوب من مجتمعات أخرى . وأن يؤمن بأن الدين الحق الذى أنزله الله تبارك وتعالى هو طريق هداية للانسان حتى لا ينطلق مع رغباته وأهوائه ، وليعرف حقيقة طبيعته البشرية ومهمته فى الحياة من أجل الدنيا نفسها ، لتكون محصلة خير ، تصلح به الدنيا وتهيىء لصاحبها أن يكون قادرا على اقتحام المرحلة التالية لهذه الحياة ، وهى الحياة الأخرى : الكبرى : الحياة فى دار الخلود.

وليس معنى هذا أن ننصرف عن هذه الحياة ، ولكن معناه أن نعمل فيها بروح الايمان والتساند والاخوة والجماعة وتقدير المسئولية فى سبيل رفع البناء مع حقنا الكامل فى كل معطياتها مع تحقيق كل نوازع النفس فى الطريق السليم الذى رسمه الدين حماية للانسان من تدمير نفسه بالانطلاق المندفع أو بالانصراف المطلق ، فقد أشار القرآن الكريم الى أن هذا الذى أحله الله للانسان لا يجوز الانصراف عنه ، كذلك ، فان هذا الذى حرمه الله لا يجوز اقترافه ، وقد أباح الله تبارك وتعالى كل شىء ما عدا أشياء

قليلة جدا لا تنقص الانسان شيئا اذا ما تجاوزها ، وفى كل ما احله ، جعل له أسلوبا قائما على الاعتدال والكرامة والخلق حتى تكون العلائق بين الانسان والانسان ، والانسان والمجتمع ، طيبة كريمة بعيدة عن الصراع والخصومة والأحقاد ، وهى من ناحية أخرى تعمل على حماية هذا الكيان البشرى الضعيف من أن تتحطم على صخرة الأهواء والشهوات ، كما تقيه الوقوع فى براثن الاضطراب والتمزق والاحساس بالغربة أو الغثيان .

اذن فهى حرية مضبوطة ، لها اطارها الواسع ، وحركتها الطليقة الى حدود وضوابط تحمى الفرد من الخطر وتحمى المجتمع نفسه من أن يأخذ أحد ما ليس له وما هو من حق الآخرين ثم اقامة علاقة سليمة بين مختلف أجزاء المجتمع . تلك هى أهداف الاسلام فى رعاية الشباب : أعطاه اسلوبا للحياة ليس عشوائيا ولا تحكمه الأهواء ثم أعطاه مفاتيح الفهم الواسع لحياته ولمجتمعه وللكون وللحياة ، ولهذا الوجود كله منذ براه خالقه الى يوم تقوم القيامة وتبدأ الحياة الأخرى التى يحاسب كل انسان فيها بما قدم فى هذه الحياة ويجزى بالجزاء الذى يستأهله نعيما او عذابا .

٢ — ومن هنا فان تلك التيارات التى تهب على الشباب يجب أن تواجه فى حرص ويقظة وان ننظر اليها نظرتنا الى شىء غريب وافد ، فلا هى من منطلقات مجتمعنا ، ولا هى مرتبطة بظروفنا ، ولا صادرة من عقائدنا ، ولا نابعة من فكرنا ولا تاريخنا ، ولا من قيمنا ، ولكل أمة تاريخها وعقائدها وأسلوب حياتها الذى شكلته قرون طويلة وتحديات مختلفة ولكل أمة محاولتها فى علاج مشكلاتها وتحدياتها ، وقد اختار الغرب هذه الأيدلوجيات والنظريات فى مواجهة ظروفه ، فهل حققت نتائج صحيحة ، وهل اسعدت شبابه وهل ردت اليه الأمن والطمأنينة وسكينة القلب . وهل كشفت أمامه طريق الخير وهى من صنع يده ومن تجار كبار عقلائه وفلاسفته . الواقع : انها لم تفعل ، ودليلنا أن أزمة الشباب مع تحديات مجتمعه وحضارته لا تزال قائمة ، ولا تزال متأججة ، وهى تزداد كل يوم سوءا ، اذن فالطريقة التى حاول الغرب أن يعالج بها قضاياه لم تحقق له شيئا ، بل نستطيع أن نقول أنها عجزت عن احلال الأمن والسكينة فى النفس أو تقضى على التمزق والغربة التى يقاسى منها هذا الشباب ، واذا كان ذلك كذلك فكيف تصلح هذه الطرائق لنا ، وهى لم تنجح فى بيئتها من ناحية ، وتختلف مع ظروفنا وعقائدنا من ناحية أخرى .

وهنا يجب أن يعرف شبابنا أن هناك قوى غاصبة تختفى من وراء طرح هذه القضايا ونقلها من بيئة الى بيئة أخرى ، ان من وراء ذلك قوى ترغب فى تدمير الأمم وتحول دون نهضة أمة المسلمين بالذات وانى لأرجو أن يقرأ شبابنا بروتوكولات صهيون ، وغيرها من كتابات كشفت عن هذه المخططات ، وفضحت هذه المحاولة الخطيرة التى ترمى الى تدمير الشباب لأنه هو رصيد أمته ومجتمعه للجيل القادم ، فاذا دمر هذا الشباب استسلمت هذه الأمة للنفوذ الأجنبى الذى يحاول أن يلتهمها فلا يجد طريقة الا فى هدم مقدراتها فى نفوس الأجيال القادمة علينا أن نعرف هذه الحقيقة الحاسمة : حقيقة الخطر الذى يكمن من وراء التيارات الوافدة وأن نؤمن بأنه ليس

هناك دفاع فى مواجهة هذا الخطر غـــير ذلك الطريق الذى يرسمه الدين الحق لاضاءة الساحة أمام النفوس المسلمة وليس هناك من حماية الا المعرفة الكاشفة ، والتعرف الصادق على هذه الأخطار والحذر منها .

ولكن : ليس كل ما يفد الينا خطر ، فان هناك أشياء كثيرة نافعة وصالحة لكى ننمى وجودنا ولكن كل ما يترجم يجب أن ينصهر فى بوتقتنا فيزيدنا قوة ولا يكون مصدرا لهدم شخصيتنا .

على أساتذتنا عندما يترجمون لنا قصة أو كتابا أن يقدموه بمنهج واضح يبدأ فى النقطة الأولى من فكرنا ويكشف وجهة النظر الأخرى ومدى التئائها ، واختلافها فى صميم قيمنا ، فنكون على بينة من أنها نظرية مفترضة وليست حقيقة مسلما بها ، لا بد من اضاءة الطريق أمام شبابنا فى كل هذا الركام الضخم الذى يترجم الينا ولنعلم أننا فى حاجة الى العلم والتكنولوجيا وحدهما أما أسلوب العيش وعلوم الانسانيات فان لنا منهجنا الذى هو المثل الأعلى للفكر الذى تتطلع اليه الانسانية .

٣ ــ أما الفتاة المسلمة فانها تستطيع اذا فهمت رسالتها الحقة التى تتفق مع طبيعتها وفطرتها وما أعدت لكى توفق فى حياتها ، عليها وعلينا جميعا أن لا نكسر أحكام ديننا فى سبيل ارضاء متطلبات العصر ، ولكن علينا أن نوائم بين متطلبات العصر وبين ضوابط المجتمعات الربانية الحامية للأفراد والجماعات من خطر الانهيار والتمزق والتدمير ولتعلم فتاتنا المسلمة أن تعليمها هو من أجل رسالتها ومن أجل الغاية الكبرى وهى بناء البيت ورعاية الزوج وتنشئة الأجيال ، وأن هذه الغاية مقدمة على كل غاية ، بل ولا يجوز التضحية بها لأى غرض بل يجب التضحية بكل غرض فى سبيل حماية هذه الغاية الكبرى .

وعليها أن تعرف كيف تختار رفيق الحياة فيمن يتقدم اليها وأن تكون مقاييسها هى مقاييس الايمان الذى يحميها من كل باطل وزيف وضـــلال . وان عمليات التعرف يجب أن تظل تحت مظلة الاسرة ومع الأهل الذين يعرفون أكثر والذين جربوا وأن يتم ذلك باسم الله وفى حدود ما أحل الله .

وبينما أكتب هذا يصلنى كتاب الأخ الجليل الاستاذ أحمد محمد جمال ــ من أجل الشباب ــ فأجد هذا الالتقاء الواضح بيننا ــ ذلك لاننا نصدر من نبع واحد هو الاسلام الدين الخالص الذى يجمع بين المسلمين على مفهوم صادق لا يتخلف .

مصابيح على الطريق

البيرونى حقق مسألة علمية وهو على فراش الموت :

لا تزال صور التاريخ الاسلامى تكشف عن عظمة هـــذه الأمة وتقدم قدرات عالية من هذه النماذج : هذا الرجل العظيم هو **البيرونى** :

روى ياقوت بن النيسابورى أن قاضيا من أصحاب أبى الريحان البيرونى قال : دخلت على أبى الريحان وهو يجود بنفسه وقد حشرج نفسه وضاق صدره فقال لى فى تلك الحال :

— كيف قلت لى يوما شيئا عن حساب المبرات الفاسدة ؟.

قلت له اشفاقا عليه : أفى هذه الحالة ؟.

قال لى : يا هذا ، أودع الدنيا وانا عالم بهذه المسألة . الا يكون خيرا من أن أخليها وانا جاهل بها .

فأعدت ذلك عليه وحفظه وعلمنى ما وعد .

وخرجت من عنده وانا فى الطريق سمعت الصراخ .

ذلك هو البيرونى العالم المسلم الذى عرف بأثره الضخم الذى تركه فى علم النظائر والذى ما زال حتى اليوم باقيا فضلا عن كتابه عن الهنـد الذى ظل مرجعا يستقى منه الكتاب والمؤرخون اكثر من ثلاثمائة عام .

كان طبيبا وفلكيا ورياضيا وجغرافيا ومؤرخا وعالما بالطبيعيات وله مشاركة فعالة فى الفلسفة والعلوم اللغوية والأدب والشعر والفقه .

كما عرف بتعدد فنون العلم وبالمساهمة فى تقدم هذه العلوم .

عاش للعلم منصرفا الى التصنيف ، قيل أنه كان لا يكاد يفارق القلم يده والنظر عينيه والفكر قلبه . وقد حرص على قراءة ثقافات الأمم الأخرى من مصادرها الأصلية دون الاعتماد على الترجمات . ولذلك درس السريانية والعبرية والسنسكريتية يقول ياقوت أنه ذكره فى الأدباء لأن الرجل كان اديبا لغويا له تصانيف فى ذلك . اما سائر كتبه فى علوم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فانها تفوق الحصر ، رأيت فهرسها فى وقف الجامع فى نحو الستين ورقة وبخط مكتنز . وقد عرف من بعد أن كتبه تبلغ بين مطبوع ومخطوط مائة وثمانين كتابا .

ويقول عنه لويس ماسنيون :

لقد فهم البيرونى تمام الفهم الدور العالمى للغة العربية بوصفها بين اللغات السامية — أهم لغة حضارة — وادرك مقدرتها على التركيز والتجربة وتراكيبها عن طريق الاشتقاق بدلا من الزوائد وقيمتها فى توحيد المتكلمين بها .

ويقول عنه ارثر ابهام بوب : البيرونى من أبرز العقول المفكرة فى جميع العصور ، يتميز بالصفات الجوهرية التى تخلق العالم ، وانه لفى الامكان تجميع عدد كبير من الاقتباسات عن مؤلفات البيرونى كتبها منذ الف سـنة وهى تستبق كثيرا من المناهج والمواقف العقلية التي تفترض اليـوم انها حديثة .

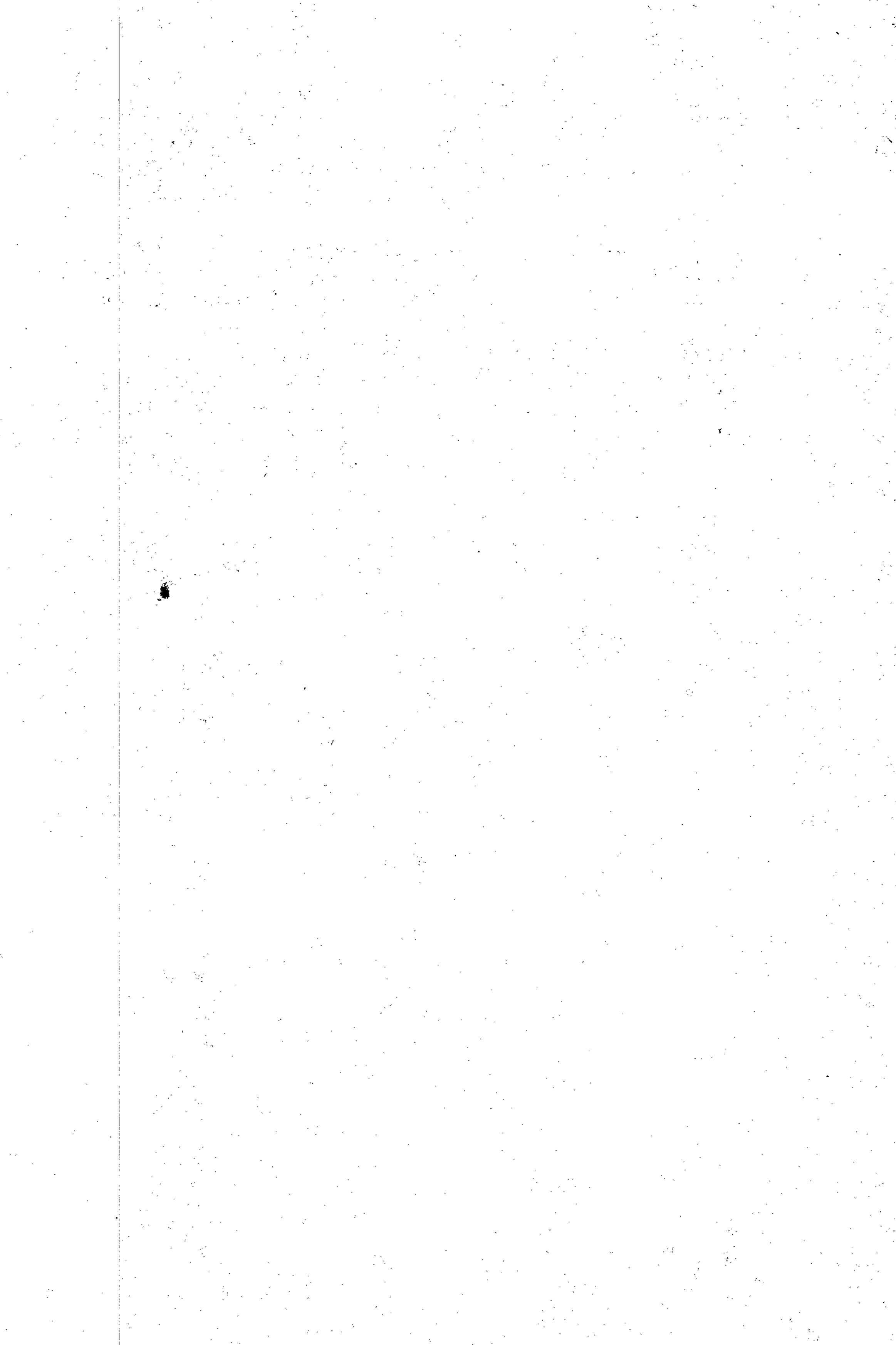
هذا شيء من رأى العلماء والباحثين فى هذا العلامة الاسلامى الكبير الذى ظل تاريخه وفضله محجوبا الى عهد قريب حتى كشف عنه الباحثون الادبيون : ولد فى ضواحى خوارزم — سبتمبر ٩٧٣ م — ورحل الى جرجان فى شبابه والتحق ببلاط أميرها قابوس بن وشمكير الملقب بشمس المعالى وقد اتصل الود بينه وبين ابن سينا .

الف كتابه — الآثار الباقية من القرون الخالية — وأهداه الى شمس المعالى : الكتاب يبحث فى تقاويم الأمم القديمة واعيادها ومواسمها ومقارنة ذلك بعصر المؤلف .

عاد الى خوارزم فعاش فى بلاط أميرها أبو العباس المأمون بن محمد ، ثم لما استولى محمود سبكتكين على خوارزم اخذ فى الاسرى ثم استبقاه السلطان لعلمه واخذه معه الى بلاده . ودخل أبو الريحان الهند مع السلطان فى فتوحه فى تلك البلاد التى استمرت الى عام ١٢٠٤ وكانت فترة اقامة البيرونى فى بلاط غزنه أبرز فترات نشاطه العلمى واكثرها انتاجا .

بحث فى كتابه — الآثار الباقية — الذى ترجم للانجليزية عام ١٨٨٧ عن الشهر واليوم والسنة عند مختلف الشعوب والأمم القديمة من آشوريين ويونانيين الى وقت البيرونى وهو أول مبحث للاشهر الفارسية والعبرية والروحية والهندية والتركية بين كيفية استخراج التواريخ بعضها من بعض .

* * *



(٢)

الشباب المسلم مدعو للوعى لما يقرأ

وددت ان اضع كتابا عنوانه ((قبل ان تقرا)) أوجهه لشبابنا المسلم ليكون حذرا من كل ما هو مكتوب ومذاع ومنشور سواء أكان صحيفة او كتابا او مسرحية او فيلما سينمائيا ، ان علينا ان نعرف خلفيات ما نقرأ مما يعرض علينا وأن تكون لنا أرضية فى الفهم والأصالة تقوم على معرفة التحديات الحقيقة التى تواجه مجتمعنا اليوم وما زالت قائمة بالرغم من التحرر الذى شهده العالم الاسلامى من النفوذ الاستعمارى . ذلك أن هناك نفوذا فكريا وثقافيا ما زال مستمرا فى ثنايا التعليم والثقافة .

فعلى شبابنا المسلم أن يكون واعيا لما يقرأ ، وأن لا يغرينه بريق الكتاب أو لمعان الاسم من الخضوع له قبل أن يعرف مدى اسلاميته وأصالته ومدى صلته بأمتنا وديننا وعقيدتنا ، اننا يجب ألا نضع ثقتنا الا فى الفكر الأصيل .

ان هناك قوى كبيرة تطرح فكرها وتنفث سمومها تحت أسماء مغايرة ، فشبابنا فى حاجة الى ضوء كاشف يهديه ، انه ينظر فيرى هذه الكتب مكدسة فى كل مكان مترجمة أو مؤلفة ، كتابها مسلمون أو عرب أو أجانب فيقرؤها دون أن يلتفت الى الغاية أو الخلفية ويظن أن ما يقرأ هو صحيح أو هو حق كل الحق فيأخذ به وهذا هو مصدر الخطر .

لقد دخل الى فكرنا زيف كثير وفرضت مسلمات كثيرة نحن فى حاجة الى أن نعيد النظر فيها .

« نحن نعرف الرجال بالحق ولا نعرف الحق بالرجال وهذا أعظم منهج يضيىء لنا الطريق » .

ان علينا أن نعرف أن أمتنا تقع فى مكان الصدارة من العالم كله ، ولذلك فهى مطمح الغزاة من قديم ، ونحن نعيش اليوم الغزوة الصهيونية بعد غزوة الاستعمار ، ومن قبل جاءت موجة الحروب الصليبية وحروب الفرنجة ، كل يقنعنا بصدق الوصية التى دعانا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الجهاد ماض الى يوم القيامة وأن المواجهة لن تتوقف بين أهل الاسلام وبين خصومه وان علينا أن نكون مرابطين الى يوم القيامة ندفع عن أرضنا وقيمنا وعقيدتنا .

يجب أن نقف موقف الحذر من كل ما تلقيه الينا المصادر الغربية والوافدة ، لقد خدعنا بأسلوب الغرب فى الحكم والتربية والاجتماع وجرينا وراء التجربة الغربية حتى نهايتها وعندما أخذنا فى تحطيم هذا القيد اصبحنا على طريق الأصالة : طريق الجهاد طريق الشريعة الاسلامية والتربية الاسلامية ، لقد مر المسلمون من قبل بمثل تجربتنا وانتصروا فيها حين التمسوا الأصالة واستمسكوا بالشريعة الاسلامية ، وعلينا أن لا تحتوينا المذاهب والأيدلوجيات وعندنا منهج القرآن الجامع الذى لا ينحرف ليس هو مذهب الفلسفة ولا العقلانية ولا الجبرية الصوفية ولا الحدس الوجدانى كل ذلك ركام باطل جددته الباطنية والمجوسية والشعوبية وأعادت صياغته من جديد لتضرب مفهوم التوحيد الخالص .

ان علينا أن نعرف قبل أن نقرأ من نقرأ له وما هو هدفه وما غايته ، وأن نحذر من الفكر الوافد لانه ليس فكر أمتنا ولا يمثل قيم مجتمعنا .

يا أمة محمد :

الحديث مع الشيخ عبد الحميد كشك ذو شجون :

يا أمة محمد ان محاولة المقارنة بين الاسلام والشيوعية انما هى نوع من الجدل العقيم الذى ينبغى أن يعف عنه المسلمون اذ لا سبيل للمقارنة على الاطلاق بين الاسلام والشيوعية .. فالاسلام عقيدة ومنهج الهى نزل به الوحى المعصوم .

بينما الشيوعية مذهب مادى الحادى نادى به بشر يكفيه جهلا وظلما انه لا يؤمن بالله وانا نحذر من الانسياق وراء ما يرفعه أعداء الله من شعارات كاذبة وما ينطقون به واريد به باطل . فالاسلام وحده هو العدالة التى نادى بها الرسول عليه الصلاة والسلام حينما قال :

« ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع » .

يا أمة محمد :

ان المجتمع الاسلامى المعاصر قد تعرض لنكسة حضارية واخلاقيـــة توشك أن تدمره وان هذا المجتمع يقف الآن أمام خيارين لا ثالث لهما . اما العودة الى الله واما الاندفاع الى الهاوية ان الاسلام وحده هو القـــادر على مواجهة مشكلات العالم وان المناهج الوضعية جميعها قد اثبتت افلاسها ولم تخلف وراءها الا الخراب وعلى المفتونين بالغرب ان يذكروا أن برنارد شو من أكبر مفكرى الغرب هو الذى قال : لو أن محمدا بن عبد الله موجود بيننا لحل مشاكل العالم ريثما يتعاطى فنجانا من القهوة .

ان المجتمع الاسلامى اليوم فى حاجة الى القدوة الحسنة وانه لن تكون هناك قيادة صحيحة الا اذا كانت فى نفس الوقت قدوة ، ولن تصل الكلمة

الى القلب الا اذا تطابقت مع السلوك والا ادى ذلك الى نوع من الانفصال الشبكى العنيف الذى يؤدى بالمجتمع الى اضطراب نفسى وتمزق .

يا أمة محمد ، يا خير أمة اخرجت للناس ما لى أراكم والحيرة تعصف بكم والقلق يمزقكم تتلفتون يمينا ويسارا ، تبحثون عن مخرج وبين يديكم المنهج الصحيح القادر على أن يخرجكم من الظلمات الى النور .

يا أمة محمد ، لقد جربتم الراسمالية وجربتم غيرها من نظم فما زادكم ذلك الا فقرا وجهلا ومرضا فلماذا لا تجربون الاسلام ، جربوا الاسلام مرة فقد طبقه الخلفاء حتى جمع عمر بن عبد العزيز الزكاة فلم يجد مسكينا واحدا يأخذها فأصدر قراره المشهور بأن من عليه دين فوفاء دينه من بيت مال المسلمين ، ومن كان يريد العتق فعتقه من بيت مال المسلمين ومن كان يريد الزواج فزواجه من بيت مال المسلمين .

جربوا الاسلام مرة واحدة يا أمة محمد دعوكم من قضايا الشرق والغرب وعودوا الى شجرة طيبة تؤتى أكلها باذن ربها شجرة أصلها ثابت وفرعها فى السماء .

* * *

(٣)

مسئولية أصحاب الأقلام

فى هـــــذا العصر

ان مسئولية أصحاب الأقلام هى من كبرى المسئوليات والتبعات من حيث أنها ترتبط بمواجهة الأخطار التى تواجه الأمم ومن حيث أن الله تبارك وتعالى وضع مخطط هذا العمل بقوله تبارك وتعالى ((ن والقلم وما يسطرون)) وقوله تعالى : ((اقرأ باسم ربك)) فجعل القراءة والكتابة خالصة لوجهه تعالى وجعل العمل الذى يشتق من القلم والعلم والفكر ربانيا مبرءا من الأهواء وجعل مسئولية البيان من أبلغ مسئوليات الاسلام الذى أنزل الله بيانه بلسان عربى مبين .

ففرض على من يعلم أن ينقل ما علمه الله الى من لم يعلم من الناس لا يكتم مما يعلم شيئا ، وبذلك تحددت رسالة الكتاب والدعاة والباحثين المسلمين على نفس الطريق الذى سار فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وحملة العلم عصرا بعد عصر وجيلا بعد جيل ، وشاء الله تبارك وتعالى أن تكون هذه المرحلة التى نعيشها حافلة بالتحديات والأخطار ، وتحتاج الى جهد ضخم مكثف فى سبيل مواجهة الأخطار .. هذه الأخطار التى عرفها الاسلام منذ يومه الأول والتى لن تتوقف وقد سجل ذلك الحق تبارك وتعـــالى فى قوله : « ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا » .

ولقد شاء الله تبارك وتعالى للباطل أن يصارع الحق ولكنه لم يأذن بأن يصرعه ، فانه وعد تبارك وتعالى أن يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق . وان يجد المسلم وجوها عديدة من الخطر والتحدى لابد أن يتصدى لها ويقف أمامها فى قوة « خذوا ما اتيناكم بقوة » ويردها عن دينه ومجتمعه « وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله » فلا بد من التماس المنابع وعرض كل ما يطرح فى أفق الفكر الاسلامى من نظريات ومذاهب وأيدلوجيات وافدة على ذلك الأصل الأصيل : القرآن الكريم ذلك النص الموثق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، مصدر الضياء الأوحد وصلة الأرض بالسماء وكلمة الله الخالدة الباقية فى أعقاب المسلمين جيلا بعد جيل الى يوم يبعثون .

وهو الحق الذى نلوذ به وصدق رسول الله « تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا أبدا : كتاب الله وسنتى » (*)

والمسلمون اليوم على مشارف القرن الخامس عشر الهجرى الذى تهل أضواؤه وتشرق شمسه بعد سنوات معدودة يواجهون خطرين عظيمين . خطر يتصل بعقيدتهم وهو خطر المذاهب المادية التى تتصل بثقافتهم وتعليمهم والتى تقدم لهم مجموعة من المفاهيم الضالة المضلة التى تحجبهم عن جوهر التوحيد الخالص .

وخطر يتصل بمجتمعهم ويتمثل فى تلك الاخطار التى تتصل بالشباب والمرأة والاسرة والمجتمع والطفل والتى تثيرها قصص ومسرحيات وأغان ، ودعوات ضالة تحاول أن تدمر هـذا البناء الاجتماعى الشامخ الذى بناه الاسلام .

والهدف من كل ذلك أن يتحقق لليهودية العالمية السيطرة على العالم كله بعد تدميره اجتماعيا وأخلاقيا ، وأمامنا بروتوكولات صهيون تكشف بوضوح عن هذه المؤامرة الخطيرة والتى تمر الآن بأخطر مراحلها منذ وقعت بلاد فلسطين وبيت المقدس تحت النير الصهيونى والاحتلال اليهودى الذى يحاول أن يدعى دعوى باطلة يقيمها على اسطورة زائفة لاستلاب ارض المسلمين .

ولقد جاء الاحتلال اليهودى الصهيونى مرحلة جديدة من مراحل الامتحان الخطير الذى يواجهه المسلمون العرب .. والذى بدأ بالاحتلال الفرنسى البريطانى الذى أوشك على نهايته واستطاع أن يكشف أمام المسلمين فساد الخطة التي كانوا يتخذونها وسيلة للحرية وهى اصطناع أساليب الغرب فى العيش والحياة ، والتماس مناهجهم فى التعليم والثقافة .

وقد تبين اليوم ان هذه التبعية الخطيرة هى التى أذاقتهم بأس الاستعمار : احتلالا وهزيمة ونكسه خلال اكثر من ثمانين عاما تقلب المسلمون فيها بين مناهج الديمقراطية الغربية والماركسية الشيوعية .

وقد عجزت كلتا التجربتين ان تمد المسلمين والعرب بمنهج حياة يحررهم من السيطرة أو يدفعهم الى النهضة ، وقد تكشف الآن بما لا يدعـو الى الشك بأن هذا الاسلوب زائف وفاسد وان السبيل الوحيد للمسلمين والعرب الى النصر والتحرر والقوة وامتلاك الارادة هو ان يلتمسوا منابعهم وأن يطبقوا شريعتهم وأن يعودوا الى أصالتهم وأن يجـدوا أنفسهم فى منهج الاسلام الصحيح : أسلوب حياة ونظام مجتمع وان يأخـذوا من الغرب العلوم التكنولوجية فيصنعوها فى دائرة فكرهم الاسلامى ولغتهم العربية ..

وقد كشفت لهم معركة رمضان هذا الطريق الجديد ووضعتهم على هذا الخط الأصيل ولا يزال أمامهم جهد كبير لتثبيت هذه النقلة الضخمة الوافرة التى نرجو أن تكون هدية القرن الخامس عشر الهجرى اليهم ..

تركيا الاسلامية فى طريق التحرر من خطة التغريب :

فى الخطاب الهام الذى اختتم به مؤتمر السيرة النبوية فى تركيا والذى القاه السيد نجم الدين اربيكان رئيس حزب السلامة الوطنى ، كشف الزعيم المسلم عن المحاذير التى تواجه الفكر الاسلامى فى عاصمة الخلافة الاسلامية القديمة حيث يقول أن الوقت قد حان لازاحة الأضاليل والتغليطات التى بذرها وغرسها ودعا اليها بعض قادة الفكر الغربيين من المذاهب والمبادىء المادية الصرفة .. فانساق وراءهم فيها من يسمون أنفسهم بدعاة التحرر والتجـــديد ...

ويستطرد الى صلب البحث فيقول :

أولا : ان النظرية الداروينية التى تقول بانحدار بنى الانسان من سلالة القرود ، ان هى الا نظرية خطيرة تهدف فى جملة ما تهدف اليه الى اجتثاث أصول العقائد التى اتى بها الاسلام وتحدث عنها القرآن .

ثانيا ــ النظرية الجنسية التى فلسفها ودافع عنها « فرويد » والتى صار يعتنقها ويدافع عنها الكثيرون ان هى الا نظرية ناسفة تريد أن تنسف كل المبادىء والاصول الأخلاقية التى دعت اليها الأديان بما فيهـــا دين الاســـلام .

ويقول ان المسلمين مطالبون بمقاومة ومصاولة أمثال هذه النظريات الباطلة والدفاع عن النظريات والمبادىء التى أتى بها دينهم الحنيف وأكدتها الآيات المنزلة من رب العالمين وعليهم أيضـــا البرهنة على أن النظريات الاسلامية والأحاديث والأنباء التى وردت عن طريق القرآن والسنة النبوية الصحيحة هى (مفاهيم) صحيحة وأخبار لا تقبل الطعن فزيادة على أن الوحى الالهى أكدها فان العلم الحديث يثبتها ويؤكدها ويدحض ما يخالفها .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فان البيان الختامى الذى أصدره المؤتمر أكد أن التقدم العلمى والتقنى الذى تعيش فى ظله البشرية لم يستطع أن يقضى على الآلام النفسية والقلق الفكرى والانحدار الخلقى والامور التى تعانى منها الانسانية . وانه مهما عاند المعاندون وتكبر المتغطرسون فان الحل الوحيد للمشاكل الانسانية يكمن فى الانقياد للهداية الربانية والتعاليم السماوية التى باتباعها والخضوع لأوامرها تنحل كثير من العقـــد ويحل الاطمئنان والأمان لدى بنى الانسان : هذا الانقياد للأوامر الالهية يفرض على كل انسان أن يقدر المهمة التى طوق بها : تعمير الأرض واصلاحها ، وتطويعها والاستفادة من جميع امكانياتها وذلك لا يتيسر الا اذا تضاعف الاهتمام بالبحوث العلمية على اختلاف اشكالها وأنواعها اهتماما من شأنه أن يلبى رغبات البشرية فى السعادة والتقدم والهناء » .

ولا ريب أن صدور مثل هذا البيان من الدولة الاسلامية التركية بعد مرور اكثر من خمسين عاما على تغريبها لهو علامة على تحول هام ، ودليل على أن الاسلام العميق الجذور لا يمكن أن ينهزم بالرغم من كل المحاولات التى عملت على تقطيع أصوله واقتلاع جذوره بطرح الدولة العلمانية ، ووراءها مؤامرات الدونمة والصهيونية ، واسقاط الخلافة .

لقد ظن الأعداء أنهم يستطيعون اسقاط الدولة التركية من خريطة العالم الاسلامي وتدمير هذا الركن الاسلامى الضخم صاحب التاريخ الحافل فى تاريخ الاسلام وخاصة فى القرون الأربعة الأخيرة (١٥١٥ — ١٩١٧) .

* * *

(٤)

لا بد من نهضة إسلامية

ان كل محاولة للابقاء على المناهج العلمية الانجليزية والفرنسية فى جامعاتنا فى العالم الاسلامى من شأنه أن يؤخر الانتقال من اليقظة الى النهضة بل ان هذا الاصرار على دراسة العلوم باللغات الاجنبية (كما يحدث فى كثير من جامعاتنا العربية وخاصة الطب والعلوم وغيرها) انما يستهدف الحيلولة دون تحرير مناهج العلم العربى من التبعية وتعجيزها عن أن تستلهم روح الاسلام ووجهته فى العلم والحضارة وتذليلهما للانسانية كلها وفق روح الاخاء البشرى والرحمة .

ومن هنا فلنحذر الترجمة وتعلم اللغات الأجنبية على النحو الذى يدعونا اليه التغريبيون وخصوم الاسلام فان للترجمة قانونا أصيلا ولتعلم اللغات الأجنبية اسلوبا يجعلها فى حضانة اللغة العربية وفى خدمتها لا لتكون عاملا من عوامل التبعية للفكر الوافد .

وقد تنبه الى هذا المعنى كثيرون من اعلام الفكر الاسلامى فى العصر الحديث فأشار مالك بن نبى الى مدى خطورة استعمال اللغة الأجنبية فى تدريس العلوم بوجه خاص فى البلاد العربية وقال انه نفسه علامة الفشل فى استيعاب تلك العلوم وجعلها خارج نطاق حياتنا الفكرية بحيث تبقى الصلة بينها وبيننا صلة سطحية لا نغير نحن فيها شيئا ولا تغير هى فينا شيئا بينما نرى فى المجتمعات الحية أن هاته الصلة تتغير يوميا وتجعل الفرد يهيمن أكثر فأكثر لا على هضم العلوم فحسب ولكن على تقديمها والسير بها قدما .

مثل اسرائيل التى اعادت لغة ماتت منذ ثلاثة آلاف سنة وأعادت لها هيمنتها على استيعاب كل العلوم والفنون والسير بها الى الأمام ، وكما يحدث فى اليابان والصين . وكما حدث ذلك فى حظيرة الحضارة الاسلامية عند بزوغها فانها لم تلبث قليلا الا وقد استوعبت فى اللغة العربية الفصحى فى لغة تحطان كل العلوم اليونانية بكل فروعها من هندسة وطب وفلسفة وما استمرار أكاديميات وجامعات البلاد العربية فى الاستعمار المفرط للغات الأجنبية فى نشر العلم الا ضعفا وتخلفا .

ويرى الكثيرون ان التعارض بين العلم والدين فى الغرب مرجعه الى

خطأ تفسيرات الدين المسيحى التى حملت الى أوروبا وعجز الغرب عن فهم حقيقة الاسلام .

ويقول أحد الباحثين الأجانب ان الدين (المفهوم عبادة الله وتطبيق منهجه فى الحيـــاة) لا يكافح العلم والتكنولوجيا وان الاسلام لم يكن المقصود بالثورة عليه ابان النهضة الأوروبية انما الذى كان مقصودا هو الدين الكهنوتى الذى لم يكن هو الدين الالهى . وانما كان دينا مشوها تعرض له الاسلام بالرد والنقد قبل أن تثور عليه أوربا ، غير أن أوربا لم تكن على علم كامل بنظام الاسلام ولا بموقفه من الأديان السابقة عليه .

وفى مفهوم الاسلام ان مهمة العلم ومهمة الحضارة هى تحقيق استخلاف الله للانسان فى الأرض واقامة المجتمع الربانى ، ويصور هذا المعنى واحد من اعلام الاسلام حين يقول :

– معنى الاستخلاف هو دوام الصلة بين الله تبـــارك وتعـــالى وبين مستخلفه ، ومن أهم عوامل ذلك ان الله أودع فى الانسان علما (وعلم آدم الأسماء كلها) عجزت عنه العوالم الأخرى ، فالانسان بمقتضى هذا العلم مرتبط بالله وحده وفى نفس الوقت يختلف بهذه الميزة عن خلق الله ، فقد أعطى قدرة عمران الأرض ، وذلل الله تبارك وتعالى له هذه المهمة ، وقد عمر الأرض ولم تفترسه وحوشها وفض باطن الارض وكشف كنوزها ومذخورها ونجح فى مهمته وذلل الله له وسائل الغوص فى البحار والصعود فى الهواء .

وكان من الطبيعى فى طريق هذه المهمة أن لا يغلب الجانب المادى فيها على الروحى ، أو الروحى على المادى ، ذلك لان تغلب جانب على جانب من شأنه أن يخرج الانسان عن طبيعته وفطرته وعن مهمته أيضا .

ولكن الانسان فى القرون الثلاثة الأخيرة : خرج على الفطرة وأعلى الجانب المادى ودفع القدرات العلمية وبذلك فقد خرج الانسان على أمانته ورسالة استخلافه الى القتـــل والابادة وتفجير القنابل والحروب المبيدة ، وأصبح يعرض نفسه للهلاك وفق سنن الله تبارك وتعالى التى عصفت بالحضارات القديمة التى غلبت الحياة المادية على التوازن الجامع بين الروح والمادة وانسلخت بذلك عن ميثاق الاستخلاف .

((واتل عليهم نبأ الذين آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه)) .

والواقع أن الاتجاه بالانسان الى الروحية ، والى النرفانا والى الرهبانية والى اعتزال الحياة ليس هو الوضع الطبيعى .. واتجاه الانسان الى المادية والى الاباحية والى وجهة الاستعلاء المادى بالقوة التكنولوجية ليس هو الوضع الطبيعى .

ومن هنا فان البشرية قد عرضت نفسها اليوم لانفجار ضخم ، ولذلك فان دخول المسلمين الى ساحة التكنولوجيا والعلم التجريبى مجددا ، انما يجب أن يكون بمفاهيمهم الأصيلة حتى يحملوا مسئولية الاستخلاف وفق أصولها الحقة وبذلك ينقـذوا البشرية من أزمة التـدمير ويوجهوا العلم والحضارة والمجتمعات الى رسالة السماء ويحركوها تحت راية القرآن .. ومفتاح التحول بسيط ويسير .. هو معرفة القوة القادرة وراء الظواهر ..

هذا العلم فى أعلى درجات تفوقه يجب أن يقدم للبشرية على أنه عطاء الله تبارك وتعالى ، وان الحق وحده هو الذى هدى العقل البشرى الى اكتشافه فلا استعلاء بالاكتشاف ولا هو ما أوتيته على علم عندى وانما هو عطاء الله ، ولذلك فيجب أن ينسب اليه أولا ثم توجه ثمرته وفق النظام والهدف والرسالة التى فرض الله على البشر أن يحملوا ويتوجهوا بها الى بناء المجتمع الربانى وحضارة التوحيد دون استعلاء على البشر ودون تفرقة بين الأجناس والألوان ، وليكون هذا الخير الانسانى كله مذللا لكل انسان فوق سطح هذا الكوكب بالعدل والحق .

ان الله تبارك وتعالى هو الذى هدى الانسان الى هذه الثمرات والى ذلك الكشف العجيب ، فى أعماق البحار وتحت الثرى وفى قلب الصخور والجبال ، وهو الذى مكنه من أن يكتشف هذه الثروات ليذللها للانسانية فى اطار الرحمة والاخاء البشرى .

أما هذا الاعراض والاستعلاء الذى يعيشه المجتمع الغربى وحضـارة الغرب وادعاء ان العقل البشرى هو الذى اكتشف ووصل ، هذا الغرور ، ثم هذا الاتجاه لمعطيات الله الى الافساد فى الأرض والتدمير هـذا البطر الشـديد .

فلنعلم ولنوقن ولنؤمن بأن الله تبارك وتعالى هو الذى يمسك السموات والارض أن تزولا ، لحظة بعد لحظة ، وانه هو الذى اذن لهذه الكشـوف أن تجتلى : **((ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء))** .

ومن شأن هذا العطاء الكبير ان يشكر وأن يتوجه الى طريق الله ، لا أن يكون أداة للاباحية والجنس والفسق والفساد والتدمير ، وأن يكون قاصرا على أمم دون أمم .

ثم على الأمم أن تعرف حق الله فى هذا العطاء الوافر وفى هذه الملايين والبلايين بحيث لا يبقى فى هذه البشرية فقير أو محتاج وأن لا يكون أمر دولة بضعة الوف من أصحاب الملايين الذين يقيمون امبراطورية الربا . وهذه هى أمانة المسلمين ورسالتهم ومسئوليتهم فى كل العصور والأزمان .

اذا كان اليوم يحمل المشاكل ، فالله عنده الوف الحلول التى سيقدمها لك غدا ، ربما قد يعجز عنه عقلك المحدود ، واذا كنت ترى شيئا أوصدت دونه كل الأبواب أمامك وتخلى فيه عنك كل الناس فان الله تبارك وتعـ

يفتح أبواب السماء فيجيب المضطر اذا دعاه وان كنت صاحب حق وتقول لك الدنيا كلها انه لا أمل لك فى الحصول على حقك ، فان الله سيساعدك يقينا فى الحصول على حقك المسلوب . ان الله (تبارك وتعالى) هو الأمل الكبير فى هذه الدنيا الذى يفتح الأبواب ويمحو الظلمات ويذهب الحزن ويمسح الدموع ويداوى المرضى ويعطى من رحمته ما يمسح به شقاء الدنيا كلها .

• اذا احاط بك الظلام فان الله نور السموات والأرض قادر على أن يبدد الظلام مهما كان شديدا ومهما كنت تراه بلا نهاية .

* * *

الباب الثانى عشر

مصابيح على الطريق

١ ـ مصابيح على الطريق .

٢ ـ فى مواجهة دعوى الصهيونية الباطلة !!.

٣ ـ المسلمون ثلث سكان العالم .

٤ ـ هل فقد سارتر ظله ؟.

٥ ـ احدى نسخ التوراة يذكر فيها اسم محمد صلى الله عليه وسلم .

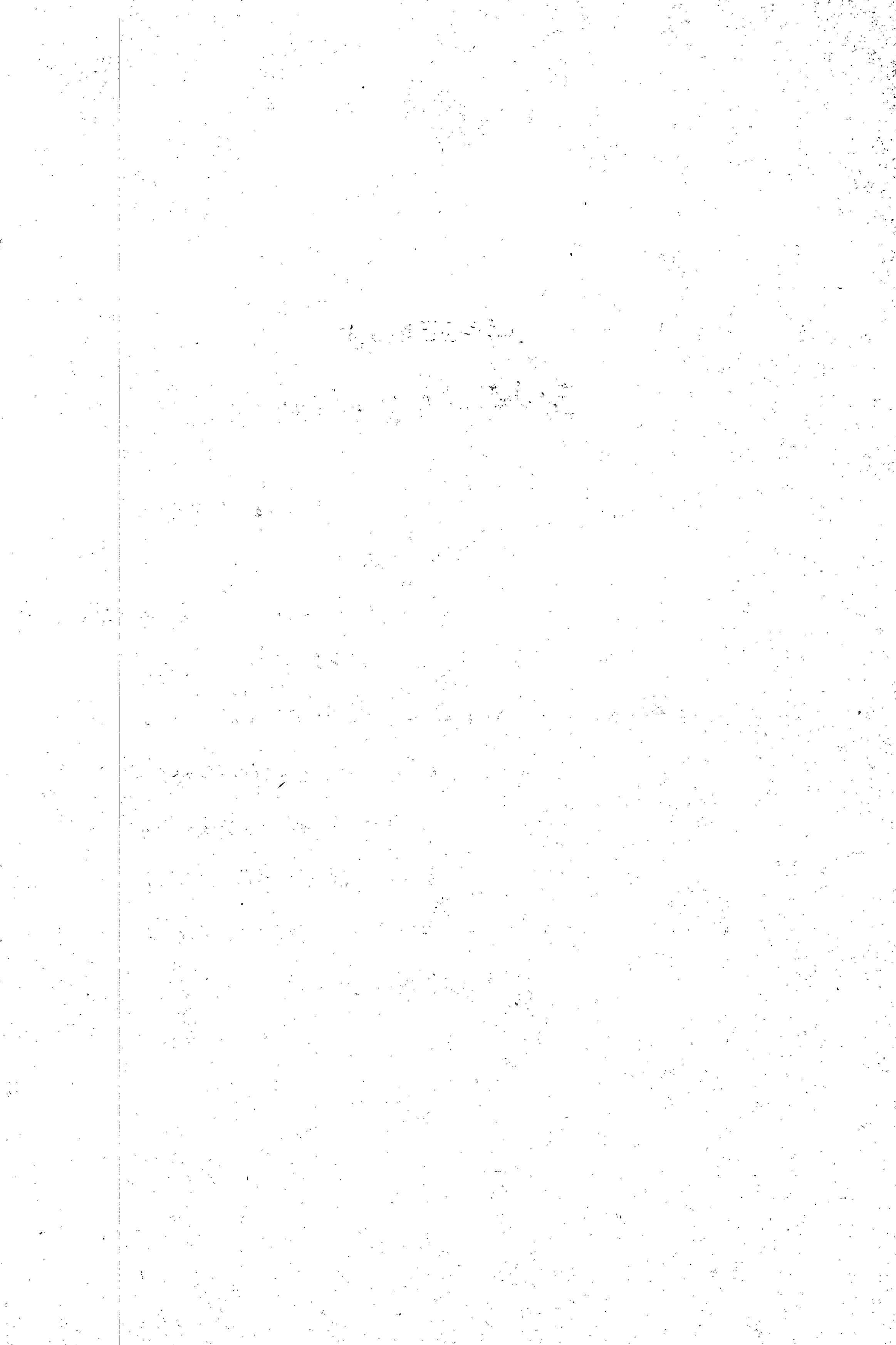
٦ ـ نعم الاسلام دين ودولة وعبادة .

٧ ـ الاسلام أمام تحديات العصر .

٨ ـ انتحار علماء الانتحار .

٩ ـ الثعالبى وكلمة هانوتو التى صنعت منه زعيما .

١٠ ـ الرجل الذى كشف عن خبيئة الغزو الثقافى .



(١)

مصابيح على الطريق

روى الامام احمد فى مسنده ان تميم الدارى قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا دخله هذا الدين يعز عزيزا ويذل ذليلا ، عزا يعز الله به الاسلام وذلا يذل الله به الكفر) .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصحيح : ان الله زوى لى الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى فيها .

وما رواه احمد عن تميم الدارى يؤيده ما رواه عن المقداد بن الأسود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر الا دخلته كلمة الاسلام يعز عزيزا ويذل ذليلا ، اما الذين يعزهم الله فيجعلهم من اهله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم . لا تقوم الساعة حتى تعود ارض العرب مروجا وانهارا وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف الا ضلال الطريق (رواه احمد) .

قال الشيخ حسن الطويل :

كان خرسطفورس جباره يحاول اقناع بعض أهل الرأى بالتوفيق بين الاسلام والنصرانية على ما هو مشهور فى كتبه التى نشرها وقد زار العلامة الحكيم الشيخ حسن الطويل رحمه الله وطلب اليه أن يساعده فى مسعاه للتوفيق بين الديانتين .

فقال له الشيخ الطويل : انا أعرف انه يوجد دين اسمه الاسلام وله كتاب معلوم ولا أعرف دينا اسمه النصرانية فهل لهذا الدين كتاب معلوم ككتاب الاسلام فقال : نعم له كتب هى الأناجيل الأربعة .

فقال : هل انزلت هذه الكتب على صاحب الشريعة النصرانية كما انزل القرآن على صاحب الشريعة الاسلامية ؟.

فقال : لا . هذه كتب كتبها تلاميذه من بعده ضمنوها سيرته واقواله .

قال الشيخ الطويل : سم لى بعضها .

قال : انجيل متى . قال الشيخ : بأى لغة كتب متى انجيله .

قال : بالعبرية .

قال : هل توجد النسخة العبرية التى كتبها متى او صورة منها ؟.

قال لا : ولكنها ترجمت الى اليونانية .

قال : ما اسم الذى ترجمها ؟.

قال : هو غير معروف .

قال الشيخ : كيف أصدق ان هذه النسخة اليونانية تطابق الأصل العبرانى الذى كتبه متى . ولو كانت النسخة العبرية موجودة لأمكن معرفة ذلك او لو كان المترجم معروفا لتيسر معرفة مبلغ الثقة به فأما والنسخ العبرية غير موجودة والمترجم غير معروف فلا أسلم بصحة نسبة هذا الانجيل الى متى .

فبهت خرسطفورس وقطع الحديث .

بين الاعشى والنابغة :

قال الأعشى :

لنـــا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى
واســـيافنا يقطرن من نجـــدة دما
ولدنا بنى العنقـــاء وابنى محـــرق
فأكرم بنـــا خالا واكرم بنـــا ابنمـــا

قال له النابغة : انك لشاعر لولا انك قللت عدد جفناتك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك . انك قلت الجفنات فقللت العدد ولو قلت الجفان لكان اكثر وقلت يلمعن فى الضحى ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أبلغ مديحا لأن الضيف بالليل اكثر طروقا وقلت يقطرن من نجدة دما فدللت على قلة القتل ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الدّم ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك . فقام الأعشى منكسرا منقطعا .

الفتيـة المغرورون :

كانوا ثمانية من شباب العرب خرجوا من لشبونة فى مغامرة رائعة فقد اشتروا مركبا حمالا وأدخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم الأشـــهر ثم دخلوا البحر كما يقول الادريسى فى أول هبوب الريح الشرقية ، فجروا فيه نحوا من أحد عشر يوما فوصلوا الى بحر غليظ الموج ، كدر الريح ، كثير الصخور ، قليل الضوء ، فأيقنوا بالتلف فردوا قلاعهم فى اليد الأخرى ، وجروا فى البحر ناحية الجنوب اثنى عشر يوما فخرجوا الى جزيرة الغنـم فيمموا اليها ونزلوا فيها فوجدوا عين ماء جارية ، وعليها شجرة تين برى ، فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها فوجدوا لحومها مرة ثم ساروا الى الجنوب اثنى عشر يوما الى أن لاحت لهم جزيرة فنظروا فيها الى عمارة وحرث فقصدوا اليها ليروا ما فيها ثم حملوا فى مركبهم الى مدينتهم على ضفة البحر فنزلوا بها فى دار فرأوا رجالا شقرا شعورهم بسيطة وهم طوال القدد ولنسائهم جمال عجيب فاعتقلوا فى بيت ثلاثة أيام ، ثم دخل عليهم فى اليوم الرابع رجل يتكلم العربية فسألهم عن حالهم وفيم جاءوا وأين بلدهم فأخبروه ثم أحضروا أمام الملك فقالوا انهم اقتحموا البحر ليروا ما فيه من الاخبار والعجائب ويقفوا على نهايته ثم عمر بهم زورق عندما بدأ جرى الريح الغربية ، وعصبت أعينهم وجرى بهم فى البحر ثلاثة أيام بلياليها حتى جىء بهم الى البر فأخرجوا وكتفوا الى خلف وتركوا بالساحل الى أن طلع النهار فأقبل القوم عليهم فحلوا وثاقهم وكانوا برابر وقال لهم أحدهم : أتعلمون كم بينكم وبين بلدكم ؟ قالوا : لا . قال : مسيرة شهرين . ثم استطاع الفتية المقتحمون العودة الى لشبونة ويرجح انهم وصلوا الى مقربة من جزائر ــ أزور ــ غربى البرتغال .

كتيبة الأهوال :

عندما وصل سعد بن أبى وقاص الى شاطىء دجلة وجــد على مد البصر المدائن فى عظمتها ومقر كسرى الأبيض فى بهائه ، وانتهى الرأى أن يعبر مع رجاله على خيولهم وتقدم عاصم بن عمرو مع ستمائة من أهل النجدة فساروا حتى بلغوا شاطىء دجلة يريدون أن يعبروا أولا ليحموا الفراض من الجانب الآخر ، فلما وجــد بعض رجاله يترددون تلا قوله تعـــالى :

(وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا) .

ثم رفع رأسه فاقتحم النهر واقتحمه زملاؤه ، فلما رأى القعقاع بن عمر الكتيبة الأولى تتقدم فى سبحها ونظر فاذا الفرس فى الجانب الآخر يتأهبون لردها ، أمر سائر أصحابه الستمائة فدفعوا خيولهم الى النهر فدخلوه كما دخله عاصم وأصحابه وتولى الفرس العجب لهذا الصنيع فلما رأوا عاصما وأصحابه يتوسطون النهر أرسلوا فرسانهم ليمنعوهم من الخروج وليقاتلوهم فى المـــاء ورأى عاصم ذلك فقال لأصـــحابه : الرماح الرماح أشرعوها وتوخوا العيون .

وخرجت كتيبة الأهوال سالمة .

الكرامة :

قال ابن عجيبة : الكرامة الحقيقية هى الاستقامة على الدين وحصـــول كمال اليقين أما خوارق العادات الحسية فان صحبتها الاستقامة ظاهرا أو باطنا وجب تعظيم صاحبها لأنها شاهدة له بالكمال الذى هو فيه .

من حدود الصين الى منابت الزيتون :

عندما بلغ قتيبة بن مسلم حدود الصين على رأس جيش كثيف أرسل الى ملكها وفدا فأعاده الملك ساخرا وقال له :

قولوا لصاحبكم ينصرف فانى قد عرفت حرصه وقلة أصحابه والا بعثت عليكم من يهلككم قال هبيره : كيف يكون قليل الاصحاب من أول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون ـــ الشام ـــ وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا وغزاك ، أما تخويفك أيانا بالقتل فان لنا أجالا اذا حضرت فأكرمها القتل فلسنا نكرهه أو نخافه .

هنالك بعث لهم الملك بتراب بلاده ليطأه قائدهم وبعض أولاده ليختمهم ودفع له الميرة .

خاتمة العامود :

لما اشتد حصار جيوش المسلمين لبيت المقدس سنة ٦٣٦ م أطل البطريرك صفروينوس على المحاصرين من فوق أسوار المدينة وقال لهم : انا نريد أن نسلم ولكن بشرط أن يكون التسليم لأميركم فقدموا له أمير الجيش فقال لا : انما نريد الأمير الأكبر . نريد أمير المؤمنين . فكتب أمير الجيش الى عمر ابن الخطاب يقول : ان القوم يريدون تسليم المدينة لكنهم يشترطون أن يكون ذلك ليدك شخصيا فقدم اليهم عمر فسلموه مفتاحها ..

(٢)

فى مواجهة دعوى الصهيونية الباطلة !!

لا تزال الأقلام الصهيونية تثير شبهة القول بتناقص الموارد الطبيعية الموجودة فى الأرض بالاشارة الى زيادة عدد سكان العالم وهى شبهة باطلة لأنها تصدر عن طريق اخفاء الحقائق الموجودة بين أيدى العلماء من ناحية وهى باطلة لانها لا تحيط بأبعاد الحقائق العلمية والتاريخية فى هـــذا الكوكب .

وقد سبق لواحد من العلماء فى أوائل القرن العشرين اقامة معادلة استخلص منها نقص الموارد الطبيعية بالنسبة لتزايد عدد السكان وهو (مندل) وقد استخدمت هذه النظرية لافساد عقائد الناس واثارة الشبهة حول ضيق الارض بالناس وعجزها عن اعطائهم رزقهم ، ثم انفجرت قضية الطاقة والنفط فغيرت مجرى الحياة البشرية اقتصاديا واجتماعيا ووسعت آفاق الاختراع والصناعة وأحدثت رخاء ماليا واقتصاديا ضخما نسف نظرية مندل نسفا تاما .. واليوم وهذه الدعوى الباطلة المضلة التى تقول ان الموارد البشرية الموجودة الآن لا تكفى البشرية التى تنمو نموا متزايدا ، وخاصة فى العالم الاسلامى تكشف المعلومات عن حقائق جديدة وتقول الأبحـــاث ان فى أعماق المحيطات ثروات بعضها معدنية تكفى احداها احتياجات العالم ٥٠٠ الف سنة أخرى ، فقد أشار التقرير الى أن فى قاع المحيط حصوات اتضح أنها صخور غنية بالمنجنيز : ذلك المعدن الذى يؤدى دورا هاما فى صناعة الصلب حيث توجد كنوز من المعادن الثمينة فى الاغوار فى انتظار استخراجها والى مادة المنجنيز التى تكفى احتياجات العالم ٥٠٠ الف سنة توجد كنوز الفوسفات فى قيعان البحار . المنجنيز للصناعة ، والفوسفات للمخصبات الزراعية والأسمدة .

وتقول التقارير أن هناك ملايين الأطنان من الكرات المعدنية من الجديد والنيكل وهى بقايا شهب ونيازك ارتطمت بالبحار على مدى آلاف السنين . هذه كنوز المحيط التى لم تستكشف بعد والتى تنتظر من يستخرجها » .

ولا ريب أن هذا التقرير يصدق القاعدة الاسلامية الاقتصادية التى تقرر « قانون الوفرة » الذى يشمل غذاء أهل الأرض حيث يرث الله الأرض ومن عليهـــا ..

الأمة الوسطى والتآمر عليها :

فى تقرير كامبل بترمان ، الذى أعد عام ١٩٠٧ بعد اجتماع مجموعة كبيرة من علماء السياسة والاجتماع الغربيين لبحث وسيلة استمرار النفوذ الأجنبى على العالم الاسلامى ما يلى :

● ان الخطر الحقيقى الذى يهدد الامبراطوريات الاستعمارية يكمن فى الشعب الذى يقطن الشواطىء الشرقية والجنوبية للبحر المتوسط لأن لدى هذا الشعب صفات تميزه عن باقى الشعوب من حيث أنه تجمعه عوامل قومية واحدة ، كما أن له حضارة قديمة استطاعت أن تقوم بدور كبير فى تطوير الحضارات الانسانية وان وحدة هذا الشعب فى حركة واحدة تعتبر تهديدا خطيرا لمصالح الامبراطوريات الاستعمارية وخصوصا أن هذا الشعب يسيطر على منطقة حساسة من مناطق العالم ، وهى منطقة الشرق الأوسط ، التى تعتبر الطريق المؤدى الى المستعمرات فى آسيا والشرق الأقصى ، وانه من الضرورى الابقاء على هذا الشعب فى حالة تفتت اتقاء لخطره .

النفـــط :

● أول من اشار الى النفط العلامة القزوينى فى كتابة عجائب المخلوقات : انه يطفو على المـــاء ومنه أسود ومنه أبيض . وقد يتصاعد الأسود بالقرع والانبيق فيصير أبيض ينفع فى وجع المفاصل والفالج وبياض العين والماء النازل منها .

نظرية فرويد تصاب بصدع جديد

لا تزال نظرية فرويد فى النفس موضع نقد ومراجعة من أجيال متوالية من الباحثين وذلك بعد أن اختلف معه قرناؤه (أدلروبونج) على الخطأ الذى وقع فيه باعلاء الجنس . وتكشف الكاتبة الفرنسية (لوسى ايراجراى) جانبا آخر من انحراف فرويد وذلك فى نظرته الى المرأة .. ونظريته المعقدة فيها ، وترد ذلك الى موقفه الخاص بالنسبة لنساء جيله وعصره ولفشله فى تفهم طبيعة المرأة ..

● الكتاب اسمه « المنظار الطبى للمرأة الأخرى » قالت ان فرويد عندما يتكلم عن المرأة يضيع عقله ويشد شريط تحليله ومنطقيته ، فهو يشعر دائما أنه السيد ، وهو عندما يتكلم عن المرأة يتجه الى الرجال على أساس أن المرأة لا يجب عليها معرفة شىء من أمورها حين يناقش الرجال الموضوع ..

وتتساءل ايرجراى : لقد كانت المرأة عند فرويد لغزا عجز الرجال عن اكتشافه فليس من المستغرب تبعا لهذه القاعدة أن تبقى المرأة (الأرض الموحشة) فى علم النفس .. وقالت ان فرويد حاول فرض تحليل نظرى

على مسألة المرأة كان هدفه من وراء الوعى أرضاء غُروره الذاتى وغُرور سامعيه .

● وقالت أن فرويد لم يأت بشيء جديد سوى أنه صقل تحاليل أفلاطون اضافة الى أنه لم يهتم بابراز — العوامل الحضارية التى تفرق بين الجنسين وجملة ما أوردته الكاتبة التى هى تلميذة من تلاميذ مدرسة فرويد ان فرويد ربما كان مريضا ويعانى عقدة ازاء المرأة ، وان هذا العجز عن فهم المرأة والتضاؤل الضمنى ازاءها يجعلنا نستنتج أنه وقع صريع نساء قويات ، وبالتالى تركت هذه العلاقات فى نفسه أسئلة لم يجد الجواب عنها حتى تحولت الى لغز ، وان قول فرويد أن المرأة لغز يعتبر سلبا لطابعها الانسانى .

خبر عن طريق منظمة اليونسكو :

تقرر اجراء مسح علمى للترجمات فى شتى فروع العلوم الأساسية والتطبيقية والانسانية تمهيدا لعمل تنسيق يحول دون تكرار ترجمة الكتاب الواحد الى اللغة العربية .. والواقع أن عملية الترجمة التى تمت فى خلال هذه الفترة الطويلة قد وقعت فى محاذير كثيرة أهمها عدم تقديم الكتاب المترجم للقارىء العربى ..

● ولا ريب أن ذلك كانت له نتائج خطيرة اذ ظن القارىء ان هـــذه الترجمات هى من قبيل العلوم التى لا تنقض بينما كان أغلب هذه الكتب من الفلسفات التى هى عبارة عن فروض يقدمها الكاتب أو الباحث لحل قضية أو مشكلة تتعلق بمجتمعه وعصره ، ولذلك فانها عندما تترجم لا تكون صالحة للاستعمال فى بيئة أخرى ، وخاصة فى البيئة العربية الاسلامية .

ولقد كان من الضرورى حين تقديم مؤلفات نيتشه وسارتر وفرويد وماركس وغيره أن يقدم للقارىء أرضية كاملة عن هؤلاء الكتاب وبيئاتهم ، وظروف المؤلفات التى كتبوها وشيء آخر أهم من ذلك هو معرفة وجهة النظر الاسلامية الى هذه الموضوعات والقضايا جميعها ، ذلك أن للاسلام وجهة نظر فى مختلف قضـــايا المجتمع والنفس والقـــانون ، والاقتصاد والسياسة ، وان مفهوم الغرب لهذه المعانى انما يقرأ للاستضاءة به فى التعرف على وجهات نظر الأمم والشعوب ذلك ان المسلمين ليسوا فى حاجة الى مناهج وافدة فى هذه المجـــالات وليسوا فى حاجة الى نقـــل أسلوب العيش الغربى .

* * *

(٣)

المسلمون ثلث سكان العالم

أذاعت منظمة الأمم المتحدة احصائية حديثة تكشف عن أن المسلمين اليوم يشكلون ثلث دول العالم وان الدول التى مازالت تقاوم الاستعمار هى : كشمير وفلسطين وارتريا والصومال وان عدد الدول التى تسكنها أغلبية مسلمة هى ٤٠ دولة أما الدول التى يتراوح فيها عـــدد المسلمين من ٣٠٪ الى ٤٥٪ من مجموع السكان فهى ١٥ دولة عدا الاتحاد السوفيتى الذى يبلغ عدد المسلمين فيه أكثر من ٤٠ مليونا والهند ٧٠ مليونا وفى كل من يوغوسلافيا (٣ ملايين) وتايلاند (٣ ملايين) وبورما (٣ ملايين) والفلبين (٤ ملايين) .

وتقول انه بدأت بعد معارك العاشر من رمضان مخططات جديدة لدراسة المجتمع الاسلامى أشـــارت الى بعضها صحف الغرب التى قالت أحداها « تقوم معاهد فى أوروبا وأمريكا للاستماع الى العالم الاسلامى والكشف عن التيارات الجديدة منه لتحليلها ووضع الخطط اللازمة للقضاء عليهـا برغم انها معاهد للدراسات الاسلامية مع ان الموجهين لها والمشرفين عليها كلهم من اليهود الصهيونيين المتطرفين فى عداوتهم للعالم العربى والاسلامى بل للاسلام نفسه » .

والمعروف أن الصهيونيين يتولون كبريات المناصب الخاصة بدراسات الاسلام واللغة العربية فى مختلف جامعات الولايات المتحدة وأوربا وأن لهذه السيطرة أبعد الأثر فى تطور دراسات الاستشراق على النحو الذى يمكن الصهيونية من موالاة خداع العالم بأكاذيبها ومفترياتها .

وقد برزت فى الصحف العالمية أخيرا اهتمامات كبيرة لجامعات كولومبيا وهارفارد ونيويورك وبركلى ولوس انجليوس بدراسة اللغـــة العربية . وان أكثر من عشرة آلاف طالب أمريكى الآن يدرسون العربية واللغات الشرقية وان ٩٩ طالبا حصلوا فى العام الماضى على درجة الدكتوراه فى اللغات الشرقية وفى مقدمتها اللغة العربية .. وجاء فى تقرير خاص أن عدد اللهجات واللغات التى تدرسها الجامعات الأمريكية التي تستخدمها شعوب الشرق الأوسط هى ١٣ لغة ولهجة منها اللغة العربية الفصحى واللهجات المصرية والعراقية والسودانية والمغربية بالاضافة الى اللغـــات التركية والفارسية والكردية .

كما أشار التقرير الى أن فى جامعة برنستون ١٢ الف مجلد ومخطوط عربى وفارسى وتركى وفى لوس انجلوس ٨٥٠٠ مرجع من هذا النوع أما فى مكتبة الكونجرس فيوجد ١٢٠ الف مطبوع .

وليس كل هذا الا عمل فى طريق المخطط الاستعمارى الذى يستهدف الاحتواء والتغريب ومزيدا من السيطرة على وسائط الفكر الاسلامى ومحاولة فهم الأمة الاسلامية للسيطرة عليها .

دعوة لفهم العرب :

غير أن هناك فى الصحافة الغربية محاولة أخرى يطلق عليها « دعوة لفهم العرب » وقد تردد هذا المعنى فى عدد من الصحف الامريكية ، تقول جريدة بوست كريسانت (من صحف ولاية وسكنسون الأمريكية) مشيرة الى الاخطار الكامنة وراء التحيز لاسرائيل وتجاهل ما أسمته (المد المتصاعد لقوة العرب) .

« لا يزال على اكثر الأمريكيين أن يعرفوا الحقائق وان يقدروا الى أى درجة نحن بعيدون عن معرفة حقيقة ما يمتاز به العرب من قوة وحنكة ودراية والى أى حد ازدادت ضخامة صورة اسرائيل فى نظرنا عن واقعها ، ولعلك بمجرد أن تذكر العرب تثير فى اذهان الأمريكيين العاديين صورة من الجمال (بكسر الجيم) المغيرة ، والصحراء الجرداء وبمجرد أن تذكر اسرائيل تثير فى أذهانهم صورة أخرى عن شعب مقولب الأفكار والآراء ذىنمط ثابت تقدمى وشجاع وان هذا الشعب محاط من كل جانب بعواء البدو الرحل . « ان هذه الصورة زائفة ومضللة وغير صحيحة فالأبحاث الجديدة التى قامت بها جمعية دراسات الشرق العربى برئاسة استاذ التاريخ فى جامعة كولورادو البروفسور وليام جويسولد اثبتت أن القسم الاكبر من المشكلة هو على الأكثر فى الكتب المدرسية البسيطة والقديمة والتى تستخدم فى الأبحاث الخاصة بالشرق العربى فى أكثر مدارس الولايات المتحدة .

فقد اكتشفت جمعية الدراسات الشرق الأوسطية أن أكثر هذه الكتب ملىء بالأخطاء وانها ماضية فى صياغة قوالب قديمة عن الأحوال السياسية والاجتماعية فى العالم العربى كما انها تبالغ فى تبسيط كثير من المواضيع المعقدة وتقفز الى النتائج متخطية الأسباب التى تجهلها ، بل هى تصل الى حد اصدار أحكام أخلاقية على تصرفات الشعوب تحت ستار من واقع « التاريخ » ونحن نعرف أن مصدر ذلك هو سيطرة الصهيونية العالمية على مناهج التعليم فى الولايات المتحدة وفى أوروبا أيضا فى محاولة لاحتواء الفكر الغربى كله ، ولكن أحداث العاشر من رمضان قد مزقت هذا الستر وكشفت هذا الزيف على النحو الذى يبدو واضحا الآن فى التعرف على الحقيقة وفهم العرب فهما جديدا وقد دعا البروفسور جويزولد الى التحرر من المسلمات القديمة التى عفى عليها الزمن ودعا الى الفهم الصحيح للواقع فى منطقة الشرق العربى .

وقال ان هناك نصيبا وافرا من التمويه فى مسألة اهل فلسطين الأصليين

ممن يطلق عليهم اسم اللاجئين وقال : ان فى وسع الأمريكيين أن يفهموا بصورة افضل أسباب غضب اللاجئين الفلسطينيين ونقمتهم عما يقال الآن للطلاب فى المدارس الأمريكية أن العرب اقاموا ١٣ قرنا فى الأراضى التى تحتلها اسرائيل فى الوقت الحاضر .

وأشار الدكتور جويزولد الى ما اسماه بمؤامرة كبرى تجاه الراى العام الأمريكى ابتداء من التليفزيون وحتى مدرسة ايام الآحاد حيث أحيط بعوامل كثيرة من الظلم والاجحاف والأفكار الخاطئة التى تمنعه من أن يفهم حقيقة النزاع القائم فى الشرق العربى وتقدير مصالح أمريكا الحقيقية فى هذا النزاع .

ودعا الدكتور جويزولد ناشرى الكتب المدرسية وجماعة الميديا الأمريكية أن يقدموا أحدث المعلومات عن العرب وابعدها عن التحيز والمحاباة وان عليهم أن يقضوا على ما اسماه الفراغ الكبير الذى يدعو الى القلق والانزعاج » .

ايماءات مضللة :

هناك ايماءات واشارات تصدر من بعض المؤسسات الثقافية العالمية فى محاولة لتصوير الفكر الاسلامى على أنه هو ذلك النتـــاج الذى قدمته الجمعيات الهدامة والمذاهب المضللة التى ظهرت فى فترة القرن الرابع الهجرى والتى وجهت ووجه انتاجها بالرد والتقنين والكشف عن زيفها ومحاولاتها الخطيرة لتحريف مفهوم الاسلام الصحيح ولا شك أن فى اثارة هذه المعلومات واذاعتها اليوم ما يحقق هدف التغريب والغزو الثقافى ..

ومن ذلك ما أصدرته مؤسسة اليونسكو تحت عنوان « الأديان العالمية » وهو كتاب ضـــخم يزيد عن ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير ومع ذلك فان ما أفرد للاسلام من بين الأديان السماوية والزائفة لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة ، ولا شك أن هذا يلقى فى روع القارىء معنى معينا حين يرى ديانة أرضية مثل البوذية أو الهندوكية تشغل عشرات الصفحات ، فضلا عن أنها حين عرضت للاسلام لم تستكتب له الاصلاء من رجاله وانما عرضت له كدين عبادى له مواعظ أشبه بالمزامير واغضت اغضاء كاملا عن جوهر الاسلام بمفهومه الصحيح باعتباره منهج حياة ونظام مجتمع .

وقد أصدرت اليونسكو فى الشهور الأخيرة ما أسمته قائمة كتب تمثل أمهات الأدب العربى والفكر الاسلامى وقد ركزت على المؤلفات الآتية وكلها لا تمثل الأدب العربى أو الفكر الاسلامى بحال وانما هى من الدخائل الزائفة واليك أسماء هذه الكتب :

- مختارات من الشعر الصوفى للحلاج .
- قصائد مختارة لأبى نواس .
- **مختارات لابن سينا** .

- دليل الحائرين لموسى بن ميمون .
- الف ليلة وليلة .
- رسالة الغفران لأبى العلاء .
- كليلة ودمنة لابن المقفع .

وقد أطلقت اليونسكو على هذه القائمة أنهـا تمثل الأدب العالمى . ولسنا فى مقام التفصيل لهـذه المؤلفات (التى تحتاج الى مقام خاص) ولكنا نقول أنها لا تمثل الفكر الاسلامى أو الأدب العربى تمثيلا حقيقيا وأن الذين اختاروا هذه الكتب انما قصدوا الى أهداف مسمومة خطيرة من ورائها ومن ذلك أن اختيار ابن المقفع وكتاب كليلة ودمنة انما يستهدف فى الأغلب (المقدمة) التى كتبها الشعوبى الكبير فى نقد الأديان ومهاجمة الوحى والنبوة .

كذلك فان كتابات الحلاج وأشعار أبى نواس لا يمكن أن تمثل أصالة الفكر الاسلامى أما الف ليلة فهو كتاب فارسى قديم منذ قبل الاسلام لا يمثل صورة حقيقية للمجتمع الاسلامى الذى أنشأه القرآن على العفاف والرحمة والخلق ، وانما أريد أن تقحم هذه المؤلفات على الفكر الاسلامى لتزييف الحقيقة ، أما ابن سينا فهناك وجهة نظر واضحة لصلته بالباطنية وهو مقدور فى نظر المسلمين كطبيب أما فى مجال الفلسفة فان الأمر يختلف ، أما موسى ابن ميمون فهو زعيم اليهود الذى حدد لهم مفهوم التلمود ووضعه لهم فى نظام جديد استنفع به دعاة الصهيونية العالمية الحديثة . ●

* * *

(٤)

هل فقد سارتر ظله

ما زال جان بول سارتر منذ وقف علانية فى صف الصهيونية العالمية واسرائيل بعد أن خدع العرب طويلا . ما زالت الأقنعة تتكشف عن أخطائه وقصوره فى مختلف ميادين الفكر التى كان قد سيطر عليها بالباطل سنوات طويلة حين ألقى بذور تلك الفكرة التى أحدثت مزيدا من القلق والتمزق والاغتراب فى نفوس شباب العالم الغربى .

لقد أعلن سارتر أن نظريته فى مواجهة الشيوعية وانها تمثل النقص الذى انحرفت اليه الماركسية بقولها أن الانسان ترس فى آلة . ولكن سارتر عاد مرة أخرى فأعلن انتماءه للماركسية وقال انه اضافة لها . لقد دعا سارتر شباب العـــالم الى أكبر تحـــد فى حياته حين دعاه الى الانطلاق بلا حدود ولا قيود الى أخذ كل ما ليس من حقه فى مجال الشهوات والأهواء والمطامع فكان بذلك حاطب ليل وعن طريق فكرة هذا تكونت تلك الخلايا الوجودية وطرحت ذلك الجيل الخطير الذى يطوف العالم من الهيبز .

ولا ريب أن وراء هذه الفكرة وذلك العمل مخططات صهيونية [illegible]عائية تريد أن تحقق هدفها فى تدمير شباب العالم ومجتمعات العالم .

انه فى عديد من قصصه يواجه الحقيقة الالهية بزيف كبير وجرأة قاسية تمثل قمة الالحاد والاباحية وقد أثرت هذه الكتابات فى شبابنا المسلم الذى لم يحصل على ثقافة اسلامية رصينة تحميه من هـــذه الأهواء والأخطار لقد ترك سارتر — وكامو — وغيرهم من كتاب الوجودية ركاما مسموما ترجم بعضه الى اللغة العربية وكان خليقا بالذين ترجموه لو كانوا حقا يؤمنون بأمتهم وعقائدهم أن يقدموا له بما يشرح ظروفه وتحديات تلك الأوطان والأبطال التى كتب فيها هذا كله . ولكن مع الأسف ان هذه القصص قد استخدمت لهدم معنويات شباب أمتنا .

تقول جريدة نوفيل أوبسرفاتور — التى أجرت الحديث معه بمناسبة بلوغه سن السبعين : ان صورة سارتر تبدو مؤسية وقد تبعث على الشفقة انها صورة رجل يبحث عن حقيقة مطلقة . ولكنها أيضـــا صورة صرح يتهاوى . رجل عاش تناقضاته . لقد ظل سارتر دون موقف . أو تناسى مواقفه السابقة — الجزائر مثلا — وانه احتار هل يمشى مشية الغراب أم مشية الحمامة . وحين فقد سارتر ظله نافق كيانات مزيفة وعنصرية

ـ اسرائيل مثلا ـ تملك اتجاهات ايديولوجية مدمرة وتسير فى نهج مناقض للمبادىء الحقـــة .

اعادة صياغة المناهج التعليمية وفقا للعقيدة الاسلامية

كان من أقوى التوصيات التي لفتت أنظار العالم الاسلامى كله تلك التوصية التى أصدرها مؤتمر ندوة علماء المسلمين فى الهند برئاسة العلامة السيد أبو الحسن الندوى عن التربية الاسلامية فى البلاد الاسلامية عامة والعربية خاصة والدعوة الى اعادة صياغة المناهج التعليمية وفقا للعقيدة الاسلامية .

وهى دعوة تجىء فى ابانهـــا ووقتها بعـــد أن تبين للمسلمين والعرب أن النهج الذى سلكوه فى التربية والتعليم وأخذوه من الغرب . هذا الأسلوب الوافد كانت له محاذيره وأخطاره وآثاره البعيدة المدى فى النتائج التى حدثت خـــلال ربع القرن الأخير منذ بداية احتـــلال الصهيونية لفلسطين عام ١٩٤٩ الى سيطرتها على القدس عام ١٩٦٧ . لا ريب أن هذه المناهج التى أنشأتها معاهد الارساليات التبشيرية وتبنتها بعد ذلك المدارس الوطنية فى أغلب أجزاء الوطن العربى والبـــلاد الاسلامية كانت مصـــدر غيبة روح الاسلام ومفهومه من مختلف مناهج التعليم ، بل لقد كان الاسلام يدرس ابان الاحتلال على أنه ـ دين عبادة وليس منهج حياة ـ وان ذلك كان له أثره فى بناء العقلية والنفسية التى لم تستطع استيعاب التحديات الخطيرة القائمة وراء الاستعمار والصهيونية والماركسية وأخطارها .

اول عربى وصل الى الدنيا الجديدة

أشارت مجلة المورد الى رحلة أول مواطن عربى الى الولايات المتحدة وهو المواطن العراقى الياس الموصلى قام بهذه الرحلة عام ١٦٦٨ م حيث غادر بغداد الى القدس فحلب فالاسكندرية والبندقية وفرنسا وأسبانيا والبرتغال وصقلية ومن أسبانيا ذهب الى أمريكا الجنوبية استغرقت الرحلة خمسة عشر عاما ثم عاد الى أسبانيا عام ١٦٨٠ م .

غاز الأوزون وصلاة الفجر

أعلن العلماء أن هناك ريحا تهب فى ساعات الفجر تلطف الجو تلطيفا مؤثرا يحس به الانسان احساسا كاملا ويتذوق حلاوته وهى ريح لا شبيهة لها فى أية ساعة من ساعات الليل والنهار .

هذا الغاز يطلق عليه اصطلاح (غاز الأوزون) الذى يرتفع بنسبة عالية فى وقت الفجر ، وتقـــل تدريجيا حتى تضمحل عـــند طلوع الشمس ، له تأثيرات على الجهاز العصبى والمشاعر النفسية العميقة والنشاط العصبى والفكرى . وقد أشار العلماء الى أن غاز الأوزون تتشبع به الحويصلات والمسام وينتقل الى الدورة الدموية .

وقد اتفق هذا مع ما دعا اليه الاسلام أهله من الحرص على صلاة الفجر . وما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم : بورك لأمتى فى بواكيرها .

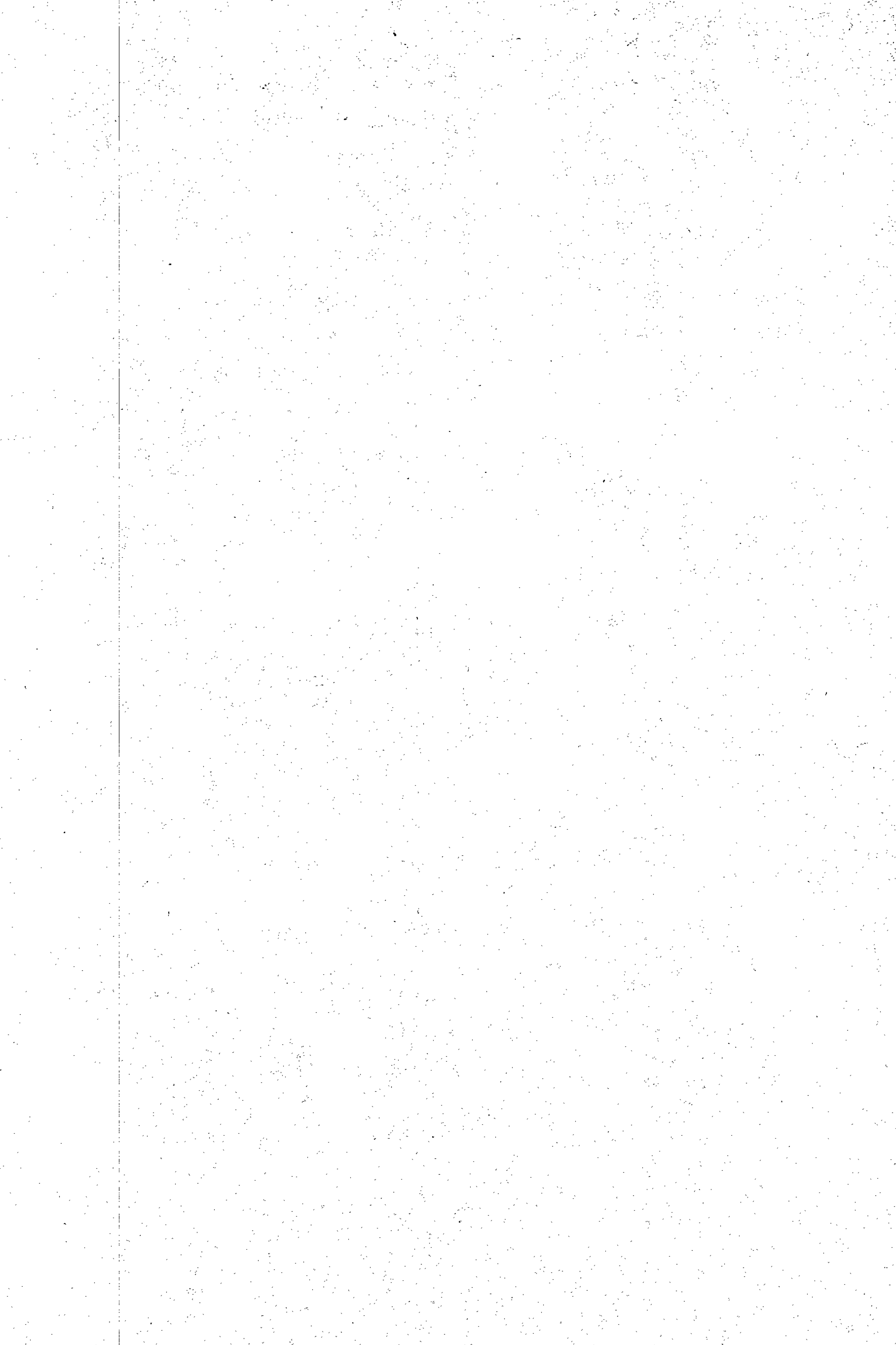
قال صاحب كشف الظنون

ان التأليف على سبعة أقسام لا يؤلف عالم عاقل الا فيها وهى اما شيء لم يسبق اليه فيخترعه واما شيء ناقص فيتمه أو شيء مغلق فيشرحه أو شيء طويل فيختصره أو شيء مفرق يجمعه أو شيء مختلط فيرتبه أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه .

قال جعفر الصادق

من أخرجه الله من ذل المعاصى الى عز التقوى أغناه الله بغير مال وأعزه الله بغير عشيرة ومن خاف الله أخاف منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء ، ومن رضى من الله باليسير من الرزق رضى الله منه باليسير من العمل ، ومن لم يستح من طلب الحلال خفت مؤنته ونعم أهله ومن زهد فى الدنيا أنبت الله الحكمة فى قلبه وانطلق بها لسانه ، وبصره عيوب الدنيا داءها ودماءها وأخرجه منها سالما .

* * *



(٥)

إحدى نسخ التوراة يذكر فيها اسم محمد صلى الله عليه وسلم

كانت لدى شيخ العروبة احمـــد زكي باشا نسخ قديمة من التوراة فيها اسم محمد صلى الله عليه وسلم ونحن نؤمن بان رسالة محمد صلى الله عليه وسلم موجودة فى التوراة والانجيل المنزلين من السماء ، ولكن هذه التوراة المصنوعة التى كتبها (عزرا) ابان السبى البابلى فانهـــا لم تخل من اشارات الى هـــذه البشرى .

يقول الأستاذ احمد زكي شيخ العروبة انه حصل عام ١٩١٣ على نسخ من التوراة كانت لدى شلبى سامري من طائفة السمرة نسخة منقولة عن أقدم نسخة من التوراة تحتفظ بها طائفة السامريين المتوطنة فى مدينة نابلس .

ولما كانت مكتوبة بلغة لا افهمها أوصيت صديقى نور الدين مصطفى بشرائها يقول : اثناء زيارتى لفلسطين ذهبت الى جبل جرزيم بمدينة نابلس واجتمعت بصديقى شلبى وبطائفته وتعددت مباحثاتى معهم ومع كبير كهنتهم اسحق بن عمران على الأخص .

وقال ان التوراة التى اشتراها مترجمة الى العربية عبارة عن مجلد يحتوى على ٦١٥ صفحة من قطع الورق الصـــغير وهو لا يشمل سوى الأســـفار الخمسة من التوراة لأن السامريين لا يعتقدون فى صحة شيء من الأسفار المضافة الى هذاه الأسفار الخمســة .

وقال ان كل صفحات الكتابة مكتوبة بلغة عربية وقد تخللتها كتابات باللغة السامرية . العبارات المكتوبة بهذه اللغة هى التى تؤدى فى معناها اسرار السامريين ولم يشأ مترجم التوراة ان ينقلها الى العربية بل أبقاها سامرية كما هى ومن هذه العبارات جملة فى آخر الاصحاح السابع عشر اى فى الصفحة الـــ ٣٩ من الكتاب وقد كتب الكاهن السامرى الأعظم بخط يده على هامشها عبارات رتبها كما يلى :

٩٢

بماد ماد (أي محمد)

اي جدا جدا .

لجوى   جدول
٤٠   ٤٣

اى شعبا عظيما

اى محمـــد

٩٢

ثم وضع فى ذيلها الجملة الآتية :

(انظر كيف أن الله فى كل كلمة من كلامه تعالى فيها اسرار مدموجة وآيات عظيمة) .

حرره العبد الفقير اسحق الكاهن السامرى .

هذا ما أورده احمد زكى باشا فى جريدة البلاغ فى ٢١ اغسطس ١٩٣٣ م.

العودة الى الجـــذور :

لا يزال التغريبيون فى العالم الاسلامى يتحدثون عن التقدم والتجديد والنهضة ويشترطون لتحقيقهـــا الانفصال عن الماضى والتراث القـــديم . وتلك دعوى باطلة مسمومة ، وهم يرون أن الغرب يفعـــل ذلك وكذبوا فان كتاب الغرب جميعا يؤكدون ارتباط حاضرهم بالماضى ويربطون الحضارة المعاصرة بالحضارة اليونانية الرومانية .

ويقول الكاتب الفرنسى (ميشال بوتور) فى حـــديث له فى بيروت : ان العودة الى الجذور لا تعنى ابدا التخلف . والتـــكرار لا وجود له ، وان تكرار القديم يتم بشىء مختلف ونحن لا يمكننا الخروج من الزمن والتاريخ .

وهذا يعنى زيف دعوى هؤلاء المدعين وكذبهم .

المغرب والدخول فى الاسلام :

ظاهرة جديرة بالبحث : هى ظاهرة التعرف الغربى على الاســـلام من خلال البلاد المغربية ففى خلال عشرين سنة ما بين عام ١٩٥٥ ــ ١٩٧٤ أسلم فى المغرب ١٧٦٦ فردا من مختلف الجنسيات والديانات من افريقيا واوروبا وامريكا اللاتينية وآســـيا والولايات المتحدة الأمريكية .. ويأتى فى طليعة الذين يقبلون على الاسلام ، الفرنسيون اذ اسلم منهم فى تلك الفترة ٦٤٤ ويتبعهم الاسبانيون ٣١٩ ثم الألمان ١٢١ واذا كان لنا أن نقدم أرضية للخبر فاننا نقول أن المغرب كان له أثر بعيد فى هذا المجال فان عددا من المفكرين الغربيين الذين اعتنقوا الاسلام كان المغرب هو مصدر تحولهم من هؤلاء الرسام الفيلسوف اتيان دينيه ، بل ان كتاب حياة محمد لأميل درمنجم قد كتب تحت تأثير الرغبة فى ايجاد تقارب بين الاسلام والغرب وكان درمنجم يقيم فى المغرب ويتصل بأهله .

بلاد العرب :

وصف هيردوت قبل المسيح بنحو أربعمائة سنة ــ بلاد العــرب ــ بأنها أغنى بقاع العالم وانه كان فى مأرب وسبأ قصور نضيرة ذات ابواب عسجدية وابنية من فضة وذهب وسرر مرصعة بالجوهر .

وقال استرابون فى روايته عن سد مأرب ان قصورها ذات سقوف ذهبية عاجية مرصعة بالحجارة الكريمة .

الشخصية المحمدية :

احتفلت جامعة شيكاغو عام ١٩٦٠ بافتتاح قاعة محاضراتها الاسلامية تحدث الدكتور ديكان بلال مكدونالد فقال :

ان الشخصية المحمدية لا تزال بعد أربعة عشر قرنا مصدر المدد المتصل فى تقوية المسلم ولقد أقام الاسلام بين أتباعه أخوة عامة قبل أن يوجد لها نظير بين أتباع الكنيسة الواحدة .

* * *

اخطــاء لغوية :

خطأ قول : كافة الناس والصحيح الناس كافة .

خطأ اضافة التابع الى متبوعه مثل فقلت نفس الشىء والصواب قلت الشىء نفسه .

خطأ استعمال الرضوخ بمعنى الخضوع : والرضوخ فى اللغة بمعنى انقطع وانكسر .

خطأ استعمال لفظ العائلة على الأهل والأسرة . انما العائلة : أنثى العيل . وهى البعير والصواب العيال .

خطأ استعمال السمك بمعنى الثقل نحو ثوب سميك . والسمك لا يكون الا فى الارتفاع والعلو .

خطأ استعمال برهة للزمن القصير وانما هى للزمن الطويل .

الله أكبر :

على ساحل البحرين : كان أمين الريحانى فى السفينة الشراعية قاصدا ساحل الاحساء ، فأثقل الهواء جفنه فنام قليلا ثم أيقظه صوت الملاحين وهم اذ ذاك يشتغلون فى قلب الشراع طوعا للريح ثم صوت الآذان قال :

وربك أيها القارئ ما سمعت فى أنغام الليل أطرب منها الا أن يكون صوت المؤذن فى الخليج وهو يؤذن الفجر ليس فى صلوات الأمم كلها أدعى منه الي الورع والخشوع وقل فيها ما هو اجمل وقعا فى النفس من صلاة الملاح فى ظل الشراع .

* * *

(٦)

نعم الاسلام دين ودولة وعبادة

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى وصية وجهها الى أبى موسى الأشعرى اذ ولاه القضاء وهى وصية موجهة الى المسلمين جميعا والى حملة الأقلام فيهم أولا والى أهل الفكر والعلم والبحث .

« لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس ثم هديت فيه لرشدك أن تعود الى الحق » وقد كانت هذه سنة جرى عليها المفكرون المسلمون فى كل آن ، وموقف أبو الحسن الأشعرى من الاعتزال معروف حين هجره وعاد الى السنة ، وموقف الرازى فى عودته الى الحق حين كتب وصيته فسجل خطأه وعودته ، وفى العصر الحديث وجدنا الدكتور محمد حسين هيكل صاحب كتاب (حياة محمد) يكشف عن موقفه فى مقدمة كتابه (فى منزل الوحى) ويعلن عودته الى أصالة الاسلام بعد أن تبين فساد المنهج الذى سار فيه والذى كان يستهدف ايقاظ العرب والمسلمين عن طريق بعث التراث الغربى واعلن انه وجد ان السبيل الوحيد لنهضة المسلمين هو كتابهم وسنتهم وتاريخهم .

ولقد سار الأستاذ خالد محمد خالد فى هذا الطريق زمنا تحت ضغط ظروف نفسية واجتماعية ظن معها أن الأسلوب الغربى الحديث : أسلوب الديمقراطية الليبرالية هو منطلق النهضة ، والف فى ذلك كثيرا ، واعتنق مفهوم « على عبد الرازق » الذى شق به وحدة الفكر الاسلامى حين أدعى فى كتابه عن الخلافة أن الاسلام دين روحى لا علاقة له بالمجتمع أو نظام الحكم ، سار الأستاذ خالد محمد خالد فى هذا الطريق سنوات طويلة ثم كانت أوبته الى الحق بطيئة متأنية ، فقد هجر هذا المفهوم ثمة وأولى اهتمامه فى السنوات الأخيرة لدراسات عن الصحابة ورجال حول الرسول زمنا وقد اهتدى الى ذلك بدعوة جاءته فى نومه فأفزعته ، وقال الباحثون ان خالد قد عاد الى الاسلام ، ولكن بعض المتعمقين كانوا يقولون : حتى يصحح موقفه من مفهوم الاسلام عامة فان مفهوم الاسلام بوصفه دين عبادة وان بعثة رسول الله كانت روحية خالصة ، كل هذا كان مفهوما زائفا دخل على المسلمين من مفهوم الغرب للبابوية والمسيحية وهى معان دحضتها حركة اليقظة الاسلامية وزيفت صلتها بالاسلام واليوم يجىء الأستاذ خالد محمد خالد فيعلن هذه الحقيقة فيقول : أرجو أن يجىء كلامى هذا تصحيحا لرأى ابديته من قبل فى كتابى (من هنا نبدأ) اذ قلت يومها أن الدين لا يعنيه **أن يكون دولة ولا يعنيه أن يتدخل فى بناء الدولة ويبدو أننى كنت يومها**

متأثرا بتصور مسيحى عن الحكومات الدينية ولا سيما تلك التى قامت تحت ظل الكنيسة فى أوروبا فى عصور الظلام ناسيا يومها أن الاسلام مختلف جدا وأن الدولة بشكلها ومضمونها كانت تعنيه الى أبعد مدى ، وانه خاطبها بمسئولياتها وفى الاسلام بالذات لا يمكن عزل الدين عن الدولة الا اذا أمكن عزل الدين عن الدين ، فهو يدرك دور الدولة فى الحفاظ على دين الله ويعلن أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن . ثم انه وقد جاء يدعو النـــاس الى الدخول فى دين الله لا يمكن أن يترك الدولة تشكل عائقا دون هـــذا الدخول . ومن أجـــل ذلك رأينا الرسول يبـــدأ بدعوة الملوك والأباطرة ليحملوا تبعاتهم تجاه رعاياهم فى ابلاغهم كلمة الله ودعوتهم اليها . ومن أجل ذلك أيضا رأينا الاسلام كدين لا يكتفى بدعوة الناس الى الصلاة والعبادة بل رأيناه ينظم للمجتمع وللدولة كل شئونهما مبينا للدولة مسالك الحق والعدل فى حمل أعبائهـــا ولا يغيب الاسلام ابدا عن أى شأن من شئون الحياة يريد أن يعرف رأيه فيها .

وهكذا استطاع (خالد محمد خالد) أن ينتصف من نفسه وأن يعود الى الحق . ولا يمنع هذا من أن نذكر أن هذه الظاهرة موجودة فى كل عصر فالاسلام دائما له قوته وقدرته على استعادة كل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ولقد كان (مصطفى محمود) أشد عنفا فى مواجهة الاســـلام والدين ، وقد عاد الى الحق ، وان كانت مفاهيمه عن الاســـلام لا تزال فى بعض جوانبها فى حاجة الى تصحيح وعندنا أن الدكتور مصطفى محمود قد اعتمد على بعض المصادر غير الأساسية والأصيلة ولا بد من العودة الى مفاهيم السنة والجماعة .

وعلى المســـلم أن يكون قادرا دائما على مواصلة البحث للوصـــول الى الحق .

راى لمصطفى صادق الرافعى :

يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعى :

لا ثقة لى بمتخلق لا دين له فان الخلق يصله بحظ نفسه أكثر مما يصله بواجبات النـــاس ولا بفيلسوف ملحد لأن الفلسفة تمزجه بالمـــادة أكثر مما تمزجه بالانسانية ولا بمصلح ينسلخ من الدين لأن اصلاحه صـــور من غروره ولا بعالم جاحد لأن علمه كهندسة الشوكة كلها من أجل آخرها ، أولئك لا يدرون أنهم من هذا العالم فى حدود أغراضهم الصغيرة الفانية ، اذ كان كل منهم يتناول الكون من حيث يحب هو لا من حيث يجب عليه ، ثم يفسر الأشياء فى جزء منها لا فى مجموعها ، ويعتبر الزمن عمر الفرد وهو تاريخ لا يموت وينظر الى الغاية من الوجود كأنها داخلة فى الحـــد مع أنها لو حدث لبطلت أن تكون غاية لا تسمو حياة الفرد الا اذا كان جزءا من كل ، ولا يجتمع الكل الا اذا كان تاما فيما هو كل به ، فالسبيل أن يدفع الفرد أبدا الى خارج حدوده الذاتية الصغيرة ، وفكرة الكل هذه لا يصورها ولا يستوفى معانيها الا الدين الصحيح اذا هو خرج بالفرد من شهواته التى

تفصله من غيره الى واجباته التى تصله بغيره ، وانتزاع له من ذاتيته الى انسانيته ودفع بالانسانية نفسها الى الكل الذى هو أسمى .

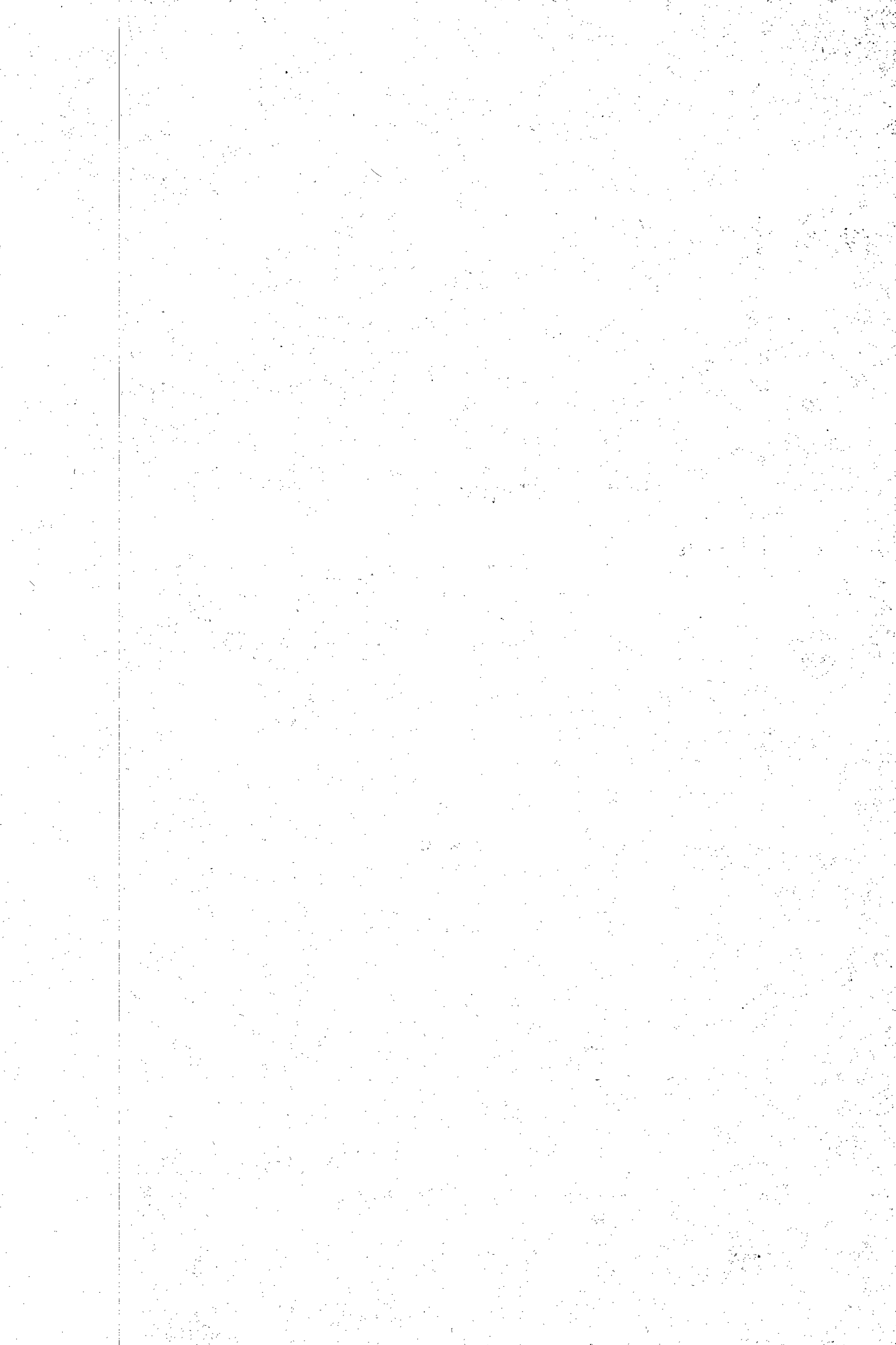
المسلمون هم المصـــدر :

يقول الدكتور عمر فروخ : لو ان مؤرخى أوروبا فى القرون الوسطى اطلعوا على مصنفات الأئمة المحدثين لما تأخروا فى تأسيس علم (المثيودلوجية) حتى أواخر القرن الثامن عشر ، وبامكاننا أن نصارح زملاءنا فى الغرب فنؤكد لهم أن ما يفاخرون به من هذا القبيل نشأ وترعرع فى بلادنا ونحن أحق الناس بتعلمه والعمل بأسسه وقواعده ان القواعد التى وضعها الأئمة المسلمون منذ قرون عديدة للتوصل الى الحقيقة فى الحديث متفق فى جوهرها واتجاهها مع الأنظمة التى اكتشفها علماء أوروبا فيما بعــد فى بناء علم المثيودلوجية .

حاشية : المثيودلوجية : هى الوسيلة المنطقية التى تدرس بها المعارف الانسانية على أساس من الدرس والمنطق والبرهان .

ونقول ان الدكتور عمر فروخ جد متواضع فيما صوره من العـــلاقة بين الأثر والتـــأثر والحقيقة التى اثبتهـــا كثير من علماء الغرب أنفسهم ان الباحثين الغربيين قد اعتمدوا علم الحديث الاسلامى فى انشاء مذهب التحقيق العلمى الحديث وانه لم تكن فى أيديهم ســـواء من تراث يونان أو رومان أو يهود أو المسيحية ما يمكن ان يكون بذرة هذا العلم .

* * *



(٨)

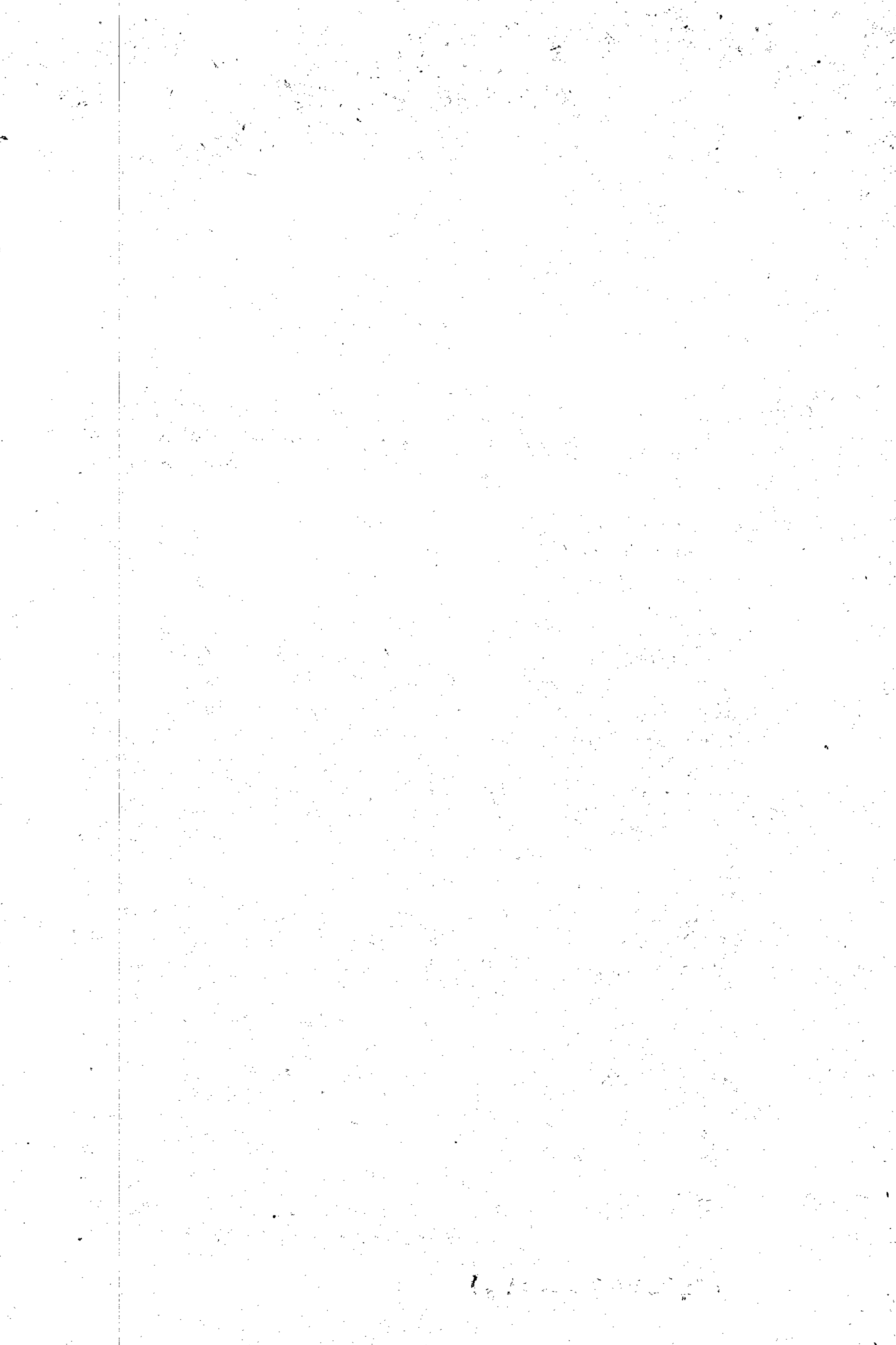
الاسلام أمام تحديات العصر

يعمل أكثر المفكرين المسلمين فى الحقــل العالمى بدراسات اسلامية باللغات العالمية ((الفرنسية أو الانجليزية)) فى مقدمتهم مالك بن نبى ورشدى فكار فى هذه الأيام .

صدر له بالفرنسية كتاب جديد هو (تأملات فى الاسلام) تصفه جريدة العلم المغربية بأنه من المساهمات المفيدة فى نشر الدعوة الاسلامية لدى الشعوب غير الناطقة بالعربية فى أفريقيا الغربية لبساطته وموضوعيته أما كتابه (الاسلام وأدعياؤه) فيقول أنه يحدد المواقف الاجتماعية للمسلم انطلاقا من القرآن . فقد طرح فى أول البحث قضية المسلم الانسان ووصل الى القول بأنه ليس للاسلام أزمة أمام تحديات العصر وانما الأزمة أزمة الانسان والأزمة أزمتنا نحن فلا نحمل الاسلام دون دراية وزرنا ومطامعنا وتقلباتنا ومواقفنا البشرية فتعمم الأحكام ويعوم الصادق فى الباطل فيتكلم المسىء بلغة البرىء ويتقمص الجاهل دور العارف والمتهور مكان العاقل ونغوص فى سحب الغموض والالتباس . والاسلام بعد أربعة عشر قرنا من مسيرته الحالية يشهد العالم أنه قوى بعطائه صالح بوجوده صحيح ببقائه واستمراره ، سيد يكسب الأرض ويحقق النصر بمبادئه صامدا كالصخر أصيل فى القلوب المتدافعة اليه من كل القارات .

ويصل الدكتور رشدى فكار الى القول : بأن القضية هى فى كيف نفهم الاسلام ونتعرف عليه بما فيه وفاء له ، ثم كيف تعرف به وتدعو له بمقتضى المنهج الذى حدده وهو يعتمد على (الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن) ومن ثم يسهل علينا الاقتناع والحوار والاقناع .

ومن أهم ما تعرض له الدكتور رشدى فكار قضية الفتنة الكبرى ودعا الى اعادة النظر فى تاريخنا بعــد أن لونته الانتماءات بصياغتها وطبعته بأهوائها وبصمته بأعراضها وخلفياتها وأضفى عليه المؤرخون من تذوقهم وأحاسيسهم ومعاناتهم مما جعله تاريخ المؤرخين لا تاريخ التاريخ فهو يقول أن اعادة النظر قد آن أوانها انطلاقا من علمية التاريخ التى تعتمد منهجيا على استجواب التاريخ بهدف تصحيحه وغربلته مما علق به من الأهواء وانه لكى يمكننا أن نضع فلسفة تاريخنا الاسلامى العربى علينا أن نحدد علته وحتمية حركته بشكل واع بعيد عن المجازفات الفكرية التى تسلم بالنظرة السطحية لتسلسل التاريخ وعفويته .



(٨)

انتحار علماء الانتحار

من الظواهر العجيبة فى الغرب انتحار العلماء المتخصصين فى الانتحار وقد زاد اتساع هذه الظاهرة فى المجتمعات الصناعية المتقدمة خصوصا فى الوحدات الحضارية (المدن الكبرى) بل واتخاذها طابعا وبائيا الى حد ما لدى بعض الفئات وكمجرد مثال : فنانى السينما وكذا ارتباطها ببعض الظــاهرات الأخرى وتداخلها معها كظاهرة الادمان على تعاطى المخدرات والجنس والخمر والميسر . وقد وصلت لدى بعض فئات النخبة المفكرة فى مجتمعات الاستهلاك الى نوع من فلسفة الخلاص ، من مسيرة الحضارة المعاصرة وفى مواجهة تأزمها وافلاس بعض مناحيها وغلبة روح التشاؤم الى ما يشبه الانتحار الجماعى بابرازهم للجوانب السلبية واصرارهم مع ذلك على السير فى نفس المسيرة الاستلابية والفيلسوف ماركوز فى مقدمة الدعاة الى هذا المفهوم .

ولكن الغريب كما يقول الدكتور رشدى فكار هو انتقال العدوى والوباء من الناس الى العلماء المعالجين لهم ، بمعنى انتحار العلماء المتخصصين فى دراسة الانتحار واحدث مثال لذلك انتحار أحد كبار عمداء الدراسات الاجتماعية والنفسية فى الولايات المتحــدة .

والسر هو أن المعرفة العلمية الحديثة رغم عمقها واتساعها وتنوعها لم تستطع حتى الآن أن تعطى النفس البشرية الثقة فى الحياة ، أو الأمن والطمأنينة وسكينة النفس ، بقدر ما عمقت لديه عوامل الشك فيها وفى قيمتها .

ويقول الدكتور رشدى فكار ان الانسان الذى اتخذ من ارضاء رغباته واشباع غرائزه المادية هدفا لا شك سينتهى بانتهائه . أما الانسان الذى يرى أنه يعيش لما هو أسمى ، وان معرفته مهما تعمقت وفاضت فهى قطرة فى محيط المعرفة الغائبة ، هو الانسان المتوازن الذى استطاع أن يوازن بين رغباته وقيمه ويعادل بين غرائزه ومثله .

ويقول ان انتحار عالم الانتحار جاكوب موريفو هو شبيه بوفاة علماء طب القلب بالقلب : لونجرا ، ووفاة الداعى الى أن عسل النحل يطيل الحياة ، لأن الانسان ليس بالمسائل المادية وحدها ، ولكنه بشىء آخر

يضاف الى ذلك ويسبقه ، هو أن تكون وجهة الحياة لله وحده وأن يكون الانسان فى عمله وحياته ومماته لله :

(قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له) .

وهذا ما يعبر عنه رشدى فكار بغائية المعرفة . ويقول : « ان علية وجود الانسان وما له وروحانيته لا تحدد الا على مستوى (غائية المعرفة) التى لم تدرك بعد والتى هى رمز لعلم الله وكماله العارف بكل شيء لانه هو الخالق لكل شيء » فالانسان فى هذه الحياة انما هو فى سبيل قيام المجتمع الربانى ، وليس لاقامة مجتمع هواه ومطامعه . ولذلك فان العلم الذى يتعاطاه الانسان ويشغف به هو العلم الذى يحاول أن يحقق به ترفه وسعادته ومنفعته الخاصة فى الحياة وليس هو العلم الذى يراد به اسعاد البشرية ورحمتها وعدلها وسلامها وطمأنينتها الى حقها فى معطيات الله الوافرة .

وان هذه المعطيات العلمية فى الاكتشافات والاختراعات قد أفسدت الانسان افسادا لأنها تنقله الى حياة الرخاوة والتميع والفساد ، والانحلال ، فلم يعد قادرا ليدفع عن نفسه التحديات الخطيرة ولأنه ظن أنه هو الذى استطاع أن ينشيء هذه المبتكرات وقال فى ذلك ما قال **قارون :**

(انما أوتيته على علم عندى) .

فلم ينسب هذا العلم ومعطياته لله بل نسبه الى نفسه وقال : فان هذا الانسان فى هذا الخطر الذى يسير فيه يظلم نفسه ظلما شديدا ولا يحقق ارادة الله فى بناء المجتمع ، لقد أمطرنا بنوء كذا وبذلك الربانى ولذلك فسوف تحق عليه كلمة « الاستبدال » .

« ويستبدل ربى قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

« واليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية » ..

وصدق الله العظيم فان فرعون موسى الآن يوضع تحت أضواء شديدة للفحص عن الكسور التى أصيب بها فى حوضه وفى ظهره ويمثل أمام الباحثين ليكون دليلا على صدق القرآن .

يقول الدكتور موريس بوكاى انه يعد الآن مؤلفا علميا ضخما عن الكتب السماوية وبالذات عن القرآن وعلاقتها بالعلم الحديث ، وهو لهذا قرأ القرآن وأثار انتباهه ما ورد فيه من حقائق تطابق تماما ما وصل اليه العلم الحديث ، وهو يقول أن الزمن الذى ظهر فيه القرآن وما احتواه من حقائق يؤكد أنه لا يمكن أن يكون من وضع بشر ومن هنا فان حقائق القرآن يمكن أن تساهم (والعلم الحديث يصدقها) فى الكشف عن أسرار ما زالت تحير عقل الانسان ، ولكى يحاول الربط بين ما جاء فى القرآن من حقائق وبين **ما قدمه العلم الحديث هداه تفكيره الى البحث عن دلائل خاصة فى قصة خروج موسى من مصر وقصته مع فرعونها .**

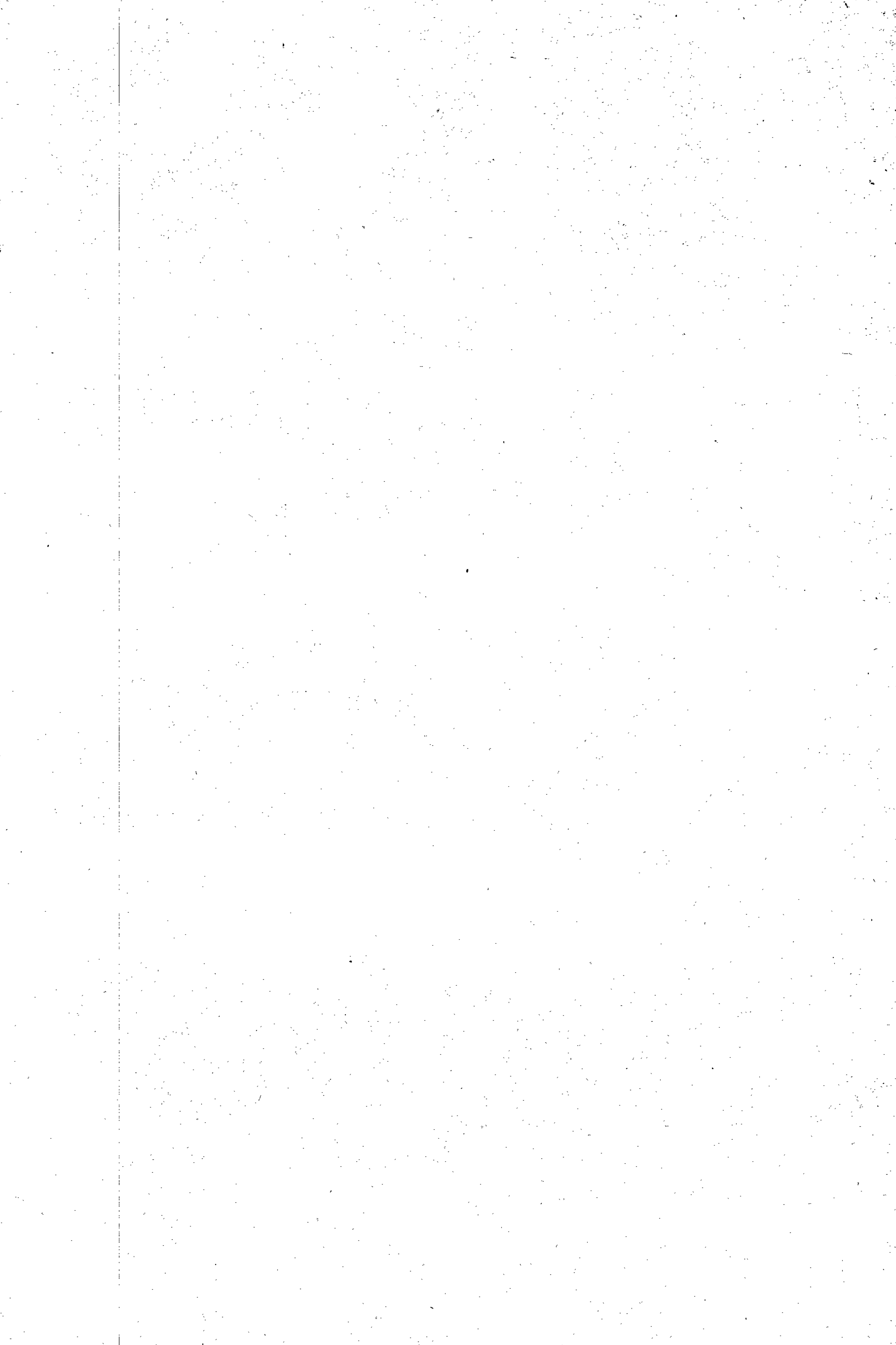
وطبقا لما توصل اليه من حقائق فانه يعتقد أن فرعون موسى هو منفتاح ويدلل على ذلك بما ذكره علماء الآثار من أن الفرعون الذى كان يسخر الناس فى بناء العاصمة الشمالية هو رمسيس الثانى والد منفتاح والذى ولد موسى فى عهده .

ويعتقد أن ما وصل اليه بالكشف عن جثمان فرعون بادخال أجهزة العلم الى داخل جسمه يؤكد أنه هو الذى غرق .

ونقول ان أوربا اليوم قد انتهى أمرها فى مفاهيم الكتب المقدسة وتعارضها مع العلم ، ولذلك فهى تولى وجهها شطر القرآن الكريم الذى اعتقد أنه سوف يعطيها ما تتطلع اليه من خير وسمو ..

(راجع بحث بوكاى فى الباب الأول) .

* * *



(٩)

الثعالبي وكلمة هانوتو التى صنعت منه زعيما

عبد العزيز الثعالبى نموذج من زعماء العالم الاسلامى فى الفترة التى سبقت استقطاب الاستعمار للرجال وصناعة الزعماء وهو يقف فى صف واحد مع مصطفى كامل ومحمـد فريد وغيرهم من الرجال الذين واجهوا الاستعمار فى غزوته حاول الفرنسيون اغراءه فعجزوا واقترحوا أن يقلدوه منصبا علميا على أن ينصرف عن الوطنية السياسية فرفض وسافر الى سويسرا ومنها الى ألمانيا وتركيا ثم رحل الى الشرق وعاد الى تونس عام ١٩١٣ وأعلنت الحرب العظمى وهو على اتصال بالتونسيين فى الاستانة وأوربا ودعا بعد الحرب مباشرة الى عقد مؤتمر لحل قضية تونس واختير زعيما بالاجماع وفوض للعمل باسمهم ثم سافر الى باريس للدفاع عن قضية تونس أمام مؤتمر الصلح ولكن الفرنسيين قبضوا عليه هناك وسجنوه وأرسلوه مخفورا الى بلاده بعد أن تفننوا فى تعذيبه . وفى عام ١٩٢٣ سافر الثعالبى فى رحلة جديدة الى أوروبا وأرض العرب فطاف بايطاليا واليونان وتركيا ومصر وعندما أراد العودة منع فبقى فى مصر حتى عام ١٩٣٦ ولم يعد الى تونس الا بعد أربعة عشر عاما قضاها بعيدا عنها .

لم يكن الثعالبى زعيما سياسيا وانما كان زعيما فكريا ومصلحا اجتماعيا وكان يؤمن بأن العرب قصروا فى أداء واجبهم وحماية الأمانة ومن ثم طغت عليهم الامراض الاجتماعية وقامت أوربا تنازعهم السيادة وكان يردد دائما أن تونس جزء من الأمة العربية وقد بسط الغزالى المنهاج العربى الذى رسمه ليقظة العرب وتحريرهم .

يقول الثعالبى : ان كلمة واحدة هى التى علمتنى العمل ، هى كلمة السياسى الفرنسى هانوتو : حين قال : (وكيف كان المال فقد فصلنا بين شمالى أفريقيا والتاريخ العربي) لقد أثرت فى هذه الجملة تأثيرا بالغا وصممت على العمل لمقاومة هذه الفكرة والمحافظة على هذه الرابطة . ومن هنا كان منهجه فى العمل الفكرى الذى تصدى له : يقول : لنا فى ماضينا عبرة فلا نأسف عليه بقدر ما يجب أن نستفيد من الأغلاط التى ارتكبناها فيه ، ومهما غالتنا الغوائل فانا لم نزل أمة قوية عزيزة الجانب لها تأثير فعال فى سير السياسة العالمية . أية قوة جبارة تستطيع أن تنفذ الى أعماق ضمائرنا فتنال منا كما تنال نفوسنا ، على الشرقيين أن يعملوا لاصلاح النفوس ومتى اصلحوها وثقفوها أصلحوا الشرق ، وهى لا تصلح بغير العلم الناضج

والتربية الصحيحة ولست أقول بالطفرة ولا طلب المحال ، أدعو الى التحول من الأعمال الفردية الى الجهود الاجتماعية واحداث الأنظمة لها والمؤسسات، ان كفاح الأقوياء فى هذا العصر لم يقم على الافراد بل على جهود الجماعات والسبب فى هزائمنا هو اعتمادنا على مكافحة الفرد ، ذلك ما جعلنا ننهزم فى الصدمة الأولى ، علينا أن نعرف العلم للتعليم والمال للمال ولا نتسامح كأن نجعل الطبيب قاضيا والفقيه مهندسا ، فان الشرق شرق لم يزل مشرق العظائم والكمالات والنور ولولاه ما ادرك الغرب الفضيلة ولا عرف الأديان ولا الفلسفة .

لقد استيقظ الغرب فى الساعة الأخيرة التى غفا فيها الشرق فبزه وما عزه علينا اذا أردنا ان نعيد للشرق منزلته الأولى من التقدم أن نقتبس من الغرب كل جديد تجمل به وننبذ كل قديم رث عفاه الدهر وكفانا ان نحتفظ بالدين والأخلاق .

وان الكشف عن أبعاد تاريخنا وفلسفة نشوئنا تستتبع العمل على توحيد مصادر الثقافة فى البلدان العربية كلها مع العناية بتاريخنا وأدبنا والبحث عن العناصر الخفية التى اجتمعت لدين الاسلام وشعب الجزيرة ولسان العرب وتمكنت من هضم شعوب بأسرها واحالتها الى طبيعتها .

آخر العامود :

كشف أحمد زكى باشا شيخ العروبة فى المؤتمر الدولى الذى عقد فى مصر عام ١٩٠٦ ان علماء العرب قد سبقوا الأوربيين الى اختراع طريقة الكتابة بالحروف البارزة الخاصة بالعميان فلخص كتاب نكت الهميان فى نكت العميان لصلاح الدين الصفدى وقال انه يرجع الى ابن المشرق الفخر فى وضع طريقة الكتابة بالحروف البارزة للعميان (على بن أحمد بن يوسف) المشهور بزين الدين الامدى الذى فقد بصره فى أول عمره وشرح طريقة معرفته لأثمان الكتب التى كانت فى مكتبه بأنه كان كلما اشترى كتابا الف ورقة على شكل حرف من الحروف والصقها فى الكتاب وكانت هذه الحروف هى التى يستعين بلمسها على معرفة ثمن الكتاب وبهذا يكون ابن الأمدى المتوفى ٧١٢ هـ قد سبق (برايل) الى اختراع طريقة الكتابة للعميان بنحو بستمائة سنة .

* * *

(١٠)

الرجل الذى كشف عن خبيئة الغزو الثقافى

تتجدد فى النفس ذكرى ذلك الرجل الكريم الذى حمل لواء الدعوة الى الله سنوات طويلة باعلان قرب مناقشة أطروحة الدكتوراه عنه فى جامعة الأزهر التى أعدها الشيخ محمود القاضى : ذلك هو السيد محب الدين الخطيب الذى كان والسيد رشيد رضا أشبه بفرسى رهان فى تجديد وبعث الفكر الاسلامى السلفى الاصيل الذى كانت تحرص المملكة العربية السـعودية على وضعه فى يد المسلمين .

وما زلت اذكر كيف كنت اقصده فى الامسيات الصيفية فى مكتبته السلفية بشارع الفتح بالروضة خلال السنوات الأخيرة وهو فى الثمانين من عمره المحه وراء زجاج مكتبه واقفا بجلبابه الأبيض امام مجلد ضخم عرفت من بعد أنه صحيح البخارى وقد أخذ يراجع بعض نصوصه على كتاب آخر وجدته هو كما كان منذ رايته أول مرة قبل عشرين عاما ما زال مظهره ينبىء عن حيويته الدافقة ، لم يصرفه ارتفاع السن عن العلم والبحث والتنقيب فى مكتبته الضخمة التى كونها خلال خمسين عاما والتى بلغت مجلداتها ٢٠ الف مجلد كان يمثل أمامى تاريخا حيا لقطاع من حركة اليقظة الاسلامية ، كان الرائد على ذلك الطريق الذى عبده الامام محمد بن عبد الوهاب وسار فيه كثيرون .

فقلت له : ان روحك قد جذبتنى هذه الليلة فاننى أعيش فى آثارك من الفتح والزهراء منذ عام كامل . وظن هو اننى اجامله بهذا الكلام .

قال : أنا مسكين .

قلت له : وهل ينسى لك التاريخ آثارك وأعمالك فى ميدانى الفكر والثقافة ؟.

فطأطأ رأسه تواضعا وقال : أنا مسكين .

ولم افهم ما يريد بهذه الكلمة ولكنى احسست بأنه ربما يعتقد أن بذله فى سبيل اللغة العربية واليقظة الاسلامية وخاصة انشاء الفتح وموالاتها أكثر من عشرين عاما كل أسبوع والانفاق عليها من ايراد المطبعة وطبع عشرات من كتب التراث الاسلامى وانشائه جمعية الشبان المسلمين كل هذا لم يلق ما يستحق من تقـدير .

ولكنى ما كدت أراجعه فى بعض آرائه وما كتبه فى مواقف مختلفة ، حتى سر وانشرح صدره وأحس بأننى كنت صادقا فى حين حدثته حديثى ، ولم أكن أقصد المجاملة .

كانت عيناه الواسعتان تبرقان وهو يحدثنى عن تاريخه الحافل وقد برزت من فتحة جلبابه الأبيض شعرات بيضاء وكانت قامته قد تقوست قليلا ولكنه كان ما زال قويا يبدو من وراء سنواته الست والسبعين روح رجل جلد قوى مجالد ، ولا زال وجهه يتدفق شبابا وقوة ولم تضعف قراءته المتوالية بصره وكان وهو يحدثنى عن ذكرياته يقوم بين لحظة وأخرى ليتنقل فى مكتبته الواسعة يحمل كتابا أو صورة أو وثيقة أو خطابا قديما مما يحدثنى عنه وكانت كل أوراقه ووثائقه حاضرة مرتبة .

ولقد كان السيد محب الدين الخطيب هو الذى فتح أعيننا على مخطط التبشير والتعريب والاستشراق والغزو الثقافى منذ وقت باكر حينما ترجم كتاب الغارة على العالم الاسلامى فى جريدة المؤيد قبل الحرب العالمية الأولى فوضع فى أيدى الباحثين وثائق خطيرة لا تزال قادرة على الكشف عن أخطار التغريب .

وعبارته المعروفة : انما أوتينا من جانب المدرسة والصحافة فهما اللتان كونتا رجالنا ومجاهدينا كما نرى ولن نتقى شر الانحلال ما لم تكن مدارسنا وصحفنا مؤسسة على مفهوم الاسلام ودعائم من الوفاء لتاريخ الاسلام .

* * *

محتويات الكتاب

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

هذا الكتاب

ما تزال صفحات « التراث الإسلامى » تضىء الحاضر والمستقبل ، وتكشف عظمة الدور الذى قامت به هذه الرسالة الخالدة ، والأجيال التى صنعتها ، والأعمال الكبرى التى قدمتها للبشرية .. دفعاً لها على طريق « التوحيد » إلى الإنسانية ، وتحريراً لها من العبودية لغير الله تبارك وتعالى .

إن موروث المسلمين هو القرآن والسنة .. وعنهما صدر ذلك النتاج العظيم من التراث الحافل ، الذى نحاول فى هذه الصفحات أن نكشف بعض جوانبه ، وأن نقدم تلك اللمحات القليلة التى تستطيع أن ترد إلى قلوب شبابنا الإيمان بعظمة هذا الدين ، وبفضله على العالمين ، من خلال هذه البطولات فى مختلف ميادين الحضارة والعلم ، والحرب والسلام .. خلال أربعة عشر قرناً على يد هذه الأمة ، التى هى مطالبة اليوم بأن تقدم هذا الدين الخالد إلى البشرية جميعاً لتهتدى إلى ربها ، وتستضىء به فى ظلمات الأحداث التى تمر بها ، بعد أن اعتمد الإنسان على الفكر البشرى .. فانحرف به الطريق ، ولم يعد أمامه إلا أن يعود إلى منهج الله تبارك وتعالى .. من أجل هذا كله يقدم لنا الكاتب والمؤرخ الإسلامى الكبير الأستاذ أنور الجندى هذه الصفحات المضيئة من تراث الإسلام ، لتكشف أمام النفس المسلمة آفاق الإيمان بعظمة هذا الدين الحق ، وببطولة رجاله والقائمين عليه ، وإيمانهم وإصرارهم على نصرته .. فإن من شأن هذا أن يملأ قلوب شبابنا بالثقة بعقيدتهم وآثارها ، فى الحضارة والمجتمعات ، فيعلموا أنه لا بديل لهذا الضوء الكاشف من فكر وافد أو منهج غريب .

١٧٠ قرشا

دار الاعتـ